محمود محمد العلي

الإمام علي

جدل الحقيقة والمسلمين

(الوصية ... الشورى)

مؤسسة بحسون
للنشر والتوزيع

Printed in Lebanon 2007 طبع في لبنان

الإمام علي

جدل الحقيقة والمسلمين

(الوصية ... الشورى)

محمود محمد العلي

الإمام علي

جدل الحقيقة والمسلمين

(الوصية ... الشورى ١)

مؤسسة بحسون
للنشر والتوزيع
بيروت - لبنان

اسم الكتاب: الإمام علي جدل الحقيقة والمسلمين
(الوصية والشورى)

المؤلف : محمود محمد علي

الناشر : © مؤسسة بحسون BAHSOUN PUBLISHERS
للنشر والتوزيع PUBLISHING & DISTRIBUTING
منشورات بحسون الثقافية ـ دار المنال
سجل تجاري 10954 ـ بولفار سليم سلام
بناية سوق الروشة الشعبي ـ الطابق الثالث
تلفاكس: 659166 1 961 ـ هاتف: 305623 1 961 +
ص. ب: 11/8505 بيروت ـ لبنان
رياض الصلح ـ بيروت 2270 1107 لبنان
E-mail:bahsounpublishers@hotmail.com

الطبعة : بيروت 2007م / 28 ـ 1427هـ

تصميم الغلاف: مريم ماجد

الترقيم الدولي: ISBN: 9953 - 39 - 146 - 7

طبع في لبنان Printed in Lebanon 2007

بسم الله الرحمن الرحيم

﴿إِنَّمَا وَلِيُّكُمُ ٱللَّهُ وَرَسُولُهُۥ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ٱلَّذِينَ يُقِيمُونَ ٱلصَّلَوٰةَ وَيُؤْتُونَ ٱلزَّكَوٰةَ وَهُمْ رَٰكِعُونَ وَمَن يَتَوَلَّ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ فَإِنَّ حِزْبَ ٱللَّهِ هُمُ ٱلْغَٰلِبُونَ﴾ [سورة المائدة، الآيتان: ٥٥ و٥٦].

﴿إِنَّمَا يُرِيدُ ٱللَّهُ لِيُذْهِبَ عَنكُمُ ٱلرِّجْسَ أَهْلَ ٱلْبَيْتِ وَيُطَهِّرَكُمْ تَطْهِيرًا﴾ [سورة الأحزاب، الآية: ٣٣].

﴿وَيُطْعِمُونَ ٱلطَّعَامَ عَلَىٰ حُبِّهِۦ مِسْكِينًا وَيَتِيمًا وَأَسِيرًا إِنَّمَا نُطْعِمُكُمْ لِوَجْهِ ٱللَّهِ لَا نُرِيدُ مِنكُمْ جَزَآءً وَلَا شُكُورًا﴾ [سورة الإنسان، الآيتان: ٨ و٩].

الإهداء

إلى كل من يسعى وراء الحقيقة
ليصل في نهاية المطاف إلى الحق....!!

محمود العلي

المقدمـــة

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ

وبه نستعين

الحمد لله رب العالمين، على نعمه كلها.. وعلى هدايته لنا..

والحمد لله الذي جعل الحمد مفتاحاً لذكره.. والصلاة والسلام على رسوله الكريم الصفي... وأمينه الرضي.. وعلى آل بيته وعترته الطاهرة المطهرة... وعلى أصحابه المتقين.. أجمعين.. إلى يوم الدين...

(محمد) ﷺ ذلك الإنسان العظيم... خاتم الأنبياء، وسيد المرسلين.. خيرة الله من خلقه.. حبيبه وصفيه، وأمينه.. وربيبه...

تلك الشخصية الفذة التي لا يمكن لأيٍ من عظماء البشر الرقيّ إلى مصافها وعظمتها.. ولا حتى محاولة المقارنة بها.. ابتداء من بدء الحياة في هذا الكون، إلى ما ينتهي إليه...

الصادق الأمين، الذي جاء لخير البشرية جمعاء، دون تخصيص فئوي.. دون حصر بجماعة محدودة، أو مجتمع معين..

ذلك العظيم الذي قال.. وقوله صدق.. وفي قوله نفحات سماوية.. وسمات ربانية... قال «ص»: **«خير الناس من نفع الناس»**!!!

نعم كل الناس.. لأنه أرادها مطلقة لكل الناس..

لم يقل خير الناس مَن نفع المسلمين فقط!!.. أراد عليه الصلاة والسلام

النفع والخير للناس عامة دون استثناء لدين أو لقومية، أو لعرق..

أراد الخير لكل البشر على اختلاف معتقداتهم ومللهم ودياناتهم.. كيف لا، وهو رسول الإنسانية... رسول المحبة.. رسول السلام.. رسول الله لكل خلق الله.. هذا العظيم الذي استمد عظمته من عظمة الله سبحانه وتعالى... الذي علّمه وأدبَّهُ.. فأحسن تأديبه، وأجاد تعليمه.. حتى كان حقاً ربيباً لِوَحيه..

هذا الإنسان الذي لم ينجب كوكبنا هذا نظيراً له.. ولا مثيلاً لإنسانيته.. ولا قريناً لخلقه.. حتى خاطبه خالقه قائلاً:

﴿وَإِنَّكَ لَعَلَىٰ خُلُقٍ عَظِيمٍ﴾ [سورة القلم، الآية: ٤].. وتلك شهادة ما بعدها شهادة... لم يقلها سبحانه وتعالىٰ لأي نبي من أنبيائه ورسله الكرام.. لم يخاطب بها أو بمعناها.. إلا خاتم أنبيائه.. محمد بن عبد الله.. حبيبه وصفيه.. ومُبلغ آخر رسالاته وأَتمها..

هذا العظيم.. الذي قال له العظيم ذلك القول الكريم... كيف يمكن لأي أديب أو فقيه، مهما بلغ في تعمقه لأدبه.. ومهما توسع في فقهه، أن يكون دقيقاً في وصفه.. أو يصل إلى أغوار بعض من حقيقته.. أو يرسم بعضاً من جوانب شخصيته! كيف يستطيع ذاك الأديب الفذ.. أو هذا الفقيه المتعمق.. أو ذلك المؤرخ المتوسع..

أن ينقل معالم إنسانيته على حقيقتها.. أو يخوض غور معرفته وعلمه حتىٰ يصل إلى حقيقتهما!!

أقول.. لا يمكن إعطاء هذا العظيم حقه، بما هو فيه من شأن عظيم، مهما كتبنا عنه، عما يتحلىٰ به من روائع الصفات.. وما يتصف به من معجزات السمات..

ذلك العظيم الخالد في القلوب المؤمنة.. وبالأنفس التقية.. وفي الأرواح الطاهرة النقية..

ومعذرة لتكراري لصفة (العظيم) بين سطور هذا الكتاب، لأني لا أستطيع أن أصف ذلك العظيم إلا بمحمد العظيم ﷺ، لأن خالقه وصف أخلاقه بالعظمة..

لقد أردت أن أتجاوز قدري لأبدأ محاولة من محاولاتي التي قد يساعدني بها قَدري.. حتىٰ أستطيع ولو بعض الشيء في سطر سطور أسردُ فيها جوانب ولو بسيطة من شخصية الرسول الأعظم ﷺ.

أقول جوانب لأني أعجز تمام العجز عن تغطية شخصيته تغطية كاملة في كتاب.. أو في مجلدات، كما عجز مَنْ حاول قبلي.. في كل كتاباتهم، وكتبهم عنه!!

ولكن!.. سوف أُشارك مَنْ كتب، ووصف، وبحث، ورسم معالم من شخصية ذلك الرجل.. وأنا عالم كل العلم بأني سوف أكون أحد العاجزين في إعطاء الروح النابضة.. الدقيقة للكلمات الواصفة، والباحثة لبعض من جوانب تلك الشخصية.. شخصية محمد ﷺ ربيب الوحي.. وخاتم الأنبياء..

ولكن!.. مرة أخرى!.. أرىٰ عليّ لزاماً أن أقف عند حديثه الشريف القائل:

«أنا مدينة العلم، وعليّ بابها، فمن أراد العلم فليأته من بابه».

إذاً.. هذه المدينة الواسعة من العلم.. لا يمكن الدخول إلى أغوارها، ما لم نأتها من بابها... حيث نمر عليها، لا مرور مارٍ، أو مستطرقٍ عابر... بل دارس بتوسع لما أتاها الله سبحانه وتعالىٰ، من علم، ومن فضل، وكرامات ومكرمات..

الإمام علي بن أبي طالب (ع)... باب مدينة العلم.. بل باب العلم الذي عَلّمه ربه عزّ وجل لنبيه ورسوله محمد ﷺ. الذي قال وهو عز من قائل:

«ولا تدخلوا البيوت إلا من أبوابها»..

لذا أصبح علينا لزاماً أن نبدأ بدراسة شخصية الإمام علي.. الذي كان أعلم الناس بعد الرسول ﷺ.. حتى تكون دراستنا هذه، مقدمة أو مدخلاً لدراسة وبحث شخصية أستاذه ومعلمه ومربيه، والمتعلم منه ما علمه رب العالمين... سبحانه وتعالى..

الإمام علي كرّم الله وجهه.. سيكون موضوع بحثنا على صفحات هذا

الكتاب.. لنستعرض الجوانب المشرقة.. (وكل جوانبه مشرقة) من حياة هذا الإنسان العظيم... نعم العظيم أيضاً.. الذي استمد عظمته من عظمة شخصية ذلك العظيم... معلمه.. وأستاذه.. ومربيه.. أخيه ورفيقه.. رسول الإنسانية.. محمد ﷺ...

سيرة الإمام علي كرم الله وجهه، حافلة بما اتصفت به من صفات قريبة إلى الخوارق..

الخوارق التي لم يتصف بها أي صحابي من صحابة رسول الله ﷺ..

فالشجاعة... والفروسية.. والدفاع عن العدل، والحق.. والحرية.. وكرامة الإنسان وإنسانيته..

الإيمان.. والتقوى.. العلم والمعرفة... الجهاد في سبيل رفع راية الإسلام وولائه الوثيق له، وسبقه إليه قبل غيره من رجال المسلمين..

الإمام علي.. كان سابق المسلمين.. و(سابق المسلمين)... لقب لا يستحقه لمجرد سبقه إلى الإسلام.. فعلي هو الذي علّم الناس فيما بعد، إنه:

ليس الطريق لمن سبق.. بل لِمنْ صَدَق.. إنما يستحقه لأنه حاز كلتا الحسنَيين.. السَّبق... والصِّدْق..

وحين نتتبّع مظاهر إسلامه نرى عجباً... وحين نستقبل شمائل إيمانه، نستقبل روضات يانعات نتأنق فيهن... ويشملنا عبيرها، وطُهرها... وتقاها..

وعلي بن أبي طالب في إسلامه، نموذج عظيم مكتمل الشكل والجوهر..

حمل إسلامه بين جنبيه.. وتحت ضلوعه.. وفي أعماق روحه...

ومضى يستصغر شأن الدنيا بكل فنونها وزينتها... وكلما تراءت له مباهجها صدها بعبارته المأثورة:

«يا دنيا إليك عني.. يا دنيا، غُري غيري...»[1].

---

(١) خلفاء الرسول ـ خالد محمد خالد ص٣٦٢ ـ ٣٦٣ ـ دار الجيل ـ بيروت.

كفاك أيها المؤمن الجليل... كفاك ما قاله عنك معلمك محمد ﷺ، مختصراً، فيما قال عن بعض صفاتك:

«لأعطين غداً رايتي إلى رجل يحب الله ورسوله، ويحبه الله ورسوله، كرّار ليس فرّار، امتحن الله قلبه للإيمان».

هنيئاً لك.. يا بن أبي طالب على تلك التزكية.. وعلى هذا الوصف الذي لم يصف رسول الله ﷺ أحداً من أصحابه دون استثناء، بجزءٍ من هذا الوصف الشامل.. الدقيق.. البديع.. فأي رجل غير علي بن أبي طالب... يحبه الله ورسوله... و... وامتحن الله قلبه للإيمان!!!

.. ولندع تقييم رسول الله ﷺ له.. لنُعرج على ما قاله فيه عدوه اللدود.. عدوه في كل شيء!! عدوه في المبدأ.. والإيمان... عدوه في التقوى... والفقه والعلم والمعرفة والفداء لمبادىء الدين الحنيف... إنه (معاوية بن أبي سفيان) الذي قال عن الإمام، لما بلغه نبأ استشهاده:

(ذهب الفقه والعلم بموت ابن أبي طالب..)!!!

قال له النبي ﷺ يوماً:

«يا علي إنك أول من يقرع باب الجنة، فتدخلها بغير حساب بعدي...».

وقالت عنه أم المؤمنين السيدة عائشة بنت أبي بكر الصديق (رض):

(.... أما إنه لأعلم الناس بالسنة...).

كما قال عنه ابنه الحسن بن علي بن أبي طالب بعد أن قُتِلَ أبوه:

(... قتلتم بالأمس رجلاً ما سبقه الأولون... ولا يدركه الآخرون...).

﴿إِنَّمَا وَلِيُّكُمُ اللَّهُ وَرَسُولُهُ وَالَّذِينَ ءَامَنُوا الَّذِينَ يُقِيمُونَ الصَّلَوٰةَ وَيُؤْتُونَ الزَّكَوٰةَ وَهُمْ رَٰكِعُونَ وَمَن يَتَوَلَّ اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَالَّذِينَ ءَامَنُوا فَإِنَّ حِزْبَ اللَّهِ هُمُ الْغَٰلِبُونَ﴾ [سورة المائدة، الآيتان: ٥٥ و٥٦].

تلك آية من جملة الآيات الكثيرة التي نزلت في حق الإمام علي كرم الله

وجهه، حيث ذكره الله عز وجل فيها... صدق الله العظيم... وصدق رسوله الكريم...

أما الإمام علي نفسه، ماذا قال عن نفسه خاصة، وعن آل بيت رسول الله عامة!! قال:

«... وإني لَمِنْ قَومٍ لا تأخُذُهمْ في الله لومَةُ لائم، سيماهُمُ سِيماء الصِّدِّيقين، وكلامُهُم كَلاَمُ الأَبرار. عُمَّارُ الليْلِ ومَنَارُ النهار. مُتمسِّكونَ بحبلِ القُرآنِ. يُحيُونَ سُنَنَ الله وسُنَنَ رسُولِه.. لا يستكبرونَ ولا يَعْلون ولا يَغُلُّونَ (يخونون) ولا يُفسدُونَ. قُلُوبُهُمْ في الجِنانِ، وأَجسادُهُمْ في العَمَلِ...»[1].

علي بن أبي طالب كرّم الله وجهه.. رَبيب الرسول ﷺ... وتلميذه.. يستحق منا نحن المسلمين كل المسلمين بالغ الإعجاب بشخصيته النادرة... وواجب التعرف إلى سيرته وعلى بعض من فضائله وخصائصه.. ومكانته في الإسلام.. ودوره في نشر راية دين محمد ﷺ...

ذلك الرجل الفذ الذي كثرت فضائله.. وتعددت خصائصه.. حتى عجز الرواة عن إحصائها... وذكر تعدادها...

لذا سيكون في كتابنا هذا عرض لما نستطيع عرضه عن سيرة حياته، وتربيته ومواقفه التي شهدت له الأعداء... وكذلك كفاحه.. وتضحيته.. من أجل الحفاظ على مبادىء الحق والحرية والإيمان.. وكرامة الإنسان...

أقول عرض موجز... يمكن أن أعتبره بحث أو دراسة مختصرة لا أتوسع فيها.. لأني لا أدعي تمام العلم عن علمه، وفلسفته.. وكل مكارم أخلاقه.. وجليل مبادئه..

بل أُسجل له بين سطور كتابي هذا، ما وُفقتُ لجمعهِ من مصادر مختلفة، ومؤلفات عدة، لا سيما الكثيرة منها لكتاب أجلاء من أهل السنة.. وحاولت أن

---

(١) نهج البلاغة ـ محمد عبده ـ مؤسسة الأعلمي للمطبوعات ـ بيروت ج٢ ص١٥٩.

أتجنب قدر الإمكان مصادر وكتب أهل الشيعة الذين عرفوا بموالاتهم له بصورة خاصة.. بالرغم من وجود مصادر قيمة وثمينة لهم عن موضوع كتابنا هذا!!

أردت التحقق من الحقيقة المجردة... التي لا انحياز فيها ولا تطرف.. الحقيقة التي لا مبالغة فيها... يعقلها العقل... ويقبلها الفكر، ضمن إطار الأحداث التاريخية التي أجمع عليها الرواة والمؤرخون والمتحدثون على اختلاف مذاهبهم، وشتات مشاربهم من العلم والمعرفة.. حتى نوفق في ذكر ما يستحق ذكره ذلك الإنسان الخالد في وجدان التاريخ...

سأنقل بين سطور هذا الكتاب آراء الكتاب والمفكرين الذين بحثوا بعمق وصراحة عن شخصية الإمام علي وبخاصة الأحاديث المجمعون عليها.. ولو على وجه التقريب... وسوف أكثر من نقل ما نقله لنا كتاب (نهج البلاغة) من أقوال الإمام، واستشهد بها... حتى تكون أقواله التي وردت في النهج من أهم المصادر التي نعتمد عليها، وخير مرجع نستند إليه..

وهذا الكتاب أردت منه أن يكون للناس أو القراء المتعلمين حديثاً.. أكثر من أن يكون لغيرهم من المثقفين ثقافة عاليه... لأن هؤلاء لن ينتفعوا بموضوعاته لأنهم أكثر علماً وأوسع إلماماً عما جاء فيه... ولو أني أكتب لكل القراء دونما أي تمييز...

لذلك اعتمدت أن يكون أسلوبه سهلاً.. لم أستعمل فيه العبارات اللغوية البليغة، ولا الطريقة الصعبة في التعبير... حتى يقرأه الشباب قبل الكبار.. وأخاطب به المبتدئين بالثقافة والمطالعة والمعرفة...

ومعذرة إن لم أوفق في إعطاء ما يستحقه هذا الإمام الجليل..

ومعذرة مرة أخرى، إن ورد سهو فيه، أو خطأ بين كلماته وسطوره..

وأنا لا أدعي لكتابي هذا الكمال، وقد سبقني إلى مواضيعه أجلّ الأساتذة، وأوسعهم ثقافة وعلماً... ولكني اعتمدت فيه مناقشة الأحداث الموضوعية التي صاحبت الوقائع التاريخية... وآخر معذرة ألتمسها من القارىء الكريم، إن وَجد في بعض الأحداث والوقائع، تكراراً لبعض الأحاديث المستشهد بها.. ذلك

اضطرار للاستشهادبها مرة أخرى... حتى يأخذ الموضوع تسلسله وإسناده.. وحتى يكون إكمالاً له دون أن يكون تكراراً له. لقد اضطررت إلى جعل بعض المواضيع مجزأة إلى جزأين، الأول منها سرداً للوقائع التاريخية، والثاني إثباتاً لأدلة موضوعية ومنهجية.

..لم أقصد من هذا الكتاب سوى أن يكون مساهمة مني بالتعريف بمبادىء إنسانية رفيعة خالدة.. وقيم قيمة... كان يؤمن بها الإمام علي من خلال التعاليم الإسلامية.. وقد اخترت هذا الموضوع بالذات، بعد أن وجدت هناك فترة طال أمدها لم أجد فيها بين الكتب الحديثة التأليف، كتاباً أعاد سرد ذلك التاريخ الجليل من صفحات الإمام علي إلا النزر اليسير من المؤلفات.. خاصة ونحن نقترب من إسدال الستار على القرن العشرين...

وقد يكون كتابي هذا آخر كتاب عنه في هذا القرن!!!

وفي اعتقادي... إن تلك الشخصية التاريخية الفذة، يجب أن تتواصل المؤلفات عنها حيناً بعد آخر، حتى تنتشر من خلالها المفاهيم الإسلامية ومبادئها للقراء الجددمن الشباب بخاصة..

وفي هذا الكتاب سأستعرض الخصال والمبادىء، والقيم الإسلامية التي آمن بها الإمام علي كرم الله وجهه، وهي صورة صادقة عن المبادىء التي جاء بها أستاذه العظيم... محمد الصادق الأمين ﷺ الذي علمه كل ما تعلمه من ربه.. حتى أصبح له ربيباً...

نعم هو، ربيبٌ لربيب الوحي... وهو سابق المسلمين.. كل المسلمين في كل سبق...

والله من وراء القصد.. والحمد لله على أوله وعلى آخره...

محمود العلي

لندن في ٧/ ١/ ١٩٩٩

الفصل الأول

في حجر رسول الله ﷺ

١ ـ مولده... ووالداه.

٢ ـ نشأته... ونسبه.

٣ ـ كناه... وألقابه.

٤ ـ الفتى الذي لا فتى غيره.

٥ ـ وداعاً يا روابي مكة.

١ مولده... ووالداه

قال الإمام علي في خطبة له تسمى (القاصعة):

منها: «. . . . وقد علمتم موضعي من رسول الله ﷺ، بالقرابة القريبة، والمنزلةِ الخصيصةِ. وضعني في حجره وأنا ولدٌ يضمني إلى صدره، ويَكنُفُني إلى فراشهِ، ويُمسُّني جَسدهُ ويُشُمني عَرقَهُ.

وكانَ يمضُغُ الشيءَ ثُمَّ يُلقِمنيه. وما وجدَ لي كذبةً في قولٍ، ولا خَطْلَةً في فعلٍ. . ولقد كنتُ أتبعهُ اتّبَاعَ الفصيلِ أثر أُمّهِ.

يَرفعُ لي في كُلِّ يومٍ من أَخلاقِهِ عَلماً ويأمُرني بالاقتداء بهِ.

ولقد كانَ يُجاورُ في كلِّ سنةٍ بِحَراءَ فأَراهُ ولا يراهُ غيري.

ولم يَجمعْ بيتٌ واحدٌ يومئذٍ في الإسلام غير رسول الله ﷺ وخديجة وأَنا ثالِثُهما.

أَرىٰ نورَ الوحيِ والرسالةِ، وأَشُمُّ ريحَ النُّبوةِ. . . .»[١].

بعد وفاة عبد المطلب جد النبي ﷺ لأبيه الذي كان قد كفله بعد أن أصبح يتيماً فاقد الأبوين. .

أصبح لزاماً على عمه أبي طالب بن عبد المطلب أن يحل محل أبيه وجده في حضانة ابن أخيه محمد ﷺ. .

حيث عاش محمد في كنفه وبين ظهرانية أفراد أسرته المحدودة الموارد

---

(١) نهج البلاغة ج٢ ص١٣٧. في هذه الخطبة يحذر الناس فيها من الاستكبار والتكبر.

والعيش... سوى ما تملكه من رصيد الأخلاق العالية القويمة... ومن الكرم أوسعه.. ولها شرف السقاية في مكة... والسيادة على أهلها...

أبو طالب، صار له الأب الحنون، والكفيل... والحامي... والمربي...

وزوجة عمه (فاطمة بنت أسد) أصبحت له أماً ثانية بعد أمه (آمنة بنت وهب).. تولت فاطمة رعاية محمد بن عبد الله ﷺ رعاية صادقة، حتى فضلته على سائر أبنائها...

وكان يناديها: (يا أُماه)...

عند وفاتها كفّنها هو برداءه.. ودفنها بنفسه... وقال عنها وعينه تدمع:

«كانت من أحسن خلق الله صنعاً بعد أبي طالب، وكانت أمي بعد أمي التي ولدتني»[1].

فاطمة بنت أسد.. الأم الثانية لمحمد... أول من أسلمت من النساء بعد أم المؤمنين خديجة بنت خويلد زوج الرسول ﷺ..

فعندما حملت بعلي بن أبي طالب، قال محمد لعمه:

«إن كانت حاملاً أنثى فزوجنيها»...

أجابه عمه:

(يا ابن أخي إن كانت أنثى فهي لك جارية وزوجة... وإن كان المولود ذكراً فهو لك عبد).

ومرت الأيام والليالي تترى.. حتى جاء ذلك اليوم الخالد في التاريخ.. يوم الجمعة ١٣ رجب، قبل الهجرة بثلاث وعشرين سنة، أي بعد عام الفيل بثلاثين سنة...

وفي رواية أخرى نميل إليها.. إنه ولد يوم الجمعة ١٣ رجب، قبل الهجرة بعشرين سنة.. أي بعد ميلاد محمد ﷺ بثلاثين سنة... وقبل المبعث بعشر

---

(١) الحاكم في (المستدرك). وابن قتيبة في (الإمامة والسياسة) ج١ ص٧٥ دار الأضواء - بيروت ١٩٩٠.

سنين. وفي حسابات السنة الميلادية، يكون قد ولد في عام (٦٠١ أو ٦٠٢) بعد الميلاد..

بينما كانت فاطمة بنت أسد بين أركان الكعبة المشرفة، لتأدية بعض الطقوس الدينية... شعرت بآلام الوضع هناك، فأدخلوها إلى ركن منزوٍ من أركانها...

ووضعت مولودها في ذلك الركن(١)... ذكراً... وجعلته في غشاوة من غشاواتها. ولم يسمح أبوه، أبو طالب، برفع تلك الغشاوة عنه، حتى يأتي محمد.. فجاء الصادق الأمين، بعد أن علم مباشرة.. ففتح ذلك الغطاء.. ثم رفع ذلك المولود.. المولود الذي عليه سمات الحُسن، والنور.. قرّبه من وجهه الكريم... حتى لقمه لسانه.. فمص هذا الوليد لسان محمد ﷺ حتى أغمض عينيه ونام...

أرادت فاطمة... أم ذلك الوليد الجديد... الوليد الرابع لها... أرادت أن تسميه (حيدرة)... كاسم أبيها (أسد).

ولكن محمداً أراده أن يكون علياً فسماه (علياً).. وكان أول من سُميَ (علياً) في العرب ولم يسمَّ أحد قبله بهذا الاسم...

وفي رواية أخرى أن والده، أبا طالب أُلهم أن يسميه (علياً).. ففعل ثم خرج من البيت مردداً قوله:

سـميـتـه بـعـلـي كـي يـدوم لـهُ   عـزّ الـعـلـوّ وفـخـر الـعـزّ أَدومـه(٢)

وهكذا كانت ولادة علي بن أبي طالب.. في أطهر وأشرف بقعة.. ألا وهي الكعبة المشرفة..

علي... هو الوحيد الذي شرفته الكعبة بأن يولد فيها، ولم يولد فيها

---

(١) مستدرك الصحيحين ج٣ ص٤٨٣ ـ (تذكرة خواص الأمة) ص٧ لسبط بن الجوزي الحنفي و(الفصول المهمة) ص١٤ لابن الصباغ المالكي ـ و(السيرة النبوية) ج١ ص١٥٠ نور الدين الشافعي. و(المناقب) للترمذي. و(روائح المصطفى) ص١٠ صدر الدين أحمد البردواني. و(مدارج النبوة) عبد الحق الدهلوي. و(مروج الذهب) ج٢ ص٢ المسعودي الهذلي. ونور الأبصار ص ٦٩.

(٢) حياة الإمام علي ـ محمود شلبي ص٨٧.

قبله. . . ولا بعده. . . أي إنسان. . . أو أي مخلوق حتى هذا اليوم!!

وفي ذلك قال عبد الباقي العمري، الشاعر الكبير:

أنت العلي الذي فوق العلى رفعاً ببطن مكة وسط البيت قد وضعا

لكأن الله سبحانه وتعالى أبى إلا أن يهبه الحياة في مسجد. . . وأن يسترد منه الحياة في مسجد. . .

فكان بيت الله نقطة انطلاقه إلى الدنيا. . . . ونقطة انطلاقه إلى الآخرة. . وكان بيت الله نهاية مطافه!!![1]

أول هاشمي من أبوين هاشميين. .

هذا الوليد الهاشمي الجديد. . . هو أول هاشمي. . . من أبوين هاشميين، بعد أن كان الهواشم يصهرون إلى عوائل أخرى من قريش. . .

أبوه (عبد المناف) بن عبد المطلب بن هاشم. . .

وهاشم: اسمه الحقيقي (عمرو العلا). . . أما هاشم فكنية له، لأنه هشم الثريد لقومه، بعد أن أصابهم القحط. . وفي ذلك قال شاعرهم:

يا أيها الرجل المحول رَحلَهُ هلا نزلتَ بآل عبد مناف

(عمروُ العُلا) هَشمَ الثريد لقومهِ ورجال مكة مُسنِتونَ عِجَاف

وعمرو العلا أو (هاشم) أبوه قصي بن كلاب، بن مُرة، بن كعب، بن لؤي، بن غالب، بن فهر، بن مالك، بن النضر، بن كنانة، بن خُزيمه، بن مُدركة، بن الياس، بن مضر، بن نزار، بن معد، بن عدنان. .

وعبد المناف الذي كانت كنيته (أبو طالب) هو من أُمٍ اسمها:

فاطمة بنت عمرو، بن عائذ، بن عمران، بن مخزوم، بن يقظة، بن مرة، بن كعب، بن لؤي، بن غالب، بن فهر، بن مالك، بن النضر، بن كنانة، بن خزيمة، بن مُدركة، بن الياس، بن مضر، بن نزار، بن معد، بن عدنان. .

---

(١) الإمام علي ـ رسالة وعداله ـ الشيخ خليل ياسين ص١٣ دار ومكتبة الهلال ـ بيروت ـ الطبعة الثانية ١٩٨٤.

كان أبو طالب، رجلاً مهاباً.. محترماً في قومه.. مطاعاً في ما يقول... هو سيد البطحاء.. وشيخ قريش.. وزعيم مكة... حتى كانت قريش تناديه بـ(الشيخ)...

عند ظهور الإسلام، كتم أبو طالب إسلامه عن قومه وترك العبادة لغير الله.. حتى يهيىء الحماية والسلامة لابن أخيه.. محمد بن عبد الله ﷺ... حيث كان له الحصن المنيع.. حتى توفي في شعب أبي طالب عند الحصار على المسلمين.. وكان عمره ثمانين عاماً..

ذلك العام الذي توفي فيه أبو طالب، سماه رسول الله ﷺ (عام الحزن) لفقده عمه الذي كفله.. ثم تبعته بعد أشهر عدة زوجته أم المؤمنين (خديجة بنت خويلد) في العام ذاته، في السنة العاشرة للبعثة المحمدية..

لقد نعى النبي ﷺ عمه أبا طالب، ومسح له جبينه وهو يقول:

«رحمك الله يا عم، ربيت صغيراً، وكفلت يتيماً، ونصرت كبيراً..

جزاك الله عني وعن الإسلام خير جزاء العاملين المجاهدين في سبيله بأموالهم، وأنفسهم، وكل ما يملكون». . ثم بكى عليه الصلاة والسلام..

ذلك النعي، وهذا القول لرسول الله ﷺ عند وفاة عمه أبي طالب.. يناقض كل التناقض فيما ذُكر عنه وأعني (أبا طالب). أنه مات قبل أن يُسْلِمْ!!

ودليلنا على ذلك قول ابن أخيه، النبي ﷺ، فيه:

(... جزاك الله عني، وعن الإسلام خير جزاء العاملين المجاهدين في سبيله...الخ)... جزاك عن الإسلام!!

وللرد على ذلك الرأي الذي يجافي الصواب، ذكر الأستاذ الدكتور سعيد السامرائي في كتابه (حجج النهج) ما يلي:

(إن الإسلام لولا أبو طالب لم يكن شيئاً مذكوراً. وليس لقائل أن يقول:

كيف يقال هذا في دين تكفَّل الله تعالى بإظهاره، سواء كان أبو طالب موجوداً، أو معدوماً!! لأنَّا نقول:

فينبغي على هذا، ألا يُمدح رسول الله ﷺ، ولا يقال: إنه هدى الناس من الظلالة، وأنقذهم من الجهالة، وإن له حقاً على المسلمين.. وإنه لولاه لما عُبد الله تعالى في الأرض..

وألا يُمدح أبو بكر، ولا يقال: إن له أثراً في الإسلام..

وأنه لولا عمر لما كانت الفتوح، ولا جُهزت الجيوش، ولا قوي أمر الدين بعد ضُعفه، ولا انتشرت الدعوة بعد خمولها..

فإن قلتم في كل ذلك:

إن هؤلاء يحمدون، ويثنى عليهم، لأن الله تعالى أجرى هذه الأمور على أيديهم، ووفقهم لها. والفاعل بذلك بالحقيقة هو الله تعالى، وهؤلاء آلة مستعملة ووسائط تجري الأفعال على أيديها...) ثم يقول د. السامرائي:

(كان أبو طالب سباقاً إلى الإيمان والإسلام، وما الآخرون إلا تُبّع، بل كانوا يتخفّون من بطش قريش وظلمها في الوقت الذي كانت قريش تخشى مواجهة محمد ﷺ لوجود أبي طالب القائل:

ولقد علمت بأن دين محمد ... من خير أديان البرية دينا
والله لن يصلوا إليك بجمعهم ... حتى أُسّد في التراب دفينا

وقوله:

ألم تعلموا أنا وجدنا محمداً ... رسولاً كموسى خُطّ في أول الكتب(١)

وقوله:

نبي أتاه الوحي من عند ربه ... ومن قال لا يقرع بها سن نادم

وكذلك كان يردد أبياتاً يسند فيها رسول الله ﷺ أمام قريش:

نصرت الرسول رسول المليك ... ببيض تلألأ كلمع البروقِ
أذب وأحمي رسول الاله ... حماية حام عليه شفيقِ

وقوله:

(١) حجج النهج ـ الدكتور سعيد السامرائي ـ ص٢٤٢ ـ مؤسسة الفجر ـ بيروت ـ الطبعة الأولى ١٩٨٧.

أنـت الـنـبـي مـحـمـد قـرم أَغَـرُّ مـسـودِ
لـمـسـودين أكـارم طـابـوا وطـاب الـمـولـدِ

ويقول في مدح الرسول ﷺ:

لـقـد أكـرم الله الـنـبـي مـحـمـداً فـأكـرم خـلـق الله فـي الـنـاس أحـمـد
وشـق لـه مـن اسـمـه بـتـجـلـة فذو العرش محمود وهذا محمد

. . . وللحقيقة أقول لقد ظُلم أبو طالب ظلماً فاحشاً عندما طعنه بعض الرواة والمحدثين في إسلامه . .

الرواة . . . الذين ساروا تحت ظلال الفئة الباغية بقيادة معاوية بن أبي سفيان الذين أرادوا من ذلك الطعن، طعناً لولده علي بن أبي طالب في أبيه!!

أبو طالب . . مات في شعاب مكة مع المسلمين عندما حاصرتهم قريش، فإن لم يكن مسلماً، لما كان مع المسلمين في تلك الشعاب . . مع الجوع والعطش والفاقة!!!

. . . مشى رجال من قريش إلى أبي طالب . . . وفيهم:

عتبة . . وشيبة ابنا ربيعة بن عبد شمس . . وأبو سفيان بن حرب بن أمية . . . فقالوا:

يا أبا طالب إن ابن أخيك قد سبَّ آلهتنا . . وعاب ديننا . . فإما أن تكفه عنا . . وإما أن تخلي بيننا وبينه . . فنكفيه!!

فقال لهم أبو طالب قولاً رقيقاً . . وردهم رداً جميلاً . . ثم أنهم مشوا إليه ثانية . . . فردهم . .

وبعد أن عرفوا أن أبا طالب قد أبى خذلان رسول الله ﷺ . . أتوا ومعهم (عمارة بن الوليد بن مغيرة) . . . فقالوا:

يا أبا طالب، هذا عمارة بن الوليد . . أنهر فتى في قريش . . وأجمله . . فخذه وأسلم إلينا ابن أخيك . . فقال لهم:

(لبئس ما تسومونني!! أتعطوني ابنكم أغذوه . . وأعطيكم ابني تقتلوه!!)(١).

---

(١) (علي ومناوئوه) د. نوري جعفر ص٣٠ (مؤسسة الوفاء ـ بيروت ١٩٨٢).

ذكر ابن سعد في (الطبقات الكبرى)[1]:

(لما توفي عبد المطلب، قبض أبو طالب رسول الله ﷺ.. وكان يحبه حباً شديداً... وكان لا ينام إلا جنبه.. ويخرج فيخرج معه... وصب به أبو طالب صبابةً لم يصب مثلها بشيء قط...).

كان أبو طالب، شديد الإيمان بشخصية ابن أخيه محمد ﷺ، وصدقه.. وأمانته... قبل الرسالة، وبعدها..

وهو أعرف به من غيره، بعد أن كفله صبياً، ورباه، ورعاه في بيته حتى زواجه من أم المؤمنين السيدة (خديجة بنت خويلد)، ومغادرته بيت عمه..

سأل أبو طالب ابنه علياً:

يا بني ما هذا الذي أنت عليه؟ فقال:

يا أبت، إني آمنت بالله وبرسوله، وصدقته بما جاء به، وصليت معه.. قال له:

أما أنه لا يدعو إلا إلى خير، فألزمه.. وهذا ما رواه الطبري في تاريخه...

أوصى أبو طالب، وهو على فراش الموت، أهله بمحمد ﷺ وقال:

(... ألا وإني أوصيكم بمحمد خيراً، فإنه الأمين في قريش، والصادق في العرب، وهو الجامع لكل ما أوصيكم به..

والله لا يسلك أحد سبيله إلا رشد، ولا يهتدي بهديه إلا سعد.. ولو كان في العمر بقية لكففت عنه الهزاهز، ولدفعت عنه الدواهي.. وأنتم يا معشر بني هاشم، أجيبوا محمداً وصدقوه، تفلحوا، وترشدوا.. انصروا محمداً، فإنه الهادي إلى سواء السبيل.. والشرف الباقي لكم على الدهر..)

قال رسول الله ﷺ بعد موت عمه:

«ما نالت مني قريش شيئاً أكرهه، حتى مات أبو طالب..

يا عم، ما أسرع ما وجدت فقدك..».

---

(١) ج١ ص١٠١.

جاء أبو طالب، قبل وفاته إلى بيت محمد ﷺ، ومعه ابنه جعفر، فوجداه يصلي، ومعه ابنه علي. . .

فقال أبو طالب لابنه جعفر:

(صِلْ جناح ابن عمك). .

فصلى عن يساره، بعد أن كان علياً يصلي عن يمينه. . .

رحمك الله يا عم رسول الله ﷺ وجزاك عنه، وعن الإسلام خير الجزاء، كما قالها لك ابن أخيك عند وفاتك، وانتقالك إلى الرفيق الأعلى. . .

ولننتقل من أبي طالب. . والد علي بن أبي طالب، بعد أن أوجزنا عنه شيئاً. . إلى والدته. . فاطمة بنت أسد:

وجدها عمرو العلا (هاشم) بن عبد مناف، بن قصي، بن كلاب، بن مُرة، بن كعب، بن لؤي، بن غالب، بن فهر، بن مالك، بن النضر، بن كنانة، بن خُزيمة، ابن مدركة، بن الياس، بن مضر، بن نزار، بن معد، بن عدنان. . .

وهي أول من أسلمت، وآمنت بمحمد ورسالته من الهاشميات، وبقيت تحت أبي طالب إلى أن مات، فلو كان كافراً لانفصلت عنه لعدم جواز نكاح الكافر لمسلمة!! وهذا دليل آخر يؤيد قولنا بإسلام زوجها أبي طالب، وإلا لا يمكن لزوجته (أم علي) أن تكون كذلك وحدها في بيته معه!! وهذا يسري على ولديه جعفر وعلي أيضاً. .

وجدها ذات يوم محمد ﷺ، قبل البعثة في الكعبة، ومعها هديٌ إلى (هُبل) فقال لها: **(يا أماه هلا أعلمك شيئاً، فهل تكتمينه علي؟)**.

قالت: نعم.

فقال لها: **(اذهبي بهذا القربان، فقولي كفرتُ بهبل، وآمنتُ بالله وحده لا شريك له)**.

قالت: (أعمل ذلك لما أعلمه من صدقك يا محمد. . .).

فعملت بما أشار إليها، ولم تكرر بعدها تقديم هدي إلى هبل. .

أسلمت فاطمة، بعد عشرة من المسلمين، وكانت الحادية عشرة، وهي أول

سيدة بعد خديجة، وأول هاشمية أسلمت، كما ذكرنا..

عُدَتْ من المؤمنات اللواتي عظم عندهن الإيمان.. وزاد تمسكها بهذا الدين الحنيف..

كما أنها هاجرت من مكة إلى يثرب بقافلة الفواطم التي قادها ولدها علي بن أبي طالب... وعنده من العمر عشرون عاماً..

وأمها: فاطمة بنت هرم، بن رواحه، بن حُجر، بن عبد، بن معيص، بن وهب، بن ثعلبة، بن واثلة، بن عمرو، بن شيبان، بن محارب، بن فهر..

حينما خلت الديار من الجد، ومن الأب.. كان علي الابن... والحفيد.. ابن أبي طالب.. وحفيد عبد المطلب.. يحمل منهما ميراث السجايا الفاضلة.. والعظمة المفردة...

كان يحمل منهما نبالة الخلق... ونبالة الدم معاً...

فبنو هاشم في ميزان المجتمع.. سادته.. وقادته... وأشرافه..

وبنو هاشم في ميزان القيم.. أجود الناس كفا.. وأوفاهم ذمة... وأنداهم عطاءً.. وأكثرهم في سبيل الخير بلاءً.. وأحماهم للذمار.. وأحفظهم للجار...[1].

(١) في رحاب علي ـ خالد محمد خالد ـ ص٣٥٢ من كتاب (خلفاء الرسول).

٢ نشـأتـه.. وصبـاه..

يقول الإمام علي في وصف آل بيت رسول الله ﷺ:

«... عِترتُه خيرُ العترِ، وأُسرته خيرُ الأُسَر، وشجرته خير الشجر..
نبتت في حرم، وبسقتْ في كرم... لها فروع طوال، وثمرة لا تُنال.
نحن شجرةُ النبوة، ومحط الرسالة، ومختلف الملائكة، ومعادن العلم، وينابيع الحِكَمْ...

ناظرنا ومحبنا ينتظر الرحمة... وعدونا ومبغضنا ينتظر السطوة...»[1].

نشأ علي بن أبي طالب في أُسرة من أعرق الأُسر.. وأكرمها.. وأشهرها بين العرب... وانتمى إلى أطيب الأعراق...

فبنو هاشم، هم سادة قريش وأعيانها.. وسدنة بيت الله الحرام..

كان أصغر أولاد أبيه.. وأكبر منه جعفر.. وأكبر من جعفر عقيل.. وأكبر من عقيل طالب.. بين كل واحد وآخر عشر سنين[2]...

كفله الرسول ﷺ قبل أن يُبعث وعمره لا يتجاوز السادسة... أو السابعة. وذلك بعد أصابت قريشاً مجاعة وقحط شديدان..

قال محمد... الصادق الأمين لعمه العباس.. العباس الذي كان من أحسن بني هاشم يسراً وعيشاً:

---

(١) نهج البلاغة ـ محمد عبده ج٢ ص٢١٣.

(٢) عبقرية الإمام علي ـ عباس محمود العقاد ص١٤.

«يا عماه!! إن أخاك، أبا طالب كثير العيال... وقد أصاب الناس ما أصابهم من هذه الأزمة.. فهيا بنا لنخفف عن كاهل أخيك من عياله.. آآخذ أنا أحدهم.. وتأخذ أنت آخر.. فنكفلهما عنه...».

فقال العباس:

(نعم... هيا بنا، يا ابن أخي..).

أتيا أبا طالب... فقال له ابن أخيه محمد ﷺ:

«يا عم.. إنا أتينا إليك لنخفف عنك من عيالك.. حتى ينكشف عن قريش ما هم فيه..».

صمت أبو طالب.. الأخ والعم!! صمت برهة، حيث استعرض في مخيلته تلك السنين التي قضاها ابن أخيه.. محمد معه.. بين آله... في بيته. وما كان ولا يزال له تلك المكانة الخاصة التي تُميزه عن آل هاشم. بل على كل الناس أجمعين... دون استثناء..

هو الآن يرد عليه بأحسن ما قدمه له.. ومتى!!!

في أحلك الظروف.. وأقسى الأيام.. وهم في ذلك القحط.. وتلك المجاعة!! ما أروعك يا محمد!!

ما أعظمك يا ابن أخي!! كلمات رددها عمه في خلده... رد عليه.. على محمد... قائلاً:

(إذا تركتما لي عقيلاً، فاصنعا ما شئتما!!).

ذلك لأن عقيلاً، كان ضعيف الحال والبدن، سقيم الجسم.. وأولهم عند أبيه لضعفه..

وإجابة لطلبه.. أخذ العباس جعفراً.. حيث ضمه إلى بيته..

وبعد الرسالة السماوية المحمدية.. أسلم جعفر.. وآمن بالمبادىء الإسلامية خير إيمان... وجاهد في الله حق جهاده...

سماه رسول الله ﷺ بـ(جعفر الطيار)... وذلك بعد أن قُطعت يداه في

إحدى المعارك الإسلامية التي جاهد بها وهي (معركة مؤتة)... والتي كان يحمل فيها راية الإسلام.. راية رسول الله ﷺ.. وفيها استشهد بعد دفاع مميت عن تلك الراية..

أما محمد.. الذي لم يُرسل بعدُ.. أخذ عليا ابن عمه أبو طالب.. وكان عمره ست سنين.. وهو من أصغر أبناء عبد مناف.. (أبي طالب).. كما ذكرنا..

ضم محمد علياً إلى بيته، مع زوجته أم المؤمنين السيدة خديجة بنت خويلد.. أصبح علياً الثالث في بيت محمد.. بعد محمد.. وبعد خديجة..

في ذلك البيت الطاهر.. عاش علي بن أبي طالب.. سليل الطُهر.. وابن أكرم الحسب... وأحسن النسب...

عاش في كنف خير البرية.. وحبيب خالقها... الطاهر الأمين.. الصادق العظيم...

عاش في كنف معلمه محمد.. وأكرم به من معلم ومربٍ.. ربيب الوحي وخاتم الأنبياء...

تعلم منه العلم والمعرفة.. تعلم منه الأدب والإيمان.. تعلم منه القيم والمثل تعلم منه الأخلاق وكمالها.. تعلم منه ما لا يعلمه البشر... وأخذ منه ما لا يعلمه سواه! كان محمد الأب الحنون لعلي.. والمعلم الناصح.. وأكرم به من معلم..

وكان له المربي الفاضل... وأكرم به من مربٍ.. وهنيئاً لك يا بن أبي طالب حيث أصبحت تلميذاً لخير معلم.. وربيباً لأحسن مربٍ وظلاً لخير من يستظل به!!

كان علي لا يغيب عن حضور النبي ﷺ، ولا يفوته مجلسٌ من مجالسه... حفظ عن معلمه ما علّمه.. والتزم فيما ألزمه به... وسار على درب ذلك المعلم.. حتى تأثرت شخصيته بشخصية محمد ﷺ... وأصبحت مرآةً لشخصيته في شتى المجالات..

أقول رباه ذلك العظيم، فأحسن تربيته.. وعلّمه فأحسن تعليمه... حتى تغذى منه العلم والمعرفة الالهية..

وهل هناك مربٍ يُربي مثلما يربي ويعلم أحسن البشر، وأعلم المخلوقات!!!
لذا، فلك الحق أيها الربيب الجليل، عندما تقول:

«... يرَفعُ لي في كلُ يومٍ من أخلاقِهِ عَلماً.. ويأَمرُني بالاقتداءِ به..».

كان علي.. مثل محمد... لم يسجد لأي صنم من الأصنام.. ولم يعبد غير الله سبحانه وتعالى... ولم يعتقد بغيره... لذا كرم الله وجهه.. وكرمه من عبادة غير خالق العباد..

على أن ابن أبي طالب، يعتبر الوحيد من أصحاب النبي ﷺ وآل بيته الذي ولد قبل الرسالة..

ولم يسجد لغير الله...

وهو الوحيد أيضاً... الذي كان يتعبد مثلما كان محمد يتعبد... قبل الإسلام وبعده...

أول من صلى مع النبي:

ذكر الدكتور طه حسين في كتابه (الفتنة الكبرى ـ عثمان بن عفان) ص١٥١:

(... فقد بُعث النبي ﷺ وعلي عنده صبي فأسلم.. وظل بعد إسلامه في حجر النبي ﷺ يعيش بينه وبين خديجة أم المؤمنين، وهو لم يعبد الأوثان قط فامتاز بين السابقين الأولين بأنه نشأ نشأة إسلامية خالصة.. وامتاز كذلك بأنه نشأ في منزل الوحي بأدق معاني هذه الكلمة..).

وعلي أول من صلى مع النبي ﷺ بعد أن أصبح نبياً..

ذكر عبد الله بن سعيد... قال:

حدثنا ابن إدريس، عن عمرو بن مرة، قال:

سمعت أبا حمزة (مولى الأنصار)، قال:

سمعت زيد بن أرقم، يقول:

(أول من صلى مع رسول الله ﷺ علي بن أبي طالب رضي الله عنه..)

كان علي يحضر مع رسول الله ﷺ في (غار حراء) مشاركة منه في مناجاة الخالق وعبادته مع استاذه العظيم.. يحمل الزاد إليه في ذلك الغار عندما تطول مناجاة النبي ﷺ فيه...

وهو الذي واكب نزول الرسالة، ورأى نور الوحي.. وشم ريح النبوة.. بل سمع رنة الشيطان حين نزل الوحي على النبي ﷺ.. وكان عمره لا يتجاوز العاشرة...

وفي ذلك العمر.. عمر الطفولة.. أسلم وآمن بما جاء به الوحي فكان أول من أسلم.. وأول من آمن.. من الرجال.. وهو بعد لم يصل إلى مرحلة الشباب!!

وعلي.. بسبقه المسلمين للإسلام.. وبصحبة صاحب الرسالة.. الصحبة الدائمة.. أول من تفقه بما آمن به.. لأنه مع الفقيه الأول.. أولاً بأول..

وبسبب من تلك الرفقة تقرب من الدين... وتعمق فيه... لا بسبب من القرابة وحدها.. لأن العديد من أقرباء الرسول ﷺ حاربوه، بسبب دعوته!!

ذكر الإمام الحافظ أبو عبد الرحمن النسائي في كتابه (خصائص أمير المؤمنين علي بن أبي طالب) قال:

أخبرنا محمد بن المثنى، قال: أخبرنا محمد بن جعفر غندر، قال: حدثنا شعبة، عن عمرو بن مرة، عن أبي حمزة، عن زيد بن أرقم، قال:

(أول من أسلم مع رسول الله ﷺ علي بن أبي طالب رضي الله عنه..)[١].

وفي ذلك قال علي بن أبي طالب:

«بُعث رسول الله يوم الاثنين، وأسلمتُ يوم الثلاثاء..».

وهذا ما رواه أنس بن مالك[٢].

---

(١) الخصائص ـ للنسائي ص٢٦ ف٣ ـ دار الكتاب العربي ـ بيروت ـ الطبعة الأولى ١٩٨٧.

(٢) الإمام علي بن أبي طالب رابع الخلفاء ـ محمد رضا ص١٠ ـ دار الكتب العلمية بيروت.

وقال:

«اللهم لا أعرِفُ عبداً من هذه الأمة عبدك قبلي، غير نبيك (قالها ثلاث مرات) لقد صليت قبل أن يصلي الناس سبعاً». .

رواه الإمام أحمد، وأبو يعلي، والبزار والطبراني[1].

لقد روى كبار المؤرخين. . وخيرة المحدثين. . . إن الإمام علياً أول من أسلم من الرجال. . نذكر منهم:

١ ـ الترمذي في صحيحه/ ج٢ ـ ص٣٠١.

٢ ـ الحاكم في المستدرك ج/ ٣ ـ ص١٣٦.

٣ ـ النسائي في خصائصه ص٢ وص٢٦.

٤ ـ ابن سعد في طبقاته. ج/ ٣ القسم الأول ـ ص١٢.

٥ ـ ابن الأثير في أسد الغابة ج٤ ص١٧.

٦ ـ الإمام أحمد بن حنبل في مسنده ج٤ ص٣٦٨.

٧ ـ الطبري في تاريخه ج٢ ص٥٥ والرياض النضرة ج٢ ص١٥٧.

٨ ـ الإمام أبي حنيفة في مسنده ص٢٤٧.

٩ ـ الخطيب البغدادي في تاريخه ج٤ ص٢٣٣.

١٠ ـ الهيثمي في مجمعه ج٩ ص٢٢٠.

١١ ـ الإصابة ج٤/ القسم الأول/ ص١١٨.

١٢ ـ الاستيعاب ج٢ ص٤٥٨ لابن عبد البر.

١٣ ـ كنز العمال ج٦ ص٤٠٠ المتقي الهندي.

١٤ ـ البداية والنهاية لابن كثير ج٧ ص٢٦.

١٥ ـ ينابيع المودة للقندوزي ص٢٠٢.

١٦ ـ الجامع لأحكام القرآن للقرطبي ج٨ ص٢٣٦.

---

(١) حياة الصحابة ـ محمد يوسف الكاندهلوي ـ ج١ ـ ص٤٧ ـ صحيح ابن ماجه.

١٧ ـ ابن حجر العسقلاني في تهذيب التهذيب ج٧ ص٣٣٦.

وعن علمه.. قال معلمه الكبير ﷺ:

أنا مدينة العلم.. وعلي بابها.

يا لها من مقولة واسعة عظيمة، لم يُشّرف بها الرسول ﷺ أحداً من أصحابه ولا من آل بيته.. سوى تلميذه علي بن أبي طالب!!

لقد سُئل، حبر الأمة عبد الله بن العباس.. ابن عمي كلٍ من رسول الله ﷺ وعلي:

ـ أين علمك من علم ابن عمك علي؟ فقال:

ـ كنسبة قطرة من المطر، إلى ماء البحر والمحيط!!

... لقد كرم الله وجه علي بن أبي طالب، بعدم انحنائه لصنم أو وثن كما ذكرنا.. وأهدى الله قلبه... وسدد قوله.. بدعاء دعاه له النبي ﷺ بعد وضع يده الكريمة على صدر علي. وقال:

«اللهم إهد قلبه وسدد قوله».

بعدها.. لم يشكك في قضاءٍ بين اثنين.. ولم ينس للرسول ﷺ أي قول أو كلام... كما قال النبي ﷺ، داعياً له:

«الهم اذهب عنه الحر والبرد».

فلم يجد حراً، ولا برداً منذ يومئذٍ.. وإنه كان لا يبالي الحر والبرد.. ولا يحفل بالطوارىء الجوية في صيف ولا شتاء..

فكان يلبس ثياب الصيف في الشتاء... وثياب الشتاء في الصيف وهذا ليس انعدام حسٍّ بالصيف والشتاء.. إنما هي مناعة قوية خصت بها بنيته ولم يخص بها معظم الناس(١).

(١) عبقرية الإمام علي ـ عباس محمود العقاد ص١٦.

أعلن الإمام علي، إسلامه دون الرجوع إلى أبيه.. وحين سُئل عن ذلك، أجاب: **«وهل استشار الله أبي عندما خلقني، حتى أستشير أبي عندما أعبد الله»**[1].

لقد عايش علي بن أبي طالب منذ صباه بداية الإسلام وظهوره... ونزول الوحي على النبي ﷺ بآيات القرآن الكريم، وهو في حجر النبي ﷺ...

وتفقه في أسباب النزول.. ومعاني الآيات وتفسيرها، وفلسفتها.. وفي نور تلك الآيات المنزلة.. والتي كان الوحي يجيء بها تباعاً.. قضى علي بن أبي طالب بواكير حياته النضرة يبهره نورها.. ويهزه هديرها..

يسمع آية (الجنة) يتلوها الرسول ﷺ، فكأنما الغلام الرشيد يراها رأي العين. حتى ليكاد يبسط يمينه ليقطف من مباهجها وأعنابها..

ويسمع آية (النار)، فيرتعد كالعصفور دهمه إعصار...

ولولا جلال الصلاة لولّى هارباً من لفح النار الذي يكاد يُحسُّه ويراه..

أما إذا سمع آية تصف الله في عظمته وجلاله.. أو آية تعاتب الناس على إشراكهم بالله ما ليس لهم به علم، وجحودهم فضله ونعمته..

فعندئذٍ يتحول الغلام الراشد، إلى ذَوْبِ تُقى وحياء...

لقد أُشرِبَ قلبه جمال القرآن.. وجلاله.. وأسراره..

هذا الذي كان يشهد نزوله آية.. آية حتى صار جديراً بأن يقول، وهو صادق:

> **«سلوني، وسلوني، وسلوني عن كتاب الله ما شئتم.. فوالله ما من آية من آياته إلا وأنا أعلم، أنزلت في ليل، أم في نهار»**[2].

وقال الإمام علي في ذلك:

> **«... بل اندمجت على مكنون علم، لو بحث به لأضطربتم اضطراب**

---

(١) الإمام علي ـ المختار من حياته وسيرته ـ د. أياد الحسني ص٢٢.

(٢) خلفاء الرسول ـ خالد محمد خالد ص٣٦٠.

الأرشية في الطَّويّ البعيدة..»[١].

على أن قوله هذا، لم يكن من باب الإطراء بعلمه.. ولا الثناء لنفسه.. ولا المباهاة بتقواه وإيمانه.. ولا المبالغة بعظيم خلقه.. ولا الإشباع لكبريائه!! لأن مَنْ مثله.. وهو بمثل تلك الدرجة العالية من الإيمان.. والمكانة الكبيرة من العلم وسعة التفقه في الدين.. وعلو الخلق.. لا يكون إلا ديدنه التواضع.. ومجانبة العظمة.. وتحاشِ الكبرياء.. وهو القائل:

«... وَقَدْ كَرِهتُ أَنْ يَكُونَ جَالَ في ظَنِّكُمْ أَنّي أُحبُّ الإِطراءَ.. واستِمَاعَ الثّناءِ وَلَسْتُ بحمد الله كذلك...

ولو كُنتُ أُحبُّ أن يُقالَ ذلك لَتَركتُهُ انحطاطاً لله سُبْحانه عَنْ تناوُلَ ما هُوَ أحقُّ به مَن العظمةِ والكِبريَاءِ...».

كان الزبير بن العوام في معية رسول الله ﷺ .... حتى لقيا علي بن أبي طالب... فقال الزبير للنبي ﷺ: (لا يَدَعُ ابن أبي طالب زهوه!!).

أجابه رسول الله ﷺ وعلى مسمع من القوم الذين كانوا معه.. وفيهم علي:

«إنه ليس به زهو.. ولتقاتلنه وأنت له ظالم!!».. أو «يا زبير إنك تقاتل علي وأنت له ظالم»[٢].

نعود إلى علمه ومعرفته، وفقهه..

نقول.. كان الإمام علي أحد العلماء الربانيين.. والشجعان المشهورين.. والزهاد المذكورين... والخطباء المعروفين.. وأحد من جمع القرآن، وعرضه على النبي ﷺ[٣] سئل الإمام: (من أين لكَ هذا العلم كله؟).. فقال:

«ليس كل أصحاب رسول الله ﷺ مَنْ كان يسئله ويستفهمه.. وكان

---

(١) يعني أنه انطوى على علم والتفف عليه.. الأرشية: جمع رشاء أي الحبل. والطوى البعيدة: أي البئر العميقة.

(٢) (الإمامة والسياسة) لابن قتيبة ج١ ص٩٢.

(٣) (تاريخ الخلفاء) - الإمام الحافظ السيوطي.

لا يمرُ بي من ذلك شيء إلا سألته وحفظته..».

أخرج الترمذي، ومعه: الذهبي، والحاكم، وابن أبي شيبة، وابن عساكر وابن خُريمة... وغيرهم عن عبد الله بن عمرو بن هند الجملي عن علي بن أبي طالب، قال:

«كُنت إذا سألت رسول الله ﷺ أعطيت.. وإذا سكت ابتدأني..».

لقد أحاط علي بالمعرفة دونما تحيطه... وأدركها دونما تدركه[1]..

تلك أهم ميزة تميز بها علي بن أبي طالب عن سائر الصحابة.. دون استثناء... بعلمه ومعرفته وفقهه وإيمانه..

لأنه أخذ العلم والحكمة من منبعهما مباشرة... من بيت محمد ﷺ... حتى تعمق في فهمهما وتفقه بمكنونهما..

وعلى هذاوذاك شب ونشأ بين أحضان العلم والمعرفة.. والتقى والإيمان والتفقه بمعرفة كل الجوانب الدينية منها والدنيوية....

ولم يجد في بيت النبوة الذي عاش فيه غير ذلك..

ولم يربَّ غير تلك التربية السماوية.. التي تربى بها نبي الله ﷺ.. فربّاه منها وعلمه بها.. وأنشأه عليها..

وكيف تكون شخصية رجل، رباه، وعلمه، وثقفه، وفقهه.. أعظم إنسان وأجل مخلوق!! ألا وهو الرسول الأعظم ﷺ!!

وهذا ما يكفي أن يكون علي ربيباً لمحمد ﷺ... محمد ربيب الوحي... وحامل الرسالة الإنسانية ومبلّغ تعاليم الخالق لمخلوقه.

عاش الربيب.. مع ربيب الوحي، سنين زخرت بالعلم والأدب.. وحفت بالإيمان والتقوى.. نعم التقوى بأعمق صورها، وبأوسع مفهومها.. حتى سماه النبي ﷺ: إمام المتقين.. إمام المؤمنين.. إمام المساكين...

كانت حياته مع النبي ﷺ، وبعده.. حياة لم تكن لها قط صبوة... ولا

---

(١) ملامح من عبقرية الإمام علي - الدكتور مهدي محبوبه ص١٠.

شهوة... ولا هفوة.. حياة ولد صاحبها، وتبعات الرجال فوق كاهله...

وحتى لهو الأطفال لم يكن لحياته فيه حظ، ولا نصيب[1].

يقول الإمام علي في ذلك:

«تالله لقد عَلِمتُ تبليغ الرسالات... وإتمام العدات... وتمام الكلماتِ

وعندنا أهل البيت أبواب الحكم، وضياء الأمر».

﴿يُبَلِّغُونَ رِسَٰلَٰتِ ٱللَّهِ وَيَخْشَوْنَهُۥ وَلَا يَخْشَوْنَ أَحَدًا إِلَّا ٱللَّهَ﴾ [سورة الأحزاب، الآية: ٣٩].

كان الإمام علي سابق المسلمين.. في نشأته الإسلامية.. وتربيته المحمدية.. وسابقهم.. في تلقي مبادىء الدعوة بعد النبي ﷺ... وهو أول هاشمي ترعرع، وعاش مع رسول الله ﷺ.. حتى سبق المسلمين بالإيمان والتقوى... وسبقهم بالمعرفة والهدى..

لقد فتح علي بن أبي طالب عينيه على الطريقة التي رسمها ابن عمه. وعرف العبادة أول ما عرفها من صلاته.. ونعم بعطفه وحنانه وإخائه. فإذا هو من محمد ما كان محمدٌ من أبي طالب.. وخفق قلب علي أول ما خفق بحب ابن عمه. ونطق لسانه أول ما نطق بما لقنه إياه من رائع القول... واكتملت رجولته أول ما اكتملت لمؤازرة النبي المضطهد.. وإذا كان النبي يحبه أنصاره، ويحترمه أعداؤه.. فهل يكون ربيبه وتلميذه وأخوه علي إلا شيئاً من كيانه... شيئاً عظيماً من كيان عظيم...

وإذا أسلم بعض الوجوه من قريش منذ أول الدعوة احتكاماً للعقل وتخلصاً من الوثنية.. وإذا أسلم كثير من العبيد والأرقاء والمضطهدين طلباً للعدالة التي تتدفق بها رسالة محمد واستنكاراً للجور الذي يلهب ظهورهم بسياطه... وإذا أسلم قوم بعد انتصار النبي، امتثالاً للواقع وتزلفاً للمنتصر، كما هي الحال بالنسبة

(١) في رحاب علي - خالد محمد خالد - القاهرة - ص٤٦.

لأكثر الأمويين، إذا أسلم هؤلاء جميعاً في ظروف تتفاوت من حيث قيمتها ومعانيها الإنسانية وتتحد في خضوعها للمنطق أو للواقع الراهن.. فإن علي بن أبي طالب قد ولد مسلماً لأنه من معدن الرسول مولداً.. ونشأةً... ومن ذاته خلقاً وفطرة

ثم إن الظرف الذي أعلن فيه عما يكمن في كيانه من روح الإسلام ومن حقيقته. لم يكن شيئاً من ظروف الآخرين..

ولم يرتبط بموجبات العمر.. لأن إسلام علي كان أعمق من ضرورة الارتباط بالظروف، إذ كان جارياً من روحه كما تجري الأشياء من معادنها والمياه من ينابيعها..

لقد كان أول سجود المسلمين الأول، لآلهة قريش... وكان أول سجود علي لإله محمد...)[1].

---

(١) الإمام علي صوت العدالة الإنسانية - جورج جرداق - المجلد الأول - ص٦٠.

٣ كُناه... وألقابه

(علي بن أبي طالب).. هذا الاسم الذي يدخل إلى النفوس مهللاً... وإلى القلوب مكبراً هذا الاسم الخالد في وجدان كل مسلم.. الراية المرفوعة فوق كل الرايات... والاسم المتوج فوق الإسماء... ولكن بعد اسم محمد ﷺ...

لقد تزين باسمه الكامل (علي بن أبي طالب) جُملة من الكتاب والمؤرخين.. والرواة... وبعض من المسلمين.. نذكر منهم:

علي بن أبي طالب.. الطبرسي.

علي بن أبي طالب.. النيسابوري.

علي بن أبي طالب.. ابن إسحاق المروزي.

علي بن أبي طالب.. ابن عثمان القيرواني.

علي بن أبي طالب.. ابن سليمان الرازي.

علي بن أبي طالب.. الحسين الآملي.

علي بن أبي طالب.. الخياري.

علي بن أبي طالب.. الترحي... وغيرهم[١].

كان الإمام علي بن طالب.. كرم الله وجهه، يكنى (بأبي الحسن).. (وأبي السبطين).. وكناه رسول الله ﷺ.

(بأبي الريحانتين)... وكذلك.. بأبي تراب.

(أبي تراب): وجده النبي ﷺ نائماً في المسجد.. على الأرض المتربة.. وساقط عنه رداءه، حيث أصابه التراب... وجاءه ﷺ ليوقظه، ويقول:

---

(١) الإمام علي ـ رسالة وعدالة ـ الشيخ خليل ياسين ص١٠.

(اجلس إنما أنت أبو تراب).. فكانت له تلك الكنية عنده من أحب كناه...
وفي تلك الكنية، قال الشاعر الكبير عبد الباقي العمري:

يـا أبـا الأوصـيـاء أنـت لـطـه	صـهـره وابـن عـمـه وأخـوه
إن لله فـي مـعـانـيـك سـرا	أكـثـر الـعـالـمـين ما عـرفـوه
أنـت ثـانـي الأبـاء فـي مـنـتـهـى	الـدور وآبـاؤه تـعـد بـنـوه
خـلـق الله آدمـا مـن تـراب	فـهـو ابـن لـه وأنـت أبـوه

كان ابنه الحسن يدعوه: (أبا الحسين).

وابنه الحسين يدعوه: (أبا الحسن).

وذلك في حياة جدهما محمد رسول الله ﷺ.. ويدعوان جدهما النبي ﷺ: (أبتاه).. حتى إذا فجعا بفقده دعوى أباهما علياً بأبيهما... (أبتاه).. تلك بعض من كناه...

أما بعض ألقابه كانت:

(أمير المؤمنين).. أول لقب لُقبَ به مسلم.. وكان النبي ﷺ يلقبه بذلك اللقب.. ثم كان المهاجرون، والأنصار ينادونه بـ (أمير المؤمنين) في حياة رسول الله ﷺ..

(الصديق)... لأنه أول من صدق محمد ﷺ وآمن به من البشر بعد أم المؤمنين السيدة خديجة بنت خويلد، زوج النبي ﷺ...

(الفاروق)... الذي يفرق بين الحق والباطل.

(يعسوب الدين).. واليعسوب أمير النحل وقائده..

وتلك الألقاب الثلاثة جمعها النبي ﷺ له، في قوله له:

«أنت الصديق الأكبر.. وأنت الفاروق الذي يفرق بين الحق والباطل.. وأنت يعسوب الدين».

روى هذا الحديث الإمام أحمد بن حنبل، في مسنده، من كتابه (فضائل الصحابة).. وأبو نعيم الحافظ في (حلية الأولياء)... وكذلك في حديث لأبي ذر

الغفاري... وأخرجه البيهقي في (سننه).. وابن عدي في (الكامل).. والطبراني عن سلمان الفارسي وأبي ذر..

و(سيد المسلمين)...

و(قائد الغر المحجلين)..

و (خاتم الوصين)..

تلك ألقاب أطلقها عليه معلمه العظيم ﷺ، في قول أنس بن مالك. عندما قال له النبي ﷺ:

«يا أنس.. أول من يدخل عليك من هذا الباب أمير المؤمنين..

وسيد المسلمين.. وقائد الغر المحجلين. وخاتم الوصين...».

قال أنس بن مالك:

قلت اللهم اجعله رجلاً من الأنصار، وكتمته.. إذ جاء علي...

و(الولي).. كما قال ذلك رسول الله ﷺ لعلي:

(أنت ولي كل مؤمن بعدي).. أخرجه الإمام أحمد في الفضائل، والترمذي، والحاكم، والقطيعي في زياداته، وابن المغازلي، والشجري.

و(خاصف النعل).. كما قال له النبي ﷺ منادياً: يا خاصف النعل... لأنه كان يخصف نعله، ونعل الرسول ﷺ.. بيده..

و(صفي رسول الله)... و(أمين رسول الله)... لقول النبي ﷺ له:

«أما أنت يا علي صفي، وأميني.. ومبلغ رسالتي..»..

أخرجه أبو داود، والحاكم والبخاري في الكبير، وابن أبي حاتم في الجرح والتعديل. عن ابن أبي عمر كما ذكر ذلك النسائي في خصائصه

ومن ألقاب الإمام علي أيضاً:

(المرتضى).. لأنه لا يعمل عملاً، إلا أن يرجو منه مرضاة الله سبحانه وتعالى، ورسوله الكريم ﷺ.. ذكر ذلك حبر الأمة عبد الله بن عباس (رض)..

و(ذي الأذن الواعية)... قال تعالى في محكم كتابه:

﴿وَتَعِيَهَآ أُذُنٌ وَٰعِيَةٌ﴾ [سورة الحاقة، الآية: ١٢]. . . عند نزول هذه الآية، دعى الرسول ﷺ، ربه أن يجعلها أذن علي بن أبي طالب . .

و(الأنزع البطين). . . كان كبير البطن. . ذا صلعة تخلو من الشعر في رأسه إلا من الخلف. . .

جاء رجل إلى ابن عباس فقال له: أخبرني عن الأنزع البطين. . فقد اختلف فيه الناس!! فقال له عبد الله بن عباس:

(أيها الرجل. . والله لقد سألت عن رجل، ما وطأ الحصى بعد رسول الله ﷺ أفضل منه. . . وإنه لأخو رسول الله ﷺ. . وابن عمه. . ووصيه. . وخليفته على أمته. . وأنه الأنزع من الشرك. . بطين من العلم.

ولقد سمعت رسول الله ﷺ يقول:

«من أراد النجاة غداً. . . فليأخذ بحجزة هذا الأنزع. . . ».

و(داحي الباب) لأنه قلع باب خيبر من مكانها. . وهو باب لا يمكن فتحها وغلقها إلا مجموعة من الناس. . .

٤ الفتى.. الذي لا فتى غيره

كان الإمام علي أشجع شجعان العرب دون منازع.. تهابه الصناديد والأبطال من قريش أو من سواها، الذين حاربوا الدين الجديد ورجاله الذين نالوا شرف السبق للإسلام..

حَذِرَ من منازلته قادة المشركين وشركائهم..

وفرّ، أو قُتل كل من بارزه في ساحات المعارك.. أما هو لم يخسر أية معركة قادها، أو كان فيها.. ولم يفرّ من أية معركة شارك فيها..

بل يُعزى نجاح المعارك التي خاضها المسلمون، لتواجده فيها أو لقيادته لها..

والحق إنه كان مهاباً لا يهاب.. وبطلاً مقداماً جسوراً، في الدفاع عن مبادىء الإسلام الحنيف، وقيمه القيمة..

يمتلك الإمام علي من القوة أقواها... حتى عدها الكثير من أقرانه.. (قوة خارقة)... قوة خارقة، لم يهب الله مثلها إلى أي قوي عاصره..

لم يقاتل أحداً إلا قتله، أو هرب منه.. وما ضرب مَنْ قاتله، إلا ضربة واحدة دون أن يضربه ثانية، أو أن يكررها عليه تارة أخرى.. وحسبنا في ذلك ضربه.. ضربةً قاتلةً (لعمرو بن ود العامري) في معركة الخندق، والذي كان أشجع أبطال العرب وأقواهم..

كان بطلنا هذا ضخم العضلات، لاسيما ذراعيه.. وساقيه... وكتفيه..

لم يصارع أحداً، إلا صرعه.. ومَنْ يمسك به، كاد لأنفاسه أن تُحبس!!

ضخم الجسم.. بالرغم من توسط قامته التي كانت تميل إلى القُصر..

شُبه الأمام علي، بالأسد الذي لا يقف أمامه مقاوم.. ولا تعترض قوته قوة... وكم من فارسٍ رفعه من على فرسه بيده ورماه على الأرض..

لقد قتل سيف علي بن أبي طالب قادة المشركين في المعارك التي دارت بينهم وبين المسلمين.

قتل قادة قريش وصناديدهم.. كما قتل قادة بني سفيان.. وقد قال في إحدى رسائله لمعاوية بن أبي سفيان:

«عندي السيف الذي أعضضته بجدك وخالك وأخيك..».

الإمام علي... وحده الذي رفع(هُبل)... الصنم الذي كان أثقل، وأكبر أصنام العرب.. قلعه من نصبه.. ورماه من أعلى الكعبة إلى ساحة أرضها..

ولشجاعته وبطولاته.. تنتمي الإبطال.. وتحسده الشجعان.. وتنتسب لقوته الأقوياء.. لذا، فإنه أنسى من سبقه الشجاعة والبطولات.. وأتعب مِنْ بعده من ادعى بهما!!

كانت قوته الخارقة وشجاعته المعهودة، رمزاً للملوك والقادة، في معاركهم، وعدتهم الحربية.. حتى كانوا يرسمون صورته، وسيفه على سيوفهم.. أملاً في جني النصر في ساحات الوغى..

ومنهم ذُكر (عضد الدولة).. عضد الدولة بن بويه، الذي رسم صورته على سيفه، وكذلك على سيف أبيه (ركن الدولة)..

ورسمَ سيفه على سيف ألب رسلان.. وابنه ملك شاه.. وقد رسمت صورته وهو حامل سيفه، في بيوت ملوك الترك... والديلم.. وغيرهم..

على أن الإمام علي، إذا ما عُرض عليه الإعجاب بقوته من غيره.. يقابله بتواضعه المعروف.. ويجيب على عبارات الإعجاب.. (إن قوته من الله، سبحانه وتعالى..) وقد قال:

«والله ما قلعتُ باب خيبر بقوة جسدية... بل بقوة إلهية..».

نعم.. تلك القوة الخارقة، والشجاعة الفذة، والبطولة النادرة.. لا شك في أن يكون مصادرها.. مصادر القوة.. والشجاعة.. والبطولة.. هو إيمانه العميق

بمبادىء الدين الحنيف... دين محمد ﷺ... واستيعابه الكامل لتلك المبادىء السامية.. والتفاني من أجل نشرها بين الناس أجميعن...

عندما هاجر النبي ﷺ مع صاحبه الصديق (رض).. إلى يثرب عام ٦٢٢م بعد أن علم بقرار قريش في مؤامرة قتله.. بات الإمام علي في فراش الرسول ﷺ.. واتشح ببرده.. نعم.. ظل في حجرة النبي ﷺ... وفي فراشه، دون خوف أو وجل.. ودونما أي اكتراث.. وكان تضحية منه بنفسه، من أجل الرسالة وصاحبها، وعمره آنذاك يقارب العشرين عاماً!

.... بينما كان نائماً في فراش محمد ﷺ التي كانت قريش قد قررت القضاء عليه بعد منتصف الليل، وهو هاجع في منامه.. وبعد أن اتفقوا أن يمثل كل بطن من بطون قريش مقاتل، ليقتلوا الرسول ﷺ، بضربة واحدة.. وفي وقت واحد، حتى يضيع دمه بين ممثلي قبائل قريش المختلفة..

أخذوا يترصدون بيته، بعد أن حاصروه محاصرة محكمة!!

وبإرادة من الله تعالى، خرج رسول الله ﷺ من بيته.. دون أن يتمكن أحد من الراصدين رصده.. حيث انطلق إلى (غارثور) مع صاحبه الصديق..

﴿وَجَعَلْنَا مِنْ بَيْنِ أَيْدِيهِمْ سَدًّا وَمِنْ خَلْفِهِمْ سَدًّا فَأَغْشَيْنَاهُمْ فَهُمْ لَا يُبْصِرُونَ﴾ [سورة يس، الآية: ٩]..

ثم حان الوقت المقرر للهجوم.. وهجموا على فراشه.. وكشفوا البرد... فإذا!! فإذا علي بن أبي طالب نائم فيه دون سيف أو سلاح.. إلا أنه نهض بالحال.. واستل سيف أحدهم.. بسرعة فائقة.. وحركة مباغته... وبدأ بالهجوم عليهم.. وفروا خائفين ففشلت تلك المؤامرة الجبانة من أعداء الله.. بإذن الله..

وبذلك كان الإمام علي.. أول فدائي في الإسلام..

...بقي الإمام في مكة، بعدما هاجر أستاذه ورفيقه ﷺ... بقي فيها ثلاثة أيام، قام خلالها بدفع ما على رسول الله ﷺ من ودائع.. كما أمره ﷺ...

بعدها تهيأ لمغادرة مكة إلى يثرب، وجهز الفواطم، وآل بيت رسول الله ﷺ... ليقودهم للالتحاق بالنبي ﷺ والسير بهم إلى مقرهم

الجديد.. يثرب... وكانت أمه (فاطمة بنت أسد) في معية قافلة الفواطم التي قادها.

كان علي بن أبي طالب، يدفع أذى المشركين عن رسول الله ﷺ في بدأ الرسالة بمكة، بكل بسالة وشجاعة وبطولة.. حتى كانت قريش تتحاشى ذلك عندما يكون الإمام في معية رسول الله ﷺ.. لأنهما بطلين مجتمعين.. محمد... وعلي...

وكم تمنى الإمام علي، أن يكون شهيداً.. شهيداً من شهداء الإسلام البررة.. ينهي حياته الكريمة، سيف كافر.. أو ضربة مارقٍ... أو خارج.. أو ناكث!! لا ميتة سوية على الفراش..

وشتان بين البطل المجاهد الذي يؤمن بالشهادة، شرفاً له في الدنيا.. وشرفاً له في الآخرة.. وبين من لم يمت بالسيف كميتة الأبطال..

وقد قال الإمام علي، في ذلك:

«... إِنَّ الموتَ طالِبٌ حثيثٌ، لا يَفُوتُهُ المُقيمُ، ولا يُعجِزُهُ الهارِبُ.

إن أكرَمَ الموتِ القتلُ.. والذي نَفسُ ابنِ أبي طالبٍ بيدِهِ، لألفُ ضَربَةٍ بالسَّيفِ أهوَنُ عَليَّ من مِيتَةٍ على الفِرَاشِ».

نعم!! كان لك ذلك.. أيها الإمام الجليل.. عندما ضربك الخارجي (بن ملجم) المجرم، بسيفه المسموم.. ضربة مميتة أنهت حياتك الطاهرة العفيفة..

تلك الضربة التي هتف فيها الإمام.. بالرغم من آلامها!!

«فزتُ ورب الكعبة».

والتي استشهد منها.. في بيت الله بالكوفة.. تماماً كما ولد في بيت الله الحرام بمكة (وسنأتي إلى هذا الموضوع تفصيلاً).

علي بن أبي طالب.. هذا الشجاع المهاب.. والبطل الخارق.. لم تُنسيه شجاعته ولا بطولاته وقواه الخارقة.. لم تنسيه فروسية الفرسان.. وخلق الشجعان.. وأخلاق الرجولة.. ومواصفات الأبطال.. في ساحات الحرب

والمنازلات.. لذلك... فلم يُجهز على جريح ضَعُفَ لجراحه.. أو جبان جبن أمام شجاعته.. وكم أوصى جنده ذلك، عند كل قتال.. وعند بدء أي هجوم..

كان علي.. هذا الخارق في قوته، تمنعه فروسيته ومبادئهاأن يجهز على عدوه حين يسقط مطروحاً على الأرض، مثلاً.. وقد تكشف منه ما ستر!!

عندها يتركه تعففاً، وإشفاقاً عليه.. وهذا ما اختص به هذا الفارس المقدام.. وهي خاصة من خصائصه، اختص بها دون بقية أقرانه من الأبطال والشجعان.. وهو مبدأ من مبادئه التي تعلمها من رسول الله ﷺ.. أستاذه بالبطولة والشجاعة والفروسية.

في معركة (صفين) ظفر الإمام علي بأحد أعدائه الماكريين.. (عمرو بن العاص).. الرجل الثاني في قيادة الفئة الباغية.. بعد معاوية بن أبي سفيان!!

كاد الإمام يضرب عمراً، إحدى ضرباته القاضية بذي فقاره المشهور.. إلا أن عمرو بن العاص.. العاصي على خليفة المسلمين، أحس بدنو نهايته على يد علي..

خلع ابن العاص، سرواله... وليكشف!! ليكشف عن سوأته أمامه، تحاشياً لتلك الضربة.. ولينقذ حياته منها.. وبطريقته الخاصة!! والتي كان عليه أن يتحاشاها بموته، كما يموت الرجال الشجعان!!

عندها، أدار ذلك الفارس الحق.. الإمام علي وجهه عن ذلك المخادع الذي جَبُنَ أمامه.. ومن ثم تركه يلملم سرواله!! ويولي هارباً!!

(وسنأتي على ذلك بالتفصيل حينما نصل بكتابنا هذا إلى موضوع «صفين»)

على أننا وفي معرض عرضنا لهذا المثال.. أو النموذج من فروسيته.. ومروءته.. وخلقه.. لا يفوتنا في هذا المجال، إلا وأن نقارن، ولو بعض الشيء... بين شجاعة الشجعان الحقة.. الشجاعة التي تتسم بالرجولة.. والإيمان العميق بالقيم والمثل الإنسانية.. وبين الذين قدمهم التاريخ، وذكرهم كأبطال في فنون القتال ومجالاته دون التحلي بما يجب أن يتصف به كل بطل مقاتل وشجاع، من المبادىء التي كان الإمام علي يتوج بها بطولاته وشجاعته،

وإقدامه... وهي... (المروءة)... مروءته التي كانت فوق بطولته، ووسام شجاعته.. وسمة إقدامه..

فمروءته كانت تتوج كل مواصفات هذا الفارس، وحسبنا في ذلك، ماله من المواقف المشهودة في ساحات الحروب التي شهدها دفاعاً عن دين الله القويم...

كان يتجنب القتال.. قدر الإمكان.. لا خوفاً منه... وإنما احتراماً للنفس وإجلالاً لقيمة الإنسان..

لم يبدأ بمبارزة.. ولم يبتدأ بمعركة.. إلا إذا دُعي إليها اضطراراً.. كدفاع عن المبادىء... ودفاع عن القيم والمثل... ودفاع عن العرض والأهل والنفس.. لذا قال لابنه الحسن، يعلمه ويوصيه:

«لا تَدعُوَنَّ إلى مُبارَزَةٍ.. وإنْ دُعيتَ إليها فأَجِبْ، فإن الداعي بَاغٍ.. والباغي مصرُوعٌ».

فما رفع الإمام يده بالسيف قط، إلا بسطها للسلام(١).

لقد صلى الإمام علي، في وقعة (الجمل) على القتلى من أصحابه، ومن أعدائه على السواء...

وعفا عن (عبد الله بن الزبير) و(مروان بن الحكم) و(سعيد بن العاص).. في الوقعة نفسها. وهم الذين جهزوا الجيش لمحاربته بالبصرة، بعد أن ظفر بهم..

كما زار السيدة عائشة، بعد أن فشلت في قيادة وقعة الجمل ضده!! وأكرم وداعها.. وسار معها في ركابها.. وبعث معها من يخدمها، ويحميها.. (وسيرِدُ ذلك في كتابنا هذا في موضوع واقعة الجمل).

ومن مروءته أيضاً.. إنه لم يمنع جند معاوية في صفين من السقاية، بالرغ من أن جند معاوية حالوا بينه، وبين الماء.. وهم يقولون له: ولا قطرة حتى تموت عطشاً!! فلما أجلاهم عنه، دعاهم لشرب الماء.. كما شرب جنده، الذي قال لهم:

---

(١) عبقرية الإمام علي ـ عباس محمود العقاد ـ ص١٩.

«خلوا من الماء حاجتكم، وارجعوا إلى عسكركم، وخلوا عنهم، فإن الله عز وجل قد نصركم عليهم بظلمهم وبغيهم».

وكانت فرصته أن يغلب أعداءه بالظمأ.. كما أراد أعداءه له..

كما أنه نهى أهله وصحبه التمثيل في قاتله.. وأوصاهم بإطعامه.. وحسن معاملته!! وأن لا يقتلوا أحداً غيره.. بعد وفاته..

وأصدق وصف لصفاته، ما لخصه الأستاذ عباس محمود العقاد عنه:

(رجل شجاع لأنه قوي... وصادق لأنه شجاع.. وزاهد مستقيم لأنه صادق.. ومثار للخلاف لأن الصدق لا يدور بصاحبه مع الرضا والسخط والقبول والنفور.. وأصدق الشهادات لهذا الرجل الصادق، أن الناس قد أثبتوا له في حياته أجمل صفاته المثلى... فلم يختلفوا على شيء منها، إلا الذي اصطدم بالمطامع، وتفرقت حوله الشبهات.. وما من رجلٍ تتعسف المطامع أسباب الطعن فيه، ثم تنفذ منه إلى صميم..)[1].

... لذلك كان علي هو الفتى الذي لا فتى غيره..

والبطل الذي لا بطل سواه.. والشجاع الذي خرت أمامه الشجعان.. والقوي الذي هزم بقوته الفرسان.. فكان حقاً:

(لا فتى إلا علي، ولا سيف إلا ذو الفقار..).

---

(١) المصدر السابق.

٥

وداعاً... يا روابي مكة

(مكة بلد الأباء والأجداد.. مدينتنا التي حملت ذكريات طفولتنا.. فيها عرفت الله.. وتتلمذت على يد رسوله.. بها بدأ كفاحنا دفاعاً عن ديننا الحنيف..)

تلك مشاعر خاصة، يحسبها المرء، قد اختلجت في نفس ذلك الشاب البالغ من العمر عشرين عاماً.. الذي وقف خارج مدينته.. مكة، مودعاً بنظراته الخاصة لها.. ولما تحويه من أقدس بقعة من بقاع الدنيا.. الكعبة.. تاركاً فيها حبه لها. وألمه على فراقها.. ثم.. واصل علي بن أبي طالب سيره بالهواشم.. آل بيت محمد.. والفواطم:

فاطمة الزهراء بنت رسول الله ﷺ..

فاطمة بنت أسد زوج عم النبي ﷺ... وأم علي...

فاطمة بنت حمزة بنت عم محمد ﷺ وعلي..

فاطمة بنت الزبير بنت عمة رسول الله ﷺ وعلي.

ومع الفواطم بعض من نساء آل البيت...

واصل ذلك الشاب مسيرته، أمام قافلته إلى يثرب.. وكله شوق وحنين إلى لقيا حبيبه.. ورفيقه.. ومعلمه.. وابن عمه محمد ﷺ هناك في يثرب.. المدينة التي هاجر إليها قبله بثلاثة أيام... عدها علي ثلاثاً من السنين..

لأنه لم يفارقه أبداً.. ولم يبتعد عنه.. بل كان ملازماً له في مكة.. وشعابها.. وحرانها وجبالها.. حتى هجرتهم الأولى إلى الطائف، لم يفترقا..

كان آخر لقاء لهما بمكة.. في ذلك البيت الذي جمعهم..

الرسول ﷺ. . . أم المؤمنين خديجة. . وعلي. . . والذي أصبح فيما بعد يخلو من تلك السيدة الفاضلة بعد وفاتها. .

قال النبي ﷺ لعلي في ذلك البيت:

«يا علي لقد أوحى إليَّ ربي أن أهجر دار قومي، وأنطلق إلى غار ثور في ليلتي هذه. . وأن آمرك بالمبيت على فراشي ليخفى بمبيتك عليهم أمري. .».

أجابه علي بن أبي طالب، متسائلاً:

«أو تسلم أنت يا رسول الله إن فديتك بنفسي»؟؟

رد عليه النبي ﷺ:

«نعم بذلك ما وعدني ربي».

ثم أوصاه برد الودائع إلى أصحابها والتي كانت مودعة لدى رسول الله ﷺ وأوصاه أن يبقى ثلاثة أيام يستكمل فيها رد الودائع. . وبعدها يلتحق به في يثرب. . . ومعه آل بيته. .

. . . جاء إليه من أودع وديعته لدى رسول الله ﷺ ليستردها ممن أئتمنه الأمين ﷺ عليها. . أعادها الإمام علي. . أعاد الودائع لأصحابها بعد التأكد من صحة إدعائاتهم بودائعهم. .

على أن أعداء الدين الجديد، حاولوا استغلال ذلك. . غياب محمد ﷺ (المؤتمن على الودائع) وكثرة المودعين. . وتنوع الودائع. . !!

حاولوا الإساءة إلى ذلك (الأمين). . . للطعن في أمانته المشهودة!!

فقد أمر حنظلة بن. . . (أبي سفيان)!!

أمر عمير بن وابل الثقفي، أن يدعي أن لديه وديعة لدى محمد ﷺ. . . هي ثمانون مثقالاً من الذهب!!

لاحظ الإمام أن كل وديعة عليها اسم مودعها. . ولم تكن هناك وديعة مثلما ادعى بها عمير. ولا يوجد له اسم مع المودعين!!

عندها علم سبب ومغزى ادعاء هذا المدعي الكاذب!.. فقدم له بعض النصح والإرشاد. إلا أن عميراً أصر على ما ادعى به، وطالب باسترداد وديعته، وقال:

لي سند بادعائي هذا، وهم شهود من قريش... أمثال أبي جهل!! وأبي سفيان!! وعقبة بن أبي معيط!.. وحنظلة!..

عندها قال الأمام: «**مكيدة تعود إلى من دبرها**».

وهنا استعمل الإمام حكمته.. وشجاعته معاً.. وتوجه إلى عمير قائلاً، بعد أن فرق شهوده:

«**يا أخا ثقيف أخبرني الآن حين دفعت وديعتك هذه إلى رسول الله ﷺ أي الأوقات كان؟**»

أجابه: سلمتها لمحمد في ضحوة النهار.. وسلمها إلى عبده..

ثم استدعى أبا سفيان!! وسأله عن ذلك.. عن الوقت!! أجابه: (دفعها عمير إلى محمد، عند غروب الشمس.. وتركها في كمه!..)

أما الشاهد الآخر.. حنظلة، فقد قال:

(كان عند وقوف الشمس في كبد السماء .. وتركها بين يديه إلى وقت انصرافه!).

وجاء دور شهادة، الشاهد عكرمة.. حيث قال:

(سلم عمير وديعته إلى محمد.. عند بزوغ الشمس.. أخذها فأنفذها من ساعته إلى بيت فاطمة..!).

أما آخر شاهد.. عقبة بن أبي معيط... قال:

(تسلمها بيده، وأنفذها في الحال داره.. وكان وقت العصر...!!).

...مرت تلك الشهادات، المختلفة في أقوالها.. المجتمعة في زورها وبهتانها، أمام الإمام علي بن أبي طالب... ومعه عمير بن وابل الثقفي.. المدعي، بوديعة كاذبه...!

قال علي له:

«أراك قد اصفر لونك، وتغيرت أحوالك يا عمير!!!».

عندها.. انهار ذلك المدعي المدفوع له!!.. قال للإمام متوسلاً:

(أقول الحق، ولا يفلح غادر.. وبيت الله! ما كان لي عند محمد وديعة.. وإنهما حملاني على ذلك.. وهذه دنانير، عقدت هند زوجة أبي سفيان عليها، واسمها مكتوب).

فشل أعداء رسول الله ﷺ ما حاولوا استغلاله.. حيث كان لهم الإمام علي راداً لكيدهم بدهائه.. وحكمته.. وشجاعته.. والذي فرق بين الشهود في أول قضية نظر بها.. فكان أو من فرق بين الشهود بالإسلام...

واصل الأمام علي (ع) تنفيذ ما أمره النبي ﷺ مطيعاً لتلك الآوامر كعادته.. وقد قال في ذلك:

«ولقد علم المستحفظون من أصحاب محمد ﷺ أني لم أرد[1] على الله ولا على رسوله ساعةً قَطُّ ولقد واسيته[2] بنفسي في المواطن التي تنكص فيها الأبطال. وتتأخر فيها الأقدام، نجدة[3] أكرمني الله بها».

ها هو الآن... (الإمام)... في طريقه إلى المدينة التي أصبحت تسمى.. بـ(مدينة الرسول)... بعد أن كانت... (يثرب)... أو (طيبة)...

قاد علي بن أبي طالب قافلته في وضح النهار.. دون خوف من قريش.. لأنه يعلم علم اليقين... أن رجالها لا يتعرضوا لقافلةٍ يقودها علي... فكانت قافلته.. أول قافلة من قوافل المسلمين المهاجرة من مكة إلى يثرب، بعد هجرة الرسول ﷺ، تُهاجر نهاراً تحت أنظار قريش... وعيونها[4]!!

... وأخيراً... وصل الإمام علي، ومَن معه إلى بلد الهجرة.. حيث

---

(١) لم يعارضها.

(٢) أشركته.

(٣) شجاعة.

(٤) لقد هاجر عمر بن الخطاب (رض) قبل النبي وفي وضح النهار أيضاً فيكون أول من هاجر جهاراً قبل النبي ﷺ هو عمر. وأول من هاجر جهاراً بعد هجرة النبي ﷺ هو علي...

التقى مع ابن عمه.. رسول الله ﷺ... واجتمع الشمل مرة أخرى...

طلب النبي ﷺ من (الأنصار)... وهم أهل يثرب الذين رحبوا بقدومه وبمن معه من المسلمين... أن يتخذ كل واحد منهم له أخاً.. من (المهاجرين).. وهم الذين هاجروا مع محمد ﷺ من مكة إلى يثرب..

حتى يسكن كل مهاجر مع مَنْ آخاه من الأنصار.. وليقتسم معه العيش.. وليبدأن حياة جديدة معاً..

إنها فكرة حكيمة.. رائعة... عظيمة... من أفكار ذلك الرجل العظيم...

(المؤاخاة).. تلك صارت تسمية هذه العملية الجبارة.. التي جعلت المهاجرين يندمجون مع سكان المدينة الغريبة عنهم... وليتعاشوا معهم.. دون الشعور بالغربة.. والوحدة.. وفراق الأهل والأحبة..

.. رأى رسول الله ﷺ لزاماً عليه، أن يكون قدوة للمسلمين.. وهو قدوتهم في كل شيء.. وفي هذا الجانب.. عليه أن يكون قدوتهم في المؤاخاة.. ليقتدوا به...

إذن ليكن هو ﷺ أول المؤاخين.. وكان سن الطبيعي أن يتخذ له أخاً من المسلمين ليؤاخيه. ولكن يجب أن يكون ذلك الأخ له من المواصفات الشخصية.. من الإيمان والتقى.. من العلم والمعرفة.. قريبة على ما اتسمت به شخصية رسول الله ﷺ من تلك الخصائص التي اختص بها محمد ﷺ دون غيره..

... ولم يجد إلا مَنْ هو رباه، وغرس في قلبه ذلك الإيمان... وتلك التقوى... وعلّمه بعمق معرفة الخالق.. وعبادته... كما عرّفه بالمعارف والعلوم..

إنه علي بن أبي طالب كرم الله وجهه.. ولم يجد غيره أن يكون له أخاً...

تلك الخصائص التي اختص بها علي.. جعلته أن يكون مرشحاً.. بل أهلاً لتلك (المؤاخاة) مع صاحب فكرة المؤاخاة.. الرسول الأعظم ﷺ.

لم يتردد النبي ﷺ.. ولو للحظات.... للمقارنة .. في اختيار تلميذه وربيبه، أن يكون له أخاً في دنياه.. كما هو أخوه في آخرته..

أعلن محمد ﷺ أمام جمع المسلمين مؤآخاته لعلي بن أبي طالب... دون غيره من المسلمين!.

وقد ذكر ذلك الإمام علي بعد حين، وقال:

«... أنا عبد الله، وأخو رسول الله ﷺ.. وأنا الصديق الأكبر، لا يقولها بعدي إلا كاذب.. آمنت قبل الناس بسبع سنين».

هذا الحديث أخرجه ابن ماجة.. وابن أبي شيبة... وابن أبي عاصم في (السنة) ج٢ ص٥٩٨ وابن جرير في (التاريخ) ج٢، ص٢١٢... والحاكم... وأبو نعيم في (معرفة الصحابة)... وابن الجوزي في (الموضوعات) ج١ ص٣٤١... والحافظ المزي في (تهذيب الكمال)...

كما أخرجه البخاري في (الكبير)... والعقيلي في (الضعفاء).. وابن عدي في (الكامل)..

كما ذكر ذلك أحمد بن سليمان الرُّهاوي.. قال: حدثنا عبيد الله بن موسى، قال: حدثنا العلاء بن صالح، عن المنهال بن عمرو.. عن عباد بن عبد الله(١).

على أن مؤاخاة النبي ﷺ لعلي في مكة... سبقت مؤاخاته له في المدينة..

ولكن.. تلك المؤاخاة... مؤاخاة النبي ﷺ لعلي... في يثرب... أضافت ميزة أخرى امتاز بها على كل صحابة رسول الله ﷺ.. ومنقبة أخرى من مناقبه.. حتى عدها (الزمخشري) واحدة من ثماني عشرة منقبة اختص بها علي بن أبي طالب كرم الله وجهه.. والتي ذكرها في (باب مناقب علي)..

.. عاش علي مع النبي ﷺ.. واستقرا في بيت واحد جمعهما مرة

---

(١) الإمام الحافظ النسائي في (خصائصه) ص٢٩.

أخرى.. ولكن.. في مدينة الرسول (يثرب).. بعد أن عاش معه في (مكة)..

لذا يكون النبي ﷺ قد احتضن علياً صبياً في صباه.. ثم فتى، وشاباً في شبابه..

حتى سبق المسلمين في احتضان النبي ﷺ له... ورعايته لشؤونه.. وتعليمه من علمه..

وسبقهم في الشجاعة والفداء[١].

(١) لهذا الحديث صلة في موضوع (المؤاخاة..) من الفصل الخامس والذي سيكون مكملاً لهذا الحديث.

الفصل الثاني

مع بنت رسول الله ﷺ

١ ـ الزهراء (أم أبيها)... وبيت الزوجية.

٢ ـ ذرية الرسول ﷺ... من صلب علي..

٣ ـ أيام الحزن..

٤ ـ تركة رسول الله ﷺ.. ومنها (فدك).

٥ ـ خطبة الزهراء.. البليغة..

٦ ـ جواب... على جواب.

٧ ـ الهموم.. والرحيل.

٨ ـ الإمام علي... زوجاته.. وأولاده.

١ الزهراء (أم أبيها).. وبيت الزوجية

. . . في هذا البحث سوف نستعرض كل المواضيع المتعلقة ببضعة رسول الله ﷺ (فاطمة).. ابتداء من زواجها.. حتى وفاتها.. دون الالتزام بالتسلسل التاريخي للأحداث المتسلسلة في هذا الكتاب. . .

ذلك ليكن ما نرويه عنها محصوراً بهذا البحث. . . غير موزعٍ، أو مجزءٍ بين مواضيع أخرى. . . حتى ولو كان مرتبطاً بها. .

القصد من ذلك.. إعطاء الأهمية اللازمة لبعضٍ من حياة سيدة نساء العالمين.. التي أصبح نسل أبيها وذريته.. منها.. من فاطمة!!

على أن يكون ذلك فيه إيجاز.. وبه اختصار..

في الآية ٣٣ من سورة الأحزاب.. جاء في محكم كتابه الكريم:

﴿إِنَّمَا يُرِيدُ ٱللَّهُ لِيُذْهِبَ عَنكُمُ ٱلرِّجْسَ أَهْلَ ٱلْبَيْتِ وَيُطَهِّرَكُمْ تَطْهِيرًا﴾

ذكر البخاري في (صحيحه):

حدثنا أبو الوليد.. حدثنا ابن عينيه.. عن عمرو بن دينار.. عن ابن أبي مليكه.. عن المسور بن مخرمة:

إن رسول الله ﷺ قال في (فاطمة):

«**فاطمة بضعةٌ مني.. فمن أغضبها أغضبني**» ورد ذلك في صحيح البخاري وصحيح الترمذي.. ومستدرك الصحيحين للحاكم وفي الخصائص للنسائي.. وفي الإمامة والسياسة لابن قتيبة..

وهذا الحديث، أخرجه مسلم في (صحيحه).. وابن أبي شيبة... وأبو

داود.. وابن ماجه... وابن حجر في صواعقه وفي كنز العمال.. وفي حلية الأولياء لأبي نعيم.

.. كانت فاطمة أشبه الناس بأبيها رسول الله ﷺ، وجهاً... وشبهاً..

سميت (الزهراء)... لبياضها المائل للحمرة..

وهي أحب النساء لأبيها.. وقد بشرها النبي ﷺ بمكانتها عند الله سبحانه وتعالى.. إنها من خير نساء الجنة.. حيث أخبرها ﷺ:

«حسبك إن خير نساء العالمين:

مريم ابنة عمران..

خديجة بنت خويلد..

فاطمة بنت محمد..

وآسيا امرأة فرعون... فأنتِ إحداهن..»

أخرجه السيوطي في الدر المنثور والطبري في تفسيره.. وفي مستدرك الصحيحين رواه الحاكم والإمام أحمد في مسنده والخطيب البغدادي في تاريخه عن أبي هريرة، قال:

(أبطأ علينا رسول الله ﷺ يوماً صبور النهار..

فلما كان العشي.. قال له قائلنا:

يا رسول الله، قد شق علينا لم نرك اليوم..

قال ﷺ:

«إن ملكاً من السماء، لم يكن زارني.. فاستأذن الله في زيارتي.. فأخبرني وبشرني..

إن فاطمة بنتي سيدة نساء أمتي.. وإن حسناً وحسيناً سيدا شباب أهل الجنة...»[1].

---

(١) حياة الإمام علي - محمود شلبي - ص٥٥.

ذكر الترمذي عن عبد الله بن عطاء.. عن ابن بريدة، قال:

جاء رجل إلى أبي، فسأله:

أي الناس كان أحب إلى رسول الله؟

قال: من النساء فاطمة.. ومن الرجال علي (رض)[(١)]..

والحديث أخرجه السهمي في (تاريخ جرجان) من طريق آخر...

فاطمة الزهراء... كريمة رسول الله ﷺ.. كرمها الله سبحانه وتعالى:

ـ لتكون بنت حبيبه.. ونبيه.. وخاتم رسله..

ـ وإن تكون أمها.. أول سيدة أسلمت، وآمنت بالإسلام.. وأول من سميت بـ (أم المؤمنين) وجاهدت لدين الله بأموالها.. ووقوفها إلى جانب زوجها رسول الله ﷺ... إنها السيدة (خديجة بنت خويلد) من خير نساء العالمين في الدنيا والآخرة..

ـ كما كرمها خالقها.. أن يكون ذرية النبي ﷺ من أولادها.. ولكن من صلب علي بن أبي طالب..

ـ وأن جعل سبحانه عز شأنه.. في صلاة المسلمين.. صلاة عليها مع أبيها وآل بيته.. عند قولهم.. قول كل المسلمين، في صلاتهم:

(اللهم صلّ وسلم وبارك على محمد، وعلى آل محمد..).

كان لتلك السيدة الطاهرة.. المقام المحمود بين الهاشميات على صغر سنها، لشخصيتها الفذة.. وتربيتها النبوية.. وعلمها بأمور الدين الإسلامي الحنيف.. ولحفظها القرآن الكريم..

وفضلاً عن ذلك. لها القابلية الخطابية البليغة... والتحدث إلى الآخرين بأحاديث تسندها بسورٍ من الكتاب الكريم.. والأحاديث النبوية.. والحجج المنطقية..

كيف لا!! ومَنْ أدبها.. أدبه ربه.. ومن علمها.. علمه ربه.. إنه رسول الله ﷺ الذي قال:

---

(١) الإمام الحافظ النسائي في (الخصائص) ص١٠٨.

«أدبني ربي فأحسن تأديبي». .

قالت السيدة عائشة عن صدقها:

(ما رأيت أحداً قط أصدق من فاطمة غير أبيها. .) رواه الحاكم في المستدرك وابن عبد البر في استيعابه وكذلك في حلية الأولياء. . . وغيرهم.

علماً كان بينهما ما كان بين الفتاة وزوجة أبيها!!

دعاها والدها. . صلوات الله عليه وسلامه. . . وهو على فراش المرض الذي مات منه. . . فهمس لها سراً. . فبكت. . ثم همس لها سراً آخر. . فضحكت!!

بعد حين أخبرت الإمام علي عن ذلك. . وقالت له:

(أخبرني رسول الله ﷺ إنه ميت من مرضه هذا. . فبكيت. .

ثم أخبرني أني أسرع أهله لحوقاً به. . فضحكت. .). . أخرجه الترمذي. . . وأبو حفص بن شاهين في (مناقب فاطمة) وكذلك ابن أبي شيبة. والبخاري في صحيحه. . وفي حلية الأولياء لأبي نعيم. . وغيرهم. . .

أراد كل صحابي من صحابة رسول الله ﷺ. . ممن لهم الفضل، والسابقة في الإسلام. . ومَنْ لهم المكانة المرموقة من قريش. . جاهاً. . ومالاً. . أن تكون فاطمة زوجة له. . ليكون له شرف القرابة والنسابة من النبي ﷺ. . . وآل البيت الذين أذهب الله عنهم الرجس وطهرهم تطهيراً. . .

وكم تمنوا ذلك. . . وجاهدوا له. . وفي مقدمتهم عمر بن الخطاب. . وبعده أبو بكر(1).

. . . ذكر الفضل بن موسى، عن الحسين بن واقد. . عن عبد الله بن بريدة. . عن أبيه، قال:

(خطب أبو بكر، وعمر فاطمة. . فقال رسول الله ﷺ: إنها صغيرة. فخطبها علي فزوجها منه. . .)(2)

---

(1) محمد رسول الحرية ـ عبد الرحمن الشرقاوي ص١٣٤.

(2) الخصائص ـ للإمام الحافظ النسائي ص١١٤.

إلا أن أباها... رسول الله ﷺ... لم يجب أحداً منهم.. لأنه كان يعلم أن الله هو الذي سيختار لها بعلاً كفوءاً.. يليق بسيدة نساء العالمين..

... جاءه علي بن أبي طالب... وقال له:

«فداك أبي وأمي، إنك لتعلم أنك أخذتني من عمك أبي طالب، ومن فاطمة بنت أسد وأنا صبي.. فغذيتني بغذائك.. وأدبتني بأدبك... فكنت إلي أفضل من أبي طالب ومن فاطمة بنت أسد في البرِّ والشفقة....

وإن الله هداني بك، وعلى يديك. وإنك والله ذخري وذخيرتي في الدنيا والآخرة. يا رسول الله... فقد أحببت مع ما شدَّ الله من عضدي بك، أن يكون لي بيت.. وأن يكون لي زوجه، أسكن إليها..

وقد أتيتك خاطباً.. راغباً، أخطب إليك ابنتك فاطمة...

فهل أنت مزوجي.. يا رسول الله»[1].

لم يجب النبي ﷺ علياً... بل دعا المهاجرين، والأنصار.. فقال ﷺ لهم:

«إن الله جعل المصاهرة سبباً لاحقاً، وأمراً مفترضاً.. أوشج به الأرحام وألزم الأنام. فقال عز من قائل: ﴿وَهُوَ ٱلَّذِي خَلَقَ مِنَ ٱلْمَآءِ بَشَرًا فَجَعَلَهُۥ نَسَبًا وَصِهْرًا ۗ وَكَانَ رَبُّكَ قَدِيرًا﴾ [سورة الفرقان، الآية: ٥٤].

فأمر الله تعالى يجري إلى قضائه.. وقضاؤه يجري إلى قدره.. ولكل قدرٍ أجل.. ولكل أجل كتاب... ﴿يَمْحُوا ٱللَّهُ مَا يَشَآءُ وَيُثْبِتُ ۖ وَعِندَهُۥٓ أُمُّ ٱلْكِتَٰبِ﴾ [سورة الرعد، الآية: ٣٩].

---

(١) فاطمة الزهراء المرأة النموذجية في الإسلام - الشيخ إبراهيم الأميني ص٤٢.

ثم إن الله تعالى أَمرني أن أُزوّجَ فاطمة بنت خديجة من علي بن أبي طالب..

فاشهدوا أني زوجته على أربعمائة مثقال فضة».

كان ذلك بعد الهجرة بسنتين، أو ثلاث على اختلاف المصادر والرويات.. وكان عمرها لا يتجاوز الخامسة عشر.. أو الرابعة عشر... وفي بعض الروايات أقل من ذلك..

أما الإمام علي، فهو أَسَنّ منها بعشر سنين...

أمره النبي ﷺ أن يُحضّرَ أَمره لتنفيذ ما أمر به سبحانه وتعالى.. على أن لا يكون ذلك المقدار من المهر ثقيلاً عليه.. وكيف يكون مهر بنت رسول الله... مهر الزهراء ثقيلاً عليه، وهي التي مهرها يعادل ما تكتنزه الدنيا من كنوز!!

كان علي لا يملك ذلك المهر.. إلا أنه باع درعه بما يُعادل ما حدده له أبوها ﷺ من مقدار المهر.. وقدمه لها مع ثوب مصنوع باليمن من القطن... وكذلك جلد ذبيجة بصوفه لم يُدبغ.. وعباءة صغيرة بيضاء.. ومنشفة وفراش من ليف، والآخر من صوف.. ومخدة ليف.. وأربعة متكآت حشوها بنبات الأرض..

سرير من جريد النخل.. وحصير.. وستار من صوف.. قدح من خشب مع رحى للطحن. إناء من نحاس للعجن والغسيل...

قربتان مع وعاء من ورق النخل مُزَفّتْ.. جرة خضراء مع كوزان خزف، ومنخل للنخل(١)..

عن عبد الله بن عباس (رض)، قال:

لما زوج رسول الله ﷺ فاطمة من علي.. كان فيما أهدى معها:

سرير مشروط.. ووسادة من أديم حشوها ليف.. وقربه.. وجاء ببطحاء من الرمل، فبسطوه في البيت..

---

(١) حياة الإمام علي ـ محمود شلبي ـ ص١١٤.

وقال النبي ﷺ لعلي:

«إذا أتيت بها، فلا تقربها حتى آتيك..».

فجاء رسول الله ﷺ.. فدق الباب، فخرجت إليه أم أيمن.. فقال:

ـ أعلم أخي؟ قالت:

ـ وكيف يكون أخاك وقد زوجته، ابنتك!! قال ﷺ:

ـ إنه أخي.. ثم أقبل على الباب، ورأى سواداً. فقال: من هذا؟ قالت: أسماء بنت عميس.. فأقبل عليها، فقال لها:

ـ جئت تكرمين ابنة رسول الله؟..

دعا النبي ﷺ فاطمة.. فأقبلت تعثر في ثوبها حياء من أبيها... ثم قال لها:

«يا ابنتي، والله ما أردت أن أزوجك إلا خير أهلي..»[1].

... كان مهر فاطمة، مهراً متواضعاً زوّج به الرسول ﷺ ابنته التي أحبها ورعاها، ورعته حتى قال عنها: (أم أبيها)... لأنها كانت ترعى شؤونه، وتُداري احتياجاته..

زوَّجها.. بذلك المهر المتواضع، لكي يكون قدوةً للأباء في تزويج بناتهم على مهور متواضعة، غير ثقيلة، لتسهيل عملية الزواج بين الشباب، وتشجيعها.. وهو القائل:

«تزاوجوا تناكحوا، حتى أُباهي بكم الأمم».

أهدى النبي ﷺ العروس.. فاطمة.. بساطاً من الصوف الأبيض..

وكذلك نساء صحابة رسول الله ﷺ.. أهدين فاطمة بعض الملابس، والحُلي.. وما نَدُرَ من المجوهرات.. والطيب.. والبخور..

قال رسول الله لابن أبي طالب:

---

(١) الخصائص ـ للنسائي ص١١٤.

«يا علي لا بد للعرسِ من وليمة. .».

فقال أحد الصحابة:

أنا عندي كبش الوليمة. . يا رسول الله. . وسأعدهُ ليكون طعاماً للمدعوين. .

دعا النبي ﷺ، أصحابه، ومَنْ كان في المسجد. . وأقبلوا على مائدة الطعام التي بارك فيها الله سبحانه وتعالى. . .

كان محمد ﷺ يستقبل ضيوفه ويقدم لهم بيده الكريمة من المائدة ما طاب. . أما علي فكان مع أخيه عقيل، يشاركان نبي الرحمة ﷺ الترحاب بالمدعويين. .

عند الزفاف كانت مع فاطمة (أسماء بنت عميس) تقوم لها مقام الأم. . بناء على توصية أمها أم المؤمنين السيدة خديجة لأسماء. . عند احتضارها. .

كما أمر الرسول ﷺ الهاشميات. . وبعضاً من نساء الأنصار، والمهاجريين أن يصحبن فاطمة في زفافها إلى بيت الزوجية، المجاور لبيت النبي ﷺ. .

وفي ذلك البيت، دعا ﷺ العروسين. . وطلب من أسماء بنت عميس أن تأتيه بإناء فيه ماء مخلوط بالعطر والطيب. . .

رَشَّ منه النبي ﷺ على رأسيهما. . وأمر علياً أن يتوضأ منه، بعد أن توضأ هو منه. . ثم أفرغه على علي. .

ودعا لهما. . فخص فاطمة بدعاء لها. . .

> **«اللهم إنها مني وإني منها. . اللهم كما أذهبت عني الرجس وطهرتني. . فطهرها. . . الهم إني أعيذها. . وذريتها بك من الشيطان الرجيم. .»**.

ثم قال عليه صلاة الله وسلامه:

> **«اللهم بارك فيهما. . وبارك عليهما. . وبارك لهما في نسلهما. .»**[1].

---

(١) الإمام علي بن أبي طالب رابع الخلفاء الراشدين ـ محمد رضا ص٧.

وبعدها كرر النبي ﷺ قوله:

«اللهم هؤلاء هم أهل بيتي، فأذهب عنهم الرجس، وطهرهم تطهيرا»[1].

... زار الرسول ﷺ بيت فاطمة في اليوم الرابع من زواجها.. سألها عن زوجها.. فقالت له: خير زوج..

ولكن بعضاً من النساء قلن لي: زوَّجك أبوك من رجل فقير لا مال له..

وهي في قولها هذا، تنقل لأبيها ما سمعته فقط.. دون أن تكون شاكية له عن ذلك.. ذلك لأنها أعلم منهم عمن زوجها الله تعالى به!!

أجابها النبي ﷺ:

«يا ابنتي.. ما أنا، ولا بعلك فقيران.. وأنتِ تعلمين قد عُرضت علي أموال الدنيا.. فاخترت ما عند ربي.. والله زوجتك إلى مَنْ هو أقدمهم إسلاماً.. وأعظمهم إيماناً.. وأكثرهم علماً وحلماً..».

هنيئاً لك يا بن أبي طالب.. يُقسمُ رسول الله ﷺ.. يُقسم بالله ربه ورب العالمين.. وهو رسوله ونبيه إلى خلقه!! يُقسم.. إنك أعظمهم.. أعظمهم إيماناً... و... وأكثرهم علماً... وحلماً!!

تلك شهادة ما بعدها شهادة.. من سيد المخلوقات... وحبيب خالقهم.. من خاتم النبيين والمرسلين.. ووسام رائع المعاني من النبي لعلي....

... أوصى رسول الله ﷺ ابن عمه، وزوج ابنته.. بابنته، حيث قال له:

«فاطمة بضعة مني يؤلمني ما يؤلمها، ويسرني ما يسرها».

ثم قال لهما:

«يا علي نعم الزوجة زوجتك.. ويا فاطمة نعم البعل بعلكِ..».

وفي ذلك البيت الذي جمع مَنْ رباهما، وعلمهما رسول الله ﷺ تربية

(١) علي إمام المتقين - عبد الرحمن الشرقاوي ج١ ص٣٥.

واحدة.. عاش الزوجين بأسعد حياة... يسودها الانسجام الكامل.. والتفاهم التام.. لأن موردهما في الخُلُقِ واحد.. ونشأتهما في بيتٍ واحد.. هو بيت نبي الرحمة ﷺ..

على أن شظف العيش.. وبساطته، لم يُثني الزوجين المباركين من قبل النبي ﷺ.. عزمهما في أن يكون بيتهما مكللاً بالسعادة... والقناعة.. والرضى بما هو مقدر لهما، تقديراً ربانياً.. ولم يثنيهما كذلك، من مواصلة دراسة علوم القرآن الكريم، وحفظه.. والمناقشة بأمور دينهم.. والتسابق في عبادة الله، ومناجاته...

وكانا سوية مثلما يتدارسان أمور دينهم.. يتعاونان في أمور دنياهما..

فعلي كثيراً ما ساعد فاطمة في ترتيب ما يحتاجه بيتهما من إدامة وتحضير..

زارهما النبي ﷺ ووجدهما يطحنان بالرحى.. وقال لهما ﷺ: أيكما أعيا؟

فقال علي: فاطمة يا رسول الله.. فأخذ الرسول ﷺ مكان ابنته ليطحن ما كانت تطحنه من شعير..

سأل علي النبي ﷺ قائلاً:

«يا رسول الله، أنا أحب إليك.. أم فاطمة».

قال:

«هي أحب إلي منك.. وأنت أعز عليّ منها..»[1].

جاء الإمام علي إلى جاره (شمعون).. وهو من يهود يثرب.. طلب منه أن يزوده ببعض من الصوف الذي يشتغل به، ليذهب به إلى زوجته فاطمة.. حتى تغزله له لقاء أجر محدود!! ففعل ذلك وذهب به إلى بنت رسول الله ﷺ.. ثم رجع به مغزولاً، بعد فترة. واستلم من شمعون ثلاثة أصوع من شعير..

---

(١) أخرجه الإمام أحمد بن حنبل، وابنه في (زوائده على فضائل الصحابة). وابن معين في (حديثه). وسعيد بن منصور في (سننه). والحميدي، وابن سعد، والكلاباذي في (مفتاح المعاني) من طريق سفيان بن عيينه.

أخذت فاطمة صاعاً منه وطحنته، وعجنته، وخبزته، وحضّرته لزوجها الذي كان صائماً حتى يفطر عليه، بعد عودته من المسجد..

عندما عاد الزوج إلى البيت.. وبينما هو على مائدة الإفطار، في أول لقمة بدأ بها.. إذ (بمسكين) يطرق الباب وينادي:

(يا أهل بيت محمد.. أنا مسكين من مساكين المسلمين.. اطعموني أطعمكم الله من موائد الجنة).

أطعمه علي ذلك الطعام الذي لم يذقه بعد.. وباتوا جياعاً.. واستمر صومه!!

وفي اليوم التالي.. أخذت فاطمة صاعاً ثانياً من ذلك الشعير.. وعملت به مثلما عملت بالصاع الأول.. ووضعته ليفطرا منه...

إذ (بيتيم) يقف على بابهما وينادي:

أنا يتيم من أولاد المهاجرين جائع.. هلا لكم أن تطعموني يا آل بيت رسول الله؟

وكان له طعامهما... وباتا كما باتا ليلتهماالسابقة!!

وعند الليلة الثالثة.. كررت فاطمة ما قامت به في الليلتين الماضيتين.. وكان آخر صاع عندها.. ومَدَ علي بن أبي طالب يده ليقدم أول لقمة لزوجته التي شاركته الصوم والجوع.. إلا أن طارقاً آخر، طرق الباب معلناً عن نفسه إنه.. (أسير) قائلاً:

السلام عليكم يا أهل بيت النبوة.. تأسرونا ولا تطعمونا..

فأطعموه الصاع الأخير، الذي كان عندهم.. مطحوناً.. ومعجوناً... ومخبوزاً!! وأصبحوا هم الجياع الذين يُطعِمون.. ولا يُطعَمون!! لكن هنيئاً لهم، لأن الله سبحانه وتعالى، أطعمهم من فضله.. وخصهم بآيات من ذكره، بسورة الإنسان: ﴿وَيُطْعِمُونَ ٱلطَّعَامَ عَلَىٰ حُبِّهِۦ مِسْكِينًا وَيَتِيمًا وَأَسِيرًا إِنَّمَا نُطْعِمُكُمْ لِوَجْهِ ٱللَّهِ لَا نُرِيدُ مِنكُمْ جَزَآءً وَلَا شُكُورًا﴾ [سورة الإنسان، الآيتان: ٨ و٩] إلى قوله تعالى: ﴿وَجَزَىٰهُم بِمَا صَبَرُوا۟ جَنَّةً وَحَرِيرًا﴾ [سورة الإنسان، الآية: ١٢].

. . . في تلك الفترة الحرجة من حياتهما. . . أيام المعارك الإسلامية لنشر الدعوة، والتي كان الإمام علي كرم الله وجهه فيها يقود تلك المعارك إلى جانب قيادة القائد الأول لها رسول الله ﷺ. . مضحياً بحياته في مبادىء الإسلام. . مع احتمال استشهاده وبالتالي كانت زوجته فاطمة معرضة في أي وقت أن تصبح أرملة باستشهاده. .

إلا أنها كانت كالطود الشامخ. . تشجع زوجها، وأبيها. . وتُبارك لهما النصر. . والظفر. . وعند عودته تغسل له سيفه، وملابسه من دماء المشركين. . وتضمد جراحه. . وتهيأ له متطلبات الراحة والسعادة في بيت الزوجية التي كانت هي وحدها تتحمل مسؤوليته في زمن المعارك. .

لذا فإن فاطمة الزهراء. . كانت لبعلها خير زوجة. . . وخير ربة بيت. . . وخير رفيقة. .

ولم يتزوج الإمام علي على فاطمة أية زوجة بحياتها. . لأنها هي الزوجة القرينة له بعلمها. . وإيمانها. . ومكانتها بالإسلام. . . ولأنها بنت رسول الله ﷺ الذي قال عنها:

«فاطمة بضعةٌ مني. فمن أغضبها أغضبني، ومن أغضبني أغضب الله».

بينما تزوج بعد وفاتها على مَنْ تزوجها. . نعم تزوج على زوجاته في حياتهن. .

٢ ذرية رسول الله ﷺ... من صُلبِ علي

قال النبي ﷺ:

«إن الله جعل ذرية كل نبي من صُلْبه خاصة، وجعل ذريتي من صُلْبي ومن صُلْب علي بن أبي طالب» ذكره الحاكم في مستدرك الصحيحين.. والخطيب البغدادي في تاريخه... والهيثمي في مجمعه وغيرهم..

أنجبت فاطمة الزهراء، خمسة أطفال: الحسن.. الحسين.. ومحسن.. وهذا الأخير، قيل مات جنيناً.. وقيل مات طفلاً... وعندنا الرواية الثانية هي الأصح... ذلك أنه سُميَ محسناً.. والجنين عادة لا يسمى، بل يهيأ له اسم أحياناً

أما من البنات فلهما زينب... وأم كلثوم...

لذا فإن نسل الرسول ﷺ يمتد من خلال حفيديه الحسنين (الحسن والحسين).. وكفى بهما من ذرية حسنة.. ونسل مبارك..

كان الإمام علي (ع) يخاف عليهما في المعارك، ويحرص عليهما.. لا بسبب العاطفة الأبوية وحدها.. وإنما كان مجتهداً في الحفاظ على ذرية رسول الله..

وقد قال ذلك في مواقف مختلفة ومرات عدة... منها في صفين:

«.. فعلمت أن هذين[1] إن هلكا.. انقطع نسل رسول الله ﷺ من

(١) يقصد الحسن والحسين.

هذه الأمة.. وكرهت ذلك..»[1].

أحب النبي ﷺ الحسن والحسين كثيراً.. وساهم في تربيتهما، وعلمهما كما علّم من قبل أبويهما.. علياً وفاطمة...

فكان صلاة الله عليه وسلامه يحيطهما بالرعاية والحب والحنان.. والاهتمام التام بهما.. وكثيراً ما قال أمام الصحابة قولاً يُظهر فيه ذلك.. ويوصيهم بهما.. ويكرر قوله دائماً:

«الحسن والحسين ريحانتي من الدنيا».

ومن ذلك القول سميا.. (بريحانتي رسول الله) و(سبطي رسول الله) وهما من أصحاب الكساء..

لقد قال جدهما ﷺ في مناسبات عدة عنهما:

«الحسن والحسين سيدا شباب أهل الجنة»..

وهذا ما أخرجه الإمام أحمد بن حنبل.. وابنه في (زوائد السند).. كما أخرجه ابن أبي شيبة.. وأبو يعلي.. ويعقوب بن سفيان في (التاريخ).. وابن حبان.. والمصنف في (تحفة الأشراف).. وأبو نعيم في (الحلية)..

كما أخرجه الترمذي.. والحاكم عن أبي سعيد الخدري.. وغيرهم. وأخرج الترمذي أيضاً، عن أسامة بن زيد قال:

رأيت النبي ﷺ والحسن والحسين على وركيه.. فقال:

«هذان ابناي، وابنا ابنتي.. اللهم إني أحبهما، فأحبهما وأحِبَّ من يحبهما».

وذكر إسحاق بن إبراهيم بن مخلد بن راهويه قال:

أخبرنا جرير عن يزيد بن أبي زياد.. عن عبد الرحمن بن أبي نعم.. عن أبي سعيد، قال: قال رسول الله ﷺ:

---

(١) حياة الإمام علي ـ محمد شلبي ص٥٤٩.

«**الحسن والحسين سيدا شباب أهل الجنة.. وفاطمة سيدة نساء أهل الجنة، إلا ما كان من مريم بنت عمران..**».

وعن ابن سعد.. عن عمران بن سليمان، قال:

الحسن والحسين، إسمان من أسماء أهل الجنة.. ما سمتْ العرب بهما في الجاهلية، وذكر المفضل، أن الله حجب اسم الحسن والحسين.. حتى سمّى بهما النبي ﷺ ابنيه (الحسن والحسين)..

كان الحسن كثير الشبه بجده محمد ﷺ.. ولم يكن أحد أشبه منه بجده ﷺ... فكانت أمه الزهراء تلاعبه، وتُنشد له في طفولته:

أشـبـه أبـاك يـا حـسـن ... واخـلـع عـن الـحـق الـرسـن
واعـبـد إلـهـاً ذا مـنـن ... ولاتـوال ذا الإحـن

جاءت فاطمة بالحسن والحسين إلى أبيها ﷺ، فقالت له:

يا رسول الله، هذان إبناك فورثهما شيئاً.. فقال ﷺ:

«**أما الحسن فإن له هيبتي وسؤددي.. وأما الحسين فإن له شجاعتي وجُودي**».

عندما نزلت الآية الكريمة:

﴿يُرِيدُ ٱللَّهُ لِيُذْهِبَ عَنكُمُ ٱلرِّجْسَ أَهْلَ ٱلْبَيْتِ وَيُطَهِّرَكُمْ تَطْهِيرًا﴾

[سورة الأحزاب، الآية: ٣٣]

خص الرسول ﷺ نفسه وعلياً وفاطمة والحسن والحسين بهذه الآية الشريفة تخصيصاً وأدخلهم تحت كسائه وقال:

«**اللهم هؤلاء أهلي، فاذهب عنهم الرجس وطهرهم تطهيرا**»(١).

في آية (المباهلة).. حيث قال عز من قائل في سورة آل عمران، الآية: ٦١:

---

(١) صحيح مسلم في باب فضائل أهل البيت ج٢ ص٢٦٨.

﴿فَمَنْ حَآجَّكَ فِيهِ مِنۢ بَعْدِ مَا جَآءَكَ مِنَ ٱلْعِلْمِ فَقُلْ تَعَالَوْا۟ نَدْعُ أَبْنَآءَنَا وَأَبْنَآءَكُمْ وَنِسَآءَنَا وَنِسَآءَكُمْ وَأَنفُسَنَا وَأَنفُسَكُمْ ثُمَّ نَبْتَهِلْ فَنَجْعَل لَّعْنَتَ ٱللَّهِ عَلَى ٱلْكَـٰذِبِينَ﴾.

فدعى الرسول ﷺ علياً... وفاطمة... والحسن... والحسين... وقال:

«هؤلاء أبناؤنا وأنفسنا ونساؤنا، اللهم هؤلاء أهلي..».

... كان النبي ﷺ دائم الإعلان عن حبه للحسن والحسين.. وكثيراً ما كان يصحبهما معه ويرافقانه وهما صغيران.. وبقيا مع جدهما ﷺ يستمدان منه العون.. والعلم.. والتربية والإيمان.. حتى انتقاله إلى الملأ الأعلى.. عليه صلاة الله وسلامه..

ختاماً لهذا البحث لا يفوتنا أن نذكر أن معاوية بن أبي سفيان.. مؤسس الدولة الأموية.. والذي أول من نقل الخلافة من خلافة إسلامية إلى ملكية وراثية عضوض!!

معاوية هذا تآمر على الحسن حفيد رسول الله ﷺ وسبطه.. حيث دس له السم في العسل بواسطة أعوانه.. وقال في ذلك: (إن لله جنوداً من عسل)!! حتى قضى الحسن من ذلك السم نحبه!!

وابن معاوية.. يزيد، قتل السبط الثاني.. حفيد النبي ﷺ وريحانته.. الحسين.. قتله شر قتله.. ومثل بجثته.. وقطع رأسه.. وسبى أهله.. وهم أهل رسول الله ﷺ وذريته.. ولم يذكر التاريخ مثل تلك البشاعة التي عامل بها يزيد بن معاوية آل بيت محمد ﷺ!!

وكان قبلهما... أعني (الحسن والحسين).. كان قد سبقهما أبوهما الإمام علي.. عندما أصبح خليفة للمسلمين.. وهو الخليفة الوحيد من الخلفاء المنتخب بصورة مباشرة من عامة المسلمين الذي أجمعوا عليه دون اختلاف.. قد حاربه معاوية، وشق صفوف المسلمين بتمرده عليه.. حتى أصبح بحق زعيم (الفئة الباغية) التي سماها رسول الله ﷺ عندما قال لعمار بن ياسر (رض):

«يا عمار تقتلك الفئة الباغية».. وقُتل عمار، ذلك الصحابي الجليل من قبل معاوية وأصحابه.. لذا حق عليهم قوله ﷺ ووصفه له ولأصحابه بـ (الفئة الباغية).. تلك الفئة التي حاربت ثلاثة من أصحاب الكساء.. كساء رسول الله ﷺ وأحبهم إليه من آل بيته الكرام!! (وسنخصص لذلك فصلاً خاصاً من هذا الكتاب...)

آل بيت رسول الله ﷺ الذين قال عنهم أحدهم.. وهو الإمام علي كرم الله وجهه.. وبوصف مختصر في الكلمات.. وواسع في المعاني:

«إن الله تعالى طهرنا وعصمنا نحن آل البيت، وجعلنا شهداء على خلقه وحججاً على عباده.. وجعلنا مع القرآن، وجعل القرآن معنا، لا نفارقه ولا يفارقنا..».

وهكذا كان علي. سابق المسلمين، وآل البيت جميعاً في مشاركة النبي ﷺ بذريته.. كما شاركه كفاحه...

حيث جعل سبحانه وتعالى ذريتهما.. محمداً... وعلياً... ذرية واحدة... مشتركة.. واختص عز وجل ابن أبي طالب وحده.. دون غيره بتلك المشاركة المشرفة.. بالرغم من مصاهرة رسول الله ﷺ لغيره من الصحابة والقرابة، فكان حقاً سابق المسلمين. في كل سبق..

٣ أيـــام الحـــزن

اختار الله سبحانه وتعالى نبيه ورسوله ﷺ إلى جواره... بعد أن أكمل رسالته، وأتم دين الله، وتعاليمه للبشرية جمعاء..

وفي هذا الموضوع.. (وفاة النبي ﷺ)... لا نأتي عليه هنا تفصيلاً.. بل سنبحث فيه فقط الجانب المتعلق بموضوعنا هذا.. وهو الخاص ببضعه.. ابنته فاطمة الزهراء (ع).. وتأثير فراقها لأبيها عليها.. ونتائجه...

أما تفصيل ذلك، سنأتيه ببحث واسع، في فصل خاص من هذا الكتاب إن شاء الله.

لازمت فاطمة رسول الله ﷺ بعد ما اشتد عليه المرض، وزاد عليه الوجع.. ثم انتقلت هي وزوجها علي بن أبي طالب.. وولداها الحسنان، إلى بيت أبيها ﷺ لتمرضه.. وتقضي معه ما تبقى من أيامه الطاهرة...

وكثيراً ما كانت تذرف دموعها بغزارة على أعز مخلوق عندها.. وأحبهم إلى نفسها.. وأكرمهم عند الله سبحانه وتعالى..

أما رسول الله ﷺ على شدة مرضه كان مواسياً لها.. يُهوّن عليها حزنها.. ويطلب منها أن لا تجزع.. ولا تتألم على أمر أراده خالق الأنفس وبارئها... ولا اعتراض على إرادة الله سبحانه وتعالى..

ثم إنه عليه الصلاة والسلام... أوصى بها، وكرر ما قاله في حقها.. وأوصى بآل بيته خيراً..

... صاحت فاطمة الزهراء.. صيحة حزن شديدة... ومن أعماق قلبها:

(يا رسول الله.. فديتك نفسي.. يا نبي الله.. يا أبتاه.. على الدنيا بعدك الهوان...)

وتعالى وراء صراخها، الصراخ والعويل من قبل آل النبي ﷺ وصحابته.. وفي مقدمتهم الإمام علي الذي كان رأس رسول الله الكريم ﷺ في حجره.. وكذا الحسن والحسين.. والسيدة عائشة.. وأبو بكر.. وعمر رضي الله عنهم جميعاً..

دموع الأسى، والألم.. تنهار سيولاً من أعينهم... تختلط مع حرارة الحزن وعظم المصيبة.. وهول الرزية.. وذهول من كان لا يصدق أن النبي ﷺ قد مات.. أو من كان لا يريد أن يصدق ذلك...

إنا لله.. وإنا إليه راجعون... تلك الكلمات كانت تتصاعد من أفواه الحاضرين.. ومعها لا حول ولا قوة إلا بالله العلي العظيم.. نعم على الدنيا الهوان، بعدك يا رسول الله.. كما قالتها فاطمتك.. الزهراء... السيدة التي كانت أحب الناس إليك..

لقد فقدت الدنيا.. الدنيا كلها خاتم المرسلين، وسيد الكائنات.. ونبي الرحمة.. كان ذلك في أوائل السنة الحادية عشرة للهجرة..

﴿وَمَا مُحَمَّدٌ إِلَّا رَسُولٌ قَدْ خَلَتْ مِن قَبْلِهِ ٱلرُّسُلُ أَفَإِيْن مَّاتَ أَوْ قُتِلَ ٱنقَلَبْتُمْ عَلَىٰٓ أَعْقَٰبِكُمْ وَمَن يَنقَلِبْ عَلَىٰ عَقِبَيْهِ فَلَن يَضُرَّ ٱللَّهَ شَيْـًٔا وَسَيَجْزِى ٱللَّهُ ٱلشَّٰكِرِينَ﴾ [سورة آل عمران، الآية: ١٤٤].

.. بدأت أيام الحزن عند فاطمة الزهراء.. بفقدانها لأبيها الذي كان لها وللمسلمين صرحاً شامخاً.. وقدوة عظيمة لهم..

بعده. لم تعرف الابتسامة طريقاً لها على محيا الزهراء..

ولم تُفارق عينيها دموع ذكراه الخالدة في نفسها.. العميقة في أعماق قلبها..

كانت دائمة الزيارة لقبر والدها.. ومثواه... تناجيه وتخاطبه.. بل تعرض عليه همومها شاكية له ما أصابها بعده..

٤ تركة رسول الله ﷺ.. ومنها (فدك)

سُئل أحد أحفاد رسول الله ﷺ.. وهو (علي بن موسى الرضا).. هل ترك جدك محمد ﷺ تركة، غير أرض فدك؟

أجاب: (نعم ستة أفراس.. وثلاث نوق: «العضباء.. الصهباء. والديباج» وبغلتين: الشهباء.. والدلدك.. وحماره «يعفور»

شاتين حلوبتين.. أربعين ناقة حلوباً.. وسيفه مع درعه... وعمامته.. خاتم.. وعباءتين قطنيتين.. وفراشاً..

وكذلك ترك البيوت، التي كانت كل زوجة من زوجاته تسكنه..

وهن أمهات المؤمنين: «السيدة عائشة.. السيدة أم سلمة.. السيدة زينب.. والسيدة أم حبيبة».

.. لم يذكر علي بن موسى الرضا، كيفية تقسيم تركة الرسول ﷺ من التركة التي ذكرها عدا مساكن زوجاته..

والمعلوم أنها، وأعني التركة، قد ورثها الورثة دون أن تضاف إلى بيت مال المسلمين.. عدا عمامته.. خاتمه.. سيفه.. ودرعه.. كان قد أوصى بها إلى الإمام علي..

أما المساكن.. فقد بقيت كل زوجة في مسكنها الذي سكنته في حياة النبي ﷺ حيث مُلكت كل زوجة سكناها.. وبقين كل واحدة منهن فيه..

وقد أقرت فاطمة الزهراء ذلك.. باعتبارها وريثة من الورثة.. للحفاظ على أمهات المؤمنين.. وتكريماً لمكانتهن بين المسلمين..

وهذا يعني أن أمهات المؤمنين أزواج رسول الله ﷺ.. ورثن بيوتهم..

بكل محتوياتها. . إضافة إلى ما تركه النبي ﷺ لهن من تركة مر ذكرها. . علماً أن الرواة لم يذكروا كيفية تقسيمها!!

نعم ورث ورثة رسول الله ﷺ، ما ورثهم من إرث. . .

سوى. . . سوى فدك. . !!

وفدك. . هي أرض زراعية مثمرة النخيل، والبساتين. . تقع في قرية فدك، التي تبعد فراسخ معدودة عن يثرب. . أي مسيرة يومين عنها. . وهي كانت مملوكة لليهود. . سكنوها منذ زمن بعيد. . . وزرعوها. .

عند فتح المسلمين لخيبر في العام السابع للهجرة. . خاف أهل فدك من المسلمين . . وساورهم الرعب منهم. . .

وخوفاً من المصير الذي آلت إليه (خيبر). . رغم الاحتياطات التي احتاط لها أهل خيبر. .

أرسل أهل فدك رسولاً منهم إلى رسول الله ﷺ يصالحونه مسبقاً دون قتال. . لقاء إعطائه نصف فدك. . وكانت ملكاً كبيراً، وأرضاً واسعة الأطراف. .

قَبلَ الرسول ﷺ ذلك. . حيث أصبحت خالصة له وحده. . لأنه لم يوجف عليها بخيل، ولا ركاب. . ولم يأخذها المسلمون بمعارك أو قتال. . لذا فلا تُقسم قسمة الغنائم. .

ويقال أن النبي ﷺ، بعث إلى أهالي فدك (محيصة بن مسعود) يدعوهم إلى الدخول في الإسلام. . إلا أنهم رفضوا ذلك. . وصالحوه على فدك. . وقبل ﷺ منهم ذلك وأخذها النبي ﷺ. . وغرس بيده الكريمة إحدى عشرة نخلة. .

ذكر البلاذري. . أن يهود فدك سلموا نصف فدك للنبي ﷺ، مقابل الصلح. . . أو أنهم أعطوه نصف الأشجار والثمار. .

إذن ففدك. . هي من الأموال الخالصة لرسول الله ﷺ. . لأنها غُنمت من غير أن يوجف عليها بخيل، ولا ركاب (كما أسلفنا). .

وتطبيقاً لقوله تعالى: ﴿وَمَآ أَفَآءَ ٱللَّهُ عَلَىٰ رَسُولِهِۦ مِنۡهُمۡ فَمَآ أَوۡجَفۡتُمۡ عَلَيۡهِ مِنۡ خَيۡلٖ وَلَا رِكَابٖ وَلَٰكِنَّ ٱللَّهَ يُسَلِّطُ رُسُلَهُۥ عَلَىٰ مَن يَشَآءُۚ وَٱللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَيۡءٖ قَدِيرٞ

﴿مَّآ أَفَآءَ ٱللَّهُ عَلَىٰ رَسُولِهِۦ مِنْ أَهْلِ ٱلْقُرَىٰ فَلِلَّهِ وَلِلرَّسُولِ وَلِذِى ٱلْقُرْبَىٰ وَٱلْيَتَـٰمَىٰ وَٱلْمَسَـٰكِينِ وَٱبْنِ ٱلسَّبِيلِ كَىْ لَا يَكُونَ دُولَةًۢ بَيْنَ ٱلْأَغْنِيَآءِ مِنكُمْ ۚ وَمَآ ءَاتَىٰكُمُ ٱلرَّسُولُ فَخُذُوهُ وَمَا نَهَىٰكُمْ عَنْهُ فَٱنتَهُوا۟ ۚ وَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ ۖ إِنَّ ٱللَّهَ شَدِيدُ ٱلْعِقَابِ﴾ [سورة الحشر، الآيتان: ٦ و٧].

كان رسول الله ﷺ يأخذ من ثمار فدك، ما يسد عيشه.. وآل بيته.. وكذلك ينفق منها على الفقراء من بني هاشم من ذوي القربى... وعلى اليتامى.. وكذا المساكين..

وبما أن فدك هي ملك خالص للنبي ﷺ.. إذن فله الحق.. كل الحق أن يتصرف بها تصرف المالك.. كما يشاء.. أو يهبها لمن يشاء..

لم يجد رسول الله ﷺ، أحب إلى نفسه الكريمة من فاطمة وزوجها وبنيهما..

فأهدى تلك الأرض لهم.. وعلى وجه التخصيص أهداها إلى فاطمة الزهراء، حيث كانت تأخذ منها ما يقيم أود عائلتها من النزر اليسير لمدة عام.. أما الباقي، فتنفقه كما كان ينفقه أبوها محمد ﷺ...

عندما تولى الخلافة الخليفة أبو بكر الصديق (رض).. بعد انتقال النبي ﷺ إلى الرفيق الأعلى.. استولى على أراضي فدك.. وسرّح ناظرها الذي نصبته فاطمة لتولي شأن إدارتها.. وعين الخليفة إدارة جديدة لها من قِبله.. وألحقها ببيت مال المسلمين..

جاءه الإمام علي كرم الله وجهه.. محتجاً على ذلك... بعد أن علم ما كان..

فاحتج الخليفة مبرراً اجتهاده بما قام به.. إنه سمع رسول الله ﷺ يقول:

«إنا معشر الأنبياء لا نُورث.. وما تركناه فهو صدقة...».

أجابه الإمام علي (ع):

«إن ما رواه هو، من أحاديث الآحاد التي يرويها هو وحده دون غيره من صحابة رسول الله ﷺ..

ولو أن النبي ﷺ أراد ذلك لأخبرنا نحن ورثته بالعلم.. والإيمان...
والتقوى... وورثته بما تركه من إرث وتركة»

ثم إن الله سبحانه وتعالى قال في كتابه الكريم:

﴿وَوَرِثَ سُلَيْمَٰنُ دَاوُۥدَ﴾ [سورة النمل، الآية: ١٦].

وقوله تعالى على لسان نبيه زكريا (ع):

﴿فَهَبْ لِي مِن لَّدُنكَ وَلِيًّا يَرِثُنِي وَيَرِثُ مِنْ ءَالِ يَعْقُوبَ وَٱجْعَلْهُ رَبِّ رَضِيًّا﴾ [سورة مريم، الآية: ٥ و٦] وقوله تعالى في محكم كتابه العزيز:

﴿يُوصِيكُمُ ٱللَّهُ فِىٓ أَوْلَٰدِكُمْ لِلذَّكَرِ مِثْلُ حَظِّ ٱلْأُنثَيَيْنِ﴾ [سورة النساء، الآية: ١١].

وهذه الآية الكريمة عامة، لا استثناء فيها لنبي.. أو غير نبي!!

إلا أن الخليفة أبو بكر (رض).. أصرّ على موقفه، واجتهاده.. مستنداً على ما احتج به من حديث سمعه، هو وحده من رسول الله ﷺ..

قال الإمام علي (ع) في نهجه.. نهج البلاغة..

«بلى كانت في أيدينا فدك من كل ما أظلته السماء، فشحت عليها نفوس قوم.. وسخت عنها نفوس قوم آخرين، ونعم الحكم الله...
وما أصنع بفدك، وغير فدك والنفس مظانُّها في غد جدث (القبر)، تنقطع في ظلمته آثارها.. وتغيب أخبارها»[1].

... أقول أن ما احتج به الإمام علي بن أبي طالب كرم الله وجهه من الآيات القرآنية الكريمة.. وما قاله بعدها.. وما ادعى به عنها.. لا يمكن أن يكون هناك أدنى شك في صحة ادعائه.. وصدق أقواله.. وهو أعلم الناس والمسلمين بعلم المواريث... وأحفظهم للأحاديث.. أقدمهم إسلاماً.. وأكثرهم إيماناً... وأقضاهم أحكاماً..

(١) نهج البلاغة ـ محمد عبده ج٣ ص٧١.

هو الذي باع دنياه بآخرته.. العالِم بكل آية.. متى نزلت... وأين وفيمن نزلت.. وتفاصيل معانيها وحكمها وأحكامها.. وقد قال في ذلك:

«والله ما نزلت آية إلا وقد علمت فيم نزلت، وأين نزلت.. وعلى من نزلت إن ربي وهب لي قلباً عقولاً.. ولساناً صادقاً ناطقاً»(١).

كما قال عنه أستاذه العظيم محمد ﷺ:

«علي باب علمي، ومبين لامتي ما أرسلت به من بعدي»(٢).

ثم إنه استفتاه صحابة رسول الله ﷺ جميعاً في أمور دينهم.. ودنياهم.. فالخليفة الأول.. أول من كان يستشيره ويستفتيه.. ويعمل... بما يشيره ويفتيه!!

لم يخالف له رأياً.. إلا ما أبداه له.. عن فدك!!

كذلك كان يفعل الخليفة الثاني عمر بن الخطاب (رض)، الذي أيد ما ذهب إليه الخليفة الأول بما قرره بأمر فدك!... دون أن يسمع ذلك الحديث... أو يؤيد سماعه من النبي ﷺ... بل ساند ما استند إليه أبو بكر (رض).. في حديث للرسول ﷺ.. رسول الله ﷺ الذي قال:

«إذا جاءكم حديث عني فاعرضوه على كتاب الله.. فإن وافق كتاب الله فاعملوا به.. وإن خالف كتاب الله.. فاضربوا به عرض الجدار..».

ومعارضة هذا الحديث لأحكام كتاب الله واضحة المعالم.. إضافة لروايته الآحادية المنفردة.. لم يسند أحد من الصحابة ذلك الحديث الذي يناقض النقل والعقل.. وأحكام الآيات القرآنية الكريمة.. والحديث لا ينسخ الآيات التي وردت في القرآن حول التركة والإرث..

والحديث الذي يخالف القرآن لا اعتبار له.. إنما الأحاديث المعتبرة هي الأحاديث التي جاءت موافقة لأحكام الكتاب..

---

(١) أخرجه ابن سعد.

(٢) أخرجه أبو نعيم في (الحلية) والحاكم وابن عساكر والديلمي.

ثم هل من الممكن القول أن الإمام علياً يدعي غير الحق.. وهو الذي كان دائماً مع الحق!! والحق معه يدور.. كما قال عنه رسول الله ﷺ!!

والسيدة فاطمة.. الزهراء.. بنت محمد ﷺ نبي الله ورسوله.. التي بشرها أبوها أن تكون من خيرة نساء العالمين في الدنيا والآخرة...

وأن تكون ذرية النبي ﷺ منها.. ربيبة رسول الله ﷺ وتلميذته.. والتي كان يسميها: (أم أبيها..).

تلك الصديقة الطاهرة.. النقية.. التقية الفاضلة.. هل يجوز لها أن تدعي بما ليس لها!!.. أو تجادل في حق ليس لها فيه حق.. أو تطالب بحق غير حقها!!

هل من الممكن أن تكون تلك البتول تجافي الحق، وتخالف تعاليم الدين الحنيف... أو تخالف ما أوصى بها خاتم الأنبياء!

فإن كان الأنبياء لا يورثون.. ويتركون ما تركوا صدقة... فكيف لها تخالف أحكام الأنبياء والرسل!!

وهيهات لآل بيت النبوة مخالفة تعاليم النبوة.. لاسيما الإمام علي وعقيلته الزهراء.. اللذان عاشا مع ذلك النبي العظيم.. سيد الكائنات والبشرية جمعاء.. وخاتم المرسلين.. وهما مَنْ اقتديا به.. وانتهلا من علمه.. وإيمانه.. وتقواه..

ثم إن الإمام علياً (ع).. وفاطمة بنت محمد.. من آل بيت رسول الله ﷺ الذين أذهب الله عنهم الرجس وطهرهم تطهيرا.. تطبيقاً للآية الكريمة:

﴿إِنَّمَا يُرِيدُ ٱللَّهُ لِيُذْهِبَ عَنكُمُ ٱلرِّجْسَ أَهْلَ ٱلْبَيْتِ وَيُطَهِّرَكُمْ تَطْهِيرًا﴾ [سورة الأحزاب، الآية: ٣٣].

تلك الآية التي نزلت في حق النبي ﷺ.. وعلي.. وفاطمة.. والحسن.. والحسين.. وهذا ما أجمع عليه المسلمون كافة على اختلاف مذاهبهم ونحلهم.. وهي تعني إذهاب الرجس عنهم بكل أشكاله.. بما فيه من ذنوب ومعاصٍ ورذائل.. ومخالفة الشريعة السمحاء..

فأهل البيت طهرهم الله سبحانه وتعالى.. طهارة روحية، غسلت العقل

والقلب.. فلم تترك لوساوس الشيطان، ولا ارتكاب المعاصي والآثام مكاناً في نفوسهم.. ولا للتعلق بالدنيا طمعاً.. ولا للكسب غير المشروع لهم هماً..

فكيف بالزهراء البتول.. ابنة الرسول العظيم ﷺ.. تدعي بما ليس لها من حق.. وتطلب من الخليفة بما لا يرضي الله سبحانه وتعالى.

لذا فإن شهادتيهما.. وأعني الإمام علي.. وفاطمة.. لا تقبل الجدل ولا التمحيص.. ولا حتى الرد.. لأنهما يحملان خُلق رسول الله ﷺ.. في صدقه.. وأمانته.. وإيمانه.. وقد قال علي بن أبي طالب عن فدك لاحقاً مؤكداً على حق زوجته فيها.. وذلك عندما توجه إلى قبر رسول الله ﷺ.. مخاطباً له، بعد دفنه للسيدة فاطمة:

«... فبعين الله تدفن ابنتك سراً.. ويهتضم حقها قهراً.. ويُمنع إرثها جهراً..».

.. ثم إن السيدة فاطمة الزهراء قالت لأبي بكر (رض) أن أباها وهبها أرض فدك.. فهي لم تكن إرثاً.. بل هي هبة لها منه..

وهذا ما هو ثابت من الوقائع والأحداث... لأنها وحدها هي التي طالبت بفدك دون ورثة النبي ﷺ الآخريين..

وطلب الخليفة منها شهوداً.. فاستشهدت بزوجها علي بن أبي طالب.. والسيدة أم أيمن..

رد عليها الخليفة.. إن الشهادة التامة يجب أن تكون من رجلين.. أو رجل وامرأتين.

لكن الإمام علي أفتى له (وهو أقضى المسلمين جميعاً بعد النبي ﷺ) أن الشهادة ممكنة برجل.. وامرأة واحدة مع حلف اليمين.. وتجوز بشاهد واحد مع حلف اليمين.. ومع ذلك رد أبو بكر (رض) هذا الرأي..

وأَصرَّ على رأيه... وقرر أن تعود فدك إلى بيت مال المسلمين... مكرراً ما كرره وأعاد ما قاله من قول سمعه من رسول الله ﷺ... (نحن الأنبياء لا نوّرث...)

بعد حين جاء الخليفة الأول مع عمر بن الخطاب رضي الله عنهما.. لزيارة السيدة فاطمة الزهراء ليرضيها.. بعد أن نزع ملكية فدك منها..

فاستأذناها للدخول.. فلم تأذن لهما!!

إلا أن زوجها علي ابن أبي طالب (ع) أذن لهما أن يزوراها.. بعد أن كلماه.. وطلبا منه ذلك...

وبعد أن كلمها.. وطلب منها الإذن لهما بزيارتها..

قال لها أبو بكر.. بعد أن سلّم عليها:

(يا حبيبة رسول الله... والله إن قرابة رسول الله أحب إلي من قرابتي.. وإنك لأحب إلي من عائشة ابنتي..

ولوددتُ يوم مات أبوكِ إني متُ، ولا أبقى بعده...

أفتراني أعرفك، وأعرف فضلك.. وشرفك.. وأمنعك حقكِ، وميراثك من رسول الله!!

إلا إني سمعت أباكِ رسول الله ﷺ يقول:

نحن الأنبياء لا نوّرث ذهباً، ولا فضة، ولا داراً، ولا عقاراً..

وإنما نورّث الكتاب، والحكمة، والعلم، والنبوة... وما تركناه فهو صدقة..).

فقالت الزهراء لأبي بكر وعمر:

(أرأيتكما إن حدثتكما حديثاً عن رسول الله ﷺ.. تعرفانه... وتعملان به؟)

قالا: نعم... فقالت:

(نشدتكما الله، ألم تسمعا رسول الله ﷺ يقول:

«رضا فاطمة من رضاي.. وسخط فاطمة من سخطي..

فمن أحب فاطمة ابنتي فقد أحبني.. ومن أرضى فاطمة ابنتي فقد أرضاني... ومن أسخط فاطمة فقد أسخطني!!».

قالا: نعم.. سمعناه من الرسول ﷺ...

قالت:

(فإني أشهد الله وملائكته، أنكما أسخطتماني.. وما أرضيتماني.. ولئن لقيتُ النبي لأشكونكما إليه..).

فقال أبو بكر:

(أنا عائذ بالله تعالى من سخطه وسخطكِ يا فاطمة..!!).

فقالت لأبي بكر:

(والله... لا أكلمك أبداً..)[1].

ماذا يعني سكوت أمهات المؤمنين عن فدك..!

... يقول الخليفة الأول... أبو بكر (رض) في معرض مخاطبته لفاطمة بنت رسول الله ﷺ في كلامه الذي مر ذكره.. والذي يقول فيه نقلاً عن النبي ﷺ:

(.... نحن الأنبياء لا نورث ذهباً... ولا فضة.. ولا داراً.. ولا عقاراً..).

أقول.. إن أبا بكر (رض) ترك أمهات المؤمنين.. زوجات رسول الله ﷺ.. كل واحدة منهن ترث من النبي ﷺ بيتها.. ومحتوياته التي كانت تسكنه!!

ثم إنه لما حضرته الوفاة.. أوصى أن يدفن في بيت رسول الله ﷺ إلى جانب النبي ﷺ بعد أن استأذن ابنته.. السيدة عائشة، أم المؤمنين.. زوج الرسول ﷺ باعتبارها هي مالكة لذلك البيت الذي ورثته من إرث زوجها..

إستأذنها لتوافق أن يدفن بعد موته في بيتها.. المدفون فيه النبي ﷺ.. وأذنت له بذلك... كما أذنت بعده بدفن الخليفة الثاني عمر بن الخطاب (رض) إلى جانب زوجها وأبيها في بيتها..

---

(١) علي إمام المتقين - عبد الرحمن الشرقاوي - ج١ ص٧٠.

بينما منعت الحسين بن علي بن أبي طالب، بدفن أخيه الحسن عند موته معهم!!

فلو أن ذلك البيت أو الحجرة التي دفن بها الرسول ﷺ مالاً من أموال المسلمين.. لأصبحت الحاجة إلى أخذ موافقة السيدة عائشة منتفية.. منتفية تماماً!!

فليس لها أن توافق على دفن ذاك في ذلك البيت المؤآل إلى المسلمين.. ولا حق لها في منع هذا من الدفن فيه!!

وهذا يعني أن أم المؤمنين السيدة عائشة (رض)... ورثت بيتها عن النبي ﷺ... ذلك البيت الذي عاش به... ودُفن فيه..

وكذلك بقية تركة رسول الله ﷺ التي مر ذكرها في صدر هذا الموضوع.. ورثها ورثتُهُ.. دون أن تضاف إلى بيت مال المسلمين..

فلو كان الرسول ﷺ قد قال ما قاله أبو بكر (رض).. لكان أولى بربيبه وتلميذه علي بن أبي طالب.. وربيبته.. ابنته فاطمة، أن يعلما ذلك.. وهما اللذان يحفظان عنه كل ما قاله وما نقله!!

وفدك.. على ما يظهر من سير الأحداث.. وما يرويه المؤرخون، كانت ملكاً لفاطمة الزهراء... بعد أن وهبها لها أبوها ﷺ..

ويؤيد ذلك، سكوت زوجات النبي ﷺ عن المطالبة بحصتهن.. أو حقهن في فدك.. فيما لو كانت ضمن تركة رسول الله ﷺ... وغير مملكة لفاطمة

بينما حصلْت.. بل طالبت كل واحدة من أمهات المؤمنين حقها في التركة.. ومنها البيت الذي تسكنه وما يحتويه...

ومجرد سكوتهن عن فدك.. كتركة فيما لو كانت تركة.. يؤيد علمهن بواقعة الهبة.. ويؤيد ذلك أيضاً قول الإمام علي... بعد حين:

«بلى كانت في أيدينا فدك»..

وهذا يعني.. في أيدينا... في حوزتنا.. أي حيازة ملكية فدك..

وحيازتهم لما تُدُره فدك من غلال والحيازة خير سند للملكية. . وإلا لماذا كانت في أيديهم. . . ولم تكن في أيدي النبي ﷺ!!

ثم لِمَ لَمْ يضم النبي ﷺ ملكية فدك إلى بيت مال المسلمين في حياته. . !! ولماذا جعلها في يد فاطمة وعلي!!

. . نعم قول الإمام علي. . في أيدينا فدك. . هي خير شهادة لخير شاهد وكفى بقوله. . . وشهادته إثباتاً ودليلاً. . . وهو إمام المؤمنين. . إمام المتقين. . وإمام المساكين. .

وأيدت تلك الشهادة التي لا تحتاج إلى تأييد، شهادة السيدة أم أيمن. .

وفي رأينا، إنه عندما يقع خلاف في حقٍ ما. . يفترض أن يلتجأ المتخاصمون إلى التحكيم أو القضاء للقضاء على ذلك الخلاف. . وإعادة الحق إلى من له الحق فيه. . دون سواه. .

لكن الزهراء. . بنت رسول الله ﷺ وربيبته. . جُردت من هذا الحق أيضاً!!

كما أن مطالبة السيدة فاطمة الشديدة. . والدفاع الحار عن حقها في فدك. . ومناقشاتها الواسعة المقرونة بأوسع الحجج للخليفة الأول. . وخطبتها الشهيرة (التي سنذكرها كاملة) التي أوردت بها حججها وأسانيدها لملكيتها. .

وكذلك سخطها على أبي بكر. . وعمر. . ومقاطعتها لهما. . وعدم رضاهاعنهما. . لهو دليل آخر يضاف إلى الأدلة المتقدمة. . أن فدك. . هي ملك لها. . وهبها لها أبوها. . وبالتالي لا تدخل ضمن التركة. .

ومَنْ يشعر بحق خالص له من حقوقه قد سُلب منه دون وجه حق. . يتألم غاية الألم. . ويأسى غاية الأسى. . ويدافع عنه دفاع المظلومين. . لاسيما أنها شعرت أيضاً. . . أن قرار الخليفة كان قراراً سياسياً. . خالف به ما ينبغي أن يُطبق من أحكام الإرث. . وتلك سنة رسول الله ﷺ فيما استنه في حياته بأمر من ربه سبحانه وتعالى. .

﴿وَمَآ ءَاتَىٰكُمُ ٱلرَّسُولُ فَخُذُوهُ وَمَا نَهَىٰكُمْ عَنْهُ فَٱنتَهُوا۟ ۚ وَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ ۖ إِنَّ ٱللَّهَ شَدِيدُ ٱلْعِقَابِ﴾ [سورة الحشر، الآية: ٧] وحتى لا يكون ذلك سابقة في الإسلام لمخالفة أحكام الله ورسوله. .

فهي إذن تطالب في فدك دفاعاً عن شريعة الإسلام (أولاً) . . وعن حقها فيها (ثانياً) . .

دافعت السيدة البتول عن حقها الشرعي من خلال مفهومين . . أو جانبين . . هما:

أولاً: جانب . . أو مفهوم الهبة . . حيث كانت فدك ملكاً خالصاً لها . . بعد أن وهبها لها أبوها ﷺ . . وقد بينا طرق دفعها . . وإثباتاتهافي ذلك . . .ابتداء من خير شهادة لخير شاهد . . وهو الإمام علي . . إلى ما قدمته من وسائل ثبوتية لتثبت حقها فيها . . .

ثانياً: الجانب الآخر . . . من خلال السبب الوراثي . . حيث هي الوريثة الرئيسة في وراثة تركة أبيها . . وأبوها ﷺ كسائر الأنبياء يرث . . ويورث . . وهو كبقية المسلمين . . . عليه تنطبق تطبيقات الشريعة الإسلامية السمحاء . .

بل هو أول من يلتزم بها . . ويعمل بمبادئها دون استثناء . . وهو القدوة في تنفيذها . . ولا نجد ما يؤيد خلاف ذلك!!

فإن كان . . فالإمام علي في مقدمة العالمين به!!

لا يحيد عنه . . ولا يجانبه أبداً . . لأنه لا يمكن أن يكون في موقف مخالف لرسول الله ﷺ . . وبالتالي يخالف المبادىء التي قاتل عنها مدافعاً . . وضحى لها من أجل رفع رايتها خفاقة إلى أبد الآبدين!!

ذكر ابن أبي الحديد في شرحه لنهج البلاغة . . نقلاً عن السيدة أم هانيء . . إن فاطمة بنت رسول الله ﷺ، قالت لأبي بكر (رض):

- من يرثك إذا مت؟ قال:

- ولدي وأهلي . . . قالت:

- فما بالك ترث رسول الله دوننا!! قال:

- يا ابنة رسول الله، ماورث أبوك داراً، ولا مالاً، ولا ذهباً، ولا فضة . . قالت:

- وسهم الله الذي جعله لنا . . وصار فيئنا الذي بيدك!! فقال:

- سمعت رسول الله يقول:

(إنما هي طعمة أطعمنا الله، فإذا مت كانت بين المسلمين . .) . . .

(سهم الله).. الذي ذكرته السيدة الزهراء.. هو بقية خمس خيبر.. حيث افتتح المسلمون خيبر في السنة السابعة من الهجرة الشريفة.. فكانت من الأراضي المفتوحة.. التي أصبحت للمسلمين.

فقسم النبي ﷺ الأموال المنقولة منها بين المقاتلين... وأبقى خمسها للمصارف المعينة التي نصّ عليها كتاب الله سبحانه وتعالى:

﴿وَٱعۡلَمُوٓاْ أَنَّمَا غَنِمۡتُم مِّن شَيۡءٖ فَأَنَّ لِلَّهِ خُمُسَهُۥ وَلِلرَّسُولِ وَلِذِي ٱلۡقُرۡبَىٰ وَٱلۡيَتَٰمَىٰ وَٱلۡمَسَٰكِينِ وَٱبۡنِ ٱلسَّبِيلِ﴾ [سورة الأنفال، الآية: ٤١].

فكان النبي ﷺ يُقسم الخمس من الغنائم على اليتامى... والفقراء.. وأبناء السبيل.. ثم يأخذ قوته منه.. وينفق الباقي في سبيل الله.. وكذلك فعل في خمس غنائم خيبر... أموالها.. وأراضيها(١).

أما بعد وفاة النبي ﷺ مُنعت فاطمة من حقها في فدك... ومن بقية حقها في خمس خيبر..

وكذلك بني هاشم من سهم ذوي القربى.

... من كل ما تقدم نرى أن السيدة فاطمة الزهراء.. سيدة نساء العالمين وحبيبة أبيها... قدمت.. وعرضت كثيراً من الحجج والبراهين، لإثبات حقها فيما كانت تطالب به.. ومن تلك الحجج والبراهين، الآيات القرآنية الكريمة.. وشهادات موثقة لخير شهود...

أما الخليفة أبو بكر (رض)... لم يرد على تلك الحجج والإثباتات سوى ما كان يكرره من قول.. يقول ما سمعه عن رسول الله ﷺ وهو:

(نحن الأنبياء لا نورث ذهباً.. ولا فضة.. ولا داراً...).

.. بعد ذلك بأجيال.. عندما وصل إلى الخلافة الخليفة العادل (عمر بن العزيز) أعاد فدك إلى ورثة السيدة فاطمة الزهراء باعتبارها صاحبة الحق فيها.. حيث أمر واليه في المدينة المنورة أن يُنفذ هذا..

(١) السيرة النبوية لابن هشام ج٢.

وهذا هو مؤشر يؤيد ما طالبت به الزهراء... ولو بعد حين!!..

ذكر الدكتور نوري جعفر في تعليقه على هذا الموضوع الذي نحن بصدده.. قال:

كان على الخليفة (الأول) وقد أرتأى انتزاعها (فدك) منها - أن يبقيها تحت تصرفها مجاملة للرسول ولها.. ويقترح - في حالة اختلافه معها - إنفاق بعض غلتها في وجوه الخير التي يتفق عليها الطرفان.. هذا إذا سلمنا جدلاً بأنها لا ترث أباها.. وأن النبي ﷺ لم يهبها إياها في حياته..

كما كان على الخليفة كذلك من الناحية القانونية العرفية، وقد قرر أن ينتزعها من السيدة، إن يستبقيها في يدها إلى أن يثبت له عدم أحقيتها بها[١]...

(١) علي ومناوئوه - د. نوري جعفر ص٥٢.

٥ خطبة الزهراء.. البليغة

ونحن بصدد.. الزهراء.. وحقها في فدك.. نرى لزماً علينا ذكر خطبتها كاملة..

تلك الخطبة العصماء البليغة.. ليلمس القارىء من خلالها مدى علمها.. وإيمانها.. وبلاغتها... وسعة معرفتها بدين أبيها ﷺ وتفقهها به أولاً..

وللرد من خلالها على مَنْ يدعي أن الإسلام انتقص من مكانة المرأة في مجتمعه ثانياً.. فهذه السيدة فاطمة الزهراء... سيدة نساء العالمين، تقف أمام جمهرة من المسلمين.. تخطب.. وتناقش.. وتدافع عن حقوقها بموضوع واحد من أهم الأمور التي صادفتها بعد رحيل رسول الله ﷺ..

دخلت تلك السيدة الجليلة المهابة.. على الخليفة أبي بكر (رض).. ومعه حشد من المهاجرين والأنصار والصحابة... وجمع من بقية المسلمين.. وهي محاطة بآل بيت رسول الله ﷺ.. في موكب مهيب.. وابتدأت.. وبادرت بعد أن سكت كل من كان هناك حاضراً.. احتراماً لمكانتها... ولموقعها من أبيها والمسلمين..

وليستمع الحاضرون إلى ما ستقوله من هي أكثرهم شبهاً وخُلقاً بنبيهم ﷺ.. فقالت:

(... الحمد لله على ما أنعم... وله الشكر على ما ألهم.. والثناء بما قدم من عموم نعم ابتدأها.. وسبوغ آلاء أسداها.. وتمام منن أولاها...

جمّ عن الإحصاء عددها.. ونأى عن الجزاء أمدها.. وتفاوت عن الإدراك أبدها.. وندبهم لإستذادتها بالشكر لاتصالها..

وأستحمد إلى الخلائق بإجزالها.. وثنى بالندب إلى أمثالها..

وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له..

كلمة جعل الإخلاص تأويلها.. وضمن القلوب موصولها.. وأنار في التفكير معقولها.. الممتنع من الأبصار رؤيته.. ومن الألسن صفته.. ومن الأوهام كيفيته.. ابتدع الأشياء لا من شيء كان قبلها..

وأنشأها بلا احتذاء أمثلة امتثلها..

كونها بقدرته.. وذرأها بمشيئته من غير حاجة إلى تكوينها.. ولا فائدة في تصويرها، إلا تثبيتاً لحكمته.. وتنبيهاً على طاعته.. وإظهاراً لقدرته تعبداً لبريته.. وإعزازاً لدعوته..

ثم جعل الثواب على طاعته، ووضع العقاب على معصيته..

زيادة لعباده من نعمته.. وحياشته[1] لهم إلى جنته..

وأشهد أن أبي محمداً ﷺ عبده ورسوله.. اختاره قبل أن أرسله.. وسماه قبل أن اجتباه..

واصطفاه قبل أن ابتعثه.. إذ الخلائق بالغيب مكنونة.. وبستر الأهاويل مصونه.. وبنهاية العدم مقرونة..

علم من الله تعالى بمآلي الأمور.. وأحاط بحوادث الدهور.. ومعرفة بمواقع الأمور.. ابتعثه الله إتماماً لأمره.. وعزيمة على إمضاء حكمه.. وإنفاذاً لمقادير حتمه.. فرأى الأمم فرقاً في أديانها.. عكفاً على نيرانها.. عابدة لأوثانها.. منكرة لله مع عرفانها..

فأنار الله بأبي محمد ﷺ ظلمهم.. وكشف عن القلوب بهمها[2].. وجلى عن الأبصار غُممها[3]..

---

(١) جمعه لهم ودفعهم إلى جنته.

(٢) بهمها: ما غمض من الإمور.

(٣) جمع غمه: المبهم والملتبس.

وقام في الناس بالهداية.. فأنقذهم من الغوايه.. وبصرهم من العماية.. وهداهم إلى الدين القويم.. ودعاهم إلى الطريق المستقيم..

ثم قبضه الله إليه، قبض رأفة واختيار.. ورغبة وإيثار...

فمحمد ﷺ من تعب هذه الدار... قد خُصّ بالملائكة الأبرار.. ورضوان الرب الغفار... ومجاورة الملك الجبار..

صلى على أبي.. نبيه... وأمينه.. وخيرته من الخلق وصفيه.. والسلام عليه ورحمة الله وبركاته..

أنتم عباد الله نصب أمره ونهيه.. وحملة دينه ووحيه..

وأمناء الله على أنفسكم، وبلغائه إلى الأمم.. زعيم حق له فيكم.. وعهد قدمه إليكم.. وبقية استخلفها عليكم...

كتاب الله الناطق... والقرآن الصادق.. والنور الساطع.. والضياء اللامع.. بينة بصائره.. منكشفة سرائره.. منجلية ظواهره..

مغتبطة به أشياعه.. قائداً إلى الرضوان أتباعه.. مؤدٍ إلى النجاة استماعه.. به تنال حجج الله المنورة.. وعزائمه. المفسّرة.. ومحارمه المحذرة.. وبيناته الجالية.. وبراهينه الكافية..

وفضائله المندوبة.. ورخصه الموهوبة.. وشرائعه المكتوبة.. فجعل الله لإيمان تطهيراً لكم من الشرك.. والصلاة تنزيهاً لكم عن الكبر..

والزكاة تزكية للنفس، ونماء في الرزق...

والصيام تثبيتاً للإخلاص.. والحج تشيداً للدين..

والعدل تنسيقاً للقلوب..

وطاعتنا نظاماً للملة.. وإمامتنا أماناً للفرقة...

والجهاد عزاً للإسلام.. والصبر معونة على استجياب الأجر..

والأمر بالمعروف مصلحة للعامة..

وبر الوالدين وقاية من السخط.. وصلة الأرحام منسئة في العمر[١]، ومنماة للعدد.. والقصاص حقنا للدماء.. والوفاء بالنذر تعريضاً للمغفرة..

وتوفية المكاييل والموازين تغييراً للبخس..

والنهي عن شرب الخمر، تنزيهاً عن الرجس..

واجتناب القذف، حجاباً عن اللعنة.. وترك السرقة، إيجاباً للعفة..

وحرم الله الشرك، إخلاصاً له بالربوبية..

فاتقوا الله حق تقاته... ولا تموتن إلا وأنتم مسلمون..

وأطيعوا الله فيما أمركم به ونهاكم عنه... فإنه إنما يخشى الله من عباده العلماء..

أيها الناس:

اعلموا أني فاطمة.. وأبي محمد ﷺ..

أقول عوداً وبدواً.. ولا أقول ما أقول غلطاً.. ولا أفعل ما أفعل شططاً[٢]..

لقد جاءكم رسول من أنفسكم.. عزيز عليه ما عنتم[٣]..

حريص عليكم بالمؤمنين.. رؤوف رحيم..

فإن تعزوه[٤] وتعرفوه، تجدوه (أبي) من دون نسائكم..

و(أخا) ابن عمي دون رجالكم..

ونعم المعزى[٥] إليه ﷺ.. فبلّغ الرسالة صادعاً[٦] بالنذاره[٧].. مائلاً عن

---

(١) مطولة للعمر.

(٢) البعد عن الحق.

(٣) أنكرتم وجحدتم.

(٤) تنسبوه.

(٥) النسب.

(٦) الإظهار.

(٧) الإنذار.

مدرجة[1] المشركين. . ضارباً ثبجهم[2]. .

آخذاً بأكظامهم[3]. . داعياً إلى سبيل ربه بالحكمة والموعظة الحسنة. .

يجف[4] الأصنام. . وينكث إلهام. .

حتى انهزم الجمع، وولوا الدبر. . حتى تفرى الليل عن صبحه[5]. . وأسفر الحق عن محضه. .

ونطق زعيم الدين. . وخرست شقائق[6] الشياطين. .

وطاح وشيظ النفاق[7]. . . وانحلت عقد الكفر والشقاق. .

وفُهتم بكلمة الإخلاص[8]. . . في نفر من البيض الخماص[9]. .

وكنتم على شفا حفرة من النار. .

مذقة الشارب. . ونهزة الطامع. . وقبسة العجلان[10]. . موطن الإقدام. .

تشربون الطرق[11]. . وتقتاتون القد[12]. .

أذلة خاسئين. . تخافون أن يتخطفكم الناس من حولكم. .

فأنقذكم الله تبارك وتعالى بمحمد ﷺ بعد الليتا والتي. .

وبعد أن مني ببهم[13] الرجال. . . وذؤبان العرب. . ومردة أهل الكتاب. .

---

(١) الطريق والمسلك.

(٢) وسط الشيء ومعظمه.

(٣) مخرج النفس من الغم.

(٤) يكسر.

(٥) انشق الليل حتى ظهر وجه الصباح.

(٦) شيء يخرجه البعير من فيه إذا هاج.

(٧) هلك السفله من الناس.

(٨) كلمة التوحيد.

(٩) المراد بهم آل البيت.

(١٠) مثل في الاستعجال.

(١١) المطر.

(١٢) سير يُقد من جلد غير مدبوغ.

(١٣) شجعانهم.

كلما أوقدوا ناراً للحرب، أطفأها الله.. أو نجم قرن الشيطان.. أو فغرت فاغرة[١] من المشركين، قذف أخاه في لهواتها[٢]..

فلا ينكفىء[٣]، حتى يطأ جناحها بأخمصه[٤]... ويخمد لهبها بسفيه..

مكدوداً في ذات الله.. مجتهداً في أمر الله..

قريباً من رسول الله.. سيداً في أولياء الله..

مشمراً، ناصحاً، مجداً، كادحاً..

لا تأخذه في الله لومة لائم..

وأنتم في رفاهية من العيش... وادعون.. فاكهون[٥].. آمنون.. تتربصون بنا الدوائر[٦].

وتتوكفون الأخبار[٧]... وتنكصون عند النزال.. وتفرون من القتال..

فلما اختار الله لنبيه دار أنبيائه.. ومأوى أصفيائه..

ظهر فيكم حسكة[٨] النفاق..

وسمل جلباب الدين.. ونطق كاظم الغاويين.. ونبغ خامل[٩] الأقلين.. وهدر[١٠] فَنيق[١١] المبطلين..

فخطر[١٢] في عرصاتكم.. وأطلع الشيطان رأسه من مغرزه هاتفاً بكم..

---

(١) طائفة منهم.
(٢) اللهاة: اللحمة في أقصى شفة الفم.
(٣) يرجع.
(٤) الأخمص: ما لا يصيب الأرض من باطن القدم.
(٥) ساكنون ناعمون.
(٦) كنتم تنتظرون نزول البلايا علينا.
(٧) تتوقعون أخبار المصائب.
(٨) عداوته.
(٩) من خفي ذكر.
(١٠) الهدير: ترديد البعير صوته في حنجرته.
(١١) الفحل المكرم من الإبل الذي لا يركب.
(١٢) خطر البعير بذنبه: إذا رفعه مرة بعد مرة، وضرب به فخذيه

فألفاكم لدعوته مستجيبين.. وللعزة فيه ملاحِظين..

ثم استهضكم، فوجدكم خفافاً..

وأحمشكم فألفاكم غضاباً[1]..

فوسمتم غير إبلكم.. ووردتم غير مشربكم..

هذا والعهد قريب.. والكلم[2] رصيب[3]..

والجرح لما يندمل.. والرسول لما يُقبر..

ابتداراً زعمتم خوف الفتنة.. ألا في الفتنة سقطوا.. وإن جهنم لمحيطة بالكافرين...

فهيهات منكم.. وكيف بكم.. وأنّىٰ تؤفكون!!

وكتاب الله بين أظهركم.. أموره ظاهرة.. وأحكامه زاهرة.. وأعلامه باهرة.. وزواجره لائحة.. وأوامره واضحة..

وقد خلفتموه وراء ظهوركم..

أرغبة عنه تريدون! أم بغيره تحكمون!!

بئس للظالمين بدلاً..

ومَن يتبع غير الإسلام ديناً، فلن يقبل منه، وهو في الآخرة من الخاسرين.. ثم لم تلبثوا إلا ريث أن تسكن نفرتها[4].. ويسلس[5] قيادها..

ثم أخذتم تورون وقدتها.. وتهيجون جمرتها..

وتستجيبون لهتاف الشيطان الغوي.. وإطفاء أنوار الدين الجلي.. وإهمال سنن النبي الصفي.

---

(١) أي حملكم على الغضب فوجدكم مغضبين لغضبه.

(٢) الجرح.

(٣) واسع.

(٤) نفرت الدابة: جزعت وتباعدت.

(٥) يسهل.

تشربون حسواً[1] في ارتغاء[2]. . .

وتمشون لأهله وولده في الخمرة والضراء. .

ويصير منكم على مثل حزّ المدى[3]. . ووخز السنان في الحشى. .

وأنتم الآن تزعمون أن لا إرث لنا!!

أفحكم الجاهلية تبغون!!

ومن أحسن من الله حكماً لقوم يوقنون. . أفلا تعلمون!!. .

بلى. . قد تجلى لكم كالشمس الضاحية: أني ابنته. .

أيها المسلمون:

أأغلب على إرثي!!. .

يا ابن أبي قحافة:

أفي كتاب الله ترث أباك، ولا أرث أبي!!

لقد جئت شيئاً فرياً. .

أفعلى عمد تركتم كتاب الله، ونبذتموه وراء ظهوركم. .

إذ يقول: ﴿وَوَرِثَ سُلَيْمَٰنُ دَاوُۥدَ﴾ [سورة النمل، الآية: ١٦].

وقال في ما اقتص من خبر يحيى بن زكريا. . إذ قال:

﴿فَهَبْ لِى مِن لَّدُنكَ وَلِيًّا يَرِثُنِى وَيَرِثُ مِنْ ءَالِ يَعْقُوبَ﴾ [سورة مريم، الآية: ٥ و٦].

وقال:

﴿وَأُوْلُواْ ٱلْأَرْحَامِ بَعْضُهُمْ أَوْلَىٰ بِبَعْضٍ فِى كِتَٰبِ ٱللَّهِ﴾ [سورة الأنفال، الآية: ٧٥].

وقال:

---

(١) الشرب شيئاً فشيئاً.

(٢) شرب الرغوة (وحسواً في ارتغاء) هو مثل يُضرب لمن يظهر شيئاً ويريد غيره.

(٣) حز المدى: قطع السكاكين.

﴿يُوصِيكُمُ ٱللَّهُ فِىٓ أَوْلَٰدِكُمْ ۖ لِلذَّكَرِ مِثْلُ حَظِّ ٱلْأُنثَيَيْنِ﴾ [سورة النساء، الآية: ١١].

وقال:

﴿إِن تَرَكَ خَيْرًا ٱلْوَصِيَّةُ لِلْوَٰلِدَيْنِ وَٱلْأَقْرَبِينَ بِٱلْمَعْرُوفِ ۖ حَقًّا عَلَى ٱلْمُتَّقِينَ﴾

[سورة البقرة، الآية: ١٨٠].

وزعمتم أن لا حظوة لي، ولا أرث من أبي.. ولا رحم بيننا..

أفخصكم الله بآية أخرج أبي منها!!

أم هل تقولون:

إنا أهل ملتين لايتوارثان!! أولستُ أنا وأبي من أهل ملة واحدة!!

أم أنتم أعلم بخصوص القرآن وعمومه من أبي وابن عمي!!.

فدونكما مخطومة[١]، مرحولة[٢].. تلقاك يوم حشرك..

فنعم الحكم الله.. والزعيم محمد... والموعد القيامة.. وعند الساعة يخسر المبطلون... ولا ينفعكم إذ تندمون.. ولكل نبأ مستقر..

وسوف تعلمون من يأتيه عذاب يخزيه.. ويحل عليه عذاب مقيم..

(ثم وجهت كلامها نحو الأنصار.. واسترسلت):

يا معشر النقيبة[٣].. وأعضاد الملّة.. وحضنة الإسلام:

ما هذه الغميزة[٤] في حقي؟

والسنةِ[٥] عن ظلامتي؟

أما كان رسول الله ﷺ أبي يقول:

---

(١) الخطام: ما يدخل في أنف البعير ليُقادَ به.

(٢) الرحل: هو للناقة كالسرج للفرس.

(٣) الفتيه.

(٤) ضُعف في العمل.

(٥) (بالكسر) النوم الخفيف.

«المرء يحفظ في ولده».

سرعان ما أحدثتم.. وعجلان ذا إهالة[1]..

ولكم طاقة بما أحاول.. وقوة على ما أطلب وأزاول..

أتقولون مات محمد ﷺ؟

فخطبٌ جليل.. استوسع وهنه[2].. واستنهر[3] فتقه.. وانفتق رتقه.

وأظلمت الأرض لغيبته.

وكسفت الشمس والقمر.. وانتثرت النجوم لمصيبته..

وأكدت[4] الآمال.. وخشعت الجبال..

وأُضيع الحريم.. وأُزيلت الحرمة عند مماته..

فتلك والله النازلة الكبرى.. والمصيبة العظمى..

لا مثلها نازلة.. ولا بائقة[5] عاجلة..

أعلن بها كتاب الله جل ثناؤه.. في أفنيتكم.. وفي ممساكم..

ومصبحكم، يهتف في أفنيتكم هتافاً وصراخاً، وتلاوة، وألحاناً..

ولقبله ما حل بأنبياء الله ورسله..

حكم فصل.. وقضاء حتم..

﴿وَمَا مُحَمَّدٌ إِلَّا رَسُولٌ قَدْ خَلَتْ مِن قَبْلِهِ ٱلرُّسُلُۚ أَفَإِيْن مَّاتَ أَوْ قُتِلَ ٱنقَلَبْتُمْ عَلَىٰٓ أَعْقَٰبِكُمْۚ وَمَن يَنقَلِبْ عَلَىٰ عَقِبَيْهِ فَلَن يَضُرَّ ٱللَّهَ شَيْـًٔاۗ وَسَيَجْزِى ٱللَّهُ ٱلشَّٰكِرِينَ﴾ [سورة آل عمران، الآية: ١٤٤].

---

(١) مثل يضرب لصيرورة الشيء قبل آوانه.

(٢) خرقه.

(٣) اتسع.

(٤) قل خيرها.

(٥) واهمة.

إيهاً بني (قِيلة)[1] . .

أأهضم تراث أبي!! وأنتم بمرأى مني ومسمع ومنتدى[2] ومجمع . . تلبسكم الدعوة . . وتشملكم الخبرة . . وأنتم ذوو العدد والعدة . . والإدارة والقوة . . !!

وعندكم السلاح والجُنّة[3] . .

توافيكم الدعوة، فلا تجيبون . . وتأتيكم الصرخة فلا تغيثون!!

وأنتم موصفون بالكفاح . . معروفون بالخير والصلاح . .

والنخبة التي انتخبت . . والخيرة التي أُختيرت لنا أهل البيت . .

قاتلتم العرب . . وتحملتم الكدَّ والتعب . . وناطحتم الأمم . وكافحتم البهم . .

لا نبرح[4] أو تبرحون . . نأمركم فتأتمرون . .

حتى إذا دارت بنا رحى الإسلام . . ودر حلب الأيام . .

وخضعت ثغرة الشرك . . وسكنت فورة الإفك . .

وخمدت نيران الكفر . . وهدأت دعوة الهرج . .

واستوسق[5] نظام الدين . .

فأنى حزتم بعد البيان؟ . . وأسررتم بعد الإعلان!!

ونكصتم بعد الإقدام؟ . . وأشركتم بعد الإيمان!!

بؤساً لقومٍ نكثوا إيمانهم من بعد عهدهم . . وهموا بإخراج الرسول وهم بدؤكم أول مرة . .

---

(١) قبيلتا الأنصار (الأوس والخزرج).

(٢) المجلس.

(٣) (بالضم) ما أُستتر به من السلاح.

(٤) لا نزال.

(٥) اجتمع.

أتخشوهم في الله أحق أن تخشوه إن كنتم مؤمنين!

ألا وقد أرى أن قد أخلدتم[١] إلى الخفض[٢].. وأبعدتم من هو أحق بالبسط والقبض..

وخلوتم بالدعة[٣].. ونجوتم بالضيق من السعة..

فمججتم ما دعيتم.. ودسغتم[٤] الذي تسوغتم[٥]..

فإن تكفروا أنتم ومَنْ في الأرض جميعاً، فإن الله غني حميد..

ألا وقد قلت هذا على معرفة مني بالجذلة[٦] التي خامرتكم[٧]..

والغدرة التي استشعرتها قلوبكم..

ولكنها فيضة النفس.. ونفثة الغيض.. وخور[٨] القناة[٩]..

وبثة الصدر.. وتقدمة الحِجّة..

فدونكموها فاحتقبوها[١٠]، دبرة[١١] الظهر.. نقبة الخف[١٢]..

بافية العار.. موسومة بغضب الجبار..

وشنار إلى الأبد.. موصولة بنار الله الموقدة، التي تطلع على الأفئدة.. فبعين الله ما تفعلون..

---

(١) ملتم.
(٢) السعة والخصب واللين.
(٣) الراحة والسكون.
(٤) القيء.
(٥) شربهُ بسهولة.
(٦) ترك النصر.
(٧) خالطتكم
(٨) الضعف.
(٩) الرمح.
(١٠) احملوها عل ظهوركم.
(١١) دبر البعير: إصابته الدبرة، وهي جراحة تحدث من الرجل.
(١٢) نقب خف البعير: رق وتثقب.

وسيعلم الذين ظلموا أي منقلب ينقلبون . .

وأنا ابنة نذير لكم بين يدي عذاب شديد . .

فاعلموا إنا عاملون . . وانتظروا إنا منتظرون . . [١].

---

(١) الاحتجاج للطبرسي ج١ ص١٣١ ـ ١٤١.

٦ جواب.. على جواب

بعد أن أنهت السيدة البتول. . فاطمة الزهراء. . بنت سيد المرسلين وخاتم الأنبياء. . تلك الخطبة البليغة التي هزت ذلك المجلس. . والتي بكى لها كثير من المسلمين. . . وتعاطف معها الكثير من الحاضرين. .

نهض الخليفة الأول. . أبو بكر (رض). . ليرد على خطبة أم الحسنين. . عليها سلام الله. فقال في معرض جوابه على كلمتها البليغة. .

بعد أن حمد الله. . وأثنى عليه. . وصلى على نبيه المصطفى (ص):

يا بنت رسول الله. .

لقد كان أبوكِ بالمؤمنين عطوفاً. . كريماً. . رؤوفاً. . رحيماً. .

وعلى الكافرين عذاباً أليماً. . وعقاباً عظيماً. .

إن عزوناه، وجدناه أباكِ. . دون النساء. .

وأخا إلفكِ. . دون الأخلاء. . آثره على كل حميم. . وساعده في كل أمر جسيم. .

لا يحبكم إلا سعيد. . ولا يبغضكم إلا شقي بعيد!!

فأنتم عترة رسول الله الطيبون. . الخيرة المنجبون. .

على الخير أدلتنا. . وإلى الجنة مسالكنا. .

وأنتِ. . يا خيرة النساء. . . وابنة خير الأنبياء. .

صادقة في قولك. . سابقة في وفور عقلك. . غير مردودة عن حقكِ. . ولا مصدودة عن صدقكِ. .

والله ما عدوت رأي رسول الله. . ولا عملت إلا بإذنه. .

والرائد لا يكذب أهله..

وإني أشهد الله.. وكفى به شهيداً..

إني سمعت رسول الله ﷺ يقول:

«نحن معاشر الأنبياء لا نورث ذهباً ولا فضة.. ولا داراً.. ولا عقاراً.. وإنما نورث.. الكتاب.. والحكمة... والعلم.. والنبوة.. وما كان لنا من طعمة، فلولي الأمر بعدنا أن يحكم فيه بحكمه..».

وقد جعلنا ما حاولته في الكراع، والسلاح يقاتل بها المسلمون.. ويجاهدون الكفار. ويجالدون المردة الفُجار..

وذلك بإجماع المسلمين.. لم أنفرد به وحدي..

ولم أستبد بما كان الرأي عندي.. وهذه حالي.. ومالي..

هي لكِ.. وبين يديكِ.. لا تزوى عنكِ.. ولا ندخر دونكِ..

وإنك.. وأنت سيدة أمة أبيكِ.. والشجرة الطيبة لبنيكِ..

لا ندفع مالكِ من فضلك..

ولا يوضع في فرعكِ وأصلكِ... حكمكِ نافذ فيما ملكت يداي..

فهل ترين أن أُخالف في ذلك أباكِ ﷺ[1]!!

... أجابت خِيرة النساء.. وابنة خير الأنبياء..

أجابت السيدة الزهراء على جواب الخليفة.. فقالت:

(سبحان الله!!

ما كان أبي رسول الله ﷺ عن كتاب الله صادفاً.. ولا لأحكامه مخالفاً بل كان يتبع أثره.. ويقفو سوره..

أفتجتمعون على الغدر إعتلالاً عليه بالزور!!

وهذا بعد وفاته شبيه بما بغي له من الغوائل[2] في حياته..

---

(١) المصدر السابق.

(٢) المهالك.

وهذا كتاب الله حكماً عدلاً.. وناطقاً فصلاً.. يقول:

﴿يَرِثُنِي وَيَرِثُ مِنْ ءَالِ يَعْقُوبَ﴾.

ويقول:

﴿... وَوَرِثَ سُلَيْمَٰنُ دَاوُدَ...﴾

وبين عز وجل فيما وزع من الأقساط.. وشرع من الفرائض والميراث.. وأباح من حظ الذكران والإناث..

ما أزاح به علة المبطلين.. وأزال التظني[1] والشبهات في الغابرين..

كلا، بل سولّت لكم أنفسكم أمراً.. فصبر جميل، والله المستعان على ما تصفون!)

بقيت فدك.. كما أراد لها الخليفة أبو بكر (رض) أن تبقى..

مضافة إلى بيت مال المسلمين، بعد أن نُزعت ملكيتها من السيدة البتول..

وهناك رأيٌ يرى.. أن قرار الخليفة.. قراره بمصير فدك.. ما هو إلا قرار سياسي!!.. دوافعه سياسية، إضافة لدوافع أخرى! ونحن نميل إلى الأخذ بهذا الرأي.. ذلك لأن الخليفة استعمل (فدك) كورقة سياسية لإخضاع السيدة فاطمة وزوجها لأوامره، بقصد إرغامهما على مبايعته بالخلافة وبعد أن امتنعا عن ذلك..

ولا نريد الخوض في هذا الموضوع بتفاصيله المفصلة.. وحري بنا أن نذكر الخليفة الصديق (رض).. وهو على فراش الموت.. يودع الحياة بلحظاتها الخاتمة لحياته.. في تلك اللحظات استعبر وبكى.. لأنه يأسى على أكثر من شيء فعلهُ.. وأول ما يأسى عليه.. مما فعل في ترويع فاطمة[2]!!.

إلا أننا نذكر بعض الوقائع التاريخية التي تؤيد الرأي القائل.. إن ذلك القرار. هو قرار سياسي.. وإلا لِمَ فدك وحدها شملها قول الرسول ﷺ دون غيرها من التركة!!

---

(١) التظني: الظنون.

(٢) (علي إمام المتقين) عبد الرحمن الشرقاوي ج١ ص٨٨.

ونضيف أن أرض فدك.. أو مشكلة فدك!! أصبحت مقياساً لقياس درجة علاقة ولاة الأمر بعد خلافة الخليفة الأول (رض).. بآل البيت.. والهواشم! فعلى سبيل المثال:

لما ولي الأمر معاوية بن أبي سفيان.. وهب ثلث فدك إلى عمر بن عثمان بن عفان.. ووهب الثلث الآخر إلى ابنه يزيد بن معاوية...

أما الباقي فكان من حصة.. مروان بن الحكم!!.

وكأن معاوية.. هو الوارث الشرعي لرسول الله ﷺ لا ابنته فاطمة الزهراء.. عليها وعلى أبيها أفضل الصلاة والسلام!!

بعدها صارت كلها إلى مروان بن الحكم، أيام خلافته..

ثم وهبها إلى ابنه عبد العزيز..

ثم آلت إلى ابنه الخليفة عمر بن عبد العزيز.. الخليفة العادل.. وبسبب من إيمانه الشديد.. أعادها إلى ورثة فاطمة.. حيث ردها عمر بن عبد العزيز إلى الحسن بن الحسن بن علي بن أبي طالب..

وعندما تولى يزيد بن عاتكة.. أخذها منهم.. وجعلها في أيدي آل مروان!!

ولما وصلت الخلافة إلى العباسيين سلمها أبو العباس السفاح إلى عبد الله بن الحسن بن الحسن بن علي بن أبي طالب..

ثم تدنت العلاقة مع الهاشميين في زمن أبو جعفر المنصور.. استردها من ولد الحسن!

وعندما وصل المهدي إلى سدة الحكم.. أعادها إليهم!!

ثم.. استردها مرة أخرى منهم.. هارون الرشيد!!

إلى أن جاء ابنه المأمون، وسلم أرض فدك إلى ورثة فاطمة سنة عشرة ومئتين للهجرة..

ولما جاء الخليفة المتوكل إلى الخلافة.. أقطعها إلى عبد الله بن عمر البازيار!!

. . . وهكذا كانت القرارات السياسية هي التي تتحكم في مصير أرض فدك!! أرض فاطمة الزهراء.. التي ورثتها عن أبيها كأي وريث شرعي يرث بموجب أحكام الشرعية الإسلامية السمحاء..

أو كأية مالكة لملك ملّكها.. أو وهبها لها مَن كان يملكها.. وهو أبوها.. رسول الله ﷺ

قال تعالى في محكم كتابه الكريم في سورة مريم، الآية: ٢ ـ ٦.

﴿ذِكْرُ رَحْمَتِ رَبِّكَ عَبْدَهُۥ زَكَرِيَّآ إِذْ نَادَىٰ رَبَّهُۥ نِدَآءً خَفِيًّا قَالَ رَبِّ إِنِّى وَهَنَ ٱلْعَظْمُ مِنِّى وَٱشْتَعَلَ ٱلرَّأْسُ شَيْبًا وَلَمْ أَكُنۢ بِدُعَآئِكَ رَبِّ شَقِيًّا وَإِنِّى خِفْتُ ٱلْمَوَٰلِىَ مِن وَرَآءِى وَكَانَتِ ٱمْرَأَتِى عَاقِرًا فَهَبْ لِى مِن لَّدُنكَ وَلِيًّا يَرِثُنِى وَيَرِثُ مِنْ ءَالِ يَعْقُوبَ ۖ وَٱجْعَلْهُ رَبِّ رَضِيًّا﴾ [سورة مريم، الآيات: ٢ ـ ٦].

في خلافة الخليفة الثالث.. عثمان بن عفان (رض) جاءت أم المؤمنين عائشة بنت أبي بكر ومعها أم المؤمنين حفصة بنت عمر، إلى الخليفة...

وطلبتا منه تقسيم إرثهما من النبي ﷺ..

فاستوى الخليفة في جلسته.. وقال لعائشة:

لقد شهدتما أمام الخليفة الأول.. أبي بكر (رض).. إن رسول الله ﷺ قال:

(نحن معشر الأنبياء لا نورّث..).

فإذا كان الرسول ﷺ لا يورث.. فماذا تطلبان بعد هذا!!

وإذا كان الرسول يورّث.. لماذا منعتم فاطمة من حقها؟؟

فخرجت أم المؤمنين عائشة (رض) من عند الخليفة عثمان (رض) غاضبة.. وقالت:

(اقتلوا نعثلا.. فقد كفر...!!)(١).

---

(١) شرح نهج البلاغة لابن أبي الحديد المعتزلي ج١٦ ـ ص٢٢٠.

٧ الهموم.. والرحيل

لم يكن محمد ﷺ أباً لفاطمة كبقية الآباء..

إنه رسول من الله.. ونبيه للبشرية جمعاء.. ذلك العظيم الخالد في وجدان التاريخ.. والهادي للخلق بدين الخالق.. والمطهر للنفوس بمبادىء ذلك الدين..

ثم ذلك الأب.. والمربي.. والمعلم.. والقدوة لابنته التي أوصاه الله سبحانه وتعالى بها.. وزوّجها بأمر منه.. وجعلها سيدة نساء العالمين.. ومن خيرة النساء في الجنة.. فمن الطبيعي أن تحب فاطمة ذلك الأب حباً جماً، يفوق حبها لنفسها ولولديها ولزوجها.. وتفتديه كل عزيز وغالٍ.

كيف لا.. وكفاها أن يكون أبوها محمداً رسول الله ﷺ..!!

ومن لها أبٌ كأبيها، كيف لا تُفديه بنفسها.. أو بأعز عزيز لها غيره!!

وكم وصية أوصى بها.. حتى قال عنها ﷺ:

«فاطمة بضعةٌ مني.. فمن أغضبها أغضبني».

كما خص زوجها الإمام علياً (ع) بوصيته فيها.. فقال له:

«فاطمة بضعة مني.. يؤلمني ما يؤلمها.. ويسرني ما يسرها..».

وفي رواية أخرى قال عليه الصلاة والسلام:

«فاطمة بضعة مني.. يريبني ما رابها.. ويؤذيني ما أذاها..».

وقال لها ﷺ:

«إن الله يغضب لغضبك.. ويرضى لرضاكِ».

وقد أورد تلك الأحاديث: البخاري في صحيحه[1].. والإمام أحمد بن حنبل في مسنده[2].. وابن ماجه[3].. وجامع الترمذي[4].. وصحيح مسلم[5].. والصواعق المحرقة[6]... والمستدرك[7].. وذخائر العقبى[8].

ذكر الإمام النسائي في (خصائصه):

إن أم المؤمنين عائشة (رض) قالت، وهي بصدد ذكر الإمام علي:

(ما رأيت رجلاً، أحب إلى رسول الله ﷺ منه... ولا امرأة أحب إلى رسول الله ﷺ من امرأته..)[9].

في أوائل السنة الحادية عشرة للهجرة.. اختار الله سبحانه وتعالى نبيه محمد ﷺ إلى جواره..

عندها فقدت فاطمة أحب الناس إلى نفسها.. كما فقده كافة المسلمين..

وبدأت رحلة العذاب والهموم عندها..

فلم تذق أي مذاق للراحة.. ولم تعرف بعده طعماً للسعادة.. ولا للابتسامة.. حتى لم ترتسم عليها أية بسمة إلى نهاية حياتها..

وكانت وفاة أبيها ﷺ قد تركت عليها أثراً كبيراً.. وحزناً عميقاً لا حدود له..

لازمت ضريحه.. تزوره.. وتبكيه.. تناجيه.. وتشكوه على ما أصابها من مصيبة فراقه.. وتشكوه المصائب التي حلت بها بعد وفاته..

---

(١) ج٥ ـ ص٢٧٤.
(٢) ج٤ ـ ص٣٢٨.
(٣) ج١ ـ ص٢١٦.
(٤) ج٢ ـ ص٢١٩.
(٥) ج٤ ـ ص٢٦١.
(٦) ص١٠٥.
(٧) مستدرك الحاكم ج٣ ـ ص١٥٤.
(٨) ص٣٩.
(٩) الخصائص ـ للإمام الحافظ النسائي ـ ص١٠٧.

فبعد تلك النكبة العظيمة، صاحبتها انتكاسات وهموم في مجرى حياتها عند وفاته وبعد وفاته..

فبينما النبي ﷺ مُسجى في بيته قبل أن تتم مراسيم الدفن.. اجتمع بعض من القوم في سقيفة بني ساعدة.. ليختاروا من يخلف رسول الله ﷺ دون الانتظار حتى يدفن جثمان النبي ﷺ الطاهر..

ودون حضور آل بيته للمشاركة في انتخاب خليفته!!

حتى أنها قالت لمن جاءها من الصحابة.. وفيهم أبو بكر وعمر..

(تركتم رسول الله ﷺ جنازة بين أيدينا.. وقطعتم أمركم بينكم.. ولم تستأمرونا!!).

وكأن القوم استغلوا انشغال بني هاشم في أمر النبي ﷺ.. وهو مُسجى!! ليتسابقوا على الوصول إلى الخلافة... دون أن يكون لآل البيت.. آل بيت الرسول ﷺ مشورة أو رأي!

وهذا ما تعنيه في قولها... (ولم تستأمورنا)..

وقد تمخض عن ذلك تجاوز لحقوق الهاشمين في حقهم بالخلافة.. أو التصويت عليها.. أو الترشيح لها..

ثم إنها حسبتها أن تكون لأقرب الناس إلى رسول الله ﷺ.. هو زوجها الإمام علي.. لكنهم جاوزوا حقه.. وتقمصوها منه!!

ولم تنتهي همومها إلى هذه الحدود من الهموم..

فقضية أرض فدك.. وملابساتها.. وإشكالاتها مع الخليفة الأول والتي مر ذكرها في موضوع (تركة رسول الله... ومنها فدك)..

وكذلك سهمها في خمس خيبر.. حتى إنها غضبت منه.. وغاضبته.. فلم تكلمه بعد ذلك مطلقاً حتى نهاية حياتها..

كما كان لها من الهموم الأخرى.. هموم أم تخاف على أولادها اليتم.. بعد أن كانت تعلم إنها ستكون في رحاب الله عز وجل قريباً.. بعد أن أخبرها أبوها بذلك..

على أن تلك الهموم والآلام.. كانت سبباً لمرضها، وملازمتها الفراش.. وانصرافها التام للعبادة.. وتهيئة نفسها للملاقات ربها.. وأبيها..

كانت نسوة المسلمين.. لاسيما نسوة الصحابة منهم.. يعدنها للتخفيف عنها في مرضها.. وتلبية احتياجاتها في مختلف الخدمات..

سألتها إحداهن:

كيف أصبحت يا بنت رسول الله؟

أجابت فاطمة.. وهي على فراش مرضها:

(أصبحتُ والله عائفة[(١)] لدنياكن.. قالية لرجالكن.. لفظتهم بعد إذ عَجمتهُم[(٢)].. وشنئتهم[(٣)] بعد أن سبرتهم[(٤)]..

فقبحاً لفلول الحد.. وخطل العقول.. وخور القناة..

وبئسما قدمت لهم أنفسهم..

إن سخط الله عليهم.. وفي العذاب هم خالدون..

لا جرم والله، لقد قلّدتهم ربقتها.. وشنت عليه غارتها.. فجدعاً.. وعقراً..

ثم قالت:

ويحهم أنى زحزحوها[(٥)] عن رواسي الرسالة.. وقواعد النبوة.. ومهبط الروح الإمين الطبن[(٦)] بأمور الدنيا والدين.. ألا ذلك هو الخسران المبين..

وما الذي نقموا من أبي الحسن!!

نقموا والله منه نكير سيفه.. وشدة وطأته.. ونكال وقعته.. وتنمره في ذات الله..

---

(١) كارهة.

(٢) بلوتهم وخبرتهم.

(٣) أبغضتهم.

(٤) علمت أمورهم.

(٥) الخلافة.

(٦) الخبير.

وتالله.. لو تكافأوا[1] على زمام نَبله[2] إليه رسول الله ﷺ، لاعتقله، وسار بهم سيراً سجماً لا يكلم خشاشه.. ولا يتتعتع راكبه..

ولأوردهم منهلاً رويا فضفاضاً[3] تطفح ضفتاه.. ولا يترنم جانباه..

ولأصدرهم بطانة.. ونصح لهم سراً وإعلاناً..

غير متحل منهم بطائل إلا يغمر الناهل[4].. وردع سورة الساغب[5]..

ولفتحت عليهم بركات من السماء والأرض.. وسيأخذهم الله بما كانوا يكسبون..

وما عشت أراك الدهر عجباً.. وإن تعجب فقد أعجبك الحادث.. إلى أي لجأ لجأوا.. وبأي سند استندوا.. أم بأي عروة تمسكوا!!

لبئس المولى، ولبئس العشير.. وبئس للظالمين بدلاً.

استبدلوا والله الذنابا بالقوادم.. والعجز بالكاهل.

فتعساً لقوم يحسبون أنهم يحسنون صنعاً.. ألا أنهم هم المفسدون.. ولكن لا يشعرون. ويحهم! أفمن يهدي إلى الحق أحق أن يُتبع، أمن لايهدي إلا أن يُهدى فما لكم كيف تحكمون..

أما لعمر الله.. لقد لقحت.. فنظِرة ريثما تُنتَج..

ثم احتلبوها طِلاعَ العقبِ دماً عبيطاً.. وذُعاقاً مُمقِراً.. هنالك يخسر المبطلون.. ويعرف التالون غِبَّ ما أسس الأولون..

ثم طِيبوا عن أنفسهم نفساً، واطمئنوا للفتنة جأشاً..

وابشروا بسيفٍ صارم.. وهرجٍ شامل.. واستبدادٍ من الظالمين..

يَدَعُ فيئكم زهيداً.. وجمعكم حصيداً..

---

(١) تساوا.

(٢) ألقاه إليه.

(٣) يفيض منه الماء.

(٤) ري الضمآن.

(٥) كسر شدة الجوع.

فيا حسرةً عليكم. . وأنّى لكم وقد عُمّيَتْ عليكم. .

وأنتم لها كارهون!!

والحمد لله رب العالمين. . وصلاته على محمد خاتم النبيين. . وسيد المرسلين)[1].

. . اشتد المرض على الزهراء. . بنت سيد المرسلين ﷺ. . حيث أخذ المرض مأخذه من جسمها النحيف. .

الإمام علي (ع) يمرضها. . ويواسيها دون أن يفارقها إلا في أوقات الصلاة، عندما يذهب إلى المسجد لأداء الفريضة. . ثم يعود لزوجته، ليعاود رعايته لها. .

كانت السيدة أم سلمة تشارك الإمام في رعايته لفاطمة. .

ذكرت أم سلمة. . أن فاطمة اشتكت شكواها التي قبضت فيها، فكنت أمرضها. . فأصبحت يوماً كأمثل ما رأيتها في شكواها تلك. .

وخرج علي (ع) لبعض حاجته. . فقالت:

يا أم سلمة. . اسكبي لي غسلاً. .

فسكبت لها. . فاغتسلت كأحسن ما رأيتها تغتسل. . ثم قالت:

يا أمه. . قدمي لي فراشي وسط البيت. .

ففعلتُ. . واستقبلتْ القبلة. . وجعلتْ يدها تحت خدها. . ثم قالت:

يا أمه. . إني مقبوضة الآن. . وقد تطهرتُ، فلا يكشفني أحد. . !

فجاء الإمام علي، فأخبرته بما حدث. . فقام بتجهيزها. . ودفنها كما أرادت هي. . وفي رواية أخرى. .

أن عبد الله عباس. . ابن عم أبيها، وابن عم زوجها. . روى:

أن فاطمة أوصت الإمام علياً (ع)، وصية مكتوبة، قالت فيها:

(بسم الله الرحمن الرحيم. . هذا ما أوصت به فاطمة بنت رسول الله ﷺ. .

---

(١) شرح ابن أبي الحديد ج١٦ ـ ص٢٣٣ ـ بلاغات النساء ص١٩.

أوصت وهي تشهد أن لا إله إلا الله، وأن محمداً عبده ورسوله.. وإن الجنة حق.. والنار حق.. وأن الساعة آتية لا ريب فيها.. وأن الله يبعث مَنْ في القبور..

يا علي.. أنا فاطمة بنت محمد..

زوجني الله منك لأكون لك في الدنيا والآخرة.. أنت أولى بي من غيري.. حنطني.. وغسّلني.. وكفني بالليل.. وصلِّ عليَّ.. وادفني بالليل.. ولا تُعلم أحداً..

وأستودعك الله.. واقرأ على ولديَّ السلام إلى يوم القيامة...)[1].

أسرع زوجها الإمام علي كرم الله وجهه بتنفيذ وصية بنت رسول الله ﷺ.. غسّلها.. وجهزها.. وكفّنها.. ثم صلى عليها..

بعدها.. غطى نعشها بغطاء كبير.. ونعشها أول نعش يغطى في الإسلام..

ثم شيعها سراً.. ومعه الحسن والحسين.. وعقيل.. وسلمان الفارسي.. وأبو ذر الغفاري.. والمقداد.. وعمار بن ياسر.. وبريده.. والعباس بن عبد المطلب.. وابنه الفضل.. وكذلك ثلة من الصحابة الآخريين.

نزل في قبرها كل من زوجها علي.. والعباس.. وابنه الفضل.. حيث دُفنت بالبقيع.. وهي مقبرة دُفن بها شهداء المسلمين.. وبعض صحابة رسول الله ﷺ.. وقبرها مجاور للبيت الذي فيه قبر النبي ﷺ... وهناك رواية تروي أن الزهراء دُفنت في بيتها التي كانت تسكنه.. ثم ساوى القبر مع الأرض.. دون أن يكون عليه أثر.. وذلك تطبيقاً لما أوصت به!! ويبدو أن ذلك مظهر من مظاهر الاحتجاج..

أو استمرار لما أظهرته من احتجاج في حياتها من مغاضبة أبو بكر.. وعمر.. ومقاطعتها لهما! وإنها أرادت لذلك الاحتجاج استمراراً.. حتى بعد مماتها..

وقد ذكر ذلك كل من:

---

(١) البحار ج٤٣ ـ ص٢١٤.

البخاري[1] . . . ومسلم[2] في صحيحهما . . والطبري[3] في تاريخه . . والإمام أحمد[4] بن حنبل في مسنده والبيهقي[5] في سننه . .

كما ورد في الإمامة والسياسة[6] . . إنها كانت تدعو على أبي بكر في كل صلاة . . كما ذكر الجاحظ[7] ذلك في رسائله . . وكذلك في أعلام النساء[8].

. . بكى الإمام علي (ع) أحر بكاء، وحزن عليها أشد حزن . . وقال وهو يلقي النظرات الأخيرة على قبرها:

«أرى علل الدنيا عليّ كثيرةً وصاحبها حتى الممات عليلُ
لكل اجتماع من خليلين فرقة وكل الذي دون الممات قليلُ
وإن افتقادي فاطماً بعد أحمد دليل على أن لا يدوم خليل»

ثم توجه إلى قبر أبيها . . رسول الله ﷺ . . ووقف عنده، فقال:

«السلام عليك يا رسول الله ﷺ . . السلام عليك من ابنتك، وحبيبتك، وقرة عينك، وزائرتك . . البائتة في الثرى ببقعتك . .

قَلَّ يا رسول الله عن صفيتك صبري . . وضَعُفَ عن سيدة النساء تجلدي . .

إلا أن في التأسي لي بسنتك . . والحزن الذي حلَّ بي لفراقك موضع التعزي . .

ولقد وَسدّتك في ملحودة قبرك . . بعد أن فاضت نفسك على

(١) ج٥ ـ ص٥.
(٢) ج٢ ـ ص٧٢.
(٣) ج٣ ـ ص٢٠٢.
(٤) ج١ ـ ص٦.
(٥) ج٦ ـ ص٣٠٠.
(٦) ج١ ـ ص١٤.
(٧) ص٣٠١.
(٨) ج٣ ـ ص١٢١٥.

صدري.. وغمضتك بيدي..

وتوليتُ أمرك بنفسي..

نعم وفي كتاب الله أنعم القبول.. إنا لله وإنا إليه راجعون..

قد استرجعت الوديعة.. وأخذت الرهينة.. واختلست الزهراء..

فما أقبح الخضراء، والغبراء يا رسول الله..

أما حزني فسرمد.. وأما ليلي فمسهد..

لا يبرح الحزن من قلبي.. أو يختار الله لي دارك التي فيها أَنتَ مُقيم.. كمد مقيح، وهمّ مهيج..

سرعان ما فرق الله بيننا.. وإلى الله أشكو..

وستُنبئك ابنتك بتظافر أمتك عليَّ.. وعلى هضمها حقها..

فأستخبرها الحال.. فكم من غليل معتلج بصدرها لم تجد إلى بثه سبيلا..

وستقول ويحكم الله، وهو خير الحاكمين..

سلام عليك يا رسول الله.. سلام مودع لا سئم ولا قالٍ..

فإن أنصرف فلا عن ملالة.. وإن أقم فلا عن سوء ظني بما وعد الله الصابرين.. والصبر أيمن وأجمل..

ولولا غلبة المستولين علينا.. لجعلت المقام عند قبرك لزاماً.. وللبثت عنده معكوفاً ولأعولت أعوال الثكلى على جليل الرزية..

فبعين الله تُدفن بنتك سراً.. ويهتضم حقها قهراً.. ويُمنع إرثها جهراً.. ولم يطل العهد.. ولم يخلق منك الذكر..

فإلى الله يا رسول الله المشتكى.. وفيك أجمل العزاء..

وصلوات الله عليك وعليها ورحمة الله وبركاته»[1].

صدقت يا رسول الله، وأنت أصدق الصادقين.. عندما هَمَست لها تُنبئها بسرعة لحاقها بك. وهي أول مَنْ يلتحق بك من آل بيتك..

كان ذلك في السنة الحادية عشرة من الهجرة.. وبعد وفاة النبي ﷺ بأشهر، اختلف على عددها المؤرخون..

لكن الذي اتفقوا عليه هو أن رسول الله ﷺ انتقل إلى جوار ربه في أوائل السنة نفسها التي توفى الله فيها فاطمة الزهراء.. عليها سلام من الله سبحانه وتعالى..

وهكذا عاشت حبيبة رسول الله ﷺ.. نحو تسع سنوات.. على أكثر الروايات من حياتها الزوجية مع الإمام علي (ع).. الذي كان لها خير زوج.. وكانت له خير زوجة..

ولم يتزوج زوجها علي عليها في حياتها إجلالاً لمكانتها عند الله.. ورسوله.. وعنده هو.. وحتى لا يُغضبها.. ويغضب لغضبها رسول الله ﷺ.. وبالتالي يغضب الله تعالى..

لكنه.. بعدها تزوج الإمام علي على مَنْ تزوجها..

(١) فاطمة الزهراء المرأة النموذجية في الإسلام - الشيخ إبراهيم الأميني - ص١٧١.

٨ الإمام علي.. زوجاته وأولاده

كانت فاطمة الزهراء، هي أول زوجة له..

لم يقرن بها زوجة أخرى بحياتها، كماذكرنا.. لمكانتها الكبيرة عنده.. ولكرامة منزلتها عند أبيها ﷺ..

ولأنه لا يستطيع أن يعدل بينها وبين زوجة ثانية.. فيما لو تزوج عليها بأخرى.. لأن الأخرى لا يمكن أن تكون بالمستوى الذي فيه فاطمة.. من كل الجوانب.. علماً.. وأدباً.. وورعاً.. وفصاحة وإيمان وتقوى.. وهذا يعني أن فاطمة لا مثيل لها بين النساء.. ولا مقارنة لغيرها بها..

وبالتالي يعجز عن تنفيذ أمر الله في العدل بين زوجة وأخرى..

كيف له أن يساوي بين بنت رسول الله ﷺ التي رباها مَنْ رباه الوحي!! وبين امرأة.. أو زوجة ثانية.. لا يمكن أن تكون قرينة بسيدة نساء العالمين!!..

ولدت الزهراء ابنها البكر.. الحسن.. ثم الحسين.. ومحسناً الذي توفي صغيراً.. ومن البنات.. زينب الكبرى التي تزوجها عبد الله بن جعفر الطيار (رض).. وكذلك أم كلثوم الكبرى.. التي خطبها عمر بن الخطاب (رض)..

قال رسول الله ﷺ عن أولاد فاطمة:

«كل ولد أب، فإن عصبتهم لأبيهم.. ما خلا ولد فاطمة،، فإني أنا أبوهم وعصبتهم..»[1].

---

(١) ذخائر العقبى في مناقب ذوي القربى ـ محب الدين الطبري ص١٢١.

ويقصد النبي ﷺ في ذلك الحسن.. والحسين ونسلهما.. واحتراماً لهذا القول كان الإمام علي يقول لولده:

«أنتم أولادي.. والحسن والحسين ولدا رسول الله ﷺ»..

.. بعد وفاة فاطمة الزهراء.. زوجة الإمام علي (ع) الأولى.. تزوج (بأم البنين بنت حُذام بن خالد بن ربيعة بن الوحيد..) من بني كلاب..

وولدت له.. العباس.. وجعفر.. وعبد الله.. وعثمان..

وهؤلاء استشهدوا جميعاً مع أخيهم الحسين في واقعة كربلاء سنة ٦٠ للهجرة.. وذلك عندما ثار الحسين على ظلم يزيد بن معاوية بن أبي سفيان.. بعد خروجه عن مبادىء الإسلام الحنيف..

ولم يكن لأولاد أم البنين ذرية.. سوى أكبرهم العباس.. حيث ولد له (الفضل)..

كما تزوج الإمام علي (ع) من (ليلى بنت مسعود بن خالد النهشّلية التميمية) وله منها:

عبيد الله.. وأبو بكر.. وقد استشهدا مع سيد الشهداء الحسين بكربلاء أيضاً..

أما (أسماء بنت عُميس الخثعمية) فزوجته الثالثة..

وولدت له:

محمد الأصغر.. ويحيى.. وعوناً..

وقد نال الأول شرف الشهادة مع أخيه الحسين في كربلاء:

وتزوج الإمام علي (ع) (الصهباء أم حبيب بنت ربيعة التغلبية).

وهي من سبايا خالد بن الوليد، عندما أغار على عين التمر القريبة على مدينة كربلاء.. وله منها:

(عُمر) الذي عمّرَ خمساً وثمانين سنة.. وقد ورث نصف ميراث أبيه الإمام علي.. ومات بينبع..

وله أخت من أبيه وأمه.. اسمها رُقيه..

ثم اقترن الإمام بـ (إمامة بنت أبي العاص بن الربيع بن عبد العُزى بن عبد شمس).. وهي بنت زينب بنت النبي ﷺ.. أي ابنة أخت أول زوجة له.. وهي السيدة فاطمة الزهراء التي أوصته قبل مماتها أن يقترن بها بعدها، حتى ترعى شؤون ولديها الصغيرين.. الحسن والحسين..

ولدت للإمام علي إمامة.. ولداً واحداً.. هو محمد الأوسط..

أما (خولة بنت جعفر بن قيس بن مَسْلَمة) من بني حنيفة.. فولدت له (محمداً بن الحنفيه)

ثم تزوج الإمام من (أم سعيد بنت عُروة بن مسعود الثقفية).

فولدت له أم الحسن.. ورملة الكبرى.. وأم كلثوم..

وكانت آخر زوجاته (مُحَيَّاة بنت أمرىء القيس بن عدي الكلبية) والتي ولدت له بنتاً فقط..

ثم إن للإمام علي (ع) بنات من أمهات أولاد.. منهن:

جمانه.. نفيسة.. أم هانىء.. زينب الصغرى.. رملة الصغرى.. خديجة.. فاطمة.. أم كلثوم الصغرى... أم جعفر.. أم الكرام.. أم أبيها.. أم سلمى.. ميمونه.. وأمامة..

نخلص مما تقدم.. وحسب ما تذكره كتب التاريخ أن للإمام علي:

(أربعة عشر) من الذكور.. (وتسع عشرة) من الإناث.. كما ذكر ذلك ابن سعد في طبقاته[1].

أما أولاده الذين أنجبوا.. واستمر نسلهم:

الحسن.. الحسين.. محمد بن الحنفيه.. العباس بن أم البنين.. وعمر بن الصهباء التغلبية..

---

(١) الإمام علي بن أبي طالب رابع الخلفاء ـ محمد رضا ـ ص٩.

والجدير بذكره.. أن الإمام علياً معروف عنه أنه كان وافر الحظ من الذرية.. وأباً سمحاً يستريح الأبناء لعطفه..

ويجترئون على مساجلته الرأي في أخطر ما ينوبه من الأحداث الجسام..

وكان يزهيه أن يحيط به أبناؤه في محافل الورع، ومشاهد الزخرف..

فيخرج إليها، وهم حافون به.. عن يمينه وشماله..

منهم من يحمل اللواء بين يديه.. وهذا زهو الشجاع الفخور بأشباله الشجعان..

كما اشتهر بالعطف على صغارهم.. ومودة كبارهم..

فكان أحب شيء إليه أن يداعبهم.. أو يرى من يداعبهم[١]

ومن قوله في حق الوالد على الولد.. وحق الولد على الوالد:

«إن للوالد على الولد حقاً، وأن للولد على الوالد حقاً.. فحق الوالد على الولد أن يطيعه في كل شيء إلا في معصية الله سبحانه.. وحق الولد على الوالد أن يحسن اسمه، ويحسن أدبه، ويعلمه القرآن..».

(١) عبقرية الإمام علي ـ عباس محمود العقاد ـ ص٢١٤.

الفصل الثالث

الجهاد في سبيل الله

١ ـ الإيمـــــان.. والفـــداء.

٢ ـ معـــركـــة بـــدر

٣ ـ أحـــد.. وخســـارة المسلمين بحمـــزة.

٤ ـ ويمضي سيف علي للدفاع عن دين الله.

٥ ـ معـــركـــة الخنـــدق

٦ ـ من غـــزوة خيبر.. الى معـركة حنين.

٧ ـ تـــبوك.. واســـــتخلافه على المدينـــة.

٨ ـ الجهاد بالموعظة.. بعد الجهاد بالسيف.

١ الإيمان... والفداء

لم يكن الإمام علي (ع) إلا أول المسلمين إسلاماً . .

وأقدمهم إيماناً . . وأكثرهم تضحيةً وإقداماً . .

قال عبد الله بن عباس . . وأنس بن مالك . . وسلمان الفارسي . . وزيد بن أرقم . . وغيرهم من صحابة رسول الله ﷺ:

(إن علياً . . أول من أسلم)[1].

أخرج ابن عدي عن مالك بن الحويرث قال:

(كان عليٌ أول من أسلم من الرجال . . وخديجة أول من أسلم من النساء) كما أخرج هذا الحديث العقيلي عن عمر بن عبد الله بن يعلي بن مرة . . عن أبيه . . عن جده يعلي بن مرة الثقفي . .

وحديث أبي رافع (رض) الذي أخرجه البزار وفيه:

(. .نُبِيء النبي ﷺ يوم الاثنين . . وأسلم عليٌ رضي الله عنه يوم الثلاثاء . .).

أخرج الحاكم، عن يوسف بن صهيب . . عن عبد الله بن بريدة . . عن أبيه قال: (انطلق أبو ذرِ، ونعيم ابن عم أبي ذرِ، وأنا معهم نطلب رسول الله ﷺ وهو بالجبل مكتتم . . فقال أبو ذر:

يا محمد، أتيناك نسمع ما تقول . . وإلى ما تدعو؟

فقال رسول الله ﷺ:

(١) الخصائص ـ للإمام الحافظ النسائي ـ ص٢٦ ـ راجع موضوع (نشأته . . وصباه).

أقول لا إله إلا الله.. وإني رسول الله..

فأمن به أبوذرٍ وصاحبه.. وآمنت به.. وكان عليٌ في حاجة لرسول الله ﷺ أرسله فيها.. وأوحي إلى رسول الله ﷺ يوم الاثنين.. وصلى عليٌ يوم الثلاثاء..).

وفي رواية أخرى.. ذكر علي بن المنذر الكوفي قال:

أخبرنا ابن فضيل.. عن الأجلح ابن عبد الله الكندي عن عبد الله بن أبي الهذيل.. عن علي بن أبي طالب، قال:

(ما أعرف أحداً عَبَدَ اللهبعد نبينا غيري. عبدتُ الله قبل أن يعبده أحد من هذه الأمة..)[1].

وفي قول للإمام علي.. رواه عثمان بن سعيد الخرّاز.. عن علي بن حزّار.. عن علي بن عامر.. عن أبي الحجاف.. عن حكيم مولى زاذان.. قال: سمعت علياً يقول:

«صليتُ قبل الناس سبع سنين. وكنا نسجد ولا نركع.. وأول صلاة ركعنا فيها صلاة العصر..».

فقلت يا رسول الله: ما هذا؟... قال:

«أُمرت به..».

كان علي مرافقاً للنبي ﷺ قبل أن يُبعث... وبعد ما بُعث.. وله القدوة الحسنة فيه.. وهو معلمه ومُربيه..

لذا فإن مبادىء الإسلام وقيمه التي بشر بها ذلك القائد العظيم ﷺ، دخلت إلى أعماق فكر الإمام علي.. وتَغَذت بها روحه.. وعاش لها.. وضحى من أجلها.. وقاتل دفاعاً عنها..

لأنه أول من آمن بها إيماناً عميقاً مبنياً على المعرفة والحكمة..

فلا عجب إذا شارك في معارك الإسلام جُلها.. دفاعاً عن ما آمن به من مبادىء ضد من كفر بها..

---

(١) راجع كتاب الخصائص ـ للإمام النسائي.

مجاهداً في سبيل الله لنشر راية الإسلام التي أمر سبحانه وتعالى بنشرها على كل خلقه.. دون استثناء..

وصف الإمام علي الجهاد.. أنه:

«باب من أبواب الجنة»..

وهو:

«لباس التقوى»..

وأنه:

«درع الله الحصينة، وجنته الوثيقة..»

والجهاد هو:

«عز للإسلام»..

حيث قال:

«أما بعد فإنَّ الجِهادَ بابٌ من أبوابِ الجنةِ.. فَتَحهُ الله لخاصةِ أوليائِهِ.. وهو لباسُ التقوىٰ.. ودِرعُ الله الحصينةُ، وجُنّتُهُ[1] الوثيقَةُ.. فمن تَرَكَهُ رغبةً عَنْهُ ألبَسَهُ الله ثوبَ الذُلّ.. وشملَهُ البِلاءَ. ودُيِّثَ[2] بِالصَّغَارِ والقَمَاءَةِ[3]..

وضُربَ على قَلبِهِ بالأَسدَادِ[4].. وأُدِيلَ الحقُّ منه بتضيعِ الجهادِ وَسَيمَ الخسف[5]، ومُنِعَ النَّصَفَ»

شارك علي بن أبي طالب كرم الله وجهه مع رسول الله ﷺ في بث الدعوة في كل مراحلها، السرية منها والعلنية..

---

(١) وقايته.

(٢) ديثه: ذلله.

(٣) القماءة: الذل والصغر.

(٤) ذهاب العقل.

(٥) أن يسلط عليه من يغلبه على أمره فيظلمه.

فكان معه يدفع عنه إيذاء المشركين في مكة.. ويحارب معه في يثرب.. وهو الحامل لراية الإسلام، أمام المسلمين في جهادهم..

وبالجهاد في سبيل الله الذي هو ركن من أركان الإسلام.. كانت تتلبسه الشجاعة النادرة والقوة البدنية الخارقة..

وكان وراء تلك القوة الخارقة.. قوة إلاهية.. كما قال هو في ذلك...

تلك القوة المتأتية من ذلك الإيمان.. الإيمان المطلق بالسماء وبمبادئها..

والواقع أن عمق إيمانه بما آمن به من مبادىء إلاهية.. لهو مصدرٌ من مصادر قوته.. وسبب من أسبابها..

٢

معركة بـــدر

في أول معركة من معارك المسلمين التي كانت بمثابة صدام مسلح واسع بين المسلمين والمشركين.. وهي معركة بدر..

في السنة الأولى من الهجرة.. في شهر رمضان.. السابع عشر منه.. وكان يوماً من أيام الجمع..

كان علي في نحو العشرين من عمره..

قائداً من قواد المسلمين.. وهو في ذلك العمر!!

يقود كتيبة من كتائب المسلمين.. وراء قيادة القائد العظيم.. النبي الكريم ﷺ.. وجيش الإسلام آنذاك.. لا يتجاوز عدده (٣١٣) رجلاً...

بينما عدد المشركين.. أكثر من ذلك بثلاثة أضعاف..

وعُدتهم مضاعفة لعدة المسلمين..

لكن المسلمين تسلحوا بأقوى، وأعظم سلاح.. وهو الإيمان.. وطلب الشهادة.. والإيمان يجعل المقاتل يندفع إلى الموت دون خوف منه.. أو حرص على حياته..

قال ابن الأثير:

كان المشركون تسعمائة وخمسين رجلاً.. وكانت خيلهم مائة فرس.. ومعهم سبعمائة بعير..

أما المسلمون، فكانوا ثلاثمائة وثلاثة عشر رجلاً.. ولم يكن فيهم غير فارسين..

والإبل سبعين بعيراً..

فكانوا يتعاقبون عليها..

البعير بين الرجلين.. والثلاثة والأربعة..

فكان بين النبي ﷺ وعلي، وزيد بن حارثة.. بعير واحد..

وبين أبي بكر، وعمر، وعبد الرحمن بن عوف.. بعير.. وهكذا..

وكان لوائه مع مصعب بن عُمير..

ورايته مع علي بن أبي طالب[1]..

.. في معركة (بدر).. زج المشركون من قريش أشجع مقاتليهم.. وأقوى فرسانهم.. منهم:

أبو جهل.. أبو الحكم بن هشام.. عتبة بن ربيعة.. شيبة بن ربيعة.. الوليد بن عتبة.. أبو البختري ابن هشام.. أُمية بن خلف.. الأسود بن عبد الأسد.. زمعة بن الأسود.. ونوفل بن خويلد..

تلك الجمهرة من العتاة.. والأبطال من قريش ليرهبوا المسلمين ويتحدوهم.. ليقضوا على محمد ﷺ وعلى مبادىء دينه..

هؤلاء طلبوا من النبي ﷺ.. قائد جيش المسلمين..

طلبوا منه خيرة مبارزيه لمبارزتهم..

وقد ظهر من صناديدهم.. عتبة بن ربيعة.. أخوه شيبة.. وابنه الوليد بن عتبة..

حيث نادوا على المسلمين طالبين منهم المبارزة..

فخرج لهم فتية من الأنصار.. وأبدوا استعدادهم للمبارزة..

إلا أن عتبة بن ربيعة قال.. بتغطرس وكبرياء:

(لا نريد هؤلاء.. وليبارزنا من بني أعمامنا من بني عبد المطلب..)!!

فطلب النبي ﷺ ممن خرج لهم.. من الأنصار أن يعودوا..

وأمر وهو القائد للمسلمين كل من:

---

(١) حياة الإمام علي ـ محمود شلبي ص١٢٥.

(علي بن أبي طالب.. حمزة بن عبد المطلب.. وعبيدة بن الحارث..).

الإمام علي.. قابل مبارزاً.. الوليد بن عتبة..

وبدأ علي مقاتلة الوليد.. حيث ختمها بضربة قاصمة.. تَمثل فيها فن نادر من فنون القتال..

ضربة قاضية للوليد بسيف علي بن أبي طالب، لسيف الوليد بن عتبة، الذي ارتفع إلى أعلاه.. ومن ثم نزل عليه.. فأصاب منه مقتلاً.. وكبر لها المسلمون.. وسرَّ بها رسول الله ﷺ وكبر..

..أما حمزة بن عبد المطلب.. أحد قادة المسلمين.. وبطل من أبطالهم.. فبرز لعُتبة بن ربيعة.. فصرعه شر صرعة.. كبرَّ لها المسلمون أيضاً.. ثم ساعد حمزة.. وابن أخيه علي.. عبيدة بن الحارث في قتل شيبة بن ربيعة.. بعد أن استطاع شيبة قطع رجل عبيدة..

بعد ذلك اشتد وطيس المعركة بين المسلمين والمشركين.. فأبلى كل من حمزة وعلي، في قتال أعداء الدين، بلاءاً له الفضل في انتصار المسلمين في معركة بدر..

حتى نزلت الآية الكريمة:

﴿أَمْ نَجْعَلُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ كَٱلْمُفْسِدِينَ فِى ٱلْأَرْضِ﴾ [سورة ص، الآية: ٢٨].

فالذين آمنوا هم:

حمزة.. علي.. وعبيدة..

والذين أفسدوا في الأرض هم:

عُتبه.. شيبة.. والوليد..

قال الإمام علي (ع):

«قاتلت يوم بدر قتالاً، ثم جئت إلى النبي ﷺ فإذا هو ساجد.. ثم ذهبت فقاتلت، ثم جئت فإذا النبي ساجد.. ففتح الله عز وجل عليه..».

لقد قُتل من المشركين في معركة بدر سبعون مقاتلاً..

منهم.. أبو جهل.. وأُسر منهم سبعون آخرون..

أما حصيلة قتلى الإمام علي وحده منهم ٢٢ أو ٣٥ مقاتلاً.. كانوا من قادة قريش من المشركين.. ومن ذوي الشهرة في معاداة الإسلام والمسلمين..

ومن تلك الحصيلة التي أهلكها علي بن أبي طالب في تلك المعركة هم: الوليد بن عتبة.. وهو أخو هند (آكلة الأكباد ـ زوجة أبي سفيان).. حنظلة بن أبي سفيان.. العاص بن سعيد (وهو والد عمرو بن العاص، أحد قادة الفئة الباغية، الذي حارب مع معاوية بن أبي سفيان، الإمام علي زمن خلافته) وعقبة بن أبي معيط.. وكذلك النظر بن الحارث.. طعيمة بن عدي.. حرملة بن عمرو.. أبو قيس بن فاكه... ونوفل بن خويلد.. كما شارك في قتل شيبة بن ربيعة..

وآخرون غيرهم كانوا من صرعاه.. أمثال:

سيد بني جمح.. وسيد بني عامر بن لؤي.. إلى جانب من قتلهم من أصحاب ألوية قريش.. وسادتهم.. وزعمائهم..

..أبصر النبي ﷺ رهطاً من المشركين، فأمر الإمام علياً (ع) أن يحمل عليهم.. فحمل عليهم.. وفرق جمعهم.. ولا ذوا بالفرار..

وتكررت هذه المحاولة اليائسة منهم.. وكانت نتيجتها كسابقتها!!

وقد بلغ شهداء المسلمين في هذه المعركة أربعة عشر مسلماً.. بينهم أخو سعد بن أبي وقاص.. وزوج حفصة بنت عمر بن الخطاب (رض)..

٣ أحد.. وخسارة المسلمين بحمزه..

أصابت قريش حالة كبيرة من خيبة الأمل، لنتيجة لم تتوقعها.. في أول معركة نظامية بينها.. وبين المسلمين الذين هم بعددتهم المحدودة.. وبعددهم المعدود.. استطاعوا.. (أصحاب محمد ﷺ) أن ينتصروا على المشركين الذين كانوا بعدة ثقيلة.. وعدد كبير..

عاد المنهزمون، يجرون أذيال الفشل والهزيمة من ورائهم.. ووراءهم تركوا قتلاهم.. وقتلاهم، أكثرهم سادة وزعماء لأقوامهم..

نُصبت المأتم.. ودُقتْ دفوف الحزن.. وأقيمت المناحات..

فتعالت صيحات المطالبة بالثأر والقصاص من محمد ﷺ ومن رفاقه المسلمين.. لاسيما الأبطال منهم.. كحمزة.. وعلي..

كان شعارهم.. (الثأر.. الثأر لقتلى بدر..!!).

أما نساء قريش، فقد ناحت قتلاها شهراً كاملاً.. فجززن شعر رؤسهن.. وكان يؤتى براحلة الرجل. أو بفرسه فينُحنَ حولها.. ويُصوتن عندها..

على أن أعظم المناحات وأشدها.. كانت في بيت هند بنت عتبة.. وزوجها أبي سفيان.. وذلك لمقتل أبيها عتبة بن ربيعة.. وعمها شيبة بن ربيعة.. وأخيها الوليد بن عتبة.. وكثيراً من قومها.. وقوم زوجها.. السادة منهم والزعماء..

ولقد مشى نساء من قريش يوماً إليها.. فقلن لها.. بعد أن وجدن إنها لا تنوح.. ولا تبكي:

ألا تبكين على أبيك.. وأخيكِ... وعمكِ.. وأهل بيتكِ!!.. فقالت:

أنا أبكيهم.. فيبلغ محمداً وأصحابه فيشمتوا بنا.. ويشمت بنا نساء

الخزرج!! لا والله حتى أثأر من محمد وأصحابه.. والدُّهن عليَّ حرام حتى نغزو محمداً.. والله لو أعلم أن الحزن يذهب من قلبي لبكيت.. ولكن لا يذهب إلا أن أرى ثأري بعيني من قتلة الأحبة..

ومكثت هند لا تقرب الدهن.. ولا تقرب فراش أبي سفيان[١]!!

وأكل قلب (آكلة الأكباد) الحقد على محمد ﷺ وعلى علي والحمزة.. حتى أصبح لا همَ لها بعد الآن سوى الانتقام منهم جميعاً.. لتروي غليلها المتعطش لذلك الانتقام!

أو على الأقل من واحد منهم.. من زعماء المسلمين.. من أبطالهم.. من قادتهم وشجعانهم!!

.. شاهدتْ (هند) عبداً من عبيد (جُبَيْر بن مُطْعم) الذي كان عمه قد قُتل ببدر أيضاً.. هذا العبد اسمه (وحشي).. الذي رأت ما عنده من حسن الرماية.. وسهولة لإصابة الهدف.. ودقة فائقة في التهديف..

عسى أن تستغل فيه تلك القابلية.. لتشفي من خلالها نفسها المريضة.. التي عشعشت في أعماقها شياطين السوء.. حتى أكلت قلبها.. قبل أن تأكل هي أكباد الآخرين..

طلبت من وحشي.. أن يستهدف أحدهم:

رسول الله ﷺ.. أو الإمام علي بن أبي طالب (ع).. أو الحمزة بن عبد المطلب (رض).. فإن أصاب واحداً منهم في المعركة القادمة ضد المسلمين.. يصبح حراً.. طليقاً.. ويُكرم!!

.. بدأ المشركون من قريش إعداد رجالهم.. ونفرة مقاتليهم.. لملاقاة جيش المسلمين في المعركة الآتية.. ليثأروا منهم عن خسارتهم بالمعركة السابقة.. معركة بدر.. آملين أن تكون نهاية المسلمين ودعوتهم.. في الجولة القادمة التي أعدوا لها خير إعداد!..

---

(١) حياة محمد ـ محمد حسين هيكل ص٢٨٨.

فكانت (أُحد).. هي المعركة الثانية للمسلمين مع أعدائهم المشركين.. والتي وقعت بعد معركة بدر بعام واحد.. كما ذكرته أكثر الروايات..

وسُميت بمعركة أحد.. نسبة إلى وقوعها عند جبل أُحد..

حشدت قريش جيشاً عددهُ أكثر من ثلاثة آلاف مقاتل.. وكل مقاتل بعدته الكاملة المتعددة..

أما جيش المسلمين الذي يقل عدد مقاتليه كثيراً عن عدد مقاتلي أعدائهم.. كانوا فقط.. ألف مقاتل.. ألف مقاتل.. مقابل ثلاثة آلاف!!

وعُدة هؤلاء المقاتلين تقل كثيراً عن عُدة رجال قريش.. وكان من بين جمع المشركين.. أبطال قريش.. أمثال:

خالد بن الوليد وغيره.. وكذلك منهم ساداتهم.. مثل:

أبي سفيان.. وزوجته هند بنت عتبه..

عن سعيد بن المسيب قال:

(أَصابت علياً يوم أُحد ستَ عشرة ضربة..).. رواه كذلك ابن الأثير في أسد الغابة وبعد أن يُضمد جراحه من كل ضربة.. يعود يقاتل أعداء الله.. بلا هوادة ليلحق بهم الهزيمة تلو الهزيمة..

كان علي كثير الالتصاق برسول الله ﷺ.. قريباً منه.. حتى يحميه من كل أذى.. ويدفع عنه كل سوء..

في هذه المعركة.. برز طلحة بن أبي طلحة.. أحد قادة جيش المشركين.. فقال مخاطباً المسلمين:

(يا أصحاب محمد: تزعمون إن الله يُعجلنا بأسيافكم إلى النار.. ويعجلكم بأسيافنا إلى الجنة.. فأيكم يبرز إلي؟).

فبرز إليه الإمام علي.. وأجابه:

والله! لا أُفارقك حتى أُعجلك بسيفي إلى النار..

.. طعنه علي بن أبي طالب.. طعنة أسقطته جريحاً في بركة من دمه.. حتى.. ظهرت عورته..

فتوسل طلحة إلى الإمام. . قائلاً:

(أنشدك الله والرحم يا ابن العم!!).

عجباً لذلك الجبان المدعي البطولة والشجاعة. يتوسل بالرحم. . بعد أن صرعه الإمام. . ولا يعرف الرحم عندما بدأ بقتال ذي رحمه!!

أبقاه الإمام. . ولم يجهز عليه. . وعاد إلى صفوف المسلمين الذين سألوه عن سبب تركه له دون أن يقتله. . أجابهم:

(ناشدني الله، ولن يعيش. . .).

بقي طلحة بن أبي طلحة في ساحة المعركة ينزف حتى لفظ أنفاسه. .

صدق الإمام علي في رده عليه. . حيث عاجله بسيفه إلى جهنم وبئس المصير. .

أما هند. . زوجة أبي سفيان. . (أم معاوية!) التي كانت مع جمع المشركين في موقعة (أُحد) والتي اصطحبت معها ذلك العبد الأسود وحشي. .

لينتقم لها من أحد قادة المسلمين، ورموزها:

محمد. . أو علي. . أو حمزة. .

لاحظ ذلك الوحشي. . إن رسول الله ﷺ محمي بأصحابه. . وفي مقدمتهم علي بن أبي طالب. . أما علي. . فكان كثير الالتفاف والحذر. . سريع الحركة والتنقل. .

فلم يبق أمامه. . إلا عمهما. . حمزة بن عبد المطلب (رض). . الذي كان مكشوفاً في المعركة يقاتل عن يمينه. . ويصرع من في شماله. . حمزة الذي كان يوم أحد كما كان يوم بدر. . أسد الله، وسيفه البتار. . قتل أرطأة بن عبد شُرحبيل. . وقتل سِبَاع بن عبد العُزى الغبشاني. .

استفاد (وحشي) من ذلك الكشف الذي سَهّل عليه تسديد رمحه إلى ظهر ذلك البطل العظيم. . حمزة. .

فسدد له ضربته برمحه. .

وسقط الحمزة. . بعد أن أصابه بظهره ذلك الوحش. . وحشي الغادر. .

اللئيم! بضربته اللئيمة الجبانة المسددة من الخلف لذلك البطل المقدام، الذي استشهد وضحى للإسلام.. فكان حقاً أول سيد لشهداء المسلمين في صدر الدعوة.. فسلام الله عليه..

بقي سيد الشهداء.. حمزة مضرجاً بدمه قبل أن يستشهد.. حينما أصاب جيش المسلمين حالة فقدوا فيها تنظيمهم.. وتزعزعت سيطرتهم على ساحة المعركة.. وذلك عند التفاف المشركون عليهم.. عندما ترك المسلمين مواقعهم التي ثبتها بهم قائدهم الفذ محمد ﷺ.. وهم في نشوة النصر الذي جنوه في بداية القتال!!

.. كانت هند بنت عتبة في ذلك الوقت ترقب بترصد وحماس.. رمح وحشي الذي أصاب من حمزة مقتلاً..

واقتربت.. أم معاوية!! من ذلك البطل الشهيد المسجى على رمل الصحراء.. السابح في بركة دمه...

اقتربت محفوفة بحقد شياطين الشرك.. من جسد ذلك الشهيد المحفوف برياح الجنة التي وعده الله بها..

فتناولت السكين من قاتله.. و... ومثلت بذلك الجسد المسجى الطاهر.. مزقّته.. حتى أخرجت منه كبده!!

فأكلت.. نعم أكلت قطعة من ذلك الكبد!! وكأنها كلبة عقور لم تنل من الطعام أياماً!!

فكانت بحق.. (آكلة الأكباد..).

وظلت تخضب يدها بدمه الطاهر..

ومن ثم ترفعها مهلهلة.. ومرددة: مات حمزة.. مات حمزة!!

أما زوجها أبو سفيان.. والد معاوية!! فتقدم إلى جثة حمزة.. وركلها بقدميه! وضرب شدقه بسن حربته.. وسحق جثته بحذائه[1]!!

.. أما رسول الله ﷺ فتقدم إلى جثمان حمزة..

---

(١) محمد رسول الحرية ـ عبد الرحمن الشرقاوي ص١٩٨.

فوجده قد بقر بطنه.. وجدع أنفه وأذناه.. بعد أن مثلت به هند.. التي تركت عنده بعض عظام من جسد (آمنة بنت وهب) والدة النبي ﷺ..

بعد أن نبشت آكلة الأكباد قبرها وهي في طريقها إلى معركة أُحد.. وأخذت معها من عظامها[1]..!!

قال رسول الله ﷺ على جثة عمه حمزة.. وهو في موقف، لم يقفه من قبل وهو في مثل تلك الحالة من الحزن:

(لن أُصاب بمثلك أبداً.. ما وقفتُ قط أغيظ إلي من هذا)..

كان الله في عونك يا سيد المسلمين.. وأنت أمام ذلك المشهد الذي ينزف له القلب ألماً.. وتعتصر الروح لبشاعته ووحشيته!!

قال الإمام علي (ع).. بعد حين.. وعندما أُستخلف.. في معرض كتابه إلى معاوية جواباً على كتابه:

«...حتى إذا استشهد شهيدنا[2] قيل سيد الشهداءِ.. وخصه رسول الله ﷺ بسبعين تكبيرة عند صلاته عليه..

أَوَلا تَرَى أن قوماً قُطعت أيديهم في سبيل الله ولكلٍ فَضَلٌ حتى إذا فُعِلَ بواحدنا ما فُعَلَ بواحدهم.. قيل الطيارُ[3] في الجنةِ وذو الجناحين.. ولولا ما نهى الله عنه من تزكية المرءِ نفسه لَذكر ذاكرٌ فضائلَ جمة تعرفها قلوب المؤمنين، ولا تمجُها آذانُ السامعينَ...».

لقد بكى ذلك العظيم محمد ﷺ ومعه رفيقهُ علي بن أبي طالب عمهما.. سيد الشهداء الأول.. الحمزة بن عبد المطلب.. كبطل من أبطال الإسلام..

جاهد بنفسه في سبيل دين الله.. وقتل بشجاعة الفرسان من أجل مبادئه.. حتى استشهد غدراً.. وطُعن حِقداً..

فكان بحق أول سيد لكوكبة من شهداء الإسلام..

(١) نفس المصدر ص٢٠٠.
(٢) يقصد عمه حمزه(رض).
(٣) يقصد أخوه جعفر بن أبي طالب.

ذكر الطبري..

إن علياً قتل أصحاب الراية جميعاً.. وعددهم ثمانية، وهم من أبطال بني عبد الدار ومعهم تاسعهم عبدهم..

وإنه بقي مع رسول الله ﷺ يقاتل.. ويدفع عنه.. ومعه نفر قليل من المسلمين منهم:

أبو بكر وأبو دانه.. وسهل ابن حنيف.. بعدأن استغل المشركون شعور المسلمين بنصرهم.. وتركهم لأماكنهم، إلتماساً للغنم..

فالتفوا حولهم.. ونالوا منهم.. فولى المسلمون هاربين..

وتركوا الرسول ﷺ وحده في ساحة المعركة.. ومعه ذلك العدد المحدود ممن طلب الشهادة بين يدي نبيهم ﷺ..

وفي مقدمتهم الإمام علي بن أبي طالب كما ذكرنا..

وقد ذكر الطبري.. وغيره من المؤرخين فرار عثمان بن عفان.. ومعه رجلان، فبلغوا جبلاً بناحية المدينة يقال له (الجعلب).. حيث أقاموا به ثلاثة أيام!!

كما ذكر ابن أبي الحديد في شرحه لنهج البلاغة أن قتلى المشركين يوم أحد.. ثمانية وعشرون قتيلاً.. قتل الإمام علي منهم.. اثني عشر قتيلاً..

عاد رسول الله ﷺ.. ومعه علي بن أبي طالب.. بعد أن إنتشلا النصر من فشلٍ كاد يصيب المسلمين في تلك المعركة.. التي خسر فيها المسلمون سبعين شهيداً.. كان في مقدمتهم حمزة بن عبد المطلب.. عم محمد.. وعم علي..

عادا إلى بيت فاطمة الزهراء.. وعليهما غبار المعركة.. وهموم الشهداء.. وخاصة الخسارة الكبيرة باستشهاد.. سيد الشهداء.. الحمزة (رض)..

خففت بنت رسول الله ﷺ من هموم أبيها.. وابن عمه.. ضمدت جراهما.. وغسلت سيفهما..

وقد قال لها علي، عندما ناولها سيفه:

أفاطمُ هاكِ السيف غير ذميم   فلست برعديدٍ ولا بلئيم

لعمري لقد جاهدتُ في نصر أحمد ومـرضـاةُ ربٍّ بـالـعـبـاد عـلـيـم
أريـدُ ثـوابَ الله لا شـيء غـيـره ورضـوانـه فـي جـنـةٍ ونـعـيـم

بعدها هوّنت الزهراء من حزن أبيها على عمه حمزة (رض)..

روى وحشي قاتله قائلاً:

(... فخرجت مع الناس، وكنت رجلاً حبشياً أقذف بالحربه قذف الحبشة قلما أُخطىء بها شيئاً.. فما التقى الناس خرجت أنظر حمزه وأتبصره.. حتى رأيته في عُرض الناس مثل الجمل الأورق (ما في لونه بياض إلى سواد) يهذّ الناس سيفه هذّا.. فهززت حربتي.. حتى إذا رضيت عنها دفعتها عليه.. فوقعت في ثُنته.. حتى خرجت من بين رجليه.. وتركته وإياها حتى مات.. ثم أتيته فأخذت حربتي ورجعت إلى المعكسر وقعدت فيه.. ولم يكن لي بغيره حاجة.. إنما قتلته لأُعتق.. فلما قدِمت مكة أُعتقت...)[1].

(١) حياة محمد ـ محمد حسين هيكل ص٣٠٥.

٤

ويمضي سيف علي للدفاع عن دين الله

بعد معركة أُحد بقي المسلمون، ثلاث سنوات دون أن تكون هناك معارك تذكر بينهم.. وبين المشركين..

في تلك الفترة انصرفوا إلى نشر دينهم.. والدعوة له.. فزاد عددهم.. كذلك زادوا من تعليم بعضهم بعضاً لتعاليم الدين الحنيف.. دين الإسلام..

سأل رسول الله ﷺ علياً.. قائلاً له:

«يا علي.. كيف أنت إذا زهد الناس في الآخرة.. ورغبوا في الدنيا.. وأكلوا التراث أكلاً لَمّاً.. وأحبوا المال حباً جَمّاً.. واتخذوا دين الله دغلاً، ومال الله دولاً»(1).

أجاب الإمام علي...

«أتركهم وما اختاروا.. وأختار الله ورسوله.. والدار الآخرة.. وأصبر على مصيبات الدنيا وبلواها.. حتى ألحق بك إن شاء الله تعالى..».

قال رسول الله ﷺ:

«صدقت.. اللهم افعل ذلك به..».

حاور النبي ﷺ جماعة من صحابته بعد أن قرأ من سورة لقمان:

﴿وَأَسْبَغَ عَلَيْكُمْ نِعَمَهُ ظَٰهِرَةً وَبَاطِنَةً﴾ [سورة لقمان، الآية: ٢٠].

---

(١) الرياض النضرة، ج٢ ص ٢٢٩.

وقال لهم ﷺ:

«ما أول نعمة رغبكم الله فيها . . وبلاكم بها؟».

فذكروا له نعم الله العديدة عليهم من الثوابت الرئيسة الظاهرة . .

فقبل منهم النبي ﷺ دون أن يستزيدهم . .

وطلب من الإمام علي كرم الله وجهه . وهو أصغرهم سناً، وقال له :

«يا أبا الحسن، قُل فقد قال أصحابك . . ».

فقال :

«وكيف لي بالقول، فداك أبي وأمي، وإنما هدانا الله بك».

قال رسول الله ﷺ:

«ومع ذلك فهات، قل ما أول نعمة بلاك الله عز وجل، وأنعم عليك بها»؟

أجاب الإمام علي :

«أن خلقتني جل ثناؤه ولم أك شيئاً مذكورا . . »

قال له ﷺ:

«صدقت، فما الثانية؟» . . أجابه :

«أن أحبني إذ خلقني فجعلني حياً لا ميتاً . . »

قال ﷺ:

«صدقت فما الثالثة؟» . . . أجابه :

«أن أنشأني فله الحمد في أحسن صورة، وأعدل تركيب».

قال له ﷺ:

«صدقت، فما الرابعة؟» . . أجابه :

«أن جعلني متفكراً راغباً لا ساهياً». .

قال له ﷺ:

«صدقت، فما الخامسة؟». . أجابه:

«أن جعل لي مشاعر أدركُ بها ما ابتغيت، وجعل لي سراجاً منيراً. .».

قال له ﷺ:

«صدقت، فما السادسة؟». . أجابه:

«أن هداني لدينه، ولم يضلني عن سبيله. .».

قال له ﷺ:

«صدقت، فما السابعة؟». . . أجابه:

«أن جعل لي مرداً في حياة لا انقطاع لها. .».

قال له ﷺ:

«صدقت، فما الثامنة؟». . أجابه:

«أن جعلني ملكاً مالكاً لا مملوكاً».

قال له ﷺ:

«صدقت، فما التاسعة؟». . . أجابه:

«أن سخر لي سماءه، وأرضه وما فيها وما بينهما من خلقه».

قال له ﷺ:

«صدقت، في العاشرة؟». .

أجابه الإمام علي في دعابة:

«أن خلقني ذكراً، ولم يخلقني أنثى».

فتبسم النبي ﷺ ومعه صحابته. .

وقال له رسول الله ﷺ:

«وما بعد هذا يا علي؟». . أجابه:

«كثرت نعم الله يا نبي الله، فطابت ﴿وَإِن تَعُدُّوا۟ نِعْمَتَ ٱللَّهِ لَا تُحْصُوهَآ﴾ [سورة إبراهيم، الآية: ٣٤]».

فتبسم النبي ﷺ ثانية، وقال له:

«ليهنئك الحكمة. . ليهنئك العلم، يا أبا الحسن. .

أنت وارث علمي. . والمبيّن لأمتي ما اختلفت فيه بعدي. .

مَنْ أحبك، وأخذ بسبيلك فهو ممن هُدِيَ إلى صراط مستقيم. .

ومَنْ رغب عن هُداك، وأبغضك لقي الله يوم القيامة لا خلاق له. .»[1].

---

(١) علي إمام المتقين ـ ج١ ـ ص٥٣ عبد الرحمن الشرقاوي.

٥ معركة الخندق....

استمر المشركون من قريش وحلفائها إعداد رجالهم.. وحشد قواهم للأخذ بثاراتهم من المسلمين، بعد أن انتصروا انتصاراً ساحقاً عليهم في المعركتين السابقتين (بدر.. وأُحد) وبعد أن فقدوا أعزة رجالهم.. وأشجع أبطالهم..

وزاد في حب الانتقام من المسلمين، والرغبة في القضاء عليهم..

تلك الأفواج الكثيرة التي كانت تترك دين المشركين.. وتدخل دين عدوهم.. دين محمد ﷺ... دين الإسلام الحنيف..

هيأ أعداء الإسلام جيشاً كبيراً.. زاد عدده على عدد ما أعدوه في بدر.. وأُحد..

وقد بلغ عدد أفراد مقاتليهم أكثر من عشرة آلاف مقاتل.. وفي رواية أخرى.. أربعة وعشرين ألف مقاتل تحت قيادة (أبي سفيان).. و(عيينة بن حصن)..

كما زادت عدة ذلك الجيش عن عدته بتلك المعركتين..

أما جيش المسلمين.. فلا يزيد على ثلاثة آلاف مقاتل.. بتجهيزات محدودة.. وبسلاح تقل قوته عن قوة ما عند المشركين من عدة.. وتجهيزات.. وسلاح.. كان ذلك في السنة الخامسة للهجرة..

وبعد أن رأى المسلمون تلك الحشود غير المتكافئة..

أشار عليهم الصحابي الجليل (سلمان الفارسي) الذي قال عنه رسول الله ﷺ: «**سلمان منا أهل البيت**..» وسلمان رجل فارسي اسمه (روزبه بن مهيار) وصار سلمان عندما اختار له النبي ﷺ هذا الاسم.

أشار عليهم بحفر خندق يفصلهم عن المشركين.. ليكون مانعاً حربياً، يعرقل وصولهم إلى جيش المسلمين..

لذا سميت المعركة باسم ذلك الخندق.. (معركة الخندق)..

كما تسمى أيضاً بـ(الأحزاب)..

إلا أن ذلك الخندق الذي حفره المسلمون.. تمكن من عبوره أقوى فرسان المشركين وأشدهم بأساً وشجاعة، وقوة وهو:

(عمرو بن عبد ود العامري) الذي كان يدعى بـ(أسد الجزيرة)!!

وأن عمرو هذا لم يبارز مبارزاً إلا قتله..

عبر.. أسد الجزيرة!! من مكان ضيق كان قد أغفله المسلمون في خندقهم..

والحق أن عمراً أوقع الهلع والجزع في قلوب المسلمين بعض الشيء.. ولولا إيمانهم العميق بدينهم... وبقائدهم العظيم ﷺ صاحب الدعوة السماوية.. لولا ذلك الإيمان.. لفر من عمرو من خاف منه..

وفعلاً لم يتقدم أي واحد من المسلمين.. ولا حتى أحد من أبطالهم لم يجرأ أن يفكر في مبارزته!!..

لكن ابن أبي طالب.. الإمام علي.. ذلك الشجاع المقدام.. الذي لا ترهبه قوة قوي.. ولا يخيفه بأس أي أسد..

نادى علي عمراً:

«يا عمرو إني أدعوك إلى الله عز وجل وإلى رسوله وإلى الإسلام».

أجابه عمرو:

«لا حاجة لي في ذلك»!!

فقال له الإمام علي:

«فإني أدعوك إلى البراز..»

رد عليه عمرو.. مستهزئاً بعلي.. لصغر سنه:

«يا ابن أخي لِمَ؟ . . . فإني ما أحب أن أقتلك . .»

أجابه ابن أبي طالب . . بشدة . . وسخرية:

«لكني والله أحب أن أقتلك . .»

هنا أعرض عمرو بن عبد ود العامري (أسد الجزيرة) . . عن الإمام علي كرم الله وجهه وتحاشى ما قاله له . . !

توجه مرة أخرى إلى المسلمين. مخاطباً وداعياً لهم . . مَنْ يبارزه!! . .

فأحجموا عنه . . لم يجبه أي مسلم . . ولم يرد عليه أي شجاع أو بطل من أبطال المسلمين! وبرز له الإمام علي . . مرة أخرى وقال للنبي ﷺ:

«أنا له يا نبي الله».

فرد عليه رسول الله ﷺ:

«إنه عمرو بن عبد ود العامري . . يا علي!!».

وبقي عمرو وحده في ساحة المعركة . . مُتبختراً بقوته . . وشجاعته . . ودونما أن يتصدى له أحد من المسلمين . . غير علي بن أبي طالب . .

علي . . أشجع شجعان المسلمين يستأذن رسول الله ﷺ لمبارزته . . ويمنعه الرسول ﷺ من ذلك . .

حتى . . وأخيراً، أذن له النبي ﷺ . .

فبرز له أبو الحسن . . عندها قال نبي الله ﷺ قوله المأثور:

«برز الإيمان كله إلى الشرك كله . .»

ورفع الرسول ﷺ يديه . . ورأسه نحو السماء . . نحو باعثه رحمة للعالمين . . داعياً سبحانه وتعالى . . وهو يقول:

«اللهم إنك أخذت مني عبيدة يوم بدر . . وحمزة يوم أُحد . .

فاحفظ عليَّ اليوم علياً . .

ربِّ لا تذرني فرداً، وأنت خير الوارثين . .»

وتصدى الإمام علي . . لعمرو الذي لم يتصد له أي بطل أو شجاع . . إلا أنه سخر من الإمام علي!! وقال له:

من أنت!! . . أجابه:

«أنا علي بن أبي طالب»

فرد عليه عمرو:

«عندك من أعمامك، من هو أسن منك يا ابن أخي، فانصرف . . فإني أكره أن أهريق دمك».

أجابه علي بن أبي طالب:

«ولكني والله . . ما أكره أن أهريق دمك . . »

فغضب عمرو من ذلك الفتى الذي تجرأ عليه وتحداه . . .

واستل سيفه . . وتقدم صوب الإمام علي مندفعاً بسبب من ذلك الغضب . . فضربه بسيفه . . ضربة غضب وحقد . .

إلا أن علياً تلقى تلك الضربة القوية بدرعه الذي أثبت فيها السيف من شدتها!! لكنه أُصيب إصابة بسيطة في رأسه . .

لم تعقه تلك الإصابة من الاستمرار في مبارزة ذلك المشرك عمرو بن عبد ود العامري . .

فرفع بطل الإسلام علي بن أبي طالب . . سيفه بقوة من الإيمان . . وضرب به عاتق عمرو ضربة أسقطته من أعلا فرسه . . حتى كشفت سوءته وسقط منه سيفه . .

وكبّر المسلمون من أعماقهم . .

. . وانقض عليه الإمام علي ليقضي عليه . .

إلا أن عمراً بصق في وجهه . بعد أن رأى إنه مقتول لا محال!!

هنا تركه الإمام علي . . وتأخر عن حز رأسه للحظات . . ثم عاد إليه ليقضي عليه . .

ورجع إلى جيش المسلمين وسط تكبيراتهم . .

فاستقبله النبي ﷺ . . معانقاً له . . وداعياً . . وقائلاً :

«ذهبت ريحهم . . ولا يغزوننا بعد اليوم . . ونحن نغزوهم إن شاء الله» .

سأل رفاق الإمام علي علياً . . عن سبب تأخره في القضاء عليه للحظات ! !

أجابهم :

«أردت أن يزول غضبي لنفسي . . ويبقى غضبي لله وحده . . »

وفي رواية أخرى :

أن عمرو بن عبد ود ، استطاع في أثناء مصاولته أن يجرح علياً مرتين بسيفه ، بيد أن علياً لم يكن ذلك الرجل الذي ينسحب من ساحة الحرب بسبب جرحين! وتابع علي مجاولته . . فضرب خصمه عمراً على يده ضربة أطاحت بسيفه . فدنا علي من السيف ووضع قدمه عليه ، حتى لا يتسنى له تناوله . . . ثم قال له :

ـ يا عمرو ، إن أعلنت إسلامك فلن أقتلك .

فبصق عمرو في وجه علي ، وأجابه :

ـ لن أسلم . .

فمسح علي وجهه ، وسكن قليلاً . . لا يتكلم ولا يتحرك . . .

بينما تابع عمرو كلامه :

ـ قلت لك لن أسلم ، فلِمَ لا تقتلني؟

فأجابه علي :

«لأنك حين بصقت في وجهي اعتراني الغضب . . فلو قتلتك أنئذ لجاء قتلي انتقاماً وثورة . . وأنا لا أريد أن أقتلك في حالتي الثائرة هذه ، لأننا مسلمون ، ونحن نحارب في سبيل الله ، لا في سبيل إخماد ثورة غضبنا . . أيا عمرو ، مع أنك بصقت في وجهي ، أعود فأسألك :

إن دخلت الإسلام عزفت عن قتلك» .

فرد عمرو كلامه: لن أسلم!!

عندئذ دنا علي منه وضربه بسيفه ضربة قضت عليه.. وقد كان يرتدي درعاً ثمينة بحلقات ذهبية.. ففكها عنه وأرسلها إلى أخت عمرو، حتى لا يظن أحد أنه قتله ليربح هذا الدرع[1].

ما أعظمك يا ربيب محمد ﷺ.. ما أعظمك يا سابق المسلمين!! مَنْ غيرك يستطيع أن يتحكم في ثورة عواطفه ومشاعره في لحظات مثل تلك اللحظات.. لحظات يتراقص فيها الموت على مسرح الحياة!!

لكنك سحقت ثورة نفسك وغضبك.. لتتجلى وتنتصر ثورتك لمبادىء دين الله حتى تُبقي غضبك لله وحد..!! فحقاً إنك سبقت الأولين.. ولن يلحق بك الآخرون وصدق رسول الله ﷺ معلمك وأستاذك العظيم..

صدق حين قال:

«ضربة علي يوم الخندق، تعدل عبادة الثقلين..».

..حقاً ليس لمعارك الإسلام إلا علي بن أبي طالب..

فلا فتى إلا علي.. ولا سيف إلا ذو الفقار..،.

وهذا كان هتافاً يهتف به المسلمون، عندما كان الإمام علي كرم الله وجهه يبرز لمقاتلة المشركين ويصرعهم..

رثت أخت عمرو بن ود أخاها، بعد أن علمت بمصرعه من قِبل الأمام علي.. وقالت في بعض أبياتها:

لو كان قاتل عمر غير قاتله ... لكنت أبكي عليه دائم الأبد

لكن قاتله من لا يعاب به ... أبوه مَنْ كان يدعي بيضة البلد

على أن المسلمين قد فقدوا في هذه المعركة، بطلاً من أبطالهم.. حيث استشهد فيها (سعد بن معاذ) رئيس الأوس.. وغيره من الشهداء..

---

(١) (نظرة جديدة في سيرة رسول الله) كونستانس جيورجيو - ص٢٩٧ - الدار العربية للموسوعات - بيروت.

وورد في سيرة ابن إسحاق أن المشركين من أصحاب عمرو بن ود العامري.. عرضوا على رسول الله ﷺ مبلغاً من المال في مقابل جثة عمرو..

فرد عليهم الرسول ﷺ:

«لا حاجة لنا بها.. وإنا لا نأخذ ثمن الموتى»..

ولا يفوتنا أن نذكر أن عمرو بن عبد ود لم يكن هو وحده الشجاع الصريع على يد ابن أبي طالب.. بل تبعه (نوفل المخزومي) الذي لا يقل شجاعةً عن شجاعة سابقه. فقد قفز نوفل بجواده إلى الخندق بعد مقتل عمرو..

فنزل إليه علي.. لكن نوفلاً سقط من على ظهر جواده... وعندها انتظره علي حتى ينهض ويشهر سيفه دون أن ينتهز الفرصة ليقتله وهو ساقط..

وتلك سمات البطل الحق.. والشجاع المتسم بالمروءة... وصفات المؤمن المدافع عن مبادىء رفيعة تشربت بها أعماق نفسه الممتلئة بالإيمان..

.. وتمكن علي من دحر خصمه نوفل.. فصرعه شر صرعه..

وعندها خاف أبو سفيان على جثة شريكه التجاري نوفل من التمثيل وقطع رأسه، كما كانت تفعل نساء قريش برجال المسلمين بعد معركة أُحد.. وعلى رأسهم (سُلافة) التي كانت تشرب بجمجمة أحد شهداء المسلمين!!

فبعث إلى علي من ينادي:

- يا علي.. أمنحك مئة جمل بشرط أن لا تقطع رأسه وتسلمنا جثته سليمة.. لكن علياً رفض ذلك العرض.. لأنه لم يقاتل إلا دفاعاً عن دين الله، دون أن يقاتل من أجل مال أو مكسب.

وردّ علي جثة نوفل، دون أن يقطع رأسه بعد قتله.. قائلاً:

«إن مبادىء الإسلام تُحرّم التمثيل بجثة القتيل حتى لو كان مشركاً»..

٦ من غزوة خيبر.. إلى معركة حُنَيْن

كان رسول الله ﷺ يُسَلِّم راية المسلمين إلى علي بن أبي طالب في أغلب معاركه مع المشركين..

كما أعطاه اللواء في مواطن كثيرة..

ذكر الإمام السيوطي في (تاريخ الخلفاء) عن.. سهل بن سعد:

إن رسول الله ﷺ قال يوم خيبر:

«لأعطين الراية غداً رجلاً يفتح الله على يديه، يحب الله ورسوله.. ويحبه الله ورسوله..».

فبات الناس يدركون ليلتهم أيهم يُعْطاها..

فلما أصبح الناس غدوا على رسول الله ﷺ... كلهم يرجو أن يعطاها..

وعن أبي هريرة قال:

قال رسول الله ﷺ:

«لأعطين غداً رايتي إلى رجل يحب الله ورسوله.. ويحبه الله ورسوله. كرار ليس فراراً.. امتحن الله قلبه الإيمان...».

وتمنى كل صحابي أن يكون هو مَنْ يحمل تلك الراية[1]..

سأل النبي ﷺ عن علي بن أبي طالب..

قيل له.. إنه في البيت يساعد زوجته فاطمة الزهراء بطحن الحبوب.. وأرسل في طلبه.. حتى جاءه الإمام علي.. وهو أرمد العينين..

---

(١) ورد ذلك في صحيح مسلم وصحيح البخاري.

فنفث رسول الله ﷺ في عينيه.. ودعا له.. فبرئ من الرمد. وقيل: بعدها لم تصب عيناه بأي مرض..

أخرج الإمام أحمد بن حنبل.. وأبو يعلي بسند صحيح عن علي، قال:

«ما رمدت ولا صُدِعتُ منذ مسح رسول الله ﷺ وجهي.. ونفث في عيني يوم خيبر، حين أعطاني الراية....».

كما أخرج أبو يعلي.. عن أبي هريرة، قال:

قال عمر بن الخطاب:

(لقد أعطى علي ثلاث خصال، لأن تكون لي خصلة منها أحب إلي من أن أعطىٰ حُمُر النعم...).

فسُئل... وما هن!!... قال:

(تزوجه ابنته فاطمة.. وسكناه المسجد لا يحل لي فيه ما يحل له.. والراية يوم خيبر)(١).

... دفع النبي ﷺ راية المسلمين إلى علي بن أبي طالب.. ليتقدمهم بفتح حصن خيبر المنيع.. الذي استكمن وراءه يهود بني قريضة.. قائلاً له:

«خذ هذه الراية... فتح الله عليك...».

وعن أبي هريرة... قال رسول الله ﷺ لعلي:

«... إمش ولا تلتفت حتى يفتح الله عليك..»(٢).

سار الإمام علي على رأس جيش من المسلمين إلى ذلك الحصن.. وفي طريقه إليه قابله رجل من يهود خيبر..

فسأله: من أنت؟ قال:

أنا علي بن أبي طالب.. فقال اليهودي:

---

(١) أخرجه أيضاً البلاذري في (أنساب الأشراف).

(٢) (الخصائص) ـ للنسائي ص٤١.

(غلبتم يا معشر اليهود..).

كان ذلك في السنة السابعة للهجرة.. حينما اقترب الإمام علي برايته من الموقع المحصن تحصيناً محكماً.. عجز عن اجتياحه غيره قبله..

وبعد أن ارتدت أول يوم كتيبة يقودها أبو بكر (رض).

ثم ارتدت في اليوم الثاني كتيبة أخرى يقودها عمر بن الخطاب (رض).. حيث حارب اليوم كله.. ولم يستطع أن يقتحم الحصن[1]...

وبدأ الإمام علي... حامل راية رسول الله ﷺ بمهاجمة أهل ذلك الحصن من يهود خيبر.. وهو يقول:

«والله لأذوقن ما ذاق حمزة.. أو لأفتحن حصنهم..».

... خلع الإمام علي (ع) عنه الدرع.. ليكون خفيف الحركة.. وطلب من رجاله ذلك أيضاً.. وتذكر وصية رسول الله ﷺ له:

«أنفذ على رسلك حتى تنزل بساحتهم.. ثم ادعهم إلى الإسلام.. فإن لم يطيعوا فقاتلهم.. فوالله لئن يهد الله بك رجلاً خير لك من حمر النعم..».

.. وتقدم حيث دعاهم لدخول الإسلام.. فسخروا منه.. وطالبهم أن يبرز له فرسانهم.. وخرج إليه الحارث... أحد أبطالهم.. فصرعه الإمام شر صرعة..

كما خرج له فارس آخر.. فكان مصيره كمصير سابقه..

ونادى الإمام علي شجعان خيبر.. أن يبرز له رجل يثبت في المعركة..

فخرج له أشجع شجعانهم.. وهو (مرحب).

... مرحب وبيده حربة مخيفة ذات ثلاثة رؤوس.. وكل جسده الفارع في الزرد... والحديد يغطي رأسه وساقيه.. وليس في كل بدنه ثغرة ينفذ منها السيف..

---

(١) (محمد رسول الحرية) عبد الرحمن الشرقاوي ص٢٧٤. و(في رحاب علي) ـ خالد محمد خالد ـ ص٨٣.

وتقدم إليه الإمام علي بقامته المعتدلة.. بلا درع.. وفي يده السيف وحده.. وتوقع المسلمون.. واليهود جميعاً.. إنها نهاية علي بن أبي طالب على يد (مرحب)!!

لكن الإمام استطاع أن يحسن الاستفادة من تخففه من الدروع والزرد.. وترك مرحباً يتقدم إليه بدروعه وزرده وحربته.. حتى أوشك سن الحربة أن يمس صدره..

عندها تراجع الإمام علي فجأة.. ثم قفز في الهواء، متفادياً حربة مرحب.. بعدها اقتحم.. وأهوى بكل قوته على رأس مرحب بالسيف. وانفلق الحديد من على رأس مرحب.. وسقط سيف علي على الجمجمة.. فشقها نصفين..

وهوى مرحب وسط ذعر اليهود وعجبهم.. وصيحات النصر ترتفع من معسكر المسلمين.. ثم اندفع علي إلى باب الحصن.. واقتحمه[1]..

بعد أن انتصر علي على مرحب، أخذ النبي ﷺ ربيبه الشجاع وقبّله بحضور المسلمين وقادتهم.. ودعاه (أسد الله) وصار ذلك لقباً له

وفي رواية أخرى..

أن الإمام علياً تناول باب الحصن.. وترس به عن نفسه..

وبعد أن أصاب مرحباً إصابة قاتلة طرح باب الحصن الثقيل.. حيث جعل منه معبراً للمسلمين يدخلون داخل الحصن من عليه..

وسقط ذلك الحصن المنيع... وأُسر مَنْ فيه... ومنه غنم المسلمون مغانم كبيرة..

بينما كان رسول الله ﷺ يتفقد نتائج المعركة في ميدانها.. بعد انتهائها.. وجد (بلال) يدفع فتاتين وسط قتلىٰ اليهود.. وهما تصرخان..

فزجره النبي ﷺ قائلاً له:

«أنزعت الرحمة من قلبك يا بلال حين تمر بامرأتين على قتلى رجالهما!!».

---

(١) (محمد رسول الحرية) ـ عبد الرحمن الشرقاوي.

وألقى برده على إحداهما.. وهي (صفية بنت حي بن أخطب) سيد بني قريضة.. استوطنت خيبر منذ قتل أبوها، وقومها في (غزوة بني قريضة)..

ثم قال لها محمد ﷺ في حزن:

«أما إني لأعتذر إليك يا صفية مما صنعت بقومك.. ولكنهم..».

فردت عليه رداً جميلاً.. ثم عرض عليها الإسلام.. فأسلمت وتزوجها.. وأصبحت من أمهات المؤمنين(١).

بعد تلك المعركة دخل في الإسلام عدد من القبائل اليهودية.. ولم يرفض النبي ﷺ إسلامهم وإن كان ليشعر إنهم غير صادقين..

سُئل الإمام علي كرم الله وجهه: كيف قلعت باب خيبر!!... أجابهم:

«والله ما قلعت باب خيبر بقوة جسدية.. ولكن بقوة ربانية..».

وهكذا فتح الله على يديه نصر جيوش المسلمين..

..أخرج ابن إسحاق في المغازي.. وابن عساكر عن أبي رافع مولى رسول الله ﷺ الذي كان ضمن كتيبة علي بن أبي طالب(٢)..

(إن علياً تناول باباً عند الحصن.. فترس به عن نفسه.. فلم يزل في يديه وهو يُقاتل... حتى فتح الله علينا.. ثم ألقاه.. فلقد رأيتنا ثمانية نفرٍ نجهد أن نقلب ذلك الباب.. فما استطعنا أن نقلبه..)

وهكذا أضاف المسلمون نصراً آخر من انتصاراتهم على أعداء الله... وبنصرٍ من عنده.. على قلة العدد.. والعُدة..

وسنكمل هذا الموضوع في موضوع آخر هو (حديث الراية يوم خيبر)..

---

(١) المصدر السابق.

(٢) ذكر ذلك الإمام أحمد بن حنبل في مسنده ج٦ ص٨. وابن جرير الطبري في تاريخه. والفخر الرازي في تفسيره الكبير. وفي كنز العمال. والمحب الطبري في الرياض النضرة.

٧ معركة حُنيْن

على أن انتصارات المسلمين في ساحات المعارك قد توجت بنصرهم في معركة حنين.. تلك المعركة التي حشد المسلمون لها.. أكثر من اثني عشر ألف مقاتل.. ذلك لمواجهة بعض القبائل.. مثل هوازن.. وثقيف.. التي عظم عليها انتصارات المسلمين.. لاسيما بعد فتح مكة.. ودخول معظم القبائل العربية الإسلام.. وتوحيد شبه الجزيرة العربية تحت رايته..

لذا قرر المشركون من تلك القبائل غزو المسلمين.. وحشدت لذلك قواتها في منطقة الطائف..

.. زحف جيش المسلمين الذي يفوق جيش المشركين عدداً وعُدة.. حتى إنهم قالوا: (لن نُغلب اليوم من قلة..).

دخل المسلمون فجراً وادي حنين والتي سميت هذه المعركة باسمه.. وبينما هم كذلك.. إذ إنهالت عليهم سهام المشركين ونبالهم من المرتفعات المحيطة بالوادي..

وبرزت كتائب بني ثَقيف وحلفائهم.. تحاصر المسلمين من كل الجهات..

أدى ذلك إلى إرباك المسلمين.. لاسيما مقدمة الجيش.. حيث انسحبت دون تنظيم.. أو توجيه من قائدهم العظيم ﷺ.

وكاد أن يكون ذلك الانسحاب مؤدياً لخسارة المسلمين في تلك المعركة!!

لولا وقوف النبي ﷺ وصموده أمامهم.. ومعه علي بن أبي طالب.. وأخوه عقيل.. وعمهم العباس بن عبد المطلب.. وأبو بكر.. وعمر بن الخطاب.. وأبو سفيان بن الحارث... والزبير بن العوام.. وابنه عبد الله... وأسامة بن زيد.. وغيرهم...

أخذ رسول الله ﷺ ومَنْ معه ينادون المنسحبين من مقدمة الجيش.. ليطلبوا منهم الصمود والثبات.. وعدم الانسحاب..

(إلى أين أيها الناس.. هلموا إلي.. أنا رسول الله... أنا محمد بن عبد الله...)

وخلال الهرج.. تقدم رجل من المسلمين (المشكوك في إسلامه) يحاول طعن النبي ﷺ بثأراً لأبٍ له مات في أُحد!! ولكن عمر بن الخطاب (رض) قتل الرجل..

... ارتفع صوت أبي سفيان من بعيد.. يقول في شماته.. وهو يجري.. ويغري مَنْ معه بالفرار:

(لا تنتهي هزيمتهم دون البحر!!).

وصاح أحد فتيان قريش.. وهو يفر ضاحكاً:

(ما جئنا إلا لنلتمس نساء الطائف الجميلات!!).

إن ألفين من قريش وعلى رأسهم أبو سفيان بن حرب، اعتنقوا الإسلام خوفاً أو طمعاً، وقد جاءوا معه اليوم لا لينصروه.. بل ليخذلوه.. وليشيعوا الانهزام بين المجاهدين القدماء..

وفي هذه اللحظات الحاسمة يتذكر بعضهم قتلاه الذين سقطوا قديماً في بدر.. ويحاول أن يعمل سيفه في المسلمين الأوائل(١)!

... وتجمع المقاتلون المسلمون من جديد.. والتفوا حول رسول الله وصحبه.. حتى إذا اجتمع منهم مائة رجل، جعلهم النبي ﷺ تحت قيادة علي بن أبي طالب.. وأمرهم أن يخوضوا في قلب جيش العدو..

اندفع عليٌ.. فعمد إلى قائد جيش العدو الذي يحمل رايته.. فضرب ناقته حتى إذا هوت به.. بارزه علي فطعنه..

وسقطت راية المشركين.. وسقط قائدهم.. فتشجع بعض الفارين من المسلمين إلى العودة.. والقتال..

---

(١) محمد رسول الحرية ـ عبد الرحمن الشرقاوي ـ ص٣٠٩.

استمر الإمام علي كرم الله وجهه. وصحبه إلى قواد العدويبارزونهم.. فيصرعونهم واحداً بعد آخر..

حتى دب الذعر في جنودهم.. وأسرعوا إلى الفرار..

بينما كان معظم الذين فروا من معسكر المسلمين يعودون... حتى بعض الذين كانوا يسخرون في شماته!!

ووجدوا بعض النساء يندفعن من معسكر المسلمين، فيقتلن رجالاً من الأعداء.. واستحيا كثير من الفارين.. فعادوا..

وانضموا إلى إخوانهم بينما كان.. علي... وعمر.. والعباس.. يعمدون إلى سادة العدو.. يبارزونهم فيصرعونهم[1]..

ودب الذعر في جنود العدو حين وجدوا سادتهم يسقطون الواحد بعد الآخر.. وانتصر المسلمون بعد أن كادوا يخسرون.. معركة حنين..

وقد قال سبحانه وتعالى في ذلك:

﴿وَيَوْمَ حُنَيْنٍ إِذْ أَعْجَبَتْكُمْ كَثْرَتُكُمْ فَلَمْ تُغْنِ عَنكُمْ شَيْئًا وَضَاقَتْ عَلَيْكُمُ الْأَرْضُ بِمَا رَحُبَتْ ثُمَّ وَلَّيْتُم مُّدْبِرِينَ ثُمَّ أَنزَلَ اللَّهُ سَكِينَتَهُ عَلَىٰ رَسُولِهِ وَعَلَى الْمُؤْمِنِينَ وَأَنزَلَ جُنُودًا لَّمْ تَرَوْهَا وَعَذَّبَ الَّذِينَ كَفَرُوا وَذَٰلِكَ جَزَاءُ الْكَافِرِينَ﴾ [سورة التوبة، الآيتان: ٢٥ و٢٦].

... كان الإمام (ع) في تلك المعركة.. أشد المقاتلين التصاقا برسول الله ﷺ.. مدافعا عنه أشد دفاع.. ودافعا عنه أي ضرر قد يقع عليه.. حتى كتب الله النصر للمسلمين..

﴿إِذَا جَاءَ نَصْرُ اللَّهِ وَالْفَتْحُ وَرَأَيْتَ النَّاسَ يَدْخُلُونَ فِي دِينِ اللَّهِ أَفْوَاجًا فَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ وَاسْتَغْفِرْهُ إِنَّهُ كَانَ تَوَّابًا﴾ [سورة النصر، الآيات: ١ - ٣] هذه نزلت على النبي ﷺ بعد انتصار المسلمين في هذه المعركة حسب ما ذكره بعض المفسرين والرواة.. أخذ رسول الله ﷺ يكرر من قوله:

(١) نفس المصدر.

«سبحان الله . . استغفر الله . . . ».

ثم التفت إلى ربيبه علي . . وقال له:

«يا علي إنه قد جاء ما وعُدتُ به . . جاء الفتح . . ودخل الناس في دين الله أفواجاً . . وإنه ليس أحد أحق منك بمقامي . . لِقِدَمِكَ في الإسلام . . وقربك مني . . ومصاهرتك وعندك سيدة نساء العالمين . .

وقبل ذلك ما كان من بلاء أبي طالب عندي حين نزل القرآن . .

فأنا حريصٌ على أن أراعي ذلك لولده . . ».

رواه أبو إسحاق الثعلبي في (تفسير القرآن)[١].

كانت معركة حنين آخر الغزوات والمعارك المنظمة الرئيسة التي شارك فيها علي بن أبي طالب في عهد رسول الله ﷺ . . ومعه . .

وكانت هناك مكاسبٌ مادية جناها المسلمين عند كسبهم . . أو انتصارهم بأية معركة على أعدائهم من الكفار والمشركين . .

أعني ذلك، الغنائم التي يحصلون عليها بعد تقهقر جيوش محاربيهم . . تلك الغنائم التي كان منها سهمٌ لعلي بن أبي طالب كمقاتل . . مَثَلهُ كمثل سائر المقاتلين المسلمين . . لا يزيدهم . . . ولا ينقصهم بسهم . .

إلا أنه . . يأخذ حصته من الغنائم ما يديم أود عائلته وقوتهم منها . . ويدفع ما تبقى من سهمه إلى المحتاجين . . والفقراء . . . والمساكين . .

(١) حجج النهج ـ د. سعيد السامرائي ـ ص٢٠٣.

٨ تبوك.. واستخلافه على المدينة

شارك الإمام علي (ع) في كل معارك المسلمين.. كبطلٍ فاعلٍ من أبطالها.. وقائد تحت راية قائدها الأول.. رسول الله ﷺ

يتفجر من أعماقه الإيمان.. ويحيط من جوانبه الفداء للعقيدة.. والتضحية من أجل مبادىء الدين الحنيف.. دين الله.. ورسالة السماء..

في غزوة (تبوك).. العام التاسع للهجرة.. أمره النبي ﷺ أن يتخلف عنها ليستخلفه على المدينة التي صارت مركزاً مهماً لتجمع المسلمين.. والانطلاق منها لنشر راية الإسلام...

أخرج الإمام أحمد بن حنبل.. والبزار من حديث أبي سعيد الخدري.. وكذلك الطبراني عن أسماء بنت عميس.. وأم سلمة.. وحبشي بن جنادة.. وابن عمر.. وعبد الله بن عباس.. والبراء بن عازب.. وزيد بن أرقم.. وأخرج الشيخان عن سعد بن أبي وقاص وغيرهم:

(إن رسول الله ﷺ خلف علياً بن أبي طالب في غزوة تبوك.. فقال علي:

«يا رسول الله تخلفني في النساء والصبيان!».

فقال له النبي ﷺ:

«أما ترضى أن تكون مني بمنزلة هارون من موسى؟.. غير أنه لا نبيَ بعدي..»[1].

---

(١) راجع موضوع حديث المنزلة من المواضيع القادمة، تجد لهذا الحديث كثير من الإسناد.

أعد النبي ﷺ جيش المسلمين، الذي يُعد أكثر عدداً من الأعداد السابقة للمعارك التي سبقتها..

وقد قُدر بثلاثين ألف مقاتل.. خرجوا بقيادة رسول الله ﷺ لمحاربة قيصر الروم (هرقل) في غزوة تبوك، التي كانت آخر معارك الرسول ﷺ..

ذكر ابن هشام في السيرة النبوية.. أن المنافقين، والمشركين أشاعوا أن النبي ﷺ ما خلّف الإمام علياً.. إلا استثقالاً له.. وتخففاً منه!!

وقد قطع قائد المسلمين ﷺ دابر تلك الأقاويل.. بقوله لعلي:

«خلفتك لما تركت ورائي.. فارجع فاخلفني في أهلي وأهلك.. أفلا ترضى يا علي أن تكون مني بمنزلة هارون من موسى؟.. إلا أنه لا نبي بعدي».

وهذا يعني أن رسول الله ﷺ استخلفه وهو أكثر صحابته شجاعة ومقدرة على حفظ ما تركه النبي ﷺ وراءه من عيال وأهل، ومال..

إضافة إلى ذلك، إن المدينة أصبحت بمثابة العاصمة الإسلامية.. ومركز المسلمين السياسي، والاستراتيجي..

فهي (المدينة) أصبحت مدينةً لها أهميتها من كل الجوانب والأمور.. وقد اختار الرسول ﷺمن هو أكفأهم.. وأقدرهم على الحفاظ على تلك المدينة المهمة وحمايتها.. وبالتالي الحفاظ على مؤخرة جيش المسلمين..

فاستخلاف علي بن أبي طالب على يثرب، هو تكليف له من قبل القائد العظيم ﷺ.. لا تقل أهميته عن تكليفه بالمشاركة في أية معركة من معارك المسلمين.. ذلك أنه تولى مسؤولية ثلاثين ألف عائلة.. مسؤولية الحفاظ على أرواحها.. وأموالها.. وأمنها.. وكذلك الحفاظ على البيت الهاشمي الذي تركه النبي ﷺ في مدينته. وأهم من كل ذلك.. الحفاظ على مؤخرة ذلك الجيش الذي ترك أفراده ذويه وأهله ليقاتل من أجل الدعوة الإسلامية السمحاء..

واستخلاف رسول الله ﷺ لعلي على المدينة، يعتبر له تكريماً ومنقبة من مناقبه التي حصرها (الزمخشري) بثماني عشرة منقبة..

وقد ذكر الزمخشري في تلك المناقب:

إن الإمام علياً كرم الله وجهه، وبالرغم من عدم مشاركته في غزوة تبوك.. إلا أنه نال سهم جبريل، إضافة لسهمه..

ذلك عندما غنم المسلمون من أموال المشركين.. قام رسول الله ﷺ بتقسيم السهام على المسلمين.. كل واحد منهم أخذ سهماً..

وأعطى النبي ﷺ علياً بن أبي طالب سهمين..

فسأله أحد الصحابة:

يا رسول الله، أوحي نزل من السماء، أم أمر من نفسك؟..

فقال رسول الله ﷺ:

«أنشدكم الله، هل رأيتم في رأس ميمنتكم صاحب الفرس الأغر المحجّل.. والعمامة الخضراء، ولها ذؤابتان مرخاتان على كتفيه.. قد حمل على الميمنة فأزالها وحمل على الميسرة فأزالها.. وحمل على القلب، فأزاله؟».

قالوا: نعم لقد رأينا ذلك.. قال ﷺ:

«هو جبريل.. وإنه أمرني أن أدفع بسهمه لعلي..».

قال تعالى في كتابه الكريم:

﴿۞ إِنَّ ٱللَّهَ ٱشْتَرَىٰ مِنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ أَنفُسَهُمْ وَأَمْوَٰلَهُم بِأَنَّ لَهُمُ ٱلْجَنَّةَ ۚ يُقَٰتِلُونَ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ فَيَقْتُلُونَ وَيُقْتَلُونَ ۖ وَعْدًا عَلَيْهِ حَقًّا فِى ٱلتَّوْرَىٰةِ وَٱلْإِنجِيلِ وَٱلْقُرْءَانِ ۚ وَمَنْ أَوْفَىٰ بِعَهْدِهِۦ مِنَ ٱللَّهِ ۚ فَٱسْتَبْشِرُوا۟ بِبَيْعِكُمُ ٱلَّذِى بَايَعْتُم بِهِۦ ۚ وَذَٰلِكَ هُوَ ٱلْفَوْزُ ٱلْعَظِيمُ﴾ [سورة التوبة، الآية: ١١١].

٩ الجهاد بالموعظة.. بعد الجهاد بالسيف

قال الإمام علي بن أبي طالب (ع)، عن المعارك التي خاضها المسلمون ضد المشركين:

«ولقد كنا مع رسول الله ﷺ نَقتلُ آباءَنا، وأَبناءَنا، وإخوانَنَا، وأَعمامَنا.. ما يزيدنا ذلك إلا إيماناً، وتسليماً، ومُضِياً على اللَّقَمِ[١].. وصبراً على مَضَضِ الألَم.. وَجِدًا في جِهادِ العدو..

ولقد كان الرَّجُلُ منا، والآخر من عَدُوِّنا يَتَصاوَلانِ تَصَاوُلَ الفحلين.. يَتخالَسَانِ أنفُسَهُما[٢]، أيهُما يَسقي صاحِبَهُ كأسَ المَنُونِ...

فَمَرةً لنا مِنْ عَدُوِّنا.. وَمَرَّةً لِعَدُوِّنا مِنَّا.. فلما رأىٰ الله صِدقَنَا أَنزل بِعَدُوِّنا الكَبتَ[٣].. وأَنزلَ علينا النَّصرَ، حتىٰ استَقَرَّ الإسلامُ مُلقِياً جِرانَهُ[٤]، ومُتَبَوِّئاً أوطانهُ...

وَلَعمري لو كُنا نأتي ما أَتيتم، ما قامَ للدينِ عَمُودٌ.. ولا اخضَّر للإيمانِ عُودٌ..».

... الإمام علي كان أشد المؤمنين بمبادىء الإسلام.. وكما آمن أن الجهاد في سبيل الله، هو ركن من أركان الدين.. آمن كذلك، إن الأمر بالمعروف، والنهي عن المنكر، هو من أركانه الأساسية..

(١) معظم الطريق.

(٢) كل يطلب اختلاس روح الآخر.

(٣) الذل والخذلان.

(٤) جران البعير: مقدم عنقه عن التمكن.

لذا كان علي يُعلم المسلمين ما تعلمه من معلمه.. يَعظُهم في وقت السلم.. ووقت الحرب..

يأمرهم بطاعة الله سبحانه وتعالى.. ونشر تعاليم دينه الحنيف.. وينهاهم عن معصية الخالق..

فهو ما انفك يقاتل بسيفه المشركين.. ويضحي بنفسه من أجل الإسلام، وسلامة المسلمين بساحات الوغى.. ويدفع عن كل مَنْ آمن بدين محمد ﷺ الأذى.. ويفتدي رسول الله ﷺ بنفسه..

وبشجاعته، وبطولاته، فقدّرَ الله سبحانه وتعالى له أن يكون سبباً من أسباب انتصارات المسلمين.. في حروبهم التي قومت دعائم الدين..

وعلي بن أبي طالب، هو أول المجاهدين من المسلمين، بعد رسول الله ﷺ.. باع دنياهُ لآخرته ونذر نفسه لخدمة محمد ﷺ.. ودين محمد..

فهو أول المجاهدين بالسيف.. وأول المجاهدين بالكلمة والموعظة..

... قضى زهرة شبابه في الدفاع عن رسول الله ﷺ.. ونشر لواء الإسلام.. وتثبيت دعائمه، غير هياب ولا وجل..

وكلما راجعنا غزوات الرسول ﷺ وجدنا اسم علي بن أبي طالب مقروناً بها.. فتارة نجده يحمل اللواء.. وتارة يفرّق جمع الأعداء، ويلم شمل المجاهدين، ويبارز أبطال قريش أعداء الإسلام، فيصرعهم ويفتح الحصون المستعصية.. ويهدم الأصنام.. وهو صاحب الفضل في دخول همدان في الإسلام، وهي قبيلة كبيرة في اليمن، حتى خرج الرسول ﷺ ساجداً شاكراً الله على إسلامها(١)...

... قال لرفاقه، وإخوانه من المسلمين:

«إن أفضل ما توسّلَ به المتوسّلونَ إلى الله سبحانه وتعالى:

(١) الإمام علي بن أبي طالب رابع الخلفاء الراشدين ـ محمد رضا ص٣١.

الإيمان به وبرسوله . .

والجهاد في سبيله، فإنه ذروة الإسلام . .

وكلمةُ الإخلاصِ، فإنها الفِطرةُ . .

وإقام الصلاةِ، فإنها المِلّةُ . .

وإيتاءِ الزكاةِ، فإنها فريضةٌ واجبةٌ . .

وصومُ شهرِ رمضانَ، فإنه جُنّةٌ من العقابِ . .

وحجُّ البيت واعتمارُهُ، فإنهما ينفيان الفقرَ ويرحضانِ[1] الذنبَ . .

وصِلةُ الرّحمِ، فإنها مثراةٌ في المالِ . . ومنسأةٌ[2] في الأجلِ . .

وصَدقَةُ السّر، فإنها تُكَفِّر الخطيئةَ . .

وصَدقَةُ العلانيةِ، فإنها تدفعُ ميتةَ السُوءِ . .

وصَنائِعُ المعروفِ، فإنها تقي مصارعَ الهوانِ . . .

أفيضوا في ذكر الله، فإنه أحسن الذكر . . وارغبوا فيما وعد المتقينَ فإنّ وعدهُ أَصدقُ الوعدِ . . واقتدوا بهدى نبيكم، فإنه أفضل الهدى . .

واستنُّوا بسُنَّتِه، فإنها أهدى السُننِ . .

وتعلّموا القرآن، فإنه أَحسَنُ الحديثِ . . وتفقّهُوا فيه، فإنه ربيعُ القلوبِ واستشفوا بنُورِهِ، فإنه شِفاءُ الصُدورِ . . وأَحسنُوا تلاوتهُ، فإنه أحسَنُ القصصِ . .

فإنَّ العَالِمَ العامِلَ بغير علمه كالجاهلِ الحائِرِ الذي لا يَستفيقُ مِنْ جهلِه،

---

(١) غسله أو منعه.

(٢) مطال فيه ومزيد.

بل الحُجّةُ عليهِ أعظمُ، والحسرةُ له ألزَمُ، وهو عِندَ الله ألومُ»[1].

.. ما أروعك يا علي، عندما تقاتل عن الإسلام بسيف الإسلام مجاهداً، ومحارباً..

وعندما تقاتل للإسلام بكلمتك مجاهداً، وواعظاً..

ولا عجب في ذلك، وأنت من الذين عُلمُّوا الأسماء، وأُوتوا الحكمة وفصل الخطاب...

في رمضان من السنة العاشرة للهجرة (٦٣١ ميلادية).. أرسل رسول الله ﷺ علياً إلى اليمن، ليدعو أهلها للإسلام.. بعد أن أمر خالداً بن الوليد بالعودة من اليمن التي أقام بها ستة أشهر يدعوهم إلى الإسلام، فلا يجيبونه..

فبعث النبي ﷺ الإمام علياً (ع).. وقال له بعد أن عممه بيده الكريمة.. وأعطاه لواء القيادة:

«امضِ ولا تلتفت.. فإذا نزلت بساحتهم، فلا تقاتلهم حتى يقاتلوك».

ومضى علي بن أبي طالب ليقود ثلثمائة فارس من المحاربين الذي سبق لهم وإن قاتلوا دفاعاً عن الإسلام، في المعارك السابقة بين المشركين والمسلمين..

ونَفَّذَ ما أمره رسول الله.. وبعد أن وصل إلى اليمن، دعا أهلها إلى الإسلام.. لكنهم ردوا دعوته.. وردوا عليه بالنبال..

فحمل عليهم.. وهزمهم شر هزيمة.. فتابعهم دون قتال، مكرراً دعوتهم إلى مبادىء دين الله.. بعرض تلك المبادىء.. وقراءة الآيات القرآنية عليهم.. ومجادلتهم بالحسنى.. حتى اقتنعوا بما سمعوا منه.. وأسلم منهم رؤسائهم وقادتهم.. فتبعهم تابعوهم، أفراداً، وجماعات..

قدّمَ هؤلاء المسلمون الجدد بعد أن أسلموا كثيراً من الهدايا المختلفة والثمينة للإمام علي منها أموالاً، وحريراً، وأغناماً، وغنائم كسبوها قبل إسلامهم.. وقالوا له:

(١) أشد لوماً لنفسه بين أيدي الله لأنه لا يجد منها عذراً يُقبل أو يُرد.

(هذه صدقاتنا فَخُذْ منها حق الله تعالى. .).

. . جمع الإمام ما استلم منهم، ووزعه بالتساوي على استحقاقات كل واحد منهم. وكان أحدهم. . أصابه ما أصابهم. .

أما الباقي فعاد به إلى رسول الله ﷺ، عندما التقى معه في حجته بمكة المكرمة. . ولما عجّل الإمام للقاء النبي ﷺ بعد أن غاب عنه في حملته إلى اليمن، لينظم إليه في تأدية مناسك الحج. . ترك على رجاله رجلاً من جُنده. . واستبقهم للقاء النبي ﷺ حتى يكون معه في حجة الوداع أو (الحج الأكبر). .

وعندما، اقترب جيش علي من مكة. . خرج لاستقباله هو. . فوجد رجاله وعليهم من حُلل الغنائم، التي هي من حق المسلمين التي عاد بها إلى رسول الله ﷺ. . بعد أن أخذ كل مقاتل حقه منها. .

ولما رأى ذلك الإمام اغتاظ. . وقال منتهراً لمن ولاه عليهم:

- ويلك ما هذا!! أجابه:

- كسوت القوم ليتجملوا! رَدَ الإمام عليه:

- إنزعها، ويلك، قبل أن تنتهي إلى رسول الله. .

وامتثل ذلك القائد لأمر قائده، وانتزع الحلل عن المقاتلين، وأعادهاإلى ما كانت عليه. .

. . علي بن أبي طالب، لا يخاف في الحق لومة لائم. . ولا يسكت أبداً عن غير الحق. . رأى أن باقي الغنائم هي من حق باقي المسلمين. . لا يحق له، ولا لأصحابه أن يستعملوها كلاً أو جزءاً. . بعد أن أخذ كل منهم حقه منها. .

على أن ذلك لا يروق لبعض من المنافقين. . منهم الذين لم يدخل الإيمان في قلوبهم كما ينبغي. .

أو لا يروق لبعض المسلمين الذين لم يَرقُوا في فهمهم للحق، ولا لمبادىء الدين إلى ما وصل إليه الإمام علي كرم الله وجهه. .

فاشتكى هؤلاء الإمام لدى رسول الله ﷺ. . .

فقام النبي ﷺ بالناس خطيباً. . حتى قال لهم:

«. . . أيها الناس لا تشكوا علياً. . فوالله، إنه ليخشوشن في ذات الله. . وفي سبيل الله»[1].

فوالله!! يقسم رسول الله ﷺ، قسماً عظيماً. . إنه ليخشوشن في سبيل الله!

حقاً إنها لكلمة صدق. . من صادق أمين في علي. . وتزكية عظيمة له، لم يزكِ النبي ﷺ أحداً من الصحابة مثلما زكى تلميذه علياً بن أبي طالب. .

. . عن (بُريدة) الذي كان أحد الشاكين إلى رسول الله ﷺ علياً قال:

سألني النبي ﷺ، بعد أن شكوته علياً:

ـ أتبغض علياً؟ قلت له:

ـ نعم يا رسول الله!! قال له ﷺ:

ـ لا تبغضه، وإن كنت تحبه، فازدد له حباً. .

يقول عبد الدين بُريدة:

بعدها، ما من أحد، بعد قول رسول الله ﷺ أحب إلي من علي[2]. .

ذكر إسحاق بن إبراهيم بن راهوية، قال:

حدثنا عبد الله بن بريدة، قال: حدثني أبي، قال:

لم أجد من الناس أبغض عليَّ من علي بن أبي طالب. . حتى أحببت رجلاً من قريش. . ولا أحبه، إلا على بغض علي، فبعث ذلك الرجل على خيل فصحبته. . ما أصحبه إلا على بغض علي. . قال فأصبنا سبياً. . قال:

فكتب إلى النبي ﷺ أن إبعث إلينا من يُخمسه. .

فبعث إلينا علياً، وفي السبي وصيفة من أفضل السبي. .

فلما خمسه صارت في الخمس. . ثم خُمس فصارت في أهل بيت النبي ﷺ. . ثم خُمس فصارت في آل علي. .

---

(١) مستدرك الصحيحين للحاكم ج٣ ص١٣٤. الإمام أحمد بن حنبل في مسنده ج٣ ص٦٨. ابن عبد البر في استيعابه ج٢ ص٧٣١. الطبري في تاريخه ج٢ ص٤٠٢ عن أبي سعيد الخدري.

(٢) الإمام أحمد بن حنبل في مسنده ج٥ ص٣٥٩. وذكره الحاكم. وابن أبي شيبه.

فوقعت عليها، فكتب، وبعث معنا مصدقاً لكتابه إلى النبي ﷺ مصدقاً لما خمس علي وما قال. .

فجعلت أقرأ عليه، ويقول: صدقاً. . وأقول: صدق. .

فأمسك بيدي رسول الله ﷺ، فقال:

يا بريدة! أتبغض علياً؟. . . قلت: نعم. . فقال:

(لا تبغضه، وإن كنت تحبه، فازدد له حباً. فوالذي نفسي بيده لنصيب آل علي في الخمس، أفضل من وصيفة. .)

فما كان أحد من الناس بعد رسول الله ﷺ أحب إليّ من علي. .

قال عبد الله بن بريدة:

والله ما في الحديث بيني، وبين النبي ﷺ غير أبي[1]!

وذكر أبو معاوية، عن الأعمش، عن عدي بن ثابت، عن زر بن حبيش، عن علي بن أبي طالب كرم الله وجهه، قال:

«والله الذي فلق الحبة وبرأ النسمة، أنه لعهد النبي ﷺ:

إنه لا يحبني إلا مؤمن، ولا يبغضني إلا منافق».

أخرج هذا الحديث مسلم في (صحيحه). والمصنفُ في (السنن). والترمذي. . وابن ماجة. وابن أبي عاصم في (السُّنه). والحميدي. والإمام أحمد بن حنبل في (فضائل الصحابة) وكذلك في (المسند). .

كما أخرجه أبو بكر بن أبي شيبة. وأبو يعلي. وابن حبان. والبزار. والبلاذري في (أنساب الأشراف). وأبو بكر القطيعي في (زوائده على الفضائل). وابن منده في (الإيمان). وأبو نعيم. والحاكم في (علوم الحديث). والخطيب في (التاريخ). وابن النجار في (ذيل تاريخ بغداد). وابن المغازلي في (مناقب علي). . وغيرهم[2].

---

(١) النسائي في خصائصه ص٩٨.

(٢) نفس المصدر السابق ص١٠١.

كما أخرج الترمذي عن، أبي سعيد الخدري، عن أم سلمة، قال:
(كنا نعرف المنافقين ببغضهم علياً)..

ذكر ذلك ابن الأثير في (أسد الغابة). والطبري في (الرياض النضرة) وابن حجر العسقلاني في (الصواعق المحرقة). والسيوطي في (الدر المنثور). والآلوسي في (روح المعاني)

وأخرج الطبراني عن جابر بن عبد الله، قال: قال النبي ﷺ:
«الناس من شجرٍ شتى، وأنا وعلي من شجرة واحدة»[1].

قال الإمام علي (ع) عن حقد المنافقين، وبغضهم له:
«لو ضَرَبتُ خَيشُومَ المؤمنِ بسيفي هذا على أن يُبغِضَني ما أَبغضني..
ولو صَبَبْتُ الدنيا بِجَمَّاتِها على المنافق على أن يحبني ما أحبني.
وذلك أنه قُضِيَ على لسان النبي الأميّ ﷺ إنه قال:

«يا علي لا يبغضك مؤمن، ولا يحبك منافقٌ».

.. هكذا كان علي بن أبي طالب.. المجاهد الأول في الإسلام، بسيفه، وكلمته الذي أحبه المؤمنون.. وأبغضه المنافقون..

.. في ديار طي.. ديار حاتم الطائي، وفيه صنمهم المشهور، المسمى (القُلس) والمُعلَّق عليه سيفان شهيران.. (مِخذم) و(رَسُوب). أهداهما الحارث بن أبي شِمْر، لذلك الصنم!

أمر النبي ﷺ علياً بن أبي طالب، أن يقود سرية من المسلمين ويتجه إلى ديار طي، ليقوم بهدم ذلك الصنم.. وذلك في السنة التاسعة للهجرة.

فسار إلى تلك الديار.. وعرض عليهم الإسلام.. حيث أسلم مَنْ أسلم وسلم. وحطّم ذلك الصنم.. وقتل مَنْ قاتله.. وأسر من لم يُقتل.. وغنم وسبى..

---

(١) تاريخ الخلفاء - الإمام السيوطي ص٢٠٣ وورد في (مستدرك الصحيحين) ج٢ - ص٢٤١... وفي (كنوز الحقائق) ص١٥٥ ... و(كنز العمال) ج٦ ص١٥٤ و(ذخائر العقبى) ص١٦.

وكانت من السبايا (سفانة) بنت حاتم الطائي بعد أن فر أخوها (عدي) إلى بلاد الشام..

عاد إلى النبي ﷺ منتصراً بعد أن نفذ ما أمره.. ثم عرض أمامه المغانم والسبايا.. ومنهم (سفانة) حيث سألها النبي ﷺ عنها.. فقالت له:

ـ أنا بنت أكرم العرب!! قال الرسول ﷺ:

ـ أتكونين بنت حاتم الطائي! قالت: نعم.. قال ﷺ:

ـ لو كان أبوك مسلماً لترحمنا عليه..

بعدها أطلق النبي الكريم ﷺ سراحها وأكرمها بالغ الكرم إكراماً لها ولأبيها.. وكانت (سفانه) ذات عقل ووقار..

... أرسل رسول الله ﷺ علياً إلى اليمن مرة أخرى قاضياً، بعد أن أرسله سابقاً مبشراً للدين.. وذلك في شهر رمضان من السنة العاشرة للهجرة.

قال الإمام علي للنبي ﷺ:

«يا رسول الله إنهم كهول وذوو أسنانٍ وأنا فتىً.. وربما لم أَصب فيما أحكم به بينهم!».

أجابه ﷺ:

«اذهب فإن الله سيثبت قلبك، ويهدي لسانك».

وعن عبد الله بن عباس (رض)، قال:

(إذا حدثنا ثقة عن علي بفُتيا لا نعدوها..).

وذكر الزمخشري في مناقب الإمام علي (ع):

(إنه أقضى الصحابة، لقول رسول الله ﷺ «أقضاكم علي»).

وسنخص قضاءه ببحث خاص عنه لاحقاً في هذا الكتاب..

... لقد أحسن الإمام علي عليه السلام، الإسلام علماً، وفقهاً.. كما أحسنه عبادة وعملاً..

فكانت فتاواه مرجعاً للخلفاء والصحابة في عهود أبي بكر وعمر

وعثمان (رض). وندرت مسألة من مسائل الشريعة لم يكن له رأي فيها يؤخذ به أو تنهض له الحجة بين أفضل الآراء..

إلا أن المزية التي امتاز بها الإمام بين فقهاء الإسلام في عصره أنه جعل الدين موضوعاً من موضوعات التفكير والتأمل ولم يقصره على العبادة وإجراء الأحكام[1]..

قال الإمام في الشكر.. في الدعاء.. وفي التوبة، بعد أن سأله سائل عن هذه المواضيع.. فقال:

«ما كان الله ليفتح على عبد باب الشكر.. ويغلق عنه باب الزيادة..
ولا ليفتح على عبد باب الدعاء.. ويغلق عنه باب الإجابة.. ولا ليفتح على عبد باب التوبة.. ويغلق عنه باب المغفرة..».

كان ذلك علي بن أبي طالب شيخ الفقهاء، وحكيم الأمة، شيخ المجاهدين بالسيف والكلمة..

(١) عبقرية الإمام علي ـ عباس محمود العقاد ص٤٧.

الفصل الرابع

إشكالية الخلافة بعد النبي ﷺ

١ ـ حجـــة الوداع... أو الحج الأكبر.
٢ ـ مَنْ كنت مولاه.. فهذا علي مولاه.
٣ ـ مصادر حـــديث الغـــدير..
٤ ـ بأبي أنت وأمي يا رسول الله... طبت حياً وطبت ميتاً
٥ ـ آل البيت.. خارج السقيفة.
٦ ـ أبو بكر.. أول الخلفـــاء.
٧ ـ كانت فلتة.. وكادت تصبح فتنة!
٨ ـ الوصيـــة.. والشـــورى.

١ حجة الوداع.. أو الحج الأكبر

خرج رسول الله ﷺ من مقر إقامته في يثرب يوم السبت ٢٥ ذي القعدة، من العام العاشر للهجرة.. أي أواخر هذا العام.. والموافق (٦٣٢) ميلادية.. متوجهاً إلى مكة المكرمة لأداء فريضة الحج.. بعد أن أعلن عن ذلك قبل توجهه لها.. حيث أراد أن يحشد معه أكبر عدد من المسلمين.. لأنه كان يعلم إنها ستكون آخر حجة له.. وسيكون له آخر عهد عند بيت الله الحرام..

لذا سميت تلك الحجة بـ (حجة الوداع).. أو (الحج الأكبر).. وسماها آخرون بـ (حجة البلاغ). وغيرهم سماها بـ (حجة الإسلام)..

وإنها حقاً تنطبق عليها كل التسميات..

فهي حجة الوداع.. لأنه حج فيها للمرة الأخيرة..

والحج الأكبر... لأنه حشد لها أكبر عدداً من المسلمين..

وهي حجة البلاغ.. لأنه بلّغ فيها آخر ما أمره الله سبحانه وتعالى به أن يبلغ المسلمين..

وكذلك هي حجة الإسلام.. لأنه أكمل فيها الله عز وجل للمسلمين دينهم، وبها أنهى محمد ﷺ رسالته السمحاء..

.. رأى رسول الله ﷺ لزاماً عليه أن يتقدم المسلمين بأداء مناسك الحج، حتى يؤدون المناسك كما سيؤديها أمامهم، ليُعلمهم تعاليم الحج ومناسكه..

وتعاليم الحج، خير ختام لخير دين.

قَدِمَ إلى النبي ﷺ جمع كبير من المسلمين من سائر الأقطار والأمصار على اختلاف مسافاتها ومواقها..

وسار من المسلمين مع الرسول ﷺ ما ينيف على المائة ألف رجل.. وفي رواية أخرى مائة وعشرون ألف مسلم.. وذلك في موكب عظيم يقوده ذلك القائد العظيم ﷺ.. وأخرج معه بعض نسائه ومعهم ابنته فاطمة الزهراء..

وقبيل الوصول إلى مشارف مكة، التحق بذلك الحشد الهائل الإمام علي بن أبي طالب قادماً من اليمن بعد أن عاد منها، وقد أسلم أهلها كما مر ذكره في الموضوع السابق..

وصل موكب النبي ﷺ الذي اتسم بالهيبة الآلهية، والرهبة السماوية.. محفوفاً بمبادىء الدين الحنيف، وعمق الإيمان به.. ومناراً بنور النبوة، وجلال الخشوع.. وكلهم.. كل المسلمين بصوت هادر واحد.. يكبر.. ويحمد.. ويسبح..

الله أكبر.. الله أكبر كبيرا.. وسبحان الله بكرة وأصيلا.. ظهر الحق وزهق الباطل.. الله أكبر.. الله أكبر، ولله الحمد..

﴿إِنَّا فَتَحْنَا لَكَ فَتْحًا مُّبِينًا لِّيَغْفِرَ لَكَ ٱللَّهُ مَا تَقَدَّمَ مِن ذَنۢبِكَ وَمَا تَأَخَّرَ وَيُتِمَّ نِعْمَتَهُۥ عَلَيْكَ وَيَهْدِيَكَ صِرَٰطًا مُّسْتَقِيمًا وَيَنصُرَكَ ٱللَّهُ نَصْرًا عَزِيزًا هُوَ ٱلَّذِىٓ أَنزَلَ ٱلسَّكِينَةَ فِى قُلُوبِ ٱلْمُؤْمِنِينَ لِيَزْدَادُوٓا۟ إِيمَٰنًا مَّعَ إِيمَٰنِهِمْ ۗ وَلِلَّهِ جُنُودُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ۚ وَكَانَ ٱللَّهُ عَلِيمًا حَكِيمًا لِّيُدْخِلَ ٱلْمُؤْمِنِينَ وَٱلْمُؤْمِنَٰتِ جَنَّٰتٍ تَجْرِى مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَٰرُ خَٰلِدِينَ فِيهَا وَيُكَفِّرَ عَنْهُمْ سَيِّـَٔاتِهِمْ ۚ وَكَانَ ذَٰلِكَ عِندَ ٱللَّهِ فَوْزًا عَظِيمًا﴾ [سورة الفتح، الآيات: ١ - ٥].

جَمَعَ رسول الله ﷺ مَنْ صحبه في موكبه لأداء مناسك هذه الحجة الأخيرة.. حجة الوداع، في يوم عرفة.. وخطب بهم، خطبة عظيمة.. كلها مواعظ وإرشاد.. وقال:

«إن الله حرم عليك دماءكم وأموالكم، إلى أن تلقوا ربكم، كحرمة شهركم هذا، ويومكم هذا وبلدكم هذا.. وإنكم ستلقون ربكم فيسألكم عن أعمالكم.. وقد بلغت..

وإن الناس في الإسلام سواء، لا فضل لعربي على أعجمي.. ولا أعجمي على عربي إلا بتقوى الله...

وإن الشيطان قد يئس أن يُعبد بعد اليوم.. ولكن يطاع فيما سوى ذلك من أعمالكم التي تحقرون، فقد رضي به..

..إتقوا الله ولا تبخسوا الناس أشياءهم.. ولا تعثوا في الأرض مفسدين.. فمن كانت عنده أمانة فليؤدها..

كل دم كان في الجاهلية موضوع تحت قدمي.. وكل ربا كان في الجاهلية موضوع تحت قدمي».

ثم أوصى كثيراً بالنساء وحقوقهن التي جاء بها الدين الإسلامي الحنيف..

وأوصى بالأخوة.. والتعاون بين المسلمين. كما أكد على التوصية بأهل الذمة..

«أوصيكم بالنساء، خيراً.. إنما أخذتموهن بأمانة الله.. واستحللتم فروجهن بكتاب لله..» ثم قال:

«ألا واستوصوا بالنساء خيراً فإنما هُنّ عوانٌ[1] عندكم.. ليس تملكون منهن شيئاً غيرذلك، إلا يأتين بفاحشة مبينه.. فإن فعلن فأهجروهن في المضاجع.. واضربوهن ضرباً غير مبرح.. فإن أطعنكم فلا تبغوا عليهن سبيلا..

ألا أن لكم على نسائكم حقاً ولنسائكم عليكم حقاً.. فحقكم عليهنّ أن لا يوطئن فرشكم من تكرهون، ولا يأذن في بيوتكم لمن تكرهون..

ألا وحقهن عليكم أن تحسنوا إليهنّ في كسوتهن، وطعامهن[2]..

(١) عوان: جمع عانية، أي أسيرة.

(٢) رياض الصالحين من كلام سيد المرسلين ـ محي الدين الشافعي ص٩٢.

. . . أوصيكم بمن ملكت إيمانكم، فاطعموهم مما تأكلون. . وألبسوهم مما تلبسون. .».

أيها الناس:

«إنما النسيء زيادة في الكفر. . ألا وإن الزمان قد استدار كهيئته يوم خلق الله السموات والأرض. .

إن عدة الشهور عند الله إثنا عشر شهراً في كتاب الله، منها أربعة حُرم. .

أن المسلم أخو المسلم. . لا يغشه، ولا يخونه، ولا يغتابه، ولا يحل له دمه، ولا شيء من ماله. . .

وأعدى الأعداء على الله قاتل غير قاتله. . وضارب غير ضاربه. .

ومَنْ كفر نعمة مواليه، فقد كفر بما أنزل الله على محمد. .

ومَنْ انتمى إلى غير أبيه، فعليه لعنة الله والملائكة، والناس أجميعن. .

إنما أُمرتُ أن أقاتل الناس حتى يقولوا؛

«لا إله إلا الله، وإني رسول الله». . .

وإذا قالوها عصموا مني دمائهم. . وأموالهم إلا بحقٍ وحسابهم على الله. .

ولا ترجعوا بعدي كفاراً مضلين يضرب بعضكم رقاب بعض. .

أوصيكم بالجار. . أوصيكم بالمماليك. . أوصيكم بالعدل والإحسان. .

ثم قال:

«أيها الناس. . إني تارك فيكم الثقلين كتاب الله، وعترتي أهل بيتي

فإنهما لن يفترقا حتى يراد عليَّ الحوض.. نبأني بذلك اللطيف الخبير[1]....».

... وبعد أن أكمل رسول الله ﷺ خطبته العظيمة هذه في ذلك اليوم العظيم. خطبة حجة الوداع.. أو الحج الأكبر يوم عرفة...

وقد جاء فيها ما جاء من روائع الوصاية للمسلمين.. والإفاضة في تعاليم الدين الحنيف ومبادىء الإسلام ومُثُله القيمة..

قام بعد ذلك (صلوات الله عليه وسلامه) بقيادة المسلمين في أداء مراسيم الحج، حيث أدى إمامهم مناسكها، حتى يؤدي المسلمون في مواسم حجهم القادم نفس المناسك..

كان الإمام علي بن أبي طالب جنباً إلى جنب مع رسول الله ﷺ يؤدي ما كان يؤديه.. ويتعلم منه تلك المناسك المقدسة.. ويحفظ عنه ما يرتله وما يدعو به..

---

(١) أخرجه الإمام أحمد بن حنبل في (مسنده). والطبراني في(معجمه الكبير).

٢ مَنْ كنت مولاه.. فهذا علي مولاه

بعد أن أدى رسول الله ﷺ مع ذلك الحشد الهائل من المسلمين آخر حجة له.. وهي حجة الوداع..

عاد ﷺ معهم قاصداً المدينة.. حيث مقره هناك، بعد أن أصبحت عاصمة الدولة الإسلامية ولما وصل موكبه في طريق العودة، عند غدير خم.. وهو قريب من منطقة (الجحفة).. التي تتفرق منها طرق مختلفة، بمختلف الاتجاهات.. وبالتحديد بناحية (رابغ)..

وذلك يوم ١٨ ذي الحجة من العام العاشر للهجرة (٦٣٢) ميلادية..

أمر رسول الله ﷺ المسلمين التوقف هناك... قرب غدير خم.. وكانوا مائة إلى مائة وعشرين ألفاً على اختلاف الروايات..

أدى النبي ﷺ أمام ذلك الجمع صلاة جماعة.. بعدها صعد على ذروة راحلة.. وطلب من تلميذه ورفيقه علي أن يصعد معه على تلك الراحلة..

وقد نعى ﷺ نفسه الكريمة في خطبة ألقاها بعد الصلاة.. وقد قال فيها:

«لعليّ لا ألقاكم بعد عامكم هذا.. ويوشك أن يأتي رسول ربي وأُدعى، فأجيب...».

ثم استمر النبي ﷺ بخطبته البليغة.. حتى أشهدهم على أنفسهم.. وشهدوا بأنه ﷺ أولى بهم من أنفسهم..

بعدها رفع يد علي بن أبي طالب إلى الأعلى.. وقال:

«من كنت مولاه فهذا علي مولاه.. اللهم والِ مَنْ والاه، وعادِ مَنْ

عاداه.. وانصر مَنْ نصره، واخذل مَنْ خذله.. وأدر الحق معه حيث دار..»[1].

وذكر الإمام الحافظ جلال الدين السيوطي في (تاريخ الخلفاء):

إن الترمذي، أخرج عن أبي سريحه، وأبو زيد بن أرقم عن النبي ﷺ قال:

«مَنْ كنت مولاه فعليٌ مولاه..»[2].

وذكر د. طه حسين أن النبي ﷺ قال للمسلمين في طريقة إلى حجة الوداع:

«من كنت مولاه فعلي مولاه. اللهم وال من والاه وعاد من عاده»[3].

أخرج الإمام النسائي في كتاب (الخصائص)، عن زيد بن أرقم، قال:

لما رجع النبي ﷺ من حجة الوداع.. ونزل غدير خم، أمر بدوحات فقمّمن.. ثم قال:

«كأني دُعيت فأَجبتُ وإني تارك فيكم الثقلين، أحدهما أكبر من الآخر..

كتاب الله، وعترتي أهل بيتي، فانظروا كيف تخلفوني فيهما.. فإنهما لن يفترقا حتى يردا علي الحوض..»

ثم قال ﷺ:

«إن الله مولاي، وأنا ولي كل مؤمن».

ثم أخذ بيد علي، فقال:

«من كنت وليه فهذا وليه، اللهم وال مَنْ والاه.. وعاد من عاداه»[4].

---

(١) أخرجه الإمام أحمد بن حنبل في (مسنده) ج١ ص١١٩.

(٢) أخرجه الإمام أحمد عن علي، وأبي أيوب الأنصاري، وزيد بن أرقم، وعمرو ذي مر، وأبو يعلي عن أبي هريرة، والطبراني عن ابن عمر. ومالك بن سعيد الحويرث، وحبشي بن جنادة، وجرير، وسعد بن أبي وقاص، وأبي سعيد الخدري، وأنس والبزار عن ابن عباس، وعمارة، وبريدة.

(٣) الفتنة الكبرى ـ علي وبنوه ـ د. طه حسين ص١٥.

(٤) الخصائص ص٨٥. وأخرجه النيسابوري عن زيد بن أرقم.

كما أخرج الإمام أحمد بن حنبل في (مسنده)[1].. عن زيد بن أرقم، قال:

نزلنا مع رسول الله ﷺ، بوادٍ يقال له وادي خم.. فأمر بالصلاة، فصلاها بهجير.. قال: فخطبنا.. وظُلِّلَ لرسول الله ﷺ بثوب على شجرة سمرة من الشمس، فقال:

«ألستم تعلمون، أولستم تشهدون أني أولى بكل مؤمن من نفسه».

قالوا: بلى.. قال:

«فمن كنت مولاه، فعلي مولاه.. اللهم وال من والاه، وعاد من عاداه».

كما أخرج الإمام أحمد في نفس المصدر[2]، عن البراء بن عازب الذي قال:

(كنا مع رسول الله، فنزلنا بغدير خم.. فنودي فينا الصلاة الجامعة.. وكُسح لرسول الله ﷺ تحت شجرتين، فصلى الظهر.. وأخذ بيد علي، وقال:

«ألستم تعلمون أني أولى بالمؤمنين من أنفسهم».

قالوا: بلى.. قال: فأخذ بيد علي.. فقال:

«من كنت مولاه فعلي مولاه.. اللهم وال من والاه، وعاد من عاداه..».

قال: فلقيهُ عمر بعد ذلك.. فقال له:

(هنيئاً يا ابن أبي طالب، أصبحت، وأمسيت مولى كل مؤمن ومؤمنة..).

أما ما أخرجه مسلم في صحيحه في باب فضائل علي بن أبي طالب.. والذي يسنده إلى زيد بن أرقم.. قال:

قام رسول الله ﷺ يوماً فينا خطيباً بماء يُدعى خماً بين مكة والمدينة..

فحمد الله، وأثنى عليه، ووعظ وذَكَّر.. ثم قال:

«أما بعد ألا أيها الناس، فإنما أنا بشر يوشك أن يأتي رسول ربي فأُجيب.. وأنا تارك فيكم ثقلين:

---

(١) المسند ج٤ ص٣٧٢.

(٢) المصدر السابق ج٤ ص٢٨١.

أولهما كتاب الله، فيه الهدى والنور. . فخذوا بكتاب الله، واستمسكوا به. .

فحث على كتاب الله، ورغّب فيه. . ثم قال:

وأهل بيتي، أذكركم الله في أهل بيتي. أذكركم الله في أهل بيتي. . أذكركم الله في أهل بيتي»[1].

وذكر ابن حجر في (صواعقه)[2] قال:

أخرج الطبراني في (المعجم الكبير) بسند صحيح عن زيد بن أرقم. . وعن حذيفة بن أسيد الغفاري. . قال:

خطب رسول الله ﷺ بغدير خم، تحت شجرات. . فقال ﷺ:

«أيها الناس، يوشك أن أُدعى فأجيب. . وإني مسؤول، وإنكم مسؤولون. . فماذا أنتم قائلون؟».

قالوا: نشهد أنك قد بلّغت. . وجاهدت. . ونصحت. . فجزاك الله خيراً. .

فقال ﷺ:

«أليس تشهدون أن لا إله إلا الله، وأن محمد عبده ورسوله. . وأن جنته حق، وأن ناره حق، وأن الموت حق، وأن البعث حق بعد الموت، وإن الساعة آتية لا ريب فيها. . وإن الله يبعث مَنْ في القبور؟».

قالوا: بلا نشهد بذلك. .

فقال ﷺ: «الهم إشهد». . ثم قال ﷺ:

«يا أيها الناس إن الله مولاي. . وأنا مولى المؤمنين. . وأنا أولى بهم من أنفسهم فمن كنت مولاه، فهذا علي مولاه. . .

اللهم وال مَنْ والاه، وعاد مَنْ عاداه. .».

---

(١) صحيح مسلم ج٧ ص١٢٢.

(٢) الصواعق المحرقة لابن حجر العسقلاني ص٢٥.

٣ مصادر حديث الغدير..

.. حديث الغدير، لم يختلف على روايته أهل الحديث على اختلاف مذاهبهم، ولو أن بعضهم اختلف عن البعض الآخر في تفسيره.. لكنهم أجمعوا على تلك الواقعة، ولم يجرأ على نكرانها حتى مَنْ تنكر لعلي بن أبي طالب..

وهنا لا بد لنا أن نشير إلى بعض المصادر التي أوردت حديث الغدير.. وروته بنصّه (من كنت مولاه فعلي مولاه...) وبطرق مختلفة:

١ - روى الحديث العلامة محب الدين الطبري في (ذخائر العقبى) ص١٠٢ وفي (الرياض النضره) ج٢ ص٢٢٧ توفي سنة ٦٩٤هـ.

٢ - ورواه الترمذي في (صحيحه).

٣ - البخاري في (التاريخ الكبير) وفي (الكنى).

٤ - الإمام الحافظ النسائي في (الخصائص) توفي سنة ٣٠٣هـ.

٥ - ابن كثير في (البداية والنهاية).

٦ - الهيثمي في (مجمع الزوائد).

٧ - القندوزي في (ينابيع المودة) ص ٢١٢ - توفي سنة ١٢٩٣هـ.

٨ - البغوي في (مصابيح السنة) وفي تفسيره (معالم التنزيل) - توفي سنة ٥١٦هـ.

٩ - جلال الدين السيوطي في (الحاوي للفتاوي) وفي (الدر المنثور) ج٢ ص٢٩٣ - توفي سنة ٩١١هـ.

١٠ - ابن المغازلي في (المناقب).

١١ - ابن الأثير في (أسد الغابة).

١٢ ـ النابلسي في (ذخائر المنن).

١٣ ـ ابن ماجة في (سنن المصطفى).

١٤ ـ البيهقي في (الاعتقاد على مذهب السلف) وفي (المصنف) ـ توفي سنة ٤٥٨هـ.

١٥ ـ الهندي في (الروض الزاهر).

١٦ ـ ابن حجر العسقلاني في (الإصابة) وفي (لسان الميزان) وفي (تهذيب التهذيب) وفي (الصواعق المحرقة) توفي سنة ٩٧٤هـ.

١٧ ـ المناوي في (كنوز الحقائق) وفي (الكواكب الدرية).

١٨ ـ الجاحظ في (الرسالة العثمانية).

١٩ ـ الواحدي في (أسباب النزول) ص١٤٨.

٢٠ ـ الرازي في (تفسيره الكبير) وفي (أحكام القرآن) ج٢ ص٥٤٢ ـ توفي سنة ٣٧٠هـ.

٢١ ـ النيسابوري في تفسيره (الكشف والبيان) ـ توفي سنة ٤٦٨هـ.

٢٢ ـ الشيخ محمد عبده في (تفسير المنار).

٢٣ ـ الشافعي البغدادي في (روح المعاني) توفي سنة ٤٦٣هـ.

٢٤ ـ الحسكاني في (شواهد التنزيل) توفي سنة ٤٩٠هـ.

٢٥ ـ والحافظ عز الدين الموصلي الحنبلي في (تفسيره).

٢٦ ـ نور الدين ابن الصباغ المالكي في (الفصول المهمة).

٢٧ ـ والحافظ أبو عبد الله المحاملي في (أماليه).

٢٨ ـ العلامة الكنجي في (كفاية الطالب) توفي سنة ٦٥٨هـ.

٢٩ ـ ابن عبد البر في (الاستيعاب).

٣٠ ـ الدكتور طه حسين في (الفتنة الكبرى).

٣١ ـ الحموي في (معجم البلدان) وفي (فرائد السمطين) توفي سنة ٧٢٢هـ.

٣٢ ـ العلامة ابن عساكر في (تاريخ دمشق) توفي سنة ٥٧١هـ.

٣٣ ـ الذهبي في (تلخيص المستدرك) وفي (تذكرة الحفاظ).

٣٤ ـ النبهاني في (الشرف المؤبد لآل محمد).

٣٥ ـ الإمام أحمد بن حنبل في (مسنده).

تلك بعض المصادر التي ذكرت حديث الغدير.. وهي مصادر من أعلام وأئمة أهل السنة والتي استشهدنا بها.. دون أن نستشهد بمصادر أهل الشيعة..

علماً أن كتاب الغدير لعالمهم العلامة الجليل (الأميني)، والذي يقع في ثلاثة عشر مجلداً، أوسع في البحث تفصيلاً عن هذا الموضوع.. وجاء بوقائع مسندة معقولة...

إلا أننا تحاشينا الأخذ من ذلك الكتاب بالرغم من أنه مصدر مهم، وقيم لوقائع الغدير واستند فيه إلى مصادر من غير مذهبه. وذكر إن مَنْ رَوَوا حديث الغدير من أهل السنة، وأخرجوه في كتبهم من القرن الأول للهجرة، وحتى الرابع عشر.. كان عددهم يزيد على (٣٥٢) عالماً ومحدثاً..

رواة حديث الغدير:

...ونحن بصدد ذكر هذا الحديث المهم.. حديث الغدير... نرى من المناسب بعد أن ذكرنا المصادر.. أن نذكر بعضاً من رواة الحديث.. الذي سمعوه مباشرة من رسول الله ﷺ أو الذين عاصروا ذلك الحدث ونقلوه عن الصحابة الذين شهدوا ذلك الموقف:

١ ـ السيدة فاطمة الزهراء، بنت النبي ﷺ وزوجة الإمام علي.

٢ ـ السيدة أم هاني بنت أبي طالب.

٣ ـ السيدة أم سلمة ، أم المؤمنين، زوجة رسول الله ﷺ.

٤ ـ السيدة أسماء بنت عُميس الخثعمية، زوجة الإمام علي.

٥ ـ أبو هريرة المتوفي ٨٧ هجرية، وعمره ٧٨ عاماً.

٦ ـ عبد الله بن عباس، ابن عم النبي ﷺ، وابن عم الإمام علي.

٧ ـ أبو حمزة أنس بن مالك الأنصاري الخزرجي.

٨ ـ الخليفة أبو بكر (رض).

٩ ـ الخليفة عمر بن الخطاب (رض).

١٠ ـ عمار بن ياسر (رض)، استشهد بصفين.

١١ ـ أسامة بن زيد بن حارثة الكلبي المتوفي ٥٤ هجرية، وعمره ٧٥ عاماً.

١٢ ـ جابر بن عبد الله الأنصاري.

١٣ ـ أبو زينب ابن عوف الأنصاري.

١٤ ـ أبو فضالة الأنصاري، من أهل بدر، استشهد في صفين مع الإمام علي. وشهد بالحديث يوم الرحبة.

١٥ ـ أبو ليلى الأنصاري، استشهد بصفين، عام ٣٧ هجرية.

١٦ ـ أبو قدامة الأنصاري، شهد بالحديث يوم الرحبة.

١٧ ـ أبو عمرة بن عمرو بن محصن الأنصاري.

١٨ ـ أسعد بن زرارة الأنصاري.

١٩ ـ أُبي بن كعب الأنصاري الخزرجي، والمعروف بسيد القراء، والمتوفي ٣٢ هجرية.

٢٠ ـ أبو الهيثم ابن التيهان، استشهد بصفين مع الإمام علي عام ٣٧هـ.

٢١ ـ أبو رافع القبطي، مولى النبي ﷺ.

٢٢ ـ أبو ذؤيب خويلد بن خالد، وهو شاعر جاهلي، ثم أصبح شاعراً إسلامياً توفي في خلافة الخليفة عثمان بن عفان (رض).

٢٣ ـ عبد الله بن عمر.

٢٤ ـ البراء بن عازب.

٢٥ ـ زيد بن أرقم.

٢٦ ـ عمرو بن العاص.

٢٧ ـ سعد بن أبي وقاص.

٢٨ ـ طلحة بن الزبير.

٢٩ ـ أبو ليلى بن سعيد.

٣٠ ـ عبد الله بن مسعود.

٣١ ـ عمرو بن مرة.

٣٢ ـ يعلي بن مرة.

٣٣ ـ بريدة.

٣٤ ـ مالك بن الحويرث.

٣٥ ـ سعد بن مالك.

٣٦ ـ حبشي بن جنادة.

٣٧ ـ أبو ذر الغفاري.

٣٨ ـ حذيفة بن أسيد الغفاري

٣٩ ـ عبد الله بن علقمة.

ونكتفي بهذا القدر من أسماء الصحابة.. صحابة رسول الله ﷺ مَنْ شهد (الغدير) بصورة مباشرة، أو بصورة أخرى غيرها..

... وقد اعتبر فقهاء المذهب الشيعي، ما أوصى رسول الله ﷺ للإمام علي في تلك الخطبة عند غدير خم، هي وصية له باستخلافه من بعده..

وهذه الوصية هي من أهم الأسباب التي استندوا إليها.. بالإضافة لجملة من الأسباب الأخرى.. والتي سنأتي عليها لاحقاً في هذا الكتاب..

آية التبليغ أو.. آية البلاغ:

قال تعالى:

﴿۞ يَٰٓأَيُّهَا ٱلرَّسُولُ بَلِّغْ مَآ أُنزِلَ إِلَيْكَ مِن رَّبِّكَ ۖ وَإِن لَّمْ تَفْعَلْ فَمَا بَلَّغْتَ رِسَالَتَهُۥ ۚ وَٱللَّهُ يَعْصِمُكَ مِنَ ٱلنَّاسِ ۗ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَهْدِى ٱلْقَوْمَ ٱلْكَٰفِرِينَ﴾ [سورة المائدة، الآية: ٦٧].

ذكر الإمام السيوطي(١):

(١) الدر المنثور ـ الحافظ السيوطي ج٣.

أخرج أبو عبيدة عن محمد بن كعب القرطني، قال:

نزلت سورة المائدة على رسول الله ﷺ بعد حجة الوداع، فيما هو بين مكة المكرمة والمدينة.. وهو على ناقته، فانصدعت كتفها، حتى نزل عنها رسول الله ﷺ..

كما ذكر عن أبي عبيدة، عن ضمرة بن حبيب، وعطية بن قيس.. قالا:

قال رسول الله ﷺ:

«سورة المائدة من آخر القرآن تنزيلاً.. فأحلوا حلالها، وحرموا حرامها».

... وأخرج ابن جرير، عن الربيع بن أنس، قال:

نزلت سورة المائدة على رسول الله ﷺ في المسير في حجة الوداع.. وهو راكب راحلته.. فبركت به راحلته من ثقلها...

وقد أيد كثير من المؤرخين، والعلماء توقيت نزولها في حجة الوداع.. وإنها من آخر القرآن تنزيلا..

منهم، وكما ذكرنا العلامة الإمام جلال الدين السيوطي، والإمام ابن كثير في (تفسيره)، والإمام أبو إسحاق الثعلبي في (تفسيره الكبير). والإمام الواحدي في (أسباب النزول). والحاكم الحسكاني في (شواهد التنزيل) ابن عساكر الشافعي في (تاريخ دمشق). والفخر الرازي في (تفسيره). والحافظ أبو نعيم في (نزول القرآن). الشهرستاني في (الملل والنحل). وابن جرير الطبري في كتابه (الولاية). بدر الدين الحنفي في (عمدة القارىء في شرح البخاري). عبد الوهاب البخاري في (تفسير القرآن). وابن الصباغ المالكي في (الفصول المهمة).. وغيرهم[1].

وهذا يؤيد أقوال الفقهاء الذين أيدوا نزول تلك الآية.. ووقت نزولها، والتي سُميتْ بـ (آية البلاغ).. لتبليغ المسلمين ما بلغهم به رسول الله ﷺ في خطبته العصماء عند غدير خم.. التي خصّ بها الإمام علي بن أبي طالب (ع).

على أن هناك من الفقهاء مَنْ اختلف معهم في وقت نزولها.. وفي معناها..

---

(١) مع الصادقين ـ الدكتور محمد التيجاني السماوي.

فقد قالوا، إن هذه الآية نزلت في بداية الدعوة، عندما كان بعض المسلمين يصحبون رسول الله ﷺ لحمايته وحراسته من أعداء الله.. حتى نزلت الآية: ﴿وَٱللَّهُ يَعۡصِمُكَ مِنَ ٱلنَّاسِۗ﴾. فقال لهم رسول الله ﷺ:

«لا حاجة لي بحراسة لأن الله عصمني».

أخرج الطبراني.. وأبو نعيم.. وابن مردويه.. وابن عساكر، عن عبد الله بن عباس، قال:

كان النبي ﷺ يُحرس، وكان يرسل معه عمه أبو طالب كل يوم رجلاً من بني هاشم يحرسونه، فقال:

«يا عم، إن الله قد عصمني لا حاجة لي إلى مَنْ تبعث».

.. لقد اختلف العلماء في موعد نزول سورة المائدة.. كما اختلفوا في تفسير الآية، لكنهم اتفقوا على الخطبة وما ورد فيها..

ولندع اختلافهم فيما بينهم.. ولندع سورة المائدة الشريفة مكانها في الكتاب المقدس ولا نُعنى بموعد نزولها الآن، فيما يخص موضوعنا هذا..

لكن نتساءل... لماذا أوقف رسول الله ﷺ ذلك الحشد الهائل من المسلمين بعد أن عادوا من حجة الوداع، وهم مثقلون بمتاعب السير والسفر، عند ذلك المفترق في غدير خم بالجحفة، قبل أن يتفرقوا منه!!

لماذا جمعهم ليسمعهم تلك الخطبة، تحت وطأة ذلك القيظ الشديد الحرارة!!

لماذا لم يقل ما قاله ﷺ في خطبة حجة الوداع بمكة المكرمة!!

هل نسي رسول الله ذلك!!.. وحاشاه أن ينسى ما يريد تبليغه للمسلمين..

ثم إنه جمع ذلك الحشد.. وتلك المظاهرة من الحجيج عند ذلك الغدير، وأمرهم بالالتزام، وتنفيذ ما جاء بخطبته تلك..

هل هو عمل منه، وتحت رغبته الشخصية!! أم أنه بأمر من الله عز وجل!!

الجواب.. لا يمكن لرسول الله ﷺ أن يبلغ المسلمين أي أمر من أمور دينهم ودنياهم، إلا بأمر من عند الله سبحانه وتعالى، تطبيقاً للآية الكريمة:

﴿وَمَا يَنطِقُ عَنِ الْهَوَىٰٓ إِنْ هُوَ إِلَّا وَحْىٌ يُوحَىٰ عَلَّمَهُۥ شَدِيدُ الْقُوَىٰ﴾ [سورة النجم، الآيات: ٣ ـ ٥].

إذاً واقع الحال ينطبق على ما ذهب إليه الفقهاء الذين أخذوا بالرأي الأول.. وهو زمن نزول سورة المائدة بعد حجة الوداع.. وآية التبليغ نزلت في حق الإمام علي (ع) وإنها مدنية لا مكية.. نعم لم تنزل على النبي في مكة حتى نستطيع القول إنها نزلت في بداية الدعوة.. ذلك الوقت الذي كان فيه النبي ﷺ بحاجة إلى مَنْ يحرسه ويحميه من المشركين من قريش..

وبما أنها مدنية، لذا ينتفي تفسيرها المُفسّرْ من أصحاب الرأي الثاني المتعلق بالحماية والحراسة.. لأن رسول الله ﷺ وهو في المدينة لم يكن بحاجة إليهما، بعد أن توسعت الدعوة الإسلامية، وأصبح المسلمون قوة عظيمة، يحسب المشركون لها حساباً..

هذا عن التحديد الزمني لنزول آية العصمة.. وأسباب نزولها..

والحق أنها خُصصت لمكانة الإمام علي في الإسلام، حتى يوصي الرسول ﷺ به وله..

ومن غير المعقول أن يجمع النبي ﷺ ذلك الجمع من المسلمين تحت تلك الظروف القاسية المتعبة في ذلك الوقت في الظهيرة التي اشتدت حرارتها وزاد قيضها، حتى يوصيهم بعلي خيراً من بعده، بسبب من محبته له.. وقرابته منه.. ومصاهرته بزواجه من ابنته الزهراء!!

وقد سبق له وإن أوصى به.. وتحدث بأحسن الأحاديث عنه.. وذكره بأطيب ذكر.. ووصفه بأكرم الأوصاف..

وحاشى للرسول الكريم ﷺ أن تتحكم به عواطف... أو يحركه هوى.. أو تمسسه بعض من بقايا العصبة أو العصبية..

وصدق الله سبحانه وتعالى عندما قال، وهو عز من قائل في محكم كتابه الشريف: (وما ينطق عن الهوى....).

لذا فإن وصية رسول الله ﷺ لعلي بخطبته عند غدير خم.. ما هي إلا بأمر

من الله عز وجل.. لأنه لا ينطق عن الهوى، تطبيقاً للآية الكريمة المذكورة.. وكذلك الآية السابعة من سورة الحشر:

﴿وَمَآ ءَاتَىٰكُمُ ٱلرَّسُولُ فَخُذُوهُ وَمَا نَهَىٰكُمْ عَنْهُ فَٱنتَهُوا۟ وَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ إِنَّ ٱللَّهَ شَدِيدُ ٱلْعِقَابِ﴾

وبناءاً عليه ألزم النبي ﷺ المسلمين بموالاة علي بن أبي طالب، وعدم معاداته، والانتصار له، وعدم خذلانه..

واعتباره مرجعاً لهم.. يُقتدى به بعد نبيهم ﷺ وبناء على ما أراده لهم نبيهم ﷺ.

ثم إن المسلمين عليهم تطبيق الشريعة الإسلامية السمحاء من خلال ما ورد بكتاب الله... وما جاء بسنة رسوله..

وسنة رسول الله ﷺ، هي عبارة عن أقوال، وأحاديث، وخطب له.. وكذلك ما كان يقوم به من أفعال وأعمال..

وما ورد بخطبته ﷺ في غدير خم، ما هو إلا أمرٌ أمرَ به المسلمين لتنفيذه.. وقد قرن تنفيذ ذلك الأمر، بدعاءٍ لمن يوالي علياً.. ودعاءٌ على مَنْ يعاديه..

وهل ما ورد بتلك الخطبة التي أجمع عليها كل فقهاء المسلمين تقريباً، وعلى اختلاف مذاهبهم.

أقول هل تلك الخطبة لا تدخل ضمن سُنة رسول الله ﷺ!!!

وهل من الممكن للمسلم، الأخذ بسنته ﷺ التي تعجبه وترضيه، وترك ما في السنة مما لا يعجبه ولا يرضيه!!

حاشا للمسلم الحق المتعمق في إيمانه.. البعيد كل البعد عن التعصب والجهل أن يكون كذلك..

أخرج كثيرمن الفقهاء ورواة الحديث.. أن كثيراً من الصحابة والمسلمين الذين شهدوا يوم الغدير، جاؤوا الإمام علياً بعد أن أنهى رسول الله ﷺ خطبته،

وأكمل وصاياه.. جاؤوا إلى الإمام مهنئين له على مكانته السامية بين المسلمين التي وضعه الله ورسوله فيها..

جاء عمر بن الخطاب (رض) أول المباركين لعلي، قائلاً له:

(هنيئاً لك يا ابن أبي طالب، أصبحت مولاي ومولى كل مؤمن ومؤمنة).

وفي رواية أخرى أن أبا بكر وعمر بن الخطاب (رض) قالا له:

(بخ.. بخ يا ابن أبي طالب، أصبحت، وأمسيت مولى كل مؤمن ومؤمنة..)(١).

ذكر الإمام الغزالي في المقالة الرابعة من كتابه (سر العالمين):

(... ولكن أسفرت الحجة وجهها، وأجمع الجماهير على متن الحديث من خطبته ﷺ في يوم غدير خم باتفاق الجميع، وهو يقول:

«من كنت مولاه فعليٌ مولاه..».

فقال عمر: بخ بخ لك يا أبا الحسن، لقد أصبحت مولاي ومولى كل مؤمن ومؤمنه، فهذا تسليم ورضى وتحكيم..).

وهنا نتسأل عن أولئك الذين عادوا الإمام علياً.. وعن أولئك الذين حاربوه وأمروا بسببه على المنابر!!

ماذا سيكون موقفهم يوم الحشر حينما يقفون أمام الله ونبيه الذي أوصى بحب علي بأمر من الله عز وجل..!!

---

(١) (المسند) للإمام أحمد بن حنبل ج٤ ص٢٨١. (الرياض النضرة) للطبري ج٢ ص١٦٩. (كنز العمال) للحاكم ج٦ ص٣٩٧. الرازي في (تفسيره) ج٣ ص٦٣٦. (سر العالمين) للإمام الغزالي ص١٢. وابن حجر في (الصواعق المحرقة) ص٢٦. والطبري في (الولاية) وفي (تفسيره).. والكنجي الشافعي في (كفاية الطالب). الحمويني في (فرائد السمطين). ابن كثير في (البداية والنهاية) ج٥ ص٢٠٩. المقريزي في (الخُطط) ج٢ ص٢٢٣. ابن صباغ المالكي في (الفصول المهمة) ص٢٥. السيوطي في (جمع الجوامع). ابن مردويه في (تفسيره). والشهرستاني في (الملل والنحل). وسبط ابن الجوزي الحنبلي في (مناقبه). الثعلبي في (تفسيره).

كما ذكر ذلك، البيهقي والخطيب البغدادي، وابن المغازلي في (مناقبه).

والذين شملهم دعاء رسول الله ﷺ عليهم بسببٍ من معاداتهم لعلي.. أخص منهم:

١ ـ مَنْ حاربه، في واقعة الجمل.. وهم الناكثون.

٢ ـ في معركة صفين.. الفئة الباغية بقيادة معاوية بن أبي سفيان وعمرو بن العاص.. وهم القاسطون...

٣ ـ الخوارج في واقعة النهروان، والذي قام بقتله بعدها واحد منهم.. وهم المارقون..

٤ ـ رجال المنابر، وبعض المسلمين في صدر الدولة الأموية، الذين أُمروا بسبه على المنابر من قبل معاوية.. حتى رفع عنه السب الخليفة العادل عمر بن عبد العزيز (رض).. هؤلاء هم الذين ينطبق عليهم دعاء الرسول الأعظم ﷺ:

«اللهم عادِ من عاداه.. واخذل من خذله»..

وهل سبحانه وتعالى لا يستجيب لدعوة نبيه الكريم ﷺ ودعائه!!

إضافة لذلك، هناك خروج على الإسلام والمسلمين من قبل هؤلاء النفر من الناس، بعدما أصبح علي بن أبي طالب خليفة للمسلمين بإجماعهم جميعاً..

وهو أول خليفة من خلفاء المسلمين صار عليه ذلك الإجماع الواسع الذي قابله الرفض منه لتولى الخلافة..

فكيف بالناكثين.. والقاسطين.. والمارقين.. الذين خالفوا وصية رسول الله ﷺ أولاً!! وحاربوا خليفة المسلمين ثانياً، بعد أن نكثوا بيعتهم له!!

وسنأتي على ذلك كله بالمواضيع القادمة كل في فصله، وموضوعه..

الرحبة.. بعد خمس وعشرون عام:

عندما تولى الإمام علي خلافة المسلمين سنة خمس وثلاثين هجرية (٦٥٥/ ٦٥٦) ميلادية... أي بعد خمسةٍ وعشرين عاماً على يوم الغدير..

قام الإمام بجمع المسلمين في (الرحبة) قرب الكوفة.. فخطب بهم، وقال:

«..أنشد الله كل امرىء مسلم سمع رسول الله ﷺ يقول يوم غدير

خم ما قال، إلا قام فشهد بما سمع.. ولا يقم إلا مَن رآه بعينه.. وسمعه بأذنيه..».

وقصد الإمام من ذلك تثبيته للتاريخ.. وللمسلمين، بعد أن بدأوا بنسيانه، أو تناسيه.. ومنهم من توفي.. ومنهم من انتشر في بلاد الإسلام التي وسعت رقعتها..

فقام لذلك ثلاثون صحابياً.. فيهم إثنا عشر بدرياً[1]، حيث شهدوا أن رسول الله ﷺ أخذ بيده، وقال:

«أتعلمون إني أولى بالمؤمنين من أنفسهم..» قالوا: بلى... قال ﷺ: **«من كنت مولاه»** الخ.

ذكر علي بن محمد بن علي.. قال: حدثنا خلف بن تميم.. قال: حدثنا إسرائيل.. قال: حدثنا أبو إسحاق عن عمرو ذي مر، قال:

شهدتُ علياً بالرحبة ينشد أصحاب محمد:

«أيكم سمع رسول الله ﷺ، يقول يوم غدير خم ما قال؟».

فقام أناس فشهدوا أنهم سمعوا رسول الله ﷺ يقول:

«من كنت مولاه فعلي مولاه، اللهم وال مَنْ والاه.. وعادِ من عاداه.. وأحب مَنْ أحبه.. وابغض من أبغضه.. وانصر مَنْ نصره»[2].

... على أن هناك مَنْ أقعده الحقد، والبغض عن الشهادة.. مثل أنس بن مالك..

لاحظ ذلك الإمام علي كرم الله وجهه، فقال له:

«ما لكَ لا تقوم مع أصحاب رسول الله، فتشهد بما سمعته يومئذٍ يا مالك؟»

---

(١) مسند الإمام أحمد بن حنبل ج٤ ص٣٧٠. كنز العمال ج٦ ص٣٩٧. النسائي في خصائصه. السيوطي في جمع الجوامع. ابن كثير في تاريخه.

(٢) خصائص أمير المؤمنين علي بن أبي طالب ـ للإمام الحافظ النسائي ص١٠٠.

فقال: يا أمير المؤمنين، كبرت سني، ونسيت!

فقال له الإمام:

«إن كنت كاذباً، فضربك الله ببيضاء، لا تواريها العمامة. .».

وما خرج أنس إلا أبيض وجهه بَرصاً. . وقد كان يردد بعدها، ويقول: (أصابتني دعوة العبد الصالح، لأني كتمت شهادته)[1]!!

ذكر العلامة البلاذري، إضافة لوجود أنس بن مالك، كان هناك أيضاً، البراء بن عازب. . وجرير بن عبد الله البجلي. . من الذين لم يشهدوا للإمام علي ما أنشدهم به. . فقال:

«اللهم مَنْ كتم هذه الشهادة، وهو يعرفها فلا تخرجه من الدنيا حتى تجعل به آية يُعرف بها. .».

فعمي بعدها البراء بن عازب. . ورجع جرير إعرابياً بعد هجرته، فأتى الشراة فمات في بيت أمه[2]. . .

. . وهنا لا بد لنا أن نقول إن شهادة ٣٠ صحابياً، وفيهم إثنا عشر بدرياً شهدوا لعلي (ع) بما قاله رسول الله ﷺ يوم الغدير. . . وبعد مرور خمس وعشرين سنة، تُعتبر شهادة مهمة تقارب الإجماع لطول الفترة بين يوم الغدير، ويوم الرحبة. .

تلك السنون التي أكلت كثيراً من حضر وشهد غدير خم وسمع خطبة النبي ﷺ. . .

كما أن الإمام علياً، لو جمع المسلمين في مكة، أو في المدينة واستشهدهم على ذلك، لشهد أضعاف ما شهدوا له بالرحبة. . الرحبة التي هي في العراق البعيد عن تلك الأحداث التي وقعت زمن الرسول الأعظم ﷺ. .

---

(١) أسد الغابة لابن الأثير ـ ج٣ ص٣٢١. ابن كثير في تاريخه ج٥ ص٢١١.

(٢) البلاذري في (أنساب الأشراف) ج٢ ص١٥٢. السيرة الحلبية ج٣ ص٣٣٧. ابن عساكر في (تاريخه) ج٢ ص٧. (مناقب علي بن أبي طالب) لابن المغازلي الشافعي ص٢٣.

وما بالك لو أن علياً كرم الله وجهه، ناشد المسلمين في مكة المكرمة، أو في المدينة كما مر ذكره، قبل يوم الرحبة بأعوام!!

أي بدلاً من أن تكون المدة الزمنية بين يوم الغدير، ويوم الرحبة خمساً وعشرين سنة. . تكون عشر، أو خمس سنوات. . أوقل أقل مثلاً[1]!!

على أية حال نعود إلى حديث الغدير:

«من كنت مولاه فعلي مولاه. . اللهم وال مَنْ والاه. . وعاد مَنْ عاداه، وانصر من نصره. . واخذل مَن خذله. . وأدر الحق معه حيث دار. .».

موقف رسول الله ﷺ عند غدير خم. . وحديثه فيه. . أجمع عليه فطاحل العلماء والمحدثين وكبار المؤرخين. . كما ورد بالصحاح. . وفي نهج البلاغة. .

تلك الحادثة. . وذلك الحديث، هما حدان فاصلان لا لبس فيهما، بين مَنْ يأخذ بسنة رسول الله ﷺ كما سلسلتها الأحداث، ووصلت للمسلمين عبر السنين، وبإجماعٍ من فقهاء اختلفوا بمذاهبهم. . .

وبين مَنْ يأخذ بشيء من سنته بموجب أهواء القادة والحكام السياسين (الذي فرضوا مواقعهم تلك على المسلمين). . . بدوافع من الحقد والكراهية، وضيق الأفق، وسطحية في الإيمان، وبدون تعمق في فهم الوقائع التاريخية. .

عن أبي هريرة (رض) قال:

لما أخذ رسول الله ﷺ بيد علي، وقال: من كنت مولاه. . . الخ. . . أنزل الله سبحانه وتعالى:

﴿ٱلْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتْمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِي وَرَضِيتُ لَكُمُ ٱلْإِسْلَٰمَ دِينًا﴾ [سورة المائدة، الآية: ٣].

---

(١) حديث الرحبه: أخرجه الطبراني في (الصغير) ج١ ص٦٤ و٦٥، وعنه أبو نعيم في (الحلية) ج٥ ص٢٦ ـ ٢٧ وكذلك في (أخبار أصبهان) ج١ ص١٠٧. المزيفي (تهذيب الكمال) ج٢ ص١٠٦٢. العقيلي في (الضعفاء) ابن عدي في (الكامل) ج١ ص٣١٧. وكذلك أخرجه الإمام أحمد بن حنبل. والبزار. وعبد الله بن أحمد في (زوائد المسند) ص٩٥٠.

وهو يوم غدير خم، من صام اليوم الثامن عشر من ذي الحجة.. كتب الله له صيام ستين شهراً)[1].

... وإنه أوصى إلي دون أصحابه، وأهل بيته..

هناك تساؤلات تطرح نفسها إزاء هذا الموضوع الذي نحن بصدده.

لماذا خطبة الغدير، وقد سبقتها بقليل خطبة حجة الوداع!!

ولِمَ خُصصتْ لعلي..!!

ولماذا خَصتْ علياً بن أبي طالب وحده، دون غيره، ولم تُشرك معه أحداً من الصحابة.. أو من القرابة!!

ثم هل.. هي توصية به، من رسول الله ﷺ!!

أم.. هي وصية له من بعده...!!

روى أبو نعيم الحافظ[2] بسنده عن معاذ بن جبل، قال:

إن رسول الله ﷺ، قال لعلي:

«أَخصِمكَ[3] يا علي بالنبوة فلا نبوة بعدي... وتخصم الناس بسبع، ولا يحاجك فيها أحد من قريش:

أنت أولهم إيماناً بالله.. وأوفاهم بعهد الله... وأقومهم بأمر الله.. وأقسمهم بالسوية.. وأعدلهم في الرعية.. وأبصرهم بالقضية.. وأعظمهم عند الله مزية..».

نعم.. هو ذاك أبو الحسن!!

(١) (البداية والنهاية) لابن كثير ج٥ ص٢١٤. السيوطي في (الدر المنثور) (تاريخ بغداد) للخطيب البغدادي ج٨ ص٢٩٠ البلاذري في (أنساب الأشراف) ج٢ ص٦٦.

(٢) (حلية الأولياء) الحافظ أبو نعيم ج١ ص٦٥ (مطبعة السعادة ـ مصر).

(٣) أخصمك: أغلبك.

أولهم.. وأوفاهم.. وأقومهم.. وأقسمهم.. وأعدلهم.. وأبصرهم.. وأعظمهم!! لا يختلف عليه إثنان..

فَمَنْ من الصحابة والقرابة يخاصمه على ما هو فيه!! أو يعلوه في ما هو عليه!! وكان فيهم العباس (رض)، عم الرسول الأعظم ﷺ.. وفيهم أبو بكر (رض) رفيقه في الغار والصُحبة!!

كما روى الحافظ أبو نعيم[1] أيضاً، قال:

قال رسول الله ﷺ لمعشر من الأنصار:

«يا معشر الأنصار، ألا أدلكم على ما إن تمسكتم به لن تضلوا أبداً.

قالوا: بلى يا رسول الله! قال:

«هذا علي، فأحبوه بحبي، وأكرموه بكرامتي.. فإن جبرائيل أمرني بالذي قلت لكم عن الله عز وجل..».

وروى الإمام أحمد بن حنبل في كتاب (فضائل علي) عن النبي ﷺ قال:

«الصديقون ثلاثة:

حبيب النجار... الذي جاء من أقصى المدينة يسعى.

ومؤمن آل فرعون.. الذي كان يكتم إيمانه

وعلي بن أبي طالب.. وهو أفضلهم..».

كما قال الإمام أحمد بن حنبل:

(ما جاء لأحد من أصحاب رسول الله ﷺ من الفضائل كما جاء لعلي بن أبي طالب..)[2]

---

(١) المصدر السابق.

(٢) السيوطي في (تاريخ الخلفاء) ص١٦٨. الحاكم في (المستدرك) ج٣ ص١٠٧. الحسكاني الحنفي في (شواهد التنزيل) ج١ ص١٩. الخوارزمي في (المناقب) ص٣ ـ ١٩. ابن عساكر في (تاريخه) ج٣ ص٦٣.

ذكر العلامة (الزمخشري)، في خصائص العشرة الكرام البررة، مجملاً لخصائص الإمام علي كرم الله وجهه.. نختصر منها[1]:

١ - إنه أول من أسلم من الصبيان.. وأول من يدخل الجنة في هذه الأمة..

قال رسول الله ﷺ:

«يا علي إنك أول من يقرع باب الجنة.. فتدخلها بغير حساب بعدي».

٢ - إنه المتخلف على الودائع من قبل رسول الله ﷺ في وقت الهجرة.. ثم خلفه على العيال والنساء بالمدينة في وقت الخروج إلى غزوة تبوك..

وقال له الرسول ﷺ:

«أما ترضى أن تكون مني بمنزلة هارون من موسى، إلا أنه لا نبي بعدي».

٣ - إن النبي ﷺ لما آخى بين المهاجرين والأنصار.. جعل علياً أخا نفسه الكريمة.. وقال له:

«أنت أخي وصاحبي في الدنيا والآخرة».

٤ - إنه الممدوح بالسيادة لما روى: إن النبي ﷺ قال لفاطمة عليها السلام:

«زوجك سيد في الدنيا والآخرة».

٥ - إنه ولي الله، وولي رسوله، وولي المؤمنين. قال تعالى:

﴿إِنَّمَا وَلِيُّكُمُ ٱللَّهُ وَرَسُولُهُۥ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ٱلَّذِينَ يُقِيمُونَ ٱلصَّلَوٰةَ وَيُؤْتُونَ ٱلزَّكَوٰةَ وَهُمْ رَٰكِعُونَ﴾ [سورة المائدة، الآية: ٥٥].

ونزلت هذه الآية الكريمة في حق الإمام علي حين كان يصلي في المسجد وهو راكع، قام سائل يسأل فمد علي يده إلى خلفه وأومأ إلى السائل بخاتمه فأخذه من أصبعه.

---

(١) علي إمام المتقين - عبد الرحمن الشرقاوي ج١.

٦ ـ إنه أقضى الصحابة. . لقول رسول الله ﷺ:

«أقضاكم علي».

٧ ـ إنه محبوب المؤمنين. . ومبغوض المنافقين. قال له رسول الله ﷺ:

«لا يحبك إلا مؤمن ولا يبغضك إلا منافق»(١).

٨ ـ إن رسول الله ﷺ انقطع عن أصحابه لأجل علي كرم الله وجهه، لمرضٍ ألّم به.

٩ ـ إنه باب مدينة العلم. كما جاء في الحديث الشريف:

«أنا مدنية العلم وعلي بابها، ومن أراد العلم فليأته من بابه».

١٠ ـ إنه ذو الإذن الواعية التي من شأنها أن تعي وتحفظ ما سمعت به ولا تضيعه بترك العمل. وكل ما حفظته من نفسك فقد وعيته، وما حفظته من غيرك فقد أوعيته. .

وقد دعى رسول الله ﷺ لعلي ذلك، وهو ما لم يدع به لغيره. . بل اختصه به هو وحده. لذا كان الإمام علي (ع) يقول:

«ما سمعت من رسول الله ﷺ شيئاً قط فنسيته».

وذكر ابن جرير في تفسيره أن النبي قال له:

«إني أُمرتُ أن أُدنيك، ولا أُقصيك، وأن أُعلمك، وأن تعي، وحق لك أن تعي».

فنزلت الآية الكريمة: ﴿. . . وَتَعِيَهَآ أُذُنٌ وَٰعِيَةٌ﴾ [سورة الحاقة، الآية: ١٢]. . . فقال رسول الله ﷺ:

«سألت الله عز وجل أن يجعلها أذنك يا علي».

بعدها قال الإمام علي:

---

(١) وأخرج ذلك الإمام أحمد بن حنبل في مسنده. ومسلم في صحيحه. وقال ذلك الإمام علي نفسه.

«فما نسيت شيئاً بعد ذلك، وما كان لي أن أنسى».

١١ ـ إنه جمع ثلاث مفاخر لم تُجمع لأحد سواه.. قال له رسول الله ﷺ:

«يا علي أُعطيت ثلاثاً لم يُعطها أحد غيرك:

صهراً مثلي.. وزوجة مثل فاطمة.. وولدين مثل الحسن والحسين».

١٢ ـ إنه صعد على منكبي رسول الله ﷺ.. قال الإمام علي:

«انطلق رسول الله ﷺ إلى الكعبة.. فقال لي:

إجلس، فجلست، فصعد على منكبي.. فقال:

انهض، فنهضتُ، فعرف ضعفي تحته.. وقال لي: اجلس، فجلست.. ثم نهض بي رسول الله ﷺ، فخيل إلي إنني لو شئت نلت أفق السماء... فصعدت إلى الكعبة..

وتنحى الرسول ﷺ... وقال: الق صنمهم الأكبر، صنم قريش...

وكان من نحاس مُوَتَّدٍ بأوتاد من حديد في الأرض.. فقال رسول الله ﷺ:

عالجه.. فجعلت أُعالجه.. حتى استمكنت منه.. فقال:

إقذفه.. فقذفته.. حتى انكسر..».

١٣ ـ إنه حاز سهم جبريل عليه السلام، من غنائم تبوك[1]..

١٤ ـ إن النظر إلى وجهه عبادة.. وقد روت السيدة عائشة (رض) وقالت:

(رأيت أبي يديم النظر إلى وجه علي.. فسألته عن ذلك، فقال:

ما يمنعني من ذلك ورسول الله قال: **«النظر إلى وجه علي عبادة»**).

١٥ ـ إنه أحبُّ الخلق إلى الله بعد رسوله ﷺ.. روى أنس بن مالك

---

(١) هذا الموضوع مرّ ذكره في موضوع (تبوك.. واستخلافه على المدينة).

الأنصاري، وقال أهدي إلى رسول الله ﷺ فرخان مشويان، فقال ﷺ:

«اللهم سق أحب خلقك إليك، ليأكل معي».. ثم جاء علي، فقال له رسول الله ﷺ:

«لتأكل يا علي، فأنت أحب خلق الله إليه، فقد دعوتُ الله تعالى أن يسوق أحب خلقه إليه».

١٦ ـ إن الرسول ﷺ سماه: (يعسوب المؤمنين).. وقال الإمام علي عن ذلك:

«أنا يعسوب المؤمنين، والمال يعسوب الكافرين والمنافقين».

١٧ ـ إن النبي ﷺ تولى تسميته.. وأمصه لسانه[١].

ذلك ما أجمله الزمخشري في خصائص الإمام علي (ع) وذكرها الأستاذ عبد الرحمن الشرقاوي في كتابه (علي إمام المتقين).

وإن كان الإمام علي كذلك.. كما خصه الله بتلك الخصائص، وبالتالي خُصصت له خطبة رسول الله ﷺ يوم الغدير، وبأمر من الله عز وجل..

لذا يحق لنا القول، هي تلك الأسباب، التي جعلت النبي ﷺ يعقد له خطبته تلك..

أما هل هي (وأعني الخطبة) توصية به!! أم وصية له!!

... ستكون الإجابة على هذه التساؤلات في الفصول التالية من هذا الكتاب...

قال الإمام علي (ع) عن نفسه:

«اللهم إني أول من أناب وسمع وأجاب.. لم يسبقني إلا رسول الله ﷺ بالصلاة..».

كما قال:

---

(١) لقد مرّ ذكر ذلك في صدر هذا الكتاب.

«أنا من رسول الله ﷺ كالعضد من المنكب.. وكالذراع من العضد.. وكالكف من الذراع.. رباني صغيراً، وآخاني كبيراً.. ولقد علمتم أني كان لي منه مجلس بسّرٍ لا يَطّلعُ عليه غيري.. وإنه أوصى إلي دون أصحابه وأهل بيته..».

وقال العلامة الحسن البصري عن الإمام علي (ع)

(كان والله سهماً صائباً من مرامي الله على عدوه.. وكان رباني هذه الأمة.. وذا فضلها.. وذا سابقتها.. وذا قرابتها من رسول الله ﷺ.. أعطى القرآن عزائمه.. ففاز منه برياض مونقة..).

من كلما تقدم، أرى لتلك التساؤلات التي وردت في هذا الموضوع، شيئاً من الإجابة عليها!! وبصورة مختصرة..

ولو أردنا التوسع في هذا الموضوع، لاحتجنا إلى مجلدات واسعة مستفيضة.. وسيكون الرد أوسع، بعد الوصول إلى نهاية هذا الكتاب..

وللقارىء الكريم، حق أكيد في الاشتراك معنا بالإجابة والرد معاً!!

ولهذا الموضوع صلة.. وله تتمة في (وصية الغدير.. وآية الولاية) في الفصل الخامس من هذا البحث إن شاء الله..

٤

بأبي أنت وأمي يا رسول الله.. طبت حياً وطبت ميتاً..

بعد غدير خم، الذي يقع على مفترق طرق عديدة.. كما ذكرنا.. افترق المسلمون، كل في طريقه إلى مكان إقامته.. بعد أن استمعوا إلى قول رسول الله ﷺ ووصاياه من خلال خطبة الغدير...

وبعد أن استأذنوه.. وودعوه، افترقوا إلى سُبلهم ومدنهم..

ومضى المسلمون بقيادة النبي ﷺ... ومعه الإمام علي (ع) إلى مدينة الرسول.. إلى يثرب، ليودعوا نشر الدعوة من خلال موقف الدفاع عنها جهاداً بالسيف.. إلى نشرها في أنحاء الجزيرة العربية بالدعوة لها والترغيب بها.. والتعريف بمبادئها وتعليم مفاهيمها لغير المسلمين..

وذلك بعد أن كف المشركون.. ويئسوا من محاربة المسلمين، والتصدي لهم، بعد أن نصرهم الله سبحانه وتعالى..

أخذ الصحابة.. لاسيما منهم الحفظة والقُراء، تعليم المسلمين مبادىء دينهم ومناقشة أحكامه.. وتلاوة القرآن، وحفظ آياته الكريمة.. وتبادلوا الإرشاد والوعظ فيما بينهم..

من يعرف يُعلم من لا يعرف.. ومَنْ تعلم يُعرف من لم يتعلم بما تعلمه..

كان رسول الله ﷺ في مقدمة المرشدين والمعلمين.. يسأل المسلمين.. ويناقشهم.. ويستفسرون منه... يسألونه ويجيبهم، ولا يكتفي بوعظهم وإرشادهم.. بل يعمد إلى إيقاظ الفكر، وترشيد العقل لديهم.. وتثبيت مبادىء الإسلام وعقائده عندهم..

وذلك عن طريق إجراء الحوارات معهم.. دون الإكثار من الموعظة

والإرشاد بصورة مباشرة ومستمرة.. حتى لا يسأم المرء.. ولا يمل المسلم من كثرة الوعظ المجرد والمباشر..

لكن الرسول ﷺ كان يستثني علياً من ذلك..

فكان يكثر عليه الأسئلة، والمناقشات.. والموعظة والإرشاد، دون أن يخاف عليه السأم، أو يخشى منه الملل..

أخذ علي بن أبي طالب دوره في تعليم المسلمين مبادىء الدين الحنيف.. وما جاء به من قيم إنسانية، ومبادىء سامية.. وتعاليم سماوية، لم يألفها ذلك المجتمع البدوي البدائي..

.. ومن مواعظه عليه السلام، وإرشاداته وتعاليمه التي كان بها يوصي أصحابه ورفاقه من المسلمين:

«تعاهدوا أمر الصلاة.. وحافِظُوا عليها.. وإستكثِرُوا منها... وتَقَرَّبُوا بها.. فإنها كانت على المؤمنين كِتَاباً مَوقُوتاً..

ألا تَسمَعُونَ إلى جَوابِ أَهلِ النارِ حينَ سُئِلُوا:

ما سَلَكَكُمْ في سَقَرَ؟.. قالوا: لم نَكُ مِنَ المُصلينَ

وإنها (الصلاة) لَتَحُتُّ الذُنُوبَ حَتَّ[1] الوَرَقِ، وَتُطلقُها إطلاقَ الرِّبَقِ[2]..

وشَبَّهها رسول الله ﷺ بالحَمَّةِ[3] تكونُ على بابِ الرجُلِ، فهو يَغتسلُ مِنها في اليومِ والليلةِ خَمسَ مراتٍ.. فما عسى أن يبقى عليه من الدَّرَنِ[4].

(١) قَشْرَهُ.

(٢) حبل فيه عدة عرى كل منها (ربقه) أي أن الذنوب ربق في الأعناق، والصلاة تفكها منه.

(٣) كل عين تنبع بالماء الحار يُستشفى بها من العلل.

(٤) الدرن: الوسخ.

وقد عَرَف حقَّها رِجالٌ مِنَ المؤمنين الذين لا تَشْغَلُهُمْ عنها زِينَةُ مَتَاعٍ ولا قُرَّةُ عينٍ من وَلدٍ ولا مالٍ. . . يقول الله سبحانه وتعالى:

﴿رِجَالٌ لَّا تُلْهِيهِمْ تِجَٰرَةٌ وَلَا بَيْعٌ عَن ذِكْرِ ٱللَّهِ وَإِقَامِ ٱلصَّلَوٰةِ وَإِيتَآءِ ٱلزَّكَوٰةِ﴾ [سورة النور، الآية: ٣٧]

وكان رسولُ الله ﷺ نَصِباً[١] بالصلاةِ بعد التَّبْشِيرِ لَهُ بالجنَّةِ لقولِ الله سبحانهُ:

﴿وَأْمُرْ أَهْلَكَ بِٱلصَّلَوٰةِ وَٱصْطَبِرْ عَلَيْهَا﴾ [سورة طه، الآية: ١٣٢]

فكان يأمُرُ أهلَهُ، ويَصْبِرُ عليها نَفْسَهُ. .

. . ثم إن الزكاة. . جُعلت مع الصلاة قُرباناً لأَهلِ الإسلام، فمن أعطاها طَيِّبَ النَّفسِ بها تُجعلُ لهُ كَفَّارةً. . ومِنَ النارِ حِجازاً ووقايةً. فلا يُتْبِعَنَّها أَحَدٌ نَفْسَهُ[٢]، ولا يُكثِرَنَّ عليها لَهَفَهُ. .

فإنَّ مَنْ أَعطاها غَيْرَ طَيِّبِ النَّفْسِ بها يرجُو بها ما هو أفضلُ منها فهوَ جاهلٌ بالسّنةِ مَغْبونُ الأجرِ[٣]. ضالُّ العملِ. طَويلُ النَّدمِ. .

ثم أداء الأمانةِ. . فقد خابَ ليسَ من أَهلِها. . إنها عُرِضَتْ على السمواتِ المبنيَّةِ والأَرضينَ المَدْحُوَّةِ[٤]. . والجِبالِ ذاتِ الطول المنصوبةِ، فلا أطولَ ولا أعرضَ ولا أعلى، ولا أعظمَ مِنها. .

ولو امتَنَعَ شيءٌ بطولٍ أو عَرْضٍ أو قوَّةٍ أو عزٍّ لامتنعن. . . ولكن أشفقنَ من العُقُوبةِ، وعَقَلْنَ ما جَهِلَ مَنْ هو أضعفُ منهنَّ وهو الأنسان.

---

(١) نصباً: تعباً.

(٢) أي مَنْ أعطى الزكاة، فلا تذهب نفسه مع ما أعطى تعلقاً به ولهفاً عليه.

(٣) مغبون الأجر: منقوص الأجر.

(٤) المدحوة: المبسوطة.

﴿إِنَّهُۥ كَانَ ظَلُومًا جَهُولًا﴾ [سورة الأحزاب، الآية: ٧٢].

إن الله سبحانه وتعالى لا يخفى عليه ما العِبادُ مُقْتَرِفُونَ[(١)] في ليلهم ونَهَارِهم.

لَطُفَ به خُبراً[(٢)]، وأَحَاطَ بِهِ عِلماً.. أعضاؤكُمْ شُهُودٌ.. وجَوارِحُكُمْ جُنُودٌ.. وضَمائركمُ عُيونهُ.. وخَلَواتُكمْ عِيانُهُ[(٣)]..)»

في صفر من العام الحادي عشرة للهجرة، عقد رسول الله ﷺ لأسامة بن زيد بن حارثة اللواء.. وقال له:

«إغزِ باسم الله.. وفي سبيل الله.. وقاتِل مَنْ كفر بالله.. وسر إلى موضع قتل أبيك، فأوطئهم الخيل.. فقد وليتك هذا الجيش.. واسرع السير لتسبق الأخبار.. فإن ظفّرك الله عليهم، فأَقِلَ اللبث فيهم.. وخذ معك الأدلاء.. وقدم العيون والطلائع معك..».

وأسامة بن زيد بن حارثة.. هو مولى رسول الله... ولد في ظلال الإسلام، ونشأ في بيت الرسول ﷺ.. حيث ترعرع، وشب فيه..

وكان النبي ﷺ يكن له كبير الحب، وكثيراً من العناية... حتى اعتبره من أهله..

قال ابن كثير:

(إن مَنْ آمنوا بدعوة الرسول ﷺ قبل كل أحد خديجة وعلي ومولاه زيد وزوجة زيد (أم أيمن) وورقة)[(٤)].

في غزوة (مؤته) استشهد أبوه زيد بن حارثة... كما استشهد شقيقه أيمن في غزوة (حنين).

---

(١) مقترفون: مكتسبون.

(٢) الخُبر (بضم الخاء): العلم، واللهلطيف العلم بما يكسبه.

(٣) عيانه (بكسر العين) المعاينة والمشاهدة.

(٤) تاريخ الخلفاء ـ الإمام الحافظ السيوطي.

شارك أسامة بن زيد في معارك الإسلام كمجاهد عنه.. وأظهر في تلك المعارك الشجاعة، والكفاءة، والاستبسال، والتضحية..

أعطى رسول الله ﷺ قيادة الجيش إلى أسامة ليقود جيش المسلمين إلى مؤتة لغزو الروم في الشام، وعمره أقل من عشرين عاماً..

وكان تحت قيادته من صحابة رسول الله ﷺ أبو بكر.. وعمر بن الخطاب.. وعبد الرحمن بن عوف.. وأسيد بن خضير.. وبشير بن سعد... وقتادة بن النعمان.. وسعد بن أبي وقاص.. وأبو عبيدة... وغيرهم(١).

ولم يكن علي بن أبي طالب فيهم..

بلغ النبي ﷺ أن بعض المسلمين أراد أن يتخلف عن الالتحاق بهذا الجيش، بسبب إمرة إسامة عليه.. وهو شاب دونهم سناً!!

غضب رسول الله ﷺ عندما علم ذلك.. وقال:

«لعن الله مَنْ تخلف عن جيش أسامة».

ثم خرج إليهم، وهو مريض، وخطب فيهم، وقال:

«أما بعد، أيها الناس فما مقالة بلغتني عن بعضكم في تأميري أسامة.. لقد طعنتم في تأميري أسامة، كما طعنتم في تأميري أباه من قبل.. وأيم الله إن كان لخليقاً بالإمارة.. وإن ابنه بعده لخليق بالإمارة... وإنه كان من أحب الناس إلي.. وإنه فطنة لكل خير.. فاستوصوا به خيراً.. فإنه من خياركم..».

بعدها التحق بالجيش مَنْ أراد أن يتخلف... ومضى جيش المسلمين إلى ضواحي المدينة في منطقة يقال لها (الجرف)... لينطلق منها لملاقاة الروم في الشام..

وعند بداية الانطلاق، علم المسلمون في جيش أسامة أن رسول الله ﷺ

---

(١) ابن سعد في (طبقاته). وابن عساكر في (التهذيب). محمد حسين هيكل في (حياة محمد). كما ورد في (كنز العمال). وابن أبي الحديد.

اشتد به المرض.. فتخلف عن أسامة بعض الصحابة.. مما اضطر قائد الجيش على الانتظار دون مواصلة السير.

دخل أسامة على رسول الله ﷺ حيث أسكته المرض.. فدنا منه، وقبّله.. والرسول ﷺ في صحوته ووعيه دون استطاعته الكلام..

إلا أنه ﷺ أخذ يرفع يديه الكريمتين إلى السماء كالداعي لأسامة..

ثم أشار إليه بالعودة إلى معكسره، وتنفيذ ما أمره به..

وعاد أسامة في طريقه إلى عسكره.. وبينما هو كذلك جاءه رسول من نساء الرسول ﷺ يأمرنه بالمثول أمام النبي ﷺ... بعد أن برىء قليلاً واستطاع الكلام...

وبعد مثوله أمامه... أوصاه بوصايا أخرى.. وقال له ﷺ:

«اغد على بركة الله»... ثم جعل يكرر القول: **«انفذوا بعث أسامة..»**

وَدَّعَ أسامة القائد العظيم رسول الله ﷺ، وخرج معه أبو بكر وعمر بن الخطاب (رض).. ولما بدأ سيره.. جاءه رسول من أمه (أم أيمن) ليخبره بأن الرسول ﷺ يودع الحياة.. وعاد مسرعاً، ومعه أبو بكر، وعمر، وأبو عبيدة.. حيث وجدوه، وقد اشتد به المرض واستفحل..

إلا أنه عليه الصلاة والسلام، لم يفقد المقدرة على الكلام في هذه المرة..

ذكر البخاري في (صحيحه)[1]، عن عبد الله بن عباس (رض)، قال:

(لما احتضر النبي ﷺ، قال وفي البيت رجال منهم عمر بن الخطاب، قال:

«هلم أكتب لكم كتاباً لن تضلوا بعده»..

فقال عمر:

(إن النبي ﷺ غلبه الوجع، وعندكم القرآن، فحسبُنا كتاب الله».

وفي رواية: إن النبي يهجر[2]! واختلف أهل البيت، واختصموا فمنهم من يقول:

---

(١) صحيح البخاري ج١ ص٣٧. ج٥ ص١٣٨. ج٨ ص١٦١.

(٢) (أضواء على السُّنة المحمدية أو دفاع عن الحديث) محمود أبو ريّة ص٥٢ و٥٥.

(قربوا يكتب لكم رسول الله ﷺ كتاباً لن تضلوا بعده).

ومنهم مَن يقول ما قال عمر.. فلما أكثروا اللغط، والاختلاف عند النبي ﷺ، قال:

«قوموا عني..»

فكان أبن عباس يقول:

(إن الرزية كل الرزية ما حالَ بين رسول الله ﷺ، وبين أن يكتب لهم ذلك الكتاب من اختلافهم ولغطهم...)[1].

وقد سمى ابن عباس تلك الحادثة (بالرزية).. أو (يوم الرزية).. أو (رزية يوم الخميس).. لأنها كانت يوم الخميس!.

هذه الرواية بالرغم من إنها وردت في كتب الصحاح.. وأوردها أصحاب الحديث والسنن، وهي لا شك مصادرها ثقة، ولا يمكن الطعن فيها..

إلا أنه لنا وقفة عندها.. لأنه من الممكن مناقشة ما ورد من خبر تلك الرواية، حيث ما يقبله العقل وما يدعمه الواقع، وما تسنده الأسانيد لا يمكن أن يكون إلا حدثاً حادثاً وخبراً واقعاً.. ورواية صادقة.

أما خلاف ذلك، فهو قابل للمناقشة والتأويل..

لقد كان الإمام علي، وقسم كبير من الصحابة الذين أيدوا طلب رسول الله ﷺ، بإتيان الكتف والدواء، حتى يكتب لهم كتاباً لن يضلوا بعده..

فلماذا لم يقم هؤلاء، وعلى رأسهم علي بن أبي طالب بتقديم، أو تنفيذ ما طلبه النبي ﷺ!! لا سيما أن طلب الرسول ﷺ، هو أمر من الأوامر الواجبة التنفيذ!!

وكان على الإمام علي أن يقوم بتنفيذ ذلك.. بل أول من يُنفذ ويمتثل لأوامر ذلك الرجل العظيم.. وهو الذي أقرب إليه مكانة وقرابة وصحابة، وأعلمهم

---

(١) وقد أخرج هذه الرواية إضافة للبخاري كل من مسلم في صحيحه. وابن ماجه. والنسائي. وأبو داود والإمام أحمد بن حنبل في مسنده.. وغيرهم من أصحاب السنن والأخبار..

بأموره.. وهو الذي كان يقوم على تمريضه وقت مرضه!! وملازماً له في آخر أيامه!!

فَلِمَ لم يقم أحب الناس إليه، وأقربهم عنده مكانة وهو علي ابن أبي طالب، بكتابة ما كان يريده الرسول ﷺ!! لأنه كما نعلم لا يقرأ ولا يكتب، وهو على فراش المرض الشديد!!

ولماذا لم يكتب له راوي الرواية عبد الله بن عباس (رض)، فيما إذا كان حاضراً في حضرة رسول الله ﷺ بالرغم من وجود مَنْ يعارض تلك الكتابة، إن صح وجوده في ذلك المجلس!!

ذكر الغالبية من فقهاء المذهب الشيعي..

أراد رسول الله ﷺ من ذلك أن يكتبوا له تنصيب الإمام علي (ع) خليفة بعده، حتى لا يختلفوا عن ذلك الكتاب..

إلا أن عمر بن الخطاب (رض) علم، أو أدرك مغزاه، فحال عنه ذلك!!

ويسندوا حديثهم هذا إلى مصادر عدة.. منها ما أخرجه الإمام أبو الفضل أحمد بن أبي طاهر في كتابه (تاريخ بغداد) بسنده إلى عبد الله بن عباس..

كما أورده علامة المعتزلة في أحوال عمر من شرح نهج البلاغة في مجلده الثالث..

حيث ذكر المحاورة التي دارت بين الخليفة عمر بن الخطاب وابن عباس (رض)... ومنها ما قاله عمر لابن عباس، ما نصه:

(.... ولقد أراد النبي ﷺ في مرضه أن يصرح باسمه، فمنعته من ذلك..)!!

أقول إذا كان النبي ﷺ يريد لعلي الوصية له بالخلافة من بعده، فلماذا لم يوصي إلا قبيل ساعات من وفاته، وهو مريض مرض الموت، مسجى على فراشه!! خاصة وإنه كان يعلم موعد وفاته بوحي من الله سبحانه وتعالى!!

ثم يحق لنا أن نتساءل عن كيفية معرفة من كان حاضراً بما كان يريد

رسول الله ﷺ أن يذكره أو يوصي به.. وكيف علم عمر بنوايا النبي ﷺ حتى استطاع أن يمنعه من تحقيق نواياه!!

وهل يقدر عمر وغيره من الصحابة منع النبي ﷺ عن تحقيق أمر يأمر به!! وإن كان بإمكانه ذلك، أو تمكن منه.. فَلِمَ لم يمنع من كان حاضراً عمر من موقفه ذاك!!

وعلى أية حال كان ذلك الرجل العظيم ﷺ مسجى غلبه المرض.. لم يفصح عما كان يريد أن يوصي به أو يقول ما كان يريد أن يقول.. ولا أحد يعلم بما كان عليه الصلاة والسلام أن يصرح به ونحن نرى أنه لا حاجة لرسول الله ﷺ أن يكرر وصيته للإمام علي في ما تبقى له من لحظات العمر، لأنه أوصى (به وله) في مواقف وأحداث، وأقوال مختلفة.. آخرها كان يوم غدير خم الذي قال فيه:

«يا أيها الناس إن الله مولاي، وأنا مولى المؤمنين.. وأنا أولى بهم من أنفسهم.. فمن كنت مولاه.. فهذا علي مولاه... اَللّٰهُمَّ والِ مَنْ والاه... وعادِ مَن عاداه.. وانصر مَنْ نصره.. واخذل مَنْ خذله.. وأَدر الحق معه حيث دار...».

هذا الحدث، وذلك الحديث، أجمع عليهما فقهاء المسلمون.. ولم يتردد عن ذكره أعظمهم فقهاً.. ولا أقلهم علماً..

وسنأتي على أحداث، وأقوال أخرى غير هذا الذي ذكرناه.. في السطور القادمة من هذا الكتاب إن شاء الله...

...فاضت روح سيد الكائنات... وأعظم المخلوقات.. وخاتم الرسل والأنبياء.. وهو يردد:

«أوصيكم بالصلاة... والزكاة... وما ملكت إيمانكم» وغيرها من وصايا.. ثم أغمض عليه الصلاة والسلام عينيه إلى الأبد.. وانتقلت روحه الطاهرة إلى خالقها، وبارئها.. فكانت بحق أعظم رزية دون غيرها من الرزايا على المسلمين أجمعين.. وقد كان يوم وفاته للمسلمين مضرب المثل.. فإذا بالغوا في يوم من أيام مصائبهم قالوا فيه:

(إنه كيوم مات فيه رسول الله ﷺ).

لقد هزت وفاة الرسول ﷺ أرجاء الجزيرة العربية من مشرقها إلى مغربها..، وفجع آل بيته بأكبر فجيعة بموته.. لا سيما ابنته فاطمة الزهراء.. وزوجها علي بن أبي طالب، وولديهما الحسن... والحسين..

وكذلك زوجاته.. أخص منها السيدة عائشة (رض) التي في غرفتها توفي النبي ﷺ ودفن فيها، وذلك برأي من الأمام علي.. أن يُدفن النبي ﷺ في موضع وفاته[١]...

وفجع بفقده أصحابه... وفي مقدمتهم أبو بكر.. وعمر.. وسلمان الفارسي.. والزبير بن العوام وزيد... وغيرهم ممن حضر وفاته..

كان رسول الله ﷺ في حجر الإمام علي (ع) عندما سالت نفسه الكريمة[٢]... وفاضت روحه الطاهرة... وقد قال الإمام في ذلك:

«ولقد عَلِمَ المُستَحْفَظُونَ[٣] مِنْ أَصْحَابِ مُحمّدٍ (ص) أنّي لم أَرُدّ على الله، ولا على رَسُولِهِ[٤] سَاعَةً قَطُّ... ولقَدْ واسيتُهُ بِنَفْسي في المَوَاطِنِ التي تَنكُصُ فيها الأَبطَالُ، وَتَتَأَخَّرُ فيها الأَقْدامُ نجدةً[٥] أكرمَنَي الله بها...

ولقد قُبِضَ رسُولُ الله ﷺ وإنَ رأسَهُ لَعَلَى صَدرِي.. ولقد سالتْ[٦] نَفسُهُ في كَفّي فأمررتُها على وَجْهي..

ولقد وَلِيتُ غُسْلَهُ ﷺ والملائِكةُ أعواني.. فَضَجّتِ الدّارُ والأَفنيةُ مَلأٌ يهبطُ ومَلأٌ يَعرُجُ وما فارقت سَمْعي هَيْنَمَةٌ[٧] مِنهُم...

---

(١) الإمام علي رسالة وعداله ـ الشيخ خليل ياسين ـ ص٢١٦.

(٢) ذكر ذلك الهيثمي في (مجمعه) عن أبي رافع. ورواه البزار عن عبد الله بن عباس. وكذلك ابن سعد في (طبقاته). وذكره البخاري وورد في (كنز العمال).

(٣) الذين أودعهم النبي ﷺ أمانة سره وطالبه بحفظها.

(٤) لم يعارضهما في أحكامهما.

(٥) الشجاعة.

(٦) إن النبي ﷺ قاء في مرضه، فتلقى الإمام علي قيأه في يده ومسح به وجهه.

(٧) الصوت الخفي.

يُصلُّونَ عليه حتى واريناهُ في ضَرِيحِهِ..

فَمَنْ ذا أَحَقُّ بِهِ مِنّي حياً أو ميتاً؟

فانْفُذوا على بَصائرِكُمْ، ولتَصْدقْ نِيّاتُكُمْ في جهادِ عَدوِّكُمْ..

فوالذي لا إله إلا هُوَ إنّي لَعلىٰ جادَّةِ الحقِّ.. وإنَّهم لعَلَىٰ مَزَلَّةِ[1] الباطِلِ، أقولُ ما تسمعُونَ وأَسْتغفِرُ الله لي ولَكُمْ»[2].

لما قبض رسول الله ﷺ في العام الحادي عشر للهجرة..

وفي رواية أخرى أوردها الأستاذ أحمد أمين في أوائل عام ١٢ هجرية الموافق في ٢٩/ ٣/ ٦٣٢ ميلادية[3]...

كان الإمام علي في نحو الثلاثين من عمره... انشغل بتجهيز جثمان النبي ﷺ وغسله ودموعه تفيض على لحيته في صمت، وهو يقول:

«بأبي أنت وأمي يا رسول الله.. طبت حياً، وطبت ميتاً.. لولا أنك أمرت بالصبر.. ونهيت عن الجزع..

بأبي أنت وأمي، أن الصبر لجميل إلا عنك... وإن الجزع لقبيح إلا عليك. إذكرنا عند ربك، واجعلنا من همّك...».

وفي رواية أخرى... قال (ع):

«بأبي أنت وأمي لقد انقطع بموتك ما لم ينقطع بموت غيرك من النبوة والأنباء وأخبار السماء..

خَصَّصْت[4] حتى صرت مُسلِّياً عمن سواك.. وعَمَّمْتَ حتى صار

---

(١) مكان الزلل الموجب للسقوط في الهلكة.

(٢) نهج البلاغة ج٢ ص١٧١.

(٣) فجر الإسلام ـ أحمد أمين ـ.

(٤) خص النبي ﷺ أهل بيته حتى كان فيه الغنى والسلوة لهم عن جميع من سواه وهو برسالته عام للخلق.

الناسُ فيك سواء. ولو أنكَ أمرتَ بِالصبرِ، ونَهيتَ عن الجزعِ لأنْفَدْنا عليكَ ماءَ الشُؤونِ[1].. ولكان الداءُ مُمَاطِلاً، والكَمدُ مُحالفاً وقَلاًّ لَكَ[2]...

ولكنه ما لا يملك ردُّهُ[3]... ولا يُستطاعُ دفعهُ..

بأبي أنتَ وأمي إذكرنا عند ربك، واجعلنا من بالك».

... تذكر الإمام علي (ع) يوم نزول الآية الكريمة:

﴿وَمَا مُحَمَّدٌ إِلَّا رَسُولٌ قَدْ خَلَتْ مِن قَبْلِهِ الرُّسُلُ أَفَإِيْن مَّاتَ أَوْ قُتِلَ انقَلَبْتُمْ عَلَىٰٓ أَعْقَٰبِكُمْ وَمَن يَنقَلِبْ عَلَىٰ عَقِبَيْهِ فَلَن يَضُرَّ ٱللَّهَ شَيْـًٔا وَسَيَجْزِى ٱللَّهُ ٱلشَّٰكِرِينَ﴾ [سورة آل عمران، الآية: ١٤٤].

إنه قال عندما سمع هذه الآية الكريمة في حينها:

«والله لا ننقلب على أعقابنا بعد إذ هدانا الله... والله لئن مات أو قتل لاقاتلن على ما قاتل عليه حتى أموت..».

عن عبد الله بن عباس، قال:

إن العباس بن عبد المطلب، وابنيه الفضل، وقُثَم.. وأسامة بن زيد. وشُقران مولى النبي ﷺ... وأوس بن خولي.. كانوا يساعدون علياً بن أبي طالب في غسل جثمان الرسول الطاهر ﷺ..

حيث كان الأمام يسنده إلى صدره وأسامة بن زيد، وشُقران يصبان الماء، وعليٌّ يغسله..

ولم يُرَ من رسول الله ﷺ شيء مما يُرىٰ من الميت[4]...

---

(١) لأنفدنا: لأفنينا على فراقك ماء عيوننا الجاري من شؤونه وهي منابع الدمع من الرأس.

(٢) قليلتان لك.

(٣) لكن الموت الذي لا يملك رده.

(٤) أورده الإمام أحمد بن حنبل. وأبو نعيم. والنسائي. وأخرجه القطيعي في (زوائد الفضل)=

بعدها، أشار الإمام علي على المسلمين أن يصلوا عليه فرادىٰ بدون إمام جماعة.. وفي القبر.. قبر رسول الله ﷺ نزل علي بن أبي طالب، والفضل بن العباس، وقثم بن العباس، وشُقران..

وقد قال أوس بن خولي:

أنشدك الله يا عليُّ، وحظنا من رسول الله... فقال:

«إنزل، فنزل في القبر مع القوم[1]..»

روى الإمام أحمد بن حنبل في مسنده، عن عبد الله بن عباس، قال:

لما اجتمع القوم لغسل رسول الله ﷺ وليس في البيت إلا أهله.. عمه العباس بن عبد المطلب. وعلي بن أبي طالب. والفضل بن العباس. وقثم بن العباس. وأسامة بن زيد بن حارثة. وصالح مولاه..

فلما اجتمعوا لغسله، نادى من وراء الباب (أوس ابن خولي الأنصاري).. ثم أحد بني عوف ابن الخزرج (وكان بدرياً) علي بن أبي طالب..

فقال له: يا علي نشدتك الله وحظنا من رسول الله ﷺ.. قال: فقال له علي:

إدخل فدخل، فحضر غسل رسول الله ﷺ.. قال: فأسنده علي إلى صدره وعليه قميصه.. وكان العباس، والفضل، وقثم يقلبونه مع علي بن أبي طالب.. وكان أسامة بن زيد، وصالح يصبان الماء، وجعل علي يغسله.. ولم ير من رسول الله ﷺ شيئاً مما يراه من الميت، وهو يقول:

«بأبي أنت وأمي ما أطيبك حياً أو ميتاً»..

حتى إذا فرغوا من غسل رسول الله ﷺ... (وكان يُغسل بالماء والسدر) جففوه، ثم صنع به ما يصنع بالميت..

= ص١١١٠. والطبراني في (الكبير) ج١ ص١٧٦. والحاكم. وأبو سعيد بن الأعرابي في (معجم الشيوخ).. والحديث منقولاً عن النيسابوري عن عمرو بن طلحة عن أسباط عن سماك عن عكرمة عن عبد الله بن عباس..

كما ورد في (خصائص أمير المؤمنين علي بن أبي طالب) للإمام النسائي ص٧٥.

(١) (الإمام علي بن أبي طالب رابع الخلفاء الراشدين) محمد رضا ص٣٦.

ثم أدرج في ثلاثة أثواب.. ثوبين أبيضين، وبرد حبرة[1].

وفي الرياض النضرة[2]... قال: قال: ابن إسحاق:

لما غسل النبي ﷺ علي أسنده إلى صدره، وعليه قميصه يدلكه به من ورائه، ولا يفضي بيده إلى رسول الله ﷺ.. ويقول:

«بأبي أنت وأمي ما أطيبك حياً وميتاً..»

ولم ير من رسول الله شيئاً يرى من الميت. وكان أسامة بن زيد، وشقران يصبان الماء عليه..

وذكر ابن سعد في طبقاته[3].. عن عبد الله بن محمد بن عمر بن علي بن أبي طالب، عن أبيه عن جده.. قال؛

لما وضع رسول الله ﷺ على السرير، قال علي:

«لا يقوم عليه أحد لعله يؤم.. هو إمامكم حياً وميتاً»..

فكان يدخل الناس رسلاً.. رسلاً[4]، فيصلون عليه صفاً صفاً، ليس لهم إمام ويكبرون.. وعلي قائم بحيال رسول الله ﷺ.. يقول:

«السلام عليك أيها النبي ورحمة الله وبركاته.. اللهم إنا نشهد أن قد بلغ ما أنزل إليه، ونصح لأمته.. وجاهد في سبيل الله حتى أعز الله دينه، وتمت كلمته.. اللهم فاجعلنا ممن يتبع ما أنزل الله إليه وثبتنا بعده.. وأجمع بيننا وبينه..».

فيقول الناس: آمين.. آمين.. حتى صلى عليه الرجال.. ثم النساء... ثم الصبيان..

---

(١) مسند الإمام أحمد بن حنبل ج١ ص٢٦٠.

(٢) ج٢ ص١٧٩.

(٣) ج٢ القسم الثاني ص٧٠.

(٤) جماعة... جماعة.

٥ آل البيت.. خارج السقيفة!!

بينما كان الإمام علي (ع) منشغلاً بتجهيز جثمان ذلك الفقيد العظيم.. رسول الله ﷺ، وخاتم أنبيائه.. وصفيه على خلقه..

منشغلاً بذلك الجثمان الطاهر.. غسله.. والصلاة عليه.. ومن ثم دفنه في ضريحه المقدس. وكان معه بني هاشم وآل بيت النبي ﷺ... وفي مقدمتهم عمه العباس بن عبد المطلب.. وبعض من صحابة رسول الله ﷺ..

قال العباس (رض) لعلي (ع):

أمدد يدك أُبايعك.. فيقول الناس إن عمّ رسول الله ﷺ بايع ابن عم رسول الله ﷺ فلا يختلف عليك اثنان..

أجابه الإمام علي (ع):

«أَويطمعُ يا عم فيها طامع غيري!! ثم إنني لا أريد أن أُبايع من وراء رتاج».

إضافة لذلك إنه رفض احتراماً لجلال الموقف الرهيب.. النبي مسجى أمامه ويقبل بيعة المبايعين!! ذلك أمر لا يقره الإمام..

.. قبل أن يُدفن جثمان النبي الشريف.. وهو لا يزال مُسجى على فراشه، في بيت عائشة..

اجتمع نفر من الأنصار، وهم من الخزرج بقيادة سعد بن عبادة الخزرجي[1] في سقيفة بني ساعدة..

---

(١) كان من أهل بيعة العقبة، ومن أهل بدر وغيرها. وكان سيد الخزرج وجواد الأنصار.

ولما علم ذلك رجالٌ من الأوس (وهم من الأنصار أيضاً) هرعوا إلى مكان الاجتماع حيث انضموا إليهم..

ووقف سعد بن عبادة، بالرغم من أنه كان مريضاً... وتكلم بصوتٍ خافت يكاد لا يسمعه أحد، لولا أن ابنه كان يردد ما يقول أبوه.. وقال:

«يا معشر الأنصار.. إن لكم سابقة في الدين، وفضيلة في الإسلام ليست لقبيلة من العرب..

إن رسول الله ﷺ لبث في قومه بضع عشرة سنة يدعوهم إلى عبادة الرحمن، وخلع الأوثان.. فما آمن به إلا قليل..

والله ما كانوا يقدرون أن يمنعوا رسول الله ﷺ... ولا يعرفوا دينه.. ولا يدافعوا عن أنفسهم، حتى أراد الله تعالى لكم الفضيلة.. وساق إليكم الكرامة.. وخصكم بالنعمة ورزقكم الإيمان به وبرسوله ﷺ..

والمنع له ولأصحابه، والإعزاز لدينه.. والجهاد لأعدائه..

فكنتم أشد الناس على مَنْ تخلف عنه معكم.. وأثقله على عدوكم من غيركم.. حتى استقاموا لأمر الله طوعاً وكرهاً.. وأعطى البعيد المقادة صاغراً داخراً، حتى أثخن الله تعالى لنبيه بكم الأرض.. ودانت بأسيافكم له العرب..

وتوفاه الله، وهو راضٍ عنكم. قرير العين بكم.. فشدوا أيديكم بهذا الأمر، فإنكم أحق الناس، وأولاهم به..»[1].

.. علم أبو بكر (رض) بما يدور في سقيفة بني ساعدة..

ففزع أشد الفزع[2]... فأسرع ومعه عمر بن الخطاب (رض).. فلقيا أبا عبيدة بن الجراح.. فانطلقوا جمعياً إلى السقيفة حتى دخلوها..

وقف أبو بكر يخطب في المجتمعين.. وقال:

---

(١) (الإمامة والسياسة) لابن قتيبة. ج١ ص٢٢.

(٢) (علي إمام المتقين) عبد الرحمن الشرقاوي ج١ ص٦٣. و(الإمامة والسياسة) المعروف بتاريخ الخلفاء لابن قتيبة الدينوري ـ تحقيق الأستاذ علي شيري ج١ ص٢٢. طبعة دار الأضواء والنشر والتوزيع ـ بيروت ـ ١٩٩٠م.

«إن الله بعث محمداً ﷺ بالهدى ودين الحق.. فدعا إلى الإسلام.. فأخذ الله بنواصينا، وقلوبنا إلى ما دعى إليه..

فكنا معشر المهاجرين أول الناس إسلاماً، والناس لنا فيه تبع، ونحن عشيرة رسول الله ﷺ... ونحن مع ذلك أوسط العرب أنساباً.. ليست قبيلة من قبائل العرب إلا ولقريش فيها ولادة..

وأنتم أيضاً، والله الذين آووا ونصروا.. وأنتم وزراؤنا في الدين.. ووزراء رسول الله ﷺ.. وأنتم إخواننا في كتاب الله تعالى، وشركاؤنا في دين الله... وفيما كنا فيه من سراء وضراء..

والله ما كنا في خير قط إلا كنتم معنا فيه.. فأنتم أحب الناس إلينا.. وأكرمهم علينا وأحق الناس بالرضا بقضاء الله.. والتسليم لأمر الله عز وجل، ولما ساق لكم ولإخوانكم المهاجرين وهم أحق الناس، فلا تحسدوهم، وأنتم المؤثرون على أنفسهم حين الخصاصة.. والله ما زلتم مؤثرين إخوانكم من المهاجرين..

وأنتم أحق الناس ألا يكون هذا الأمر واختلافه على أيديكم، وأبعد أن لا تحدسوا إخوانكم على خير ساقه الله تعالى إليهم.. وإنما أدعوكم إلى أبي عبيدة، و عمر.. وكلاهما قد رضيت لكم ولهذا الأمر وكلاهما له أهل».

فقال كل من عمر، وأبو عبيدة:

«ما ينبغي لأحد من الناس أن يكون فوقك يا أبا بكر.. أنت صاحب الغار ثاني اثنين.. وأمرك رسول الله ﷺ بالصلاة..

فأنت أحقُّ الناس بهذا الأمر..»(١).

ثم قام أحد الأنصار.. وقال:

«والله ما نحسدكم على خير ساقه الله إليكم، وإنّا لكما وصفت يا أبا بكر والحمد لله.. ولا أحد من خلق الله أحب إلينا منكم.. ولا أرضى عندنا ولا أيمن.. ولكنا نشفق مما بعد اليوم، ونحذر أن يغلب على هذا الأمر مَنْ ليس منا،

---

(١) (علي إمام المتقين) عبد الرحمن الشرقاوي ج١ ص٢٣ و(الإمامة والسياسة) ابن قتيبة ج١ ص٢٢.

وليس منكم. فلو جعلتم اليوم رجلاً منا ورجلاً منكم، بايعنا ورضينا. .

على أنه إذا هلك اخترنا آخر من الأنصار. . فإذا هلك اخترنا من المهاجرين. . أبداً ما بقيت هذه الأمة. .

كان ذلك أجدر أن يعدل في أمة محمد ﷺ. . . وأن يكون بعضنايتبع بعضاً فيشفق القرشي أن يزيغ فيقبض عليه الأنصاري. .

ويشفق الأنصاري أن يزيغ فيقبض عليه القرشي. . .».

فقام أبو بكر. . فحمد الله تعالى، وأثنى عليه. . وقال:

«إن الله تعالى بعث محمداً ﷺ رسولاً إلى خلقه. . وشهيداً على أمته ليعبدوا الله ويوحدوه، وهم إذ ذاك يعبدون آلهة شتى. . يزعمون أنها لهم شافعة، وعليهم بالغة نافعة. .

وإنما كانت حجارة منحوتة، وخشباً منجورة. .

فاقرأوا إن شئتم: (إنكم وما تعبدون من دون الله). . . (ويعبدون من دون الله ما لا يضرهم ولا ينفعهم ويقولون هؤلاء شفعاؤنا عند الله). .

فعظم على العرب أن يتركوا دين آبائهم. . فخص الله تعالى المهاجرين الأولين (رض) بتصديقه، والإيمان به، والمواساة له، والصبر معه على الشدة من قومهم، وإذلالهم وتكذيبهم إياهم، وكل الناس مخالف عليهم، زارٍ لهم. . فلم يستوحشوا لقلة عددهم، وإزرار الناس بهم، واجتماع قومهم عليهم فهم أول من عبد الله في الأرض. . وأول من آمن بالله تعالى ورسوله ﷺ. . وهم أولياؤه وعشيرته. . وأحق الناس بالأمر من بعده. . لا ينازعهم فيه إلا ظالم. . وأنتم يا معشر الأنصار مَنْ لا ينكر فضلهم. . ولا النعمة العظيمة لهم في الإسلام. . رضيكم الله تعالى أنصاراً لدينه ورسوله. . . وجعل إليكم مهاجرته، فليس بعد المهاجرين الأولين أحد عندنا بمنزلتكم. .

فنحن الأمراء. . وأنتم الوزراء. . . لانفتات دونكم بمشورة. . ولا تنقضي دونكم الأمور. . .»[1].

---

(١) نفس المصدر ج١ - ص٢٤.

مَنْ ينازعنا سلطان محمد وميراثه ونحن أولياؤه وعشيرته:

بعد ذلك وقف الحباب بن المنذر بن زيد بن حرام[1] عن الأنصار.. وقال:

«يا معشر الأنصار.. املكوا عليكم أيديكم، فإنما الناس في فيئكم وظلالكم.. ولن يجير مجير على خلافكم.. ولن يصدر الناس إلا عن رأيكم..

أنتم أهل العزة والثروة، وأولو العدد والنجدة..

وإنما ينظر الناس ما تصنعون، فلا تختلفوا فيفسد عليكم رأيكم، وتقطع أموركم.. أنتم أهل الإيواء والنصرة.. وإليكم كانت الهجرة.. ولكم في السابقين الأولين مثل ما لهم وأنتم أصحاب الدار والإيمان من قبلهم.

والله ما عبدوا الله علانية إلا في بلادكم.. ولا جُمعت الصلاة إلا في مساجدكم، ولا دانت العرب للإسلام إلا بأسيافكم..

فأنتم أعظم الناس نصيباً في هذا الأمر.. وإن أبى القوم، فمنا أمير ومنهم أمير»!!

فنهض عمر بن الخطاب (رض) عندما سمع ذلك قائلاً:

«هيهات.. هيهات!! لا يجتمع سيفان في غمدٍ واحد... والله لا ترضى العرب أن تُؤمرّكم ونبيها من غيركم..

ولكن العرب لا ينبغي أن تولّي هذا الأمر إلا مَنْ كانت النبوة فيهم.. وأولو الأمر منهم... ولنا بذلك على مَنْ يخالفنا من العرب الحجة الظاهرة، والسلطان المبين مَن ينازعنا سلطان محمد، وميراثه ونحن أولياؤه وعشيرته، إلا مُدّلِ بباطل، أو متجانف لاثم.. أو متورط في هلكه..».

... فقام الحباب بن المنذر.. فقال:

«يا معشر الأنصار.. املكوا على أيديكم.. ولا تسمعوا مقالة هذا

(١) كان من سادة الأنصار وأبطالهم بدرياً وأحدياً ذا مناقب وبطولات.

وأصحابه.. فيذهبوا بنصيبكم من هذا الأمر.. فإن أبوا عليكم ما سألتم، فأجلوهم عن بلادكم.. وتولوا هذا الأمر عليهم..

فأنتم والله أولى بهذا الأمر منهم، فإنه دان لهذا الأمر ما لم يكن يدين له بأسيافنا أما والله إن شئتم لنعيدنها جذعة.. والله لا يرد علي أحد ما أقول إلا حطمت أنفه بالسيف».

ثم قال عمر بن الخطاب (رض):

«فلما كان الحباب هو الذي يجيبني.. لم يكن لي معه كلام، لأنه كان بيني وبينه منازعة في حياة رسول الله ﷺ.. فنهاني عنه.. فحلفتُ أن لا أُكلمه كلمة تسوؤه أبداً.. إذاً ليقتلك الله!».

فأجابه الحباب: «بل إياك يقتل»[1]!!.

بعد تلك الآراء المتباينة.. والتصلب في المواقف، احتدم الخلاف حتى كادَ أن يصل إلى السيوف!!

إلا أن أبا عبيدة بن الجراح تدارك الموقف.. وقال لهم:

«يا معشر الأنصار أنتم أول من نَصرَ وآوى.. فلا تكونوا أول من يُبدل، ويُغير!».

عاد أبو بكر (رض)، وطلب من المجتمعين مبايعة أحد من أوائل المهاجرين خليفة لهم.. وقال:

«هذا عمر بن الخطاب وأبو عبيدة بن الجراح.. فأيهما شئتم فبايعوا..».

فرد عليه عمر وأبا عبيدة:

«والله لا نتولى هذا الأمر عليك، وأنت أفضل المهاجرين.. وثاني اثنين إذ هما في الغار.. وخليفة رسول الله ﷺ في الصلاة.. والصلاة أفضل دين المسلمين.. فمن ذا ينبغي له أن يتقدمك، أو يتولى هذا الأمر عليك!! إبسط يدك نبايعك..».

---

(١) (الإمامة والسياسة) لابن قتيبة ج١ ص٢٥.

وبسط يده أبو بكر (رض) حيث أول مَنْ بايعه عمر بن الخطاب (رض) وبعده أبا عبيدة (رض) ومَنْ حضر من الأنصار. .

فقام الحباب بن المنذر إلى سيفه فأخذه. . فبادروا إليه فأخذوا سيفه منه. .

فجعل يضرب بثوبه وجوههم، حتى فرغوا من البيعة. . فقال:

«فعلتموها يا معشر الأنصار. . أما والله لكأني بأبنائكم على أبواب أبنائهم قد وقفوا يسألونهم بأكفهم ولا يسقون الماء. . ».

قال أبو بكر: أمنا تخاف يا حباب؟ قال:

«ليس منك أخاف. . . ولكن ممن يجيء بعدك».

قال أبو بكر: «فإذا كان ذلك كذلك، فالأمر إليك وإلى أصحابك، ليس لنا عليك طاعة».

قال الحباب:

«هيهات يا أبا بكر. . إذا ذهبت أنا وأنت. . جاءنا بعدك من مسومنا الضيم»[١]. .

بعدها بايع زعيم الأوس من الأنصار بدافع رئيسي، وهو أن يفوت الفرصة على سعد بن عبادة زعيم الخزرج من الأنصار!!

حيث كان بين الأوس والخزرج تنافس وعداء قبل الإسلام، إلى أن دخلوا في دين الله، حيث آلف الإسلام بينهم. .

إلا أن رواسب العصبية القبلية بقيت في قلوب بعضهم. . يؤيد ذلك قول زعيم الأوس لقومه عندما بايع أبا بكر بالخلافة:

«يا معشر الأوس. . والله لئن وليتها الخزرج عليكم مرة. . لا زالت لهم بذلك عليكم الفضيلة. . فقوموا وبايعوا أبا بكر. . . »!!

وبذلك فوّت الأنصار على أنفسهم الفرصة التي اجتمعوا من أجلها طمعاً

---

(١) المصدر السابق ج١ ص٢٦.

بالخلافة واستباقاً للزمن، ولصحابة آخرين يعلمون حق العلم أنهم أحق منهم بها!!

أما سعد بن عبادة الخزرجي زعيم الخزرج رفض أن يبايع أبا بكر، وحاول أن يقاوم ذلك.. وقال موجهاً كلامه لأبي بكر وعمر:

«والله لا أبايعكم أبداً حتى أرميكم بكل سهم في كنانتي من نبل.. وأُخضب سناني ورمحي.. وأضربكم بسيفي ما ملكته يدي.. وأُقاتلكم بمن معي من أهلي وعشيرتي..

والله لو أن الجن اجتمعت لكم مع الإنس، ما بايعتكم حتى أعرض على ربي..».

واستمر في رفضه مبايعة الخليفتين أبي بكر وعمر (رض).. ولم يسالمهما حتى قُتل غيلة (بحوران) على عهد الخليفة الثاني..

فقالوا: قتله الجن!! وقالوا: قتله خالد بن الوليد بمؤامرة دبرها له!!

.. وبعد السقيفة والمبايعة!!

بعد الانتهاء من أمر السقيفة ومبايعة مَنْ حضرها لأبي بكر (رض).. جاء (البراء بن عازب) دار رسول الله ﷺ وجثمانه مسجى وحوله علي (ع) وآل بيته، وأصحابه.. فقال لهم:

«لقد شهدت أبا بكر بعد السقيفة بعيني.. إلى يمينه عمر.. وإلى يساره ابن الجراح لا يمر بهم أحد.. ولا يمرون بأحد إلا قدموا يده شاء أم أبى فمسحوها على يد أبي بكر!!»[1].

كل ذلك جرى تحت السقيفة وبعدها.. وجثمان رسول الله ﷺ مسجى في بيته لم يدفن بعد!!

حتى إن فاطمة الزهراء البتول، قالت لأبي بكر وعمر وأبي عبيدة، عندما جاؤوها معزين:

---

(١) الإمام علي بن أبي طالب ـ عبد الفتاح عبد المقصود ج١ ص١٤٩.

«تركتم رسول الله ﷺ جنازة بين أيدينا، وقطعتم أمركم بينكم.. ولم تستأمورنا[1]، ولم تردوا لنا حقاً..».

وبكت. وبكى معها مَنْ كان منشغلاً بتجهيز جثمان رسول الله ﷺ علي بن أبي طالب.. أبو ذر الغفاري.. العباس بن عبد المطلب.. سلمان الفارسي.. الزبير بن العوام.. عمار بن ياسر.. المقداد.. خزيمة بن ثابت.. أُبي بن كعب.. فروة بن عمرو بن ورقة الأنصاري.. البراء بن عازب.. خالد بن سعيد بن العاص الأموي وغيرهم..

ثم بكى أبو بكر ومَنْ كان معه..

تسلّم أبو بكر (رض) مقاليد الخلافة.. كأول خليفة للمسلمين بعد رسول الله ﷺ ولما علم المسلمون ذلك، جاؤوا لمبايعته في المسجد.. حيث خطب بالناس وقال:

«أما بعد أيها الناس، فإني قد وليت عليكم ولست بخيركم.. فإن أحسنت فأعينوني.. وإن أسأت فقوموني...

الصدق أمانة، والكذب خيانه.. والضعيف قوي عندي حتى أريح عليه حقه، إن شاء الله، والقوي فيكم ضعيف عندي حتى آخذ الحق منه إن شاء الله...

لا يدع قوم الجهاد في سبيل الله إلا ضربهم الله بالذل... ولا تشيع الفاحشة في قوم قط إلا عمهم الله بالبلاء..

أطيعوني ما أطعت الله ورسوله.. فإذا عصيت الله ورسوله فلا طاعة لي عليكم..».

أطيعوني ما أطعت الله..

وفي رواية أخرى.. قال أبو بكر (رض):

«أيها الناس... إن الله الجليل الكريم العليم الحكيم الرحيم الحليم، بعث محمداً بالحق. وأنتم معشر العرب كما قد علمتم، من الضلالة والفرقة، ألف بين

---

(١) تستأمرونا: تستشيرونا.

قلوبكم ونصركم به، وأيدكم، ومكن لكم دينكم، وأورثكم سيرته الراشدة المهدية. . .

فعليكم بحسن الهدى ولزوم الطاعة، وقد استخلف الله عليكم خليفة ليجمع به ألفتكم، ويقيم به كلمتكم. .

فأعينوني على ذلك بخير، ولم أكن لأبسط يداً ولا لساناً على مَنْ لم يستحل ذلك إن شاء الله. .

وأيم الله ما حرصتُ عليها ليلاً ولا نهاراً، ولا سألتها الله قط في سر ولا علانية. .

ولقد قُلدتُ أمراً عظيماً مالي به طاقة ولا يد. . .

ولوددت أني وجدت أقوى الناس عليه مكاني. . فأطيعوني ما أطعت الله. . فإذا عصيتُ فلا طاعة لي عليكم». . . ثم بكى وقال:

«اعلموا أيها الناس، إني لم أجعل لهذا المكان أن أكون خيركم، ولوددت أن بعضكم كفانيه ولئن أخذتموني بما كان الله يقيم به ورسوله من الوحي ما كان ذلك عندي، وما أنا إلا كأحدكم. .

فإذا رأيتموني قد استقمت فاتبعوني، وإن زغت فقوموني. .

واعلموا أني لي شيطاناً يعتريني أحياناً. . فإذا رأيتموني غضبتُ فاجتنبوني. . لا أؤثر في أشعاركم وأبشاركم. .»[(١)].

. . . لما علم وسمع ذلك أبو سفيان، جاء مسرعاً إلى الإمام علي (ع). . فقال له:

«غلبكم على هذا الأمر أرذل بيت في قريش! أما والله لأملأنها خيلاً ورجالاً»!!

وطلب من الإمام أن يمد يده لمبايعته!! فقال له ابن أبي طالب مستنكراً:

---

(١) الإمامة والسياسة ـ ابن قتيبة الدينوري ج١ ص٣٣ (دار الأضواء ـ بيروت).

«ما زلت عدو الإسلام وأهليه.. فما ضرّ ذلك الإسلام وأهله شيئاً..
إنما تريد الفتنة!».

بعد ذلك جاء بعض الصحابة من الأنصار والمهاجرين وبني هاشم ومعهم الزبير بن العوام.. ومرة أخرى جاء معهم أبو سفيان إلى الإمام علي ليبايعوه بعد أن بُويع أبو بكر.. فأبى الإمام ذلك، حتى لا تكون فتنة بين المسلمين تشق وحدتهم وتلاحمهم..

لكن أبي سفيان كرر عرضه على علي بن أبي طالب، وكرر قوله السابق له.. فقال له الإمام علي (ع):

«لا والله! لا أريد أن تملأها عليه خيلاً ورجالاً.. ولو أننا رأينا أبا بكر لذلك أهلاً ما خلّيناه وإياها..

يا أبا سفيان! إن المؤمنين قومٌ نَصَحَةٌ بعضهم لبعض..

وإن المنافقين قومٌ غَشَشَةٌ بعضهم لبعض متخاونون وإنْ قربتْ ديارُهم وأبدانهم»[1]..

ثم قال له:

«يا أبا سفيان! إنك تريد أمراً لسنا من أصحابه.. وقد عهد إلي رسول الله ﷺ عهداً فأنا عليه..».

بعد ذلك اتجه أبو سفيان إلى العباس بن عبد المطلب (رض).. وقال له:

«يا أبا الفضل.. أنت أحق بميراث ابن أخيك..

أمدد يدك لأبايعك.. فلا يختلف عليك الناس بعد بيعتي إياك»..

فضحك العباس (رض)... وقال:

«يا أبا سفيان.. يدفعها علي... ويطلبها العباس»!![2].

---

(١) (علي وعصره) ـ جورج جرداق ص٢٦.

(٢) (حجج النهج) د. سعيد السامرائي ص١٥١.

بعدها توجه العباس بن عبد المطلب.. عم رسول الله ﷺ.. وعم علي بن أبي طالب.. إلى الصحابة الذين حضروا لمبايعة علي (ع).. وقال لهم:

«قد سمعنا قولكم، فلا قلة نستعين بكم.. ولا لِظنّة نترك آراءكم.. فأمهولنا نراجع الفكر..

فإن يكن لنا من الإثم مخرج يصّر بنا وبهم الحق صرير الجُدْجُد..

ونبسط إلى المجد أكفّاً لا نقبضُها أو نبلغ المدى..

وإن تكن الأخرى، فلا لِقلة في العدد ولا لوهنٍ في الأيدِ.. والله لولا أن الإسلام قيّد الفتك.. لَتَدكْدَكت جنادل صخر يسمع إصطكاكها من المحل العلي..».

احتجوا بالشجرة وأضاعوا الثمرة:

ثم تكلم فيهم الإمام علي (ع).. وقال:

«أيُّها النّاسُ شُقُّوا أمواجَ الفِتَنِ بِسُفُنِ النّجاةِ... وعَرّجُوا عَنْ طَرِيقِ المُنَافَرَةِ وضَعُوا عَنْ تِيجانِ المُفاخَرةِ..

أَفْلَحَ مَنْ نَهَضَ بِجناحٍ أَو استسلَمَ فأَراحَ.. هذا ماءٌ آجِنٌ[1]، ولُقْمَةٌ يَغَصُّ بها آكِلُها.. وَمُجتَني الثّمَرةِ لغَيرِ وقتِ أيناعِها كالزراعِ بغيرِ أرضِهِ[2].. فإنْ أقُلْ، يقُولُوا حَرَصَ على المُلكِ.. وإنْ أسكُتْ يقُولُوا جزَعَ مِنَ الموتِ[3].. هَيهاتَ بَعدَ اللّتَيا والّتي..

والله لابْن أبي طالبٍ آنَسُ بالموتِ من الطّفلِ بثَدي أُمّهِ..

بعد ذلك ترك القوم ودخل منزله.. ورجعوا من حيث أتوا..

---

(١) متغير الطعم واللون، وهو يشير إلى الخلافة.

(٢) يشير إلى ذلك لم يكن الوقت الذي يسوغ فيه طلب الأمر.

(٣) إن تكلم بطلب الخلافة رماه مَنْ لا يعرف حقيقة قصده، بالحرص على السلطان. وإن سكت وهم يعلمونه أهلاً للخلافة، يرمونه بالجزع من الموت في طلب حقه..

في الليلة الثانية من وفاة رسول الله ﷺ. . جاء إلى العباس بن عبد المطلب (رض) كل من أبو بكر، وعمر، وأبو عبيدة، والمغيرة (رض). . فقال له أبو بكر:

«إن الله ابتعث لكم محمداً (ص) نبياً، وللمؤمنين ولياً. . فمنَّ الله عليهم بكونه بين ظهرانيهم. . حتى اختار له ما عنده، فخلّى على الناس أمورهم ليختاروا لأنفسهم متفقين غير مختلفين. .

فاختاروني عليهم والياً. . ولأمورهم راعياً. . فتوليتُ ذلك. .

وما أخاف بعون الله وتسديده وَهْناً ولا حيرة ولا جبناً. . وما توفيقي إلا بالله عليه توكلت وإليه أنيب. .

وما أنفكُّ يُبلغني عن طاعن يقول بخلاف عامة المسلمين، يتخذكم لجأ فتكونون حصنه المنيع، وخطبه البديع. .

فأما دخلتم فيما دخل فيه الناس. . أو صرفتموها عَما مالو إليه. .

فقد جئناك ونحن نريد أن نجعل لك في هذا الأمر نصيباً ولمن بعدك من عقبك، إذ كنت عم رسول الله ﷺ. . وإن كان المسلمون قد رأوا مكانك من رسول الله ﷺ ومكان أهلك. . ثم عدلوا بهذا الأمر عنكم. .

وعلى رِسْلِكُم بني هاشم فإن رسول الله ﷺ منا ومنكم»!!!

وأيد عمر قول أبو بكر. . وأضاف:

«إي والله. . إنا لم نأتكم حاجة إليكم!! ولكن كرهنا أن يكون الطعن فيما اجتمع عليه المسلمون منكم. . فيتفاقم الخطب بكم وبهم!. . فانظروا لأنفسكم ولعامتهم»!!

أجابهما العباس بن عبد المطلب (رض)، بعد أن حمد الله، وأثنى عليه:

«إن الله ابتعث محمداً (ص) نبياً كما وصفت، ووليا للمؤمنين. .

فمن الله به على أمته حتى اختار له ما عنده. .

فخلى الناس على أمرهم ليختاروا لأنفسهم مصيبين للحق. . مائلين عن زيغ الهوى. .

فإن كنت برسول الله ﷺ طلبت، فحقّنا أخذت..

وإن كنت بالمؤمنين، فنحن منهم...

ما تقدمنا في أمركم فرطاً... ولا حللنا وسطاً.. ولا نزحنا شَحَطا..

فإن كان هذا الأمر يجب لك بالمؤمنين، فما وجبَ إن كُنا كارهين..

وما أبعد قولك، إنهم طعنوا من قولك إنهم مالوا إليك..

وأما ما بذلت لنا، فإن يكن حقك أعطيتناه، فأمسكه عليك..

وإن يكن حق المؤمنين، فليس لك أن تحكم فيه..

وإن يكن حقنا، لم نرض لك ببعضه دون بعض..

وما أقول هذا أروم صرفك عما دخلت فيه.. ولكن للحجة نصيبها من البيان..

وأما قولك: إن رسول الله ﷺ منا ومنكم.. فإن رسول الله ﷺ من شجرة نحن أغصانها.. وأنتم جيرانها..

وأما قولك يا عمر:

إنك تخاف الناس علينا.. فهذا الذي قدمتموه أول ذلك وبالله المستعان»[1].

... بعد أن تمت البيعة للخليفة الأول أبي بكر الصديق (رض).. عكف الإمام علي (ع) في بيته دون أن يبايع...

فجاءه عمر بن الخطاب (رض)، وطلب منه مبايعة الخليفة.. أجابه الإمام:

«أقسمتُ حين قبض رسول الله ﷺ ألا أرتدي برداء إلا إلى الصلاة المكتوبة، حتى أجمع القرآن، فإني خشيت أن ينفلت»..

ورد ذلك في (حلية الأولياء) لأبي نعيم بسنده عن عبد خير عن علي، قال:

«لما قبض رسول الله ﷺ أقسمت أن لا أضع ردائي عن ظهري حتى

---

(١) (حجج النهج) د. سعيد السامرائي ص٩٤.

أجمع ما بين اللوحين فما وضعت ردائي عن ظهري حتي جمعت القرآن»[1].

سأل الإمام علي بعد أن سمع ما جرى في السقيفة، عما قالت الأنصار.. أجابوه، قالت: منا أمير ومنكم أمير.. قال:

«فهلا احتججتم عليهم بأن رسول الله ﷺ وصى بأن يحسن إلى محسنهم، ويتجاوز عن مسيئهم؟»

قالوا له:

وما في هذا من الحجة عليهم!... قال الإمام:

«لو كانت الإمامة فيهم، لم تكن الوصية بهم».

ثم قال:

«ماذا قالت قريش؟»....

قالوا:

احتجت قريش بأنها شجرة رسول الله ﷺ!! قال الإمام:

«احتجوا بالشجرة وأضاعوا الثمرة...»

... التقى الإمام علي (ع) ببعض المهاجرين ممن حضروا البيعة، فقال لهم:

«زعمتم للأنصار إنكم أولى بهذا الأمر منهم لما كان محمد ﷺ منكم فأعطوكم المقادة، وسلموا إليكم الإمارة..

وأنا أحتج عليكم بمثل ما احتججتم به على الأنصار..

إن كانت الإمامة في قريش.. فأنا أحق قريش بها.. وإلا فالأنصار على دعواهم...

(١) (فضائل الخمسة من الصحاح الستة) - مرتضى الحسيني ج٣ ص٦٥.

نحن أولى برسول الله ﷺ حياً وميتاً.. فانصفونا إن كنتم مؤمنين».

وقال الإمام علي (ع):

«أتكون الخلافة بالصحابة، ولا تكون بالصحابة والقرابة!!»

استمر الإمام علي (ع) على عدم مبايعة الخليفة الأول أبي بكر (رض) لمدة تقارب الستة أشهر..

حدث فيها خلاف كبير بينه وزوجته السيدة فاطمة الزهراء بنت النبي ﷺ من جهة.. وبين أبي بكر من جهة أخرى حول ميراث رسول الله ﷺ، ومنها أرض (فدك) التي ذكرناها في مواضيع سابقة لا موجب لتكرارها.. ولكن نُذّكر بخطبتها (الزهراء) ذات الحجج البالغة التي ثبّتتْ فيها موقفاً تاريخياً من الخلافة، وذلك في موضوع (الهموم.. والرحيل)..

القدوة في كل قول وعمل..

بعد وفاة السيدة فاطمة الزهراء (ع)، جاء أبو بكر إلى الإمام علي معزياً، وكان معه في الدار جمع من بني هاشم.. فتحدثا عن البيعة والخلافة.. فقال له الإمام:

«أما بعد يا أبا بكر، فإنه لم يمنعنا أن نبايعك إنكاراً لفضيلتك، ولا نفاسة عليك لخير ساقه الله إليك..

ولكنا كنا نرى أن لنا في هذا الأمر حقاً أخذتموه»(١).

ثم قال له:

«موعدك غداً في المسجد الجامع للبيعة إن شاء الله».

وفي اليوم التالي حضر جمع غفير من المسلمين في المسجد.. وقام الإمام علي بذكر فضائل أبي بكر (رض)... ثم بايعه..

---

(١) (خلفاء الرسول) خالد محمد خالد ص٤٠٠.

وبعد بيعة الإمام لأبي بكر قرت عينه، وطابت نفسه، واستقرت له الخلافة..

على أن أسباب عدم مبايعة الإمام علي لأبي بكر بداية تعود إلى أن الإمام يرى: أن له في الخلافة حقاً، كما قال.. وحقه هذا يعود إلى:

أما علمه بوجود وصية من النبي ﷺ له... أو بتوصية فيه..

أو مكانته في الإسلام، وموقعه من رسول الله ﷺ..

وأما أن شعر بحرمانه وبني هاشم، وقسم كبير من الصحابة والمسلمين من حقهم في الترشيح للخلافة..

أو حرمانهم من حقهم بالاشتراك في الشورى، والمساهمة بانتخاب الخليفة للخلافة..

ذلك بعد استئثار فئة قليلة من الصحابة، واحتكارهم لحق الترشيح والانتخاب معاً.

وبنو هاشم وآل البيت وفي مقدمتهم الإمام علي، هم الشريحة الفاعلة والمهمة بين المسلمين قاطبة، دون مقارنة أو منازع...

وهؤلاء جُردوا من كل حق لهم فيها.. وقللوا من شأنهم العظيم في الإسلام بعزلهم عن أهم حق يملكونه، وأزاحوهم عن مكانة كبيرة وضعهم الله ورسوله فيها!!...

تلك هي أهم الأسباب الموجزة لتأخر الإمام عن بيعة الخليفة أبي بكر (رض) (وسنأتي عليها في المواضيع القادمة تفصيلاً بإذن الله تعالى)...

على أن الإمام علياً (ع)، كان بتصرفه ذلك، وأعني مبايعته الخلافة لأبي بكر (رض) قد غَلَّبَ مصلحة الدين الجديد على أية مصلحة أخرى..

والحق يقال إنه لا مصلحة له في أي حق يثيره، سوى إعطاء الأولوية لكل حق أو واجب من حقوق وواجبات الإسلام التي إشرأبت نفسه لمبادئه..

يقول الأستاذ خالد محمد خالد:

«لقد اعتاد الإمام دائماً أن يتصرف تصرف القدوة..

فهو في كل حركاته وقراراته وأعماله يلتزم واجبات القدوة..

إن كلماته، وخطواته، لتشكل طريقاً عاماً للأجيال المقبلة على طول الزمن وعرضه..

ومن ثم فإن الشعور بتبعات القدوة أكثر الأشياء إملاءً عليه، وإيحاءً إليه.. في طفولته.. كان يسلك مسلك «القدوة».. فلا يلعب لعب الأتراب، ولا يلهو مع الصبية..

وفي شبابه كان يسلك مسلك «القدوة».. فقضاه شباباً طاهراً، وحمَّلهُ مسؤوليات الرجال مبكراً..

وفي رجولته، وخلافته.. أعطى كل عزمه، وكل نفسه لما تتطلبه «القدوة» من تبتل وصمود..

أجل فاختلاف وجهات نظر الأبرار حول الحق.. لا يخرج الأبرار من دائرة الحق، والفضل، والأمانة..

إن خلافهم ليس على دنيا يتنافسونها، ومن ثم تبقى آفات الدنيا بعيدة عن إيمانهم وعن أخلاقهم، وتبقى بعيدة عما يختلفون فيه أبعدها عما يتفقون عليه..!!!

وهكذا طوى الإمام عنها كشحاً.. وأغلق دونها باباً.. وتفرغ لعبادة الله وتفقيه المسلمين، وإسداء المشورة والنصح لوليّ الأمر..

فالمشكلات والمعضلات لم يكن لها إلا علي..

ولطالما كان الخليفة «أبو بكر» يسعى إليه، ويقول له:

«افتنا يا أبا الحسن»[1].

---

(١) (خلفاء الرسول) خالد محمد خالد ص٤٠١.

٦ أبو بكر.. أول الخلفاء

تولى خلافة المسلمين بعد وفاة رسول الله ﷺ. . أبو بكر الصديق (رض)، كأول خليفة في الإسلام. . .

وأبو بكر (رض):

هو عبد الله بن أبي قُحافة عثمان بن عامر بن عمرو بن كعب بن سعد بن تَيْم بن مُرّة بن كعب بن لؤي ابن غالب القرشي التميمي. . .

قيل اسمه (عَتيق). . والحقيقة أن هذا الاسم لم يكن اسمه، بل لُقب به لعتقه من النار. .

وسمي أو لقب (بالصديق). . لأنه بادر إلى تصديق رسول الله ﷺ. . . وفي رواية أخرى أنه كان يُلقب به في الجاهلية قبل الإسلام لصدقه. .

أمه بنت عم أبيه. . اسمها (سلمى) بنت صخر بن عامر بن كعب. . وتكنى بـ (أم الخير). .

ولد أبو بكر (رض) بعد مولد النبي ﷺ بسنتين وأشهر. . ومات وعمرهُ ثلاث وستون سنة. . وقيل أيضاً هو أسن من رسول الله ﷺ بسنتين. .

نشأ بمكة المكرمة. واشتغل بالتجارة، وكان ذا مال كثير. . . مُولع بحفظ روائع الثقافة العربية بكل أدبها. . شعرها ونثرها وخطب ملاحمها. .

واشتهر بين قومه في الإحسان والمروءة، وصلة الرحم، ومساعدة المحتاج منهم. .

وكانت صفاته الجسدية أبيض. . نحيفاً. . خفيف العارضين. . أحنى الظهر. . معروق الوجه، غائر العينين، ناتىء الجبهة. .

جاء أبو بكر (رض) إلى النبي ﷺ.. فقال له:

يا أبا القاسم ما الذي بلغني عنك؟

فسأله النبي ﷺ... قائلاً:

(وما بلغك عني يا أبا بكر؟) أجابه:

بلغني إنك تدعو إلى توحيد الله. وزعمتَ أنك رسول الله.. قال:

«نعم، يا أبا بكر.. إن ربي جعلني بشيراً، ونذيراً.. وجعلني دعوة إبراهيم وأرسلني إلى الناس جميعاً».

فقال له أبو بكر:

«والله ما جربت عليك كذباً، وإنك لخليق بالرسالة لعظم أمانتك، وصلتك لرحمك، وحسن فعالك.. مد يدك، فإني مبايعك».

وأسلم أبو بكر (رض)..

وكان من أوائل المسلمين الذين دخلوا دين الإسلام... وصحب رسول الله ﷺ بعد إسلامه حتى وفاته.. ولقد كان حريصاً على تلك الصحبة حَفِيّاً بزمالة محمد ﷺ حتى وصفته أم سلمة:

(خِدْنا لمحمد وصَفياً له).

شهد معه المشاهد كلها.. وهاجر معه إلى يثرب، وترك أهله في مكة.. وهو رفيق النبي ﷺ في الغار.. وقد أسلم على يده بعد أن أقنعهم بمبادىء الإسلام خمسة من أشراف قريش هم: عثمان بن عفان، الزبير بن العوام، عبد الرحمن بن عوف، سعد بن أبي وقاص وطلحة بن عبيد الله[1]..

قال فيه تعالى في محكم كتابه الكريم:

﴿ثَانِيَ ٱثْنَيْنِ إِذْ هُمَا فِى ٱلْغَارِ إِذْ يَقُولُ لِصَـٰحِبِهِۦ لَا تَحْزَنْ إِنَّ ٱللَّهَ مَعَنَا﴾ [سورة التوبة، الآية: ٤٠].

---

(١) (خلفاء الرسول) خالد محمد خالد ص٤٩.

وقد قام بنصر رسول الله ﷺ في غير موضع.. وثبت يوم أُحد، ويوم حنين..

وقد أظهر إسلامه، ودعا إلى الله ورسوله علناً دون كتمان، وجعل من حياته سياجاً يحمي بها الدعوة والداعي.. الدين والرسول[١]..

كان أعلم الناس بأنساب العرب.. وله علم بعلم تأويل الرؤيا، وفصاحة بالخطابة.. وهو أحد الذين حفظوا القرآن كله..

كان من رؤساء قريش في الجاهلية، وأهل مشورتهم، ومحبباً فيهم.. كانت مدة خلافته سنتين وسبعة أشهر.. أو سنتين وأربعة أشهر إلا أربع ليالٍ كما ذكره الطبري[٢]..

قيل: لم يل الخلافة أحد في حياة أبيه، إلا أبو بكر.. ولم يرث خليفة أبوه، إلا أبو بكر..

ذلك أن والده (أبا قحافة) توفى بعد وفاة ولده أبي بكر بستة أشهر وأياماً عن عمر ناهز السبع والتسعين سنة[٣].

كان أبو بكر (رض) ورعاً تقياً.. نذر نفسه للإسلام وللمسلمين كان إذا جاء وقت السحر قام فتوضأ وصلى، ثم يظل يصلي ويتلو القرآن، ويسجد ويبكي.. وقد قال عنه الإمام علي بن أبي طالب (ع):

«كنت والله للإسلام حصناً وعلى الكافرين عذاباً. لم تقلل حجتك ولم تضعف بصيرتك، ولم تجبن نفسك..

وكنت كالجبل الذي لا تحركه العواصف.. كنت كما قال رسول الله ﷺ ضعيفاً في بدنك قوياً في أمر الله متواضعاً في نفسك عظيماً عند الله...

---

(١) المصدر السابق ص٥٦.

(٢) (الإمامة والسياسة) ـ ابن قتيبة ـ ج١ ص٣٥ (هامش).

(٣) (تاريخ الخلفاء) ـ للإمام السيوطي.

جليلاً في الأرض... كبيراً عند المؤمنين.

ولم يكن أحد عندك مطمع، ولا أحد عندك هوادة..

فالقوي عندك ضعيف حتى تأخذ الحق منه... والضعيف عندك قوي حتى تأخذ الحق له.

فلا حرمنا أجرك.. ولا أضلنا بعدك»(١).

حين أدركه الموت دعا إليه ابنته عائشة (رض) وقال لها:

«انظري ما زاد في مال أبي بكر منذ وَليَ هذا الأمر، فَرُدِّيه على المسلمين»(٢).

كان في بدء إسلامه لا يطيق أن يرى مؤمناً يتعذب، وكانت نفسه تنوء بالألم حين يكون أولئك المعذبون رقيقاً.

ومن ثم وضع ثروته في سبيل تحريرهم، وحررهم جميعاً بماله:

بلال.. عامر بن فهيرة.. زُبيرة.. أم عبس.. النهدية وابنتها.. جارية بن عمرو بن مؤمِّل.. وغير هؤلاء..

كان عظيماً، وهو يشعر هؤلاء الأرقاء أنه لا يحررهم، بل يُحرِّر نفسه قبلهم.. لإنه وقد أتاه الله المال ونعمة الإسلام بات واجباً عليه أن يحطم من الأغلال الظالمة كل ما يستطيع تحطيمه..

حين افتدى بلالاً، قال له سيده تحقيراً منه لشأن بلال:

«خذه فلو أبيت إلا أوقية واحدة لبِعْتُكَهُ بها»..

فأجابه أبو بكر قائلاً:

«والله لو أبيتم إلا مائة لدفعتها..».

ومن الطريف أن يتناقل الناس في مكة أن أبا بكر يبذل في سبيل تحرير العبيد

---

(١) (الصديق أول الخلفاء) ـ عبد الرحمن الشرقاوي.

(٢) (خلفاء الرسول) خالد محمد خالد ص٩١.

من ماله بَذْلَ السماح . . فيعمد بعضهم حين تنتابه أزمة مالية إلى إنزال العذاب بعبده كي يُسارع أبو بكر لنجدته ويتقاضاه السيد ثمناً يدفع به ضائقته وأزمته . .

وفي أيام الجاهلية لم يُعرف عنه مرة واحدة أنه قاتل، أو شاتم، أو أساء، أو تخلى عن مروءة، أو بخل بماله أو جاهه . .

فلما أسلم أُضيف إلى صِدْقِ فطرته، صدقُ دينه . . وهكذا أقرض الله كل ماله، حتى لقد سأله الرسول ﷺ يوماً:

«ماذا أبقيت لأهلك ياأبا بكر . . . ؟؟»

فأجاب: «أبقيت لهم الله ورسوله» . . (١)

وبعد رسول الله ﷺ . . . وفي خلافته . . خلافة الصديق (رض) . . دخل عليه عمر بن الخطاب (رض) فوجده يبكي!!

فقال له عمر (رض): «ما يبكيك يا خليفة رسول الله!!» . .

أجابه: «يا عمر لا حاجة لي في إمارتكم».

لكن عمر بن الخطاب (رض) بادره قائلاً:

«إلى أين المفر . . ! والله لا نُقيلك . . ولا نستقيلك!!»

وذات يوم خرج من داره حاملاً على كتفيه لُفافة كبيرة من الثياب . . وفي الطريق يلقاه عمر بن الخطاب وأبو عبيدة بن الجراح، فيسألانه:

- إلى أين يا خليفة رسول الله . . ؟؟

فيجيبهما: إلى السوق . . .

قال عمر: وماذا تصنع بالسوق، وقد وُلِّيت أمر المسلمين . . ؟؟

قال أبو بكر: فمن أين أُطعم عيالي!!

قال له عمر: انطلق معنا نفرض لك شيئاً من بيت المال . .

وصحبهما الخليفة إلى المسجد حيث نودي أصحاب الرسول، وعرض عليهم عمر رأيه في أن يفرض للخليفة (بدل تفرغ).

---

(١) (خلفاء الرسول) خالد محمد خالد ص١٠٠.

وفعلاً فرضوا له كفافاً.. بعض شاة كل يوم، ومائتي دينار وخمسين في العام.. ثم زيدت بعد ذلك إلى شاة في اليوم.. وثلثمائة دينار في العام.. وعاش أبو بكر بهذا هو وأسرته الكبيرة، حتى بعد أن فُتح للمسلمين أبواب الرزق والرغد، وبدأت خيرات الشام والعراق تَفِدُ إلى المدينة.. ولم يكن الصِّديق يلتزم القناعة لمجرد الزهد.. بل كانت قناعته جزءاً من فلسفته..[1].

تلك كانت نبذة موجزة.. ووقفة قصيرة، ذكرنا فيها بإيجاز جوانب من حياة هذا الصحابي الجليل.. الخليفة الأول.. أبو بكر الصديق (رض)...

(١) المصدر السابق ـ ص٩٠.

٧ كانت فلتة.. وكادت تصبح فتنة!

... وإتماماً لمواصلة البحث. نعود لموضوع الخلافة.. خلافة رسول الله ﷺ بعد انتقاله إلى الرفيق الأعلى..

قال عمر بن الخطاب (رض):

(إن بيعة أبي بكر، كانت فلتة وقى الله المسلمين شرها.. فمن عاد إلى مثلها فاقتلوه..)[1].

نعم.. إنها كانت فلتة.. أو كادت أن تكون فتنة، وقى الله سبحانه وتعالى الدولة الإسلامية الفتية شرورها!!

فداخل السقيفة نفسها برزت الخلافات والنزاعات.. كل طرف يريد الخلافة له! وأولهم سعد بن عبادة الخزرجي الذي كان أول مَنْ دعا للسقيفة..

ثم ظهرت المنافسة عليها فيما بين الأنصار أنفسهم، الخزرج والأوس..

وعادت للظهور الخصومة المستحكمة بينهما زمن الجاهلية!

لقد ضحى بالخلافة زعيم الأوس بعد أن أدرك إنها ستكون لزعيم القبيلة التي تخاصم قبيلته وتنافسها، وهو سعد بن عبادة..

فطلب من رجاله تأييد ترشيح أبي بكر (رض) لغرض تفويت الفرصة على خصمه. وكما مرّ ذكره في موضوع (السقيفة)..

وكان من الممكن أن تكون الخلافة للأنصار أنفسهم دون المهاجرين، فيما

---

(١) البخاري في (صحيحه) ج٨ ص٢٦... د. طه حسين في (الفتنة الكبرى) ج٢ ص٣١.. وغيرهم.

لو اتفقت القبيلتان فيما بينهما، ونبذا ما كان عندهما من رواسب العدواة والفرقة..

ذلك إن مَنْ حَضَرَ من الأنصار في السقيفة أكثر ممن حضر من المهاجرين..

وهنا نستطيع القول أن الأنصار أول من تكتل للاستحواذ على منصب الخلافة ورسول الله ﷺ لا يزال مسجى لم يُدفن جثمانه الطاهر بعد!!

وآل بيت النبي ﷺ، وجل الصحابة، وأكثر المسلمين، كانوا إما منشغلين بمراسيم تجهيزه إلى مثواه الطاهر.. أو مصابين بصدمة كبيرة ولا يريدون أن يصدقوا بما أصابهم من فاجعة أو كارثة لا توصف بفقدانهم قائدهم العظيم.. رسول الله ﷺ.. فالقسم الأول منشغل بما شُغل به..

والآخرون يذرفون غزير الدمع حزناً على ذلك الرجل الفذ الذي نقلهم بمبادىء دينه من الظلمات إلى النور..

فهم لم يعطوا منصب الخلافة تلك الأهمية، ومَنْ الذي سيكون لها، لأن الحزن جعلهم لم يروا، أو لم يفكروا إلا بالفاجعة التي هزتهم.. كيف أن رسول الله ﷺ بين ليلة وضحاها رَحَلَ عنهم!!

وبناءً على ذلك لم يحضر السقيفة إلا القسم القليل من المهاجرين..

ومِنْ مَنْ لم يحضر جل صحابة رسول الله ﷺ المقربون له، لأنهم انشغلوا به دون أن يشغلهم شاغل آخر غيره عنه..

وحتى مَنْ حضر من الأنصار لا يتجاوز العشرات.. ذلك أن اجتماع أهل السقيفة كان مفاجئاً.. لم يُنتشر خبره... ولم يعلم به إلا قليل من الأنصار..

ثم إن مكان السقيفة لا يسع إلا لبضع من العشرات فقط.. لأنه في بيت محدود المكان، لا في جامع النبي الذي يسع معظم المسلمين، ولا حتى في مكان عام يمر فيه المسلمون، أو يكون بالإمكان الاطلاع على ما يجري بين مَنْ حضر!!

لقد كان من الممكن لصحابة رسول الله ﷺ من المهاجرين القدامى الذين هم أوائل مَنْ أسلموا واعتنقوا دين محمد ﷺ وأيدوا دعوته.. والذين انشغلوا بما أصابهم كما ذكرنا..

كان من الممكن أن يعترضوا على النتيجة الناتجة عن السقيفة، وأعني

انتخاب أبي بكر، وبالتالي إعادة ترشيح أحدهم للخلافة. وعدم الاعتراف بأبي بكر خليفة للمسلمين..

ولنا أن نتصور ما قد ينتج عن ذلك من مآسي وإراقة للدماء، وانقسام في صفوف المسلمين!!

... وهناك آل بيت رسول الله ﷺ من بني هاشم، الذين أوصى بهم النبي ﷺ حيث قال:

«**وأهل بيتي أُذكركم الله في أهل بيتي...**» قالها وكررها ثلاث مرات.. وكان في مقدمتهم علي بن أبي طالب، وعمه العباس.. ومعهما أجل الصحابة وأقدمهم إسلاماً وعلي بن أبي طالب، كما نعلم خصه رسول الله ﷺ بحياته الشريفة بالمنزلة الخصيصة، ورفع من مكانته، وزاد من علوه.. حتى أوصى له في خطبة غدير خم المشهورة والمشهودة.. ودعا له ولمن والاه... ودعا على مَنْ عاداه.. وقال فيه ما لم يقل في غيره من القرابة والصحابة حتى تمنى غيره أن يكون بعض قول رسول الله ﷺ فيه كما قال في علي!

ودع عنك ما كان يتصف به من صفات القيادة، والشجاعة، والبطولة، والمواقف المشهودة.. وعلمه الغزير، وإيمانه العميق بمبادىء الدين الحنيف وتفانيه لتلك المبادىء، وقضائه المعروف، وملازمته للرسول ﷺ قبل الدعوة حتى اختار الله نبيه لجواره..

فلو أن الإمام قَبِلَ مبايعة، أو بيعة مَنْ أراد أن يبايعه، مثل عمه العباس.. وبايعه بعد مبايعة عمه كثير من الصحابة، وكل بني هاشم.. لانقسم المسلمون قسمين:

منهم مَنْ يؤيد مبايعة أبي بكر خليفة نتيجة لما حصل بالسقيفة..

والقسم الآخر منهم يؤيد مبايعة علي بن أبي طالب من خلال مبايعة بني هاشم والصحابة له لمكانته بين آل البيت، وشأنه لدى رسول الله ﷺ... وموقعه بين المسلمين..

ولنتصور مدى ذلك الانقسام، وما يحصل عنه من فتنة، وضعف للمسلمين،

وفرقة بين صفوفهم.. وإعطاء الفرصة لأعدائهم للقضاء على الإسلام وهزيمة المسلمين!!...

لذا صدق عمر بن الخطاب (رض) عندما قال:

(إن بيعة أبي بكر كانت فلتة وقى الله المسلمين شرها، فمن عاد إلى مثلها فاقتلوه..) وعن ذلك، قال الإمام علي (ع):

«... وأَيمُ الله لولا مخافة الفُرقة بين المسلمين، وأن يعود الكفر، ويبور الدين، لكنا على غير ما كنا لهم عليه..».

مبايعة الإمام للخليفة..

قال الإمام في قول كان يكرره:

«... ولقد علمتم أني أحق الناس بها من غيري.. والله لأسلمن ما سلمت أمور المسلمين، ولم يكن فيها جور إلا عليَ خاصة..».

من هذا المنطلق، وذاك المبدأ.. بايع الإمام علي الخليفة أبا بكر (رض) بعد مضي ستة أشهر كما ذكرنا..

وقد روى كثير من المؤرخين أن الإمام أُجبر بتهديد السلاح على المبايعة!! حيث ورد ذلك في مصادر كثيرة ومختلفة..

وعندنا تلك رواية غير واردة مطلقاً، بل نشكك في صحتها.. لأنها لا يعقلها العقل، ولا يقبلها المنطق..

ذلك أن علياً بن أبي طالب، لا يمكن أن يتعامل معه أحد بهذا الأسلوب من التعامل!! لأسباب عدة، ولنا أن نذكر منها.. وحسب ما نعتقده..

١ ـ شجاعته وبطولاته اللتان كان يُحسب لهما أكثر من حساب.. ومعروف عنه أنه لا يهاب الموت في سبيل الحق..

٢ ـ مكانته بين المسلمين، وموقعه من آل البيت، وقربه القريب من رسول الله ﷺ.

٣ ـ حرصه الشديد على وحدة المسلمين، ونبذ الفُرقة كما كان يوصي دائماً بذلك..

٤ ـ لا يُعتقد أن يستطيع أي من المسلمين أن يقف أمامه موقف التهديد، أو التطاول عليه لإجباره على تنفيذ أمر لا يرى فيه صلاحاً للإسلام والمسلمين..

كما أنه بايع مبايعة صادقة مَنْ جاء للخلافة بعد الخليفة الأول..

فهل عمر وعثمان أجبراه على المبايعة أيضاً!! أم أنه بايع طوعاً!!

لم نجد في كتب التاريخ ولو رواية واحدة، ذكرت أن الإمام أُجبر على مبايعة عمر وعثمان (رض) كما وجدنا في بعضها خبر إجباره مبايعة الخليفة الأول (رض).

... لقد ذكر الإمام علي (ع) في مواضع مختلفة، إنه أحق من غيره بالخلافة، وأصلح الصحابة لها، لأسباب ذكرها.. وسنذكرها في المواضيع القادمة إن شاء الله، علماً أنه لم يكن طامعاً بها.. ولا طالباً لها.. لكنه كان يريد من خلالها تنفيذ أوامر الله سبحانه وتعالى ورسوله الكريم ﷺ، كما علمه أستاذه العظيم..

ولأنه كان أكثر الصحابة علماً بتعاليم الدين، وأقضاهم، وأشجعهم.. وغير ذلك ماله من خصائص تجعله أهل للخلافة...

وبناء على ذلك لو كان الإمام علي قد مدّ يده إلى مَنْ أراد مبايعته، وعلى رأسهم بنو هاشم، وفي مقدمتهم عمه، وعم النبي ﷺ العباس (رض)، وحسب للطامعين بها حساباً..

فلو كان قد فعل ذلك، لتوالى المسلمون عليه لمبايعته دون غيره... لأن فيه خصائصها كما ذكرنا.. ولأن عم النبي ﷺ قام بمبايعته..

لكن الإمام علياً (ع) لم يفعل ذلك لما مر ذكره.

وبعدها ندم الإمام على تفريطه في أمر البيعة، وتفويت الفرصة عليه.. كما ذكر الدكتور سعيد السامرائي[1]!!!

---

(١) حجج النهج ـ د. سعيد السامرائي ص٦٣.

كان الإمام علي كرم الله وجهه واثقاً من أن البيعة لا تتعداه، تطبيقاً لما أوصى رسول الله ﷺ يوم الغدير... وفي مواقف أخرى مشهودة، شهدها المسلمون..

وتنفيذ وصية الرسول ﷺ لا يختلف عليها اثنان من المسلمين..

لكن الإمام علياً عرف أن حب الدنيا، والتطلع للإمارة.. ووجود العصبيات القبلية التي لم يستطع الإسلام القضاء عليها نهائياً. فوتت عليه فرصة وصوله إلى سُدة الخلافة!!

وكذلك ثارات القبائل منه قبل الإسلام.. لم يُنسهم الإسلام أنه، وأعني الإمام، قتل زعماءهم وصناديدهم، وإخوانهم في مقتبل الدعوة الإسلامية!!

لكنه (كما ذكرنا) أعطى الأولوية للاهتمام بجثمان رسول الله ﷺ.. وحزنه على وفاته جعله لا يستطيع اتخاذ أي قرار يتعلق بغير المصيبة التي هو فيها، والتي هزت كيانه، ورزأت بها مشاعره..

ذلك يعني أن علياً (ع) لم تكن عنده مطامع في الخلافة، ولا له إربة فيها حتى تكون له غاية..

وإنما كان يريدها أن تكون وسيلة لخدمة مبادىء الدين الحنيف وللمسلمين ولنشر التعاليم السماوية على أكمل وجه.. ولتسود مبادىء العدالة، والمساواة بين كل مَنْ آمن بهذا الدين، والحفاظ على وحدتهم..

وقد قال في ذلك:

«والله ما كانت لي في الخلافة رغبة، ولا في الولاية إربة»..

.. دخل عبد الله بن عباس ابن عم الإمام علي عليه.. فوجده يخصف نعله.. فسأله الإمام: ما قيمة هذا النعل؟

أجابه عبد الله بن عباس: لا قيمة لها!

فقال له الإمام علي:

«والله لهي أحب إلي من إمارتكم، إلا أن أُقيم حقاً أو أدفع باطلاً..».

كما قال كرم الله وجهه عن الدنيا عموماً.. تلك الدنيا التي بها تلك الخلافة المتنازع عليها!!

«. . . إن دنياكم هذه أزهد عندي من عفطة عنز. .».

وقال عنها:

«مثل الدنيا كَمَثَل الحيةِ لَينٌ مَسُّها، والسمُّ الناقعُ في جوفها يهوي إليها الغِرُّ الجاهلُ، ويحَذَرُها ذُو اللُّبِّ العاقلُ. .»

الخلافة. . . والخلاف!

انقسمت أراء المسلمين في الخلافة. . إلى رأيين رئيسين. . وبينهما رأي ثالث، وسنحاول أن نستعرض كل رأي منها، ونوجز:

(القسم الأول)

أيد انتخاب الخليفة الصديق أبي بكر (رض)، خليفة لرسول الله ﷺ على المسلمين حيث بايعه المسلمون خليفة أول بعد انتقال نبيهم الكريم إلى الرفيق الأعلى.

(القسم الثاني)

مَنْ لم يؤيد. . ولم يبايع الخليفة الأول، ويرى أن الخلافة . . خلافة رسول الله ﷺ يجب أن تنعقد للإمام علي بن أبي طالب (ع) دون غيره لما له من خصائص به تؤهله لها. . وتنفيذاً لوصية النبي ﷺ له بها. .

(القسم الثالث)

وهؤلاء يرون أن التفضيل لعلي بالخلافة. . وجواز تولي المفضول دون الأفضل مع وجوده.

وأن علياً نازع، ثم بايع. . وبمبايعته لأبي بكر أعطى الصفة الشرعية لخلافته. .

لذا وبناء على ذلك، فهم يقرون خلافة الخليفة الأول. .

لكن هذا الانقسام بالرأي الذي بدأ منذ بدء السقيفة. . حتى مبايعة الإمام علي لأبي بكر. . انتهى بتلك البيعة. .

فقد بايع من امتنع عن البيعة بعد أن بايع الإمام الخليفة الأول . .

على أن تلك الفترة التي ظهر ذلك الانقسام بها . . وبرز اختلاف الرأي فيها . . لم يحدث ما يعكر صفو الخلافة . . ولا العلاقة بين المسلمين من القسمين . . أو من أصحاب الرأيين. ولم يؤثرفي مسيرة المسلمين الرسالية، ونشر دعوتهم المحمدية . .

ذلك لأن اختلاف الطرفين بالأراء لم يفسد ما بينهم من إخوة إسلامية . . وتراحم، ومودة . .

والمسلمون جميعاً، كانوا يلتقون على رفع كلمة الإسلام . . والحفاظ على مبادئه القيمة . .

إلا أن أصحاب الرأي من القسم الثاني، عادوا وأرائهم بالخلافة والتفضيل للظهور في العصر المتأخر من الإسلام . . وبالتحديد، بعد انتهاء فترة الخلفاء الراشدين . . خاصة بعد مقتل أحد سبطي رسول الله ﷺ . . . وهو (الحسين بن علي بن أبي طالب) . . والذي أحدث مقتله ردود فعل عنيفة بين المسلمين. أدى إلى قيام ثورات عدة على الطغاة من الحكام آنذاك . .

وظهرت أفكار ومذاهب مختلفة لاجتهادات مختلفة تقع ضمن الإطار العام للدين . .

وطغت الحوارات والمناقشات بأحقية مَنْ لخلافة رسول الله ﷺ بعد رحيله . .

ومن الطبيعي أن تعود حجج أهل القسم الأول الذين بايعوا الخليفة الأول (رض) للظهور . . وتطرح آراءها وتدافع عن حججها ومسانيدها . .

كما ظهرت مقابلها أفكار وأراء القسم الثاني من المسلمين، الذين كانوا يرون أن الخلافة لعلي بن أبي طالب دون غيره من صحابة رسول الله ﷺ . .

ولا بد لنا، ونحن في بحث يخص أحد الطرفين وهو الإمام علي (ع) . . أن نأتي على موضوع الخلافة وخصائص كل من أبي بكر وعلي . . وحجج كل طرف من هذين القسمين بشيء من التفصيل . .

ونمر مروراً سريعاً على أصحاب الرأي الثالث، الذي يمثل رأيهم رأياً وسطاً..

الخليفة الأول.. للخلافة أهل:

يحتج أصحاب القسم الأول، وهم الذين أقروا خلافة الخليفة الأول أبو بكر الصديق (رض) وأعطوا الأفضلية له..

إنه من أبرز صحابة رسول الله ﷺ.. وهو أول أوائل المسلمين الذي دخلوا الإسلام.. ورافق النبي ﷺ بعد إسلامه حتى وفاته..

وهو رفيقه في الغار... وصاحبه في الهجرة..

قام بنصرة الرسول ﷺ في مواقف مختلفة.. وأشهر إسلامه، ودعا إلى الإسلام علناً دون كتمان أو خوف...

وهو واحد من حفظة القرآن الكريم..

دعاه رسول الله ﷺ عند مرضه ليصلي بالمسلمين.. وأنه أكبر سناً من علي بن أبي طالب كرم الله وجهه..

أخرج ابن عساكر عن أحد الصحابة، قال:

(لقد أمر النبي ﷺ أبا بكر أن يصلي بالناس، وأني شاهدٌ، وماأنا بغائب وما بي مرضٌ.. فرضينا لدُنيانا ما رضي به النبي ﷺ لديننا).

وأخرج البيهقي، عن الزعفراني، قال: سمعت الشافعي، يقول:

(أجمع الناس على خلافة أبي بكر الصديق، وذلك لأنه اضطر الناس بعد رسول الله ﷺ، فلم يجدوا تحت أديم السماء خيراً من أبي بكر، فولُّوهُ رقابهم..).

وأخرج ابن سعد، عن إبراهيم التيمي.. قال:

(لما قُبض رسول الله ﷺ.. أتى عمر أبا عبيدة بن الجراح، فقال:

ابسط يدك لأبايعك إنك أمين هذه الأمة على لسان النبي ﷺ..

فقال أبو عبيدة لعمر:

ما رأيت لك فَهَة[1] قبلها منذ أسلمت! أتبايعني وفيكم الصديق.. وثاني اثنين!)[2]

وأخرج ابن سعد أيضاً عن محمد، أن أبا بكر، قال لعمر:

(أبسط يدك لأبايعك.. فقال له عمر:

أنت أفضل مني.. فقال له أبو بكر:

أنت أقوى مني.. ثم كرر ذلك.. فقال عمر:

فإن قوتي لك مع فضلك فبايعه..).

وأخرج الإمام أحمد عن رافع الطائي، قال:

(حدثني أبو بكر عن بيعته.. وما قالته الأنصار.. وما قاله عمر، قال:

فبايعوني وقبلتها منهم... وتَخوفتُ أن تكون فتنة يكون بعدها ردّةُ).

كما أخرج الحاكم في مستدركه، عن أبي هريرة، قال:

(لما قُبض رسول الله ﷺ ارتجت مكة.. فسمع أبو قحافة ذلك، فقال:

ما هذا؟ قالوا: قُبِضَ رسول الله... قال:

أمر جَلَلٌ! فمن قام بالأمر بعده؟.. قالوا:

ابنك.. قال:

فهل رضيت بذلك بنو عبد مناف، وبنو المغيرة؟... قالوا:

نعم... قال:

لا واضع لما رفعت، ولا رافع لما وضعتَ..)[3].

وفي رواية أخرى.. قيل لأبي قحافة يوم أن تولى الخلافة ابنه أبو بكر (رض): قد ولي ابنك الخلافة.. فقرأ:

(قل اللهم ما لك الملك تؤتي الملك من تشاء وتنزع الملك ممن تشاء)..

---

(١) الفَهَةُ: ضعف الرأي.

(٢) تاريخ الخلفاء ـ الإمام السيوطي ص٨٢.

(٣) المصدر السابق.

وقال: لِمَ ولوه؟

قالوا: لسنه...

قال: أنا أسَنّ منه[1]!

كما يحتج أصحاب هذا الرأي أيضاً.. أن رسول الله ﷺ لم يوصى لأحد بالخلافة من بعده في حياته، وفي مرضه الذي قُبض فيه..

بل جعل الأمر شورى.. بناء على أمرٍ من الله سبحانه وتعالى، إذا قال في محكم كتابه الكريم: ﴿وَأَمْرُهُمْ شُورَىٰ بَيْنَهُمْ﴾ [سورة الشورى، الآية: ٣٨].

وقد ذكر ذلك الإمام علي نفسه في كتاب له إلى معاوية بن أبي سفيان الأموي.. وفيه يقول:

«إنه بايعني القَومُ الذينَ بايَعُوا أَبا بكرٍ وعُمرَ وعُثمانَ على ما بايعُوهُمْ عليهِ، فلم يكن للشاهد أن يختار ولا للغائبِ أن يَرُدَّ..

وإنّما الشورى للمهاجرين والأنصارِ... فإن اجتمعوا على رجُلٍ وسمُّوهُ إماماً كان ذلك لله رِضىً.. فإن خَرَجَ من أمرِهِمْ خارجٌ بِطعنٍ أو بِدعَةٍ، رَدُّوهُ إلى ما خَرَجَ مِنْهُ.. فإنْ أَبىٰ قاتلُوه على اتّباعِهِ غَيرَ سَبيلِ المؤمنينَ وَوَلّاهُ الله ما تَوَلّىٰ»[2].

.. إذاً وبناء على ذلك.. فإن المسلمين اختاروا أبا بكر (رض) خليفة لهم لما مرّ ذكره من أسباب. مع وجود الأمام علي ومَنْ معه وهم مؤمنون بأنه أحق بها من غيره..

وأنه لا وجود لنص سماوي، ولا وصية نبوية بالخلافة.. وبمن يتولاها..

فإن كان هناك نصّ أو وصية.. لما خالفها المسلمون عامة، والصحابة

---

(١) كان هناك من الصحابة في زمن الخليفة الأول مَنْ هو أسن منه، نحو: العباس بن عبد المطلب عم النبي ﷺ... وربيعة بن الحارث بن عبد المطلب.. وسلمان الفارسي... وعدي بن حاتم الطائي... وحسان بن ثابت الأنصاري... وأوس بن حارثة الطائي.. وغيرهم.

(٢) نهج البلاغة ـ محمد عبده ج٣ ص٧ ـ نهج البلاغة ـ الدكتور صبحي الصالح ص ٣٦٦ (بيروت ـ دار الكتاب اللبناني)، نهج البلاغة ـ محمد عبده ج٣ ص٤٩٤ (بيروت ـ مؤسسة الأعلمي)، نهج البلاغة ـ محمد عبده ج ٣ ص ٤٤٦ (بيروت ـ دار الأندلس) ص ٥٢٦ (بيروت ـ دار البلاغة)، .

خاصة . . ولا يمكن لصحابي جليل مثل أبي بكر ومَنْ معه من خيرة الصحابة مثل عمر وابن الجراح، أن يقبلوا مبايعة الخليفة الأول لخلافة لا حقّ له فيها!! ولا يرضى أبو بكر وهو ذلك الرفيق الدائم لرسول الله ﷺ.

ولا كان لعلي بن أبي طالب أن يبايع الخليفة، إن وجد نص أو وصية بالخلافة . . لأن الإمام لا يمكن له أن يخالف ذلك النص وتلك الوصية . . وهو إمام المتقين . . وأفقه الفقهاء . . وأعلمهم بأمور الدين . . وألصقهم برسول الله ﷺ.

وإنه على أتم الاستعداد للتضحية بنفسه، وحياته من أجل مبادىء الدين الحنيف وعدم مخالفة أوامر الله ورسوله . .

فكيف له أن يخالف نصاً سماوياً . . أو وصية نبوية؟!

ويقول أصحاب هذا الرأي . . أن رسول الله ﷺ عندما أوصى بآل بيته وفي مقدمتهم الإمام علي، كان ذلك منه رغبة شخصية لا وصية سماوية . . لما لعلي من خصائص وصفات تؤهله لتولي الخلافة بعده . .

لكن المسلمين اختاروا لهم خليفة كما أراده الله لهم . . لا كما أراده النبي لهم! وذلك استناداً لقول عمر بن الخطاب (رض) لعبد الله بن عباس (رض) . . .

ثم إن الخلافة لم تكن من أصول الدين ومبادئه الأساسية، كالعبادات الشرعية . . مثل الصلاة والصوم والزكاة والخ . . بل هي من الأمور الدنيوية، نحو تأمير قادة للجيش أمراء على الجيوش الإسلامية في معارك المسلمين وغزواتهم . . أو تنصيب الولاة ولاية الأقاليم والأمصار . .

فالمبادىء الأساسية، لا يمكن للمسلم مخالفتها، أو حتى الاجتهاد بها مطلقاً . .

أما الأمور الدنيوية المتعلقة بالخلافة، أو الإمارة، أو الولاية، فمن الممكن تطبيق مبدأ الشورى عليها . . وكذلك الاجتهاد بما هو صالح في اتخاذ القرارات وتنفيذها . .

. . كان ذلك رأي مَنْ رأى أن الخليفة الأول، أبا بكر الصديق (رض)، هو أحق بالخلافة من غيره . . وهم أصحاب الرأي الأول . .

أما أصحاب الرأي الثالث فرأيهم بين الاجتهادين، يُمثل الفريق الوسط الجامع لرأي الفريقين تقريباً.. أو بعبارة أخرى أخذ هذا الرأي من اجتهاد كل فريق..

الأمر كان لعلي، فإن شاء أخذه لنفسه.. وإن شاء ولاّه غيره..

أجاز هذا الفريق اختيار المفضول على الأفضل مع وجوده، فيما إذا رأوا هناك مصلحة للمسلمين تقتضيها الضرورة ذلك..

وقالوا، أن علياً أفضل الجماعة.. وإنهم تركوا الأفضل لمصلحة رأوها.. وإن لم يكن هناك نص يقطع الغموض..

وإنما كانت هناك إشارة، وإيماء لا يتضمن شيئاً منهما صريح النص..

وأن علياً نازع، ثم بايع.. ولو أقام على الامتناع، لم نقل بصحة البيعة ولا لزومها.

وهذا الرأي استقر عليه رأي (المعتزلة) بعد اختلاف كثير بين قدمائهم في التفضيل وغيره.

ويقول أصحاب هذا الرأي أيضاً:

إن الأمر كان للإمام علي.. وكان هو المستحق والمتعين... فإن شاء أخذه لنفسه.. وإن شاء ولاه غيره..

فلما رأيناه قد وافق على ولاية غيره، اتبعناه ورضينا لما رضي.

أي أن هذا الفريق من المسلمين، يقول:

بأحقية علي بالخلافة من أبي بكر، دون اعترافهم بالنص على وصية الرسول ﷺ له..

وبذلك تصبح خلافة أبي بكر سابقة لخلافة علي، من الناحية الزمنية والواقعية..

في حين أن خلافة الإمام علي سابقة لها من الناحية الشرعية..

وهذا الفريق يتفق مع الفريق الأول في اعتبار الخلافة منصباً دنيوياً خالصاً..

وينكر وجود النص الدال بصراحة على وصية النبي لعلي خليفة للمسلمين من بعده..

ولكن مع هذا يعتبر هذا الفريق علياً أولى بالخلافة من أبي بكر.. لأنه أفضل المسلمين على الإطلاق(١)..

... كان هذا رأي الفريق الثالث، أو الوسط... الذي أقر خلافة الخليفة الأول.. بعد إقرارها من قِبل مَنْ هو أحقَ بها منه.. وهو الإمام علي..

ونحن نميل إلى هذا الرأي.. ذلك لأن الإمام لطالما تنازل عن حقه(٢) في الخلافة للخليفة الأول.. واعترافه له بخلافته.. تصبح ولاية أبي بكر، ولاية شرعية لا يمكن الطعن بها.. ويعني ذلك أنه أهل لتلك الخلافة.. يستحقها لما له من خصائص معروفة لا يمكن نكرانها.

فمبايعة الإمام علي للخليفة الأول، هو اعتراف منه له بمقوماته لها.. وحرصه على رسالة رسول الله ﷺ... وإيمانه الشديد بالمبادىء التي جاءت بها تلك الرسالة.. وإلا لما بايعه الإمام وتحت أي ظرف كان!!

فأبو بكر (رض) أذن له مقومات الخلافة.. وعنده الحرص على الرسالة والإيمان المطلق بمبادئها، ولهذا كانت مبايعة الإمام له.

ونحن نختلف مع أصحاب هذا الرأي في نكرانهم لوجود وصية النبي ﷺ لعلي (ع) خليفة للمسلمين من بعده...

وإنهم اعترفوا ضمناً بوجود الوصية.. حينما قالوا:

(إن خلافة الإمام علي سابقة لخلافة أبي بكر من الناحية الشرعية..).

وسؤالنا، من أين جاءت تلك الشرعية!... شرعية خلافة الإمام، حتى تسبق خلافة أبي بكر الزمنية، أو الواقعية!!

---

(١) علي ومناوئوه ـ د. نوري جعفر ص٢٣ ـ ٢٤.

(٢) الإمام علي ذكر في خطبه وأحاديثه أحقيته بالخلافة في مواقف مختلفة.. حيث إن وصية الغدير أعطته ذلك الحق.. وسنبحث ذلك في المواضيع القادمة...

فالشرعية في خلافته جاءت نتيجة لتلك الوصية.. سواء كانت بنصوص مباشرة وصريحة.. أو بصورة غير مباشرة، إلا أنها صريحة!!

ويستدل من أقوال الإمام علي في مواقف مختلفة، أنه مأمور[1] من قبل رسول الله ﷺ أن يصبر، ويؤمن بالأمر الواقع، ويذعن له.. حتى لا تتعرض الدولة الإسلامية الفتية لخطر أو كارثة..

فبايع الإمام ومَنْ معه الخليفة الأول.. والخليفتين من بعده، درءاً لتلك المخاطر عن الإسلام والمسلمين...

وكان في ذلك بُعد نظرٍ... وإصابة في تقدير الموقف، وبالتالي صلاح للأمة..

ولننتقل بعد ذلك إلى أصحاب الرأي الآخر... الفريق الثاني، المُقر بالوصية والإمامة، والخلافة للإمام علي..

(١) سوف نأتي على ذلك تفصيلاً في الموضوع (لماذا سكت الإمام عن حقه!) فراجع الفصل السادس من هذا الكتاب.

٨ الوصية... والشورى

ذكرت إحدى الصحف المصرية أن أحد الكتاب الإسلامين من السياسين. . خاطب رئيس جمهورية مصر العربية، طالباً منه أن يُعين له نائباً ليرعى مصالح الأمة عند غيابه عن مصر. . وذلك اقتداء بالسنة النبوية الشريفة. .

حيث إن رسول الله ﷺ قد خرج من المدينة المنورة مرات عديدة على رأس السرايا والغزوات. . كما أنه خرج للعمرة والحج. .

وكان في كل مرة يستخلف على المدينة واحداً من الصحابة. .

وحتى أنه ﷺ لما خرج من مكة مهاجراً إلى المدينة ولم يكن حاكماً في ذلك الوقت، وإنما كان أميناً على أموال بعض الناس. . استخلف الإمام علياً كرم الله وجهه ليؤدي الأمانات إلى أهلها. .

. . . وهكذا ينصح أن استخلاف الحاكم لغيره عند سفره، ولو ليوم واحد سُنة مؤكدة ما تركها الرسول ﷺ أبداً. . وقال ﷺ:

«مَنْ أحيا سُنتي عند فساد أُمتي، فله أجر مائة شهيد»(١).

. . وروت كتب التاريخ الإسلامي بالإجماع. . دون أي اختلاف، أن الخليفة أبا بكر (رض) عندما شارف على توديع الدنيا. . أوصى بالخلافة من بعده إلى عمر بن الخطاب (رض) تحديداً وتعيناً. . دون ترشيح أو انتخاب من قبل المسلمين. .

---

(١) جريدة (القدس العربي) اللندنية ـ العدد ١٧٢٢ في ٥/ ١/ ١٩٩٥ نقلاً عن إحدى الصحف المصرية.

ذكر ابن قتيبة في تاريخ الخلفاء[1] . . قال:

(. . . ثم دعا عثمان بن عفان، فقال:

اكتب عهدي . . فكتب عثمان، وأملى عليه:

بسم الله الرحمن الرحيم، هذا ما عهد به أبو بكر بن أبي قحافة آخر عهده في الدنيا نازحاً عنها . . وأول عهده بالآخرة داخلاً فيها . .

إني استخلفت عليكم عمر بن الخطاب . . فإن تروه عدلاً فيكم، فذلك ظني به، ورجائي فيه . . وإن بدّل وغيّر فالخير أردت، ولا أعلم الغيب ﴿وَسَيَعْلَمُ ٱلَّذِينَ ظَلَمُوٓاْ أَيَّ مُنقَلَبٍ يَنقَلِبُونَ﴾ [سورة الشعراء، الآية: ٢٢٧].

. . . أما الخليفة عمر بن الخطاب (رض) . . وفي آخر عهده في الدنيا، كذلك أوصى بالخلافة من بعده إلى ستة من خيرة الصحابة . . . وحصرها بهم دون غيرهم، ليختاروا بدورهم واحداً منهم . . وسنأتي على ذلك تفصيلاً . .

يقول أصحاب الرأي الآخر، المؤيد لوصية النبي ﷺ لعلي بن أبي طالب (ع):

(إن الخلافة ظاهرة تأتي بعد مرتبة النبوة مباشرة في القدسية والأهمية . . لذا أمر الله نبيه بالنص على ولاية خليفته من بعده . .).

وأن رسول الله ﷺ، عندما كان يخرج من المدينة المنورة . . وهي التي أصبحت عاصمة للدولة الإسلامية، إن صح التعبير، يستخلف عليها أحداً من الصحابة . .

منها غزوة تبوك . . . حيث استخلف علياً بن أبي طالب له على المدينة ليقوم مقامه في غيابه عنها . . .

. . . لذا يكون أولى برسول الله ﷺ أن يستخلف، أو يوصي لمن يكون للخلافة من بعده وبأمر من الله سبحانه وتعالى، وذلك قبل التحاقه بالرفيق الأعلى . .

---

(١) ج١ ص٣٧ في باب مرض أبي بكر واستخلافه عمر (رض) (الإمامة والسياسة) ـ دار الأضواء ـ بيروت.

وتدل الأخبار الواردة أن النبي ﷺ كان يعلم بوقت رحيله عن هذه الدنيا، ولو على وجه التقريب.. بدليل ما ورد بخطابه البليغ في حجة الوداع..

فالرسول الكريم ﷺ عندما كان يغادر المدينة يستخلف مَنْ كان يستخلفه.. وكان ﷺ كلما خرج منها يضع مكانه رجلاً من بسطاء المسلمين.. حتى أنه لما قاد نحو ثلثمائة من المهاجرين والأنصار ليتعرض لقافلة قريش التجارية.. بعد أن خرج من المدينة استخلف عليها رجلين من بسطائها.. أحدهما يؤم الناس في الصلاة... والآخر يقضي بينهم..

كما ولى على مكة بعد فتحها، أحد شبابها من المسلمين القدامى، عندما قاد جيشه إلى معركة (حنين)[1]... واستخلف عمرو بن قيس(ابن أم مكتوم) ثلاث عشرة مرة على المدينة[2].

كما استخلف الرسول ﷺ على المدينة (أبا رُهم) عند فتح مكة[3]... وقيل سماك بن خرشة الساعدي المعروف بأبي دجانه الأنصاري.. وقيل سباع بن عرفطة الغفاري..

.. رسول الله ﷺ، ما ترك تلك السُنة في حياته، وأعني استخلافه أحداً غيره عندما كان يغادر المدينة.. ومكة المكرمة.. وقبل أن يصبح حاكماً فيها، أو مسؤولاً عنها.. استخلف علياً فيها لرد الودائع لأهلها وذلك بعد أن تركها مهاجراً إلى يثرب..

فكيف به لا يستخلف أحداً لما بعد حياته الطاهرة!! خليفة يخلفه على كل المسلمين بعد أن انتشر الإسلام ووسعت رقعته، وعظمت دولته.. وعلت رايته..

ثم إن الخليفة أبا بكر.. والخليفة عمر بن الخطاب (رضي الله عنهما) أَعطوا الأهمية الكبيرة في أواخر حياتهما لاختيار، وتعين وتسمية الخليفة الذي سيخلفهما..

---

(١) (محمد رسول الحرية) عبد الرحمن الشرقاوي ص١٥٢ و١٦٠ و٣٠٧.

(٢) (نزهة المتقين شرح رياض الصالحين من كلام سيد المرسلين) الإمام الحافظ النووي ج٢ ص١٣٢٣ مؤسسة الرسالة ـ بيروت ط١٢ ـ ١٩٨٦م.

(٣) (حياة الإمام علي) ـ محمود شلبي ص١٨٨.

بل حتى في حياتهما، كانا يستخلفان أحد الصحابة على المدينة عند خروجهما منها..

فعمر بن الخطاب (رض)، استخلف عليها علياً بن أبي طالب كرم الله وجهه، عندما عزم على الذهاب إلى الشام(١).. واستخلفه كذلك مرة أخرى عندما قرر أن يذهب ليقود جيوش المسلمين في معركة فاصلة ضد الفرس(٢)..

كما استخلف الإمام علي على المدينة (قثم بن عباس) عند خروجه منها، عندما أصبح خليفة للمسلمين...

... والخليفة الثالث عثمان بن عفان... لو أن المسلمين الثائرين عليه منحوه شيئاً من الوقت، قبل اغتياله.. لاختار للمسلمين خليفة من بعده، كما اختار الخليفتين من قبله، أبو بكر وعمر (رض)!!

إذاً.. هل من المعقول أن يترك رسول الله ﷺ أمته دون أن يعين، أو يوصي لهم خليفة يخلفه من بعده.. يدير شؤونهم، كما كانت تُدار من قبله!!

وهل يمكن أن يتوصل المسلمون إلى اختيار أفضلهم للخلافة مع ما بينهم من أحقاد وعنعنات جاهلية لم يستأصلها الإسلام!!

وهل كان الرسول ﷺ راغباً في إثارة تلك العصبيات!!

وإذا كان النبي ﷺ ترك أمر الخلافة من بعده للمسلمين أنفسهم (سُنة).. فهل إيصاء أبي بكر لعمر يتفق مع السُنة(٣)!!

.. نعم هل أن رسول الله ﷺ لم يحسب لأمته الحسابات المختلفة والمتوقعة من خلافات وانقسامات في الأراء حول مَنْ يخلفه، في حالة عدم استخلاف أحد من الصحابة الذي يراه أهلاً لها!!

وهل كان النبي ﷺ يريد للمسلمين أن يكونوا في فوضى، أو في حيرة من أمرهم بعده!!

---

(١) (حياة الإمام علي) - محمود شلبي ص٢٩٦.

(٢) (رجال حول الرسول) خالد محمد خالد ص١٢٤.

(٣) (علي ومناوئوه) د. نوري جعفر ص٢٠ و٦٤.

حاشى له ذلك، وهو الذي كان يجعل على رأس أي جيش صغير يرسله أميراً له، في حالة عدم قيادته لذلك الجيش. . . فكيف به يترك أمور المسلمين كافة دون ولي عليهم بعده!! لاسيما أن دينه في أول نشأته، وهو أحوج إلى الوصي لإدارة شؤون المسلمين الدينية منها والدنيوية. .

ونتساءل أيضاً. . هل كان كل من الخليفتين أبي بكر وعمر (رض) أحرص من رسول الله ﷺ على الأمة الإسلامية، حتى يوصيا لمن يخلفهما. . ويوليان كل اهتمامهما ذلك، عندما شعر كل واحد منهما بدنو أجله!!

ألم يكن ذلك دليلاً على عودتهما إلى سيرة النبي ﷺ بالوصاية. . وبالتالي دليل على وجود الوصية!!

وإذا كان النبي ﷺ لم يستخلف، فلماذا لم يعملا بما عمل به رسول الله ﷺ!!!

. . . نحن أمام وصايا!!

إذن نحن أمام وصية أوصى بها رسول الله ﷺ لمن يكون بعده. . .

وكذلك أمام وصية أوصى بها أبو بكر (رض) لمن يكون بعده. .

وأمام وصية أوصى بها عمر بن الخطاب (رض) لمن يولى بعده. .

وبهذا لم تكن الخلافة (بالشورى). . ولم يكن للشوى مكان بالخلافة!!

فأين الشورى من وصية أبي بكر لعمر!

وأين الشورى من وصية عمر لواحد من الستة الذين اختارهم هو دون غيره. . وحصر الخلافة بهم دون غيرهم!!

وإن كانت هناك (شورى). . . فشورى مصغرة ومختصرة ومحدودة. . والتي أتت بأبي بكر (رض) للخلافة. .

وشورى واسعة عامة وشاملة، اشترك فيها كل المسلمون. . والتي أتت بعلي بن أبي طالب للخلافة بالرغم من رفضه لها. . (وسنأتي على ذكر ذلك تفصيلاً). .

ذكر الدكتور طه حسين:

(. . . إن أبا بكر لم يُبايع بالخلافة عن مشورة من المسلمين. وإنما كانت بيعته فلته وقى الله المسلمين شرها، كما قال عمر. .

كما أن عمر نفسه لم يُبايع عن مشورة من المسلمين. . وإنما عهد إليه أبو بكر. . فأمضى المسلمون عهده ثقةً منهم بالشيخين، وحباً منهم لهما. .

ولم تكن الشورى التي تمت بها خلافة عثمان مقنعة ولا مُجزئة. .

فقد اختص عمر بها ستة من قريش على أن يختاروا واحداً منهم. . فاختاروا عثمان وأكبر الظن أنهم نصحوا للمسسلمين، وتجنبوا الفتنة والخلاف جهدهم. .)[1].

. . وهذا يؤيد ما ذكرناه، من أن الخلفاء الثلاثة، لم يصلوا إلى الخلافة عن طريق الشورى. .

ويبدو من قراءة التاريخ الإسلامي، أن رسول الله ﷺ لم يطبق أمر الشورى في حياته عند اختيار مَنْ كان يوليه أميراً على الجيش في حالة عدم قيادته هو لذلك الجيش. .

وفي أغلب الأحيان لم يستشر أصحابه في مَنْ كان يستخلفه على مدينته في حالة مغادرته لها. . أو في مَنْ كان يرسله رسولاً عنه للأمصار أو للملوك والرؤساء من القبائل. .

إلا في حالات محدودة. . لأنه كان ﷺ أعرف من غيره بصحابته وبالمسلمين. . وله الخبرة في معرفة شخصيات الصحابة ونفوسهم. . وطريقة تفكير كل منهم. . ودليلنا على ذلك تأميره لأسامة بن زيد على جيش المسلمين، وهو حديث السن. . دون أن يأخذ رأي أحد من المسلمين.

حتى أن البعض منهم تخلف عن الالتحاق بالجيش. . . وطعن آخرون في قيادته[2]. .

---

(١) (الفتنة الكبرى) علي وبنوه ج٢ ص٣١.

(٢) راجع موضوع (بأبي أنت وأمي طبت حياً. . وطبت ميتاً) من هذا الفصل.

فلو أن النبي ﷺ أراد أن يأخذ رأي الصحابة خصوصاً والمسلمين عموماً في تأمير أسامة على جيش المسلمين.. لما وافقه أي أحد منهم.. ولما استطاع إصدار قراره بذلك..

بل هو ﷺ الذي قرر أن يكون أسامة أميراً لذلك الجيش دون مشورة من المسلمين..

كما أن النبي ﷺ هو وحده قرر أن يرسل أبا عبيدة بن الجراح على رأس جيش فيه أبو بكر وعمر (رض) في غزوة (ذات السلاسل) مدداً لجيش عمرو بن العاص[1]...

والنبي ﷺ وحده، قرر أن يخلفه علي بن أبي طالب في المدينة دون أن يلتحق معه في غزوة تبوك..

لم يشاور أحداً في ذلك.. حتى الإمام علي لم يشاوره رسول الله ﷺ... ولم يأخذ رأيه في ذلك الاستخلاف.. بل لم يعلم بقرار النبي ﷺ أي واحد من صحابته.. ودليلنا على ذلك.. استفسار علي من الرسول ﷺ عن سبب بقائه مع غير المقاتلين في المدينة.. حتى قاله له ﷺ حديث المنزلة المشهور:

«أما ترضى أن تكون مني بمنزلة هارون من موسى..».

وكذلك لما أرسل الرسول ﷺ أبا بكر (رض) بسورة براءة ليقرأها على الحجيج في بيت الله وبعدها أرسل علياً على أثره ليأخذها منه... حتى يقرأها هو دون أبي بكر..

في هذا المثال أيضاً لم يشاور النبي ﷺ أبا بكر عندما أرسله إلى مكة.. كما لم يشاور صحابته في تلك المهمة..

وعندما أرسل علياً بعده، لم يستشر أحداً منهم، ولم يشاور حتى علياً نفسه..

بل كانت تلك أوامر منه لهما، لتنفيذ ذلك الأمر فنفذاه كما أمرهما..

... تلك أمثلة أوردناها لنسند ما ذهبنا إليه.. وهو أن رسول الله ﷺ لم

(١) (رجال حول الرسول) خالد محمد خالد ص٢٥٨.

يطبق أمر الشورى عند تعين القادة.. وإرسال الرسل.. والاستخلاف على المدن..

لكن رسول الله ﷺ كان يطبق ذلك المبدأ في القضايا الأخرى.. ويشرك المسلمين في اتخاذ القرارات الحاسمة، اللازمة لتسيير أمور الدولة الجديدة في أثناء السلم، أو في حالات الحرب، ووضع الخطط العسكرية التي توضع لها.. تطبيقاً للآية الكريمة: ﴿وَأَمْرُهُمْ شُورَىٰ﴾ [سورة الشورى، الآية: ٣٨] والآية ﴿... وَشَاوِرْهُمْ فِي الْأَمْرِ﴾ [سورة آل عمران، الآية: ١٥٩].

الوصيّة.. والوصي..

نعود إذن لأمر الوصية.. ونقول بوجود وصية أوصى بها رسول الله ﷺ لخليفته من بعده..

وقولنا بوجود الوصية.. يستوجب معرفة الوصي!!

فَمَنْ مِنْ الصحابة أوصى به رسول الله ﷺ؟؟

.. لم نجد في كتب التاريخ أي ذكر، أو حديث ورد فيه أن النبي ﷺ أوصى في حياته بالخلافة لأبي بكر (رض)..

نعم لم نجد، ولا حتى حديثاً واحداً.. بالرغم من أن رسول الله ﷺ كان يشيد به.. ويستحصبه معه.. ويذكر له المواقف المحمودة في الإسلام وتضحياته من أجله.. وهذا ما لا يمكن لأي مسلم نكرانه..

إلا أنه لا يوجد ما يُستدل منه على أنه ﷺ أوصى له.. أو رشحه لتولية أمور المسلمين من بعده..

وهذا ما هو متفق عليه بين كل المذاهب.. وبين مختلف رواة الحديث.. في الصحاح.. وفي كل كتب التاريخ.. ولا يختلف عليه اثنان مطلقاً!!

.. يحتج أصحاب الرأي الأول، الذين أيدوا خلافة أبا بكر (رض)، حول خلافته..

ـ إنه صلى بالمسلمين، عندما أمره رسول الله ﷺ وهو مريض. .

ـ ولأنه كان صاحب الرسول ﷺ. . ومن أوائل الصحابة. .

ـ ثم إنهم احتجوا بسنهِ. . لأنه كان من كبار الصحابة سناً. .

. . . وَرَدَّ عليهم دعاة الرأي الثاني، الذين يرون أن للخلافة بن أبي طالب.

ـ إن الصلاة بالمسلمين لا تكفي أن يكون الخليفة الأول خليفة. . ولم يكن أبو بكر وحده الذي صلى بالمسلمين في الفترة التي مرض بها النبي ﷺ، بل كان النبي يأمر علياً أن يتناوب الصلاة بالمسلمين مع أبي بكر(١).

وأسامة بن زيد بن حارثة، أمرّه النبي ﷺ على جيش المسلمين. . وكان من إِمرته كل من أبي بكر وعمر (رض)، كما ذكرنا. .

فهل هذا هو مبرر لأن يصبح أُسامة خليفة للمسلمين، بعد أن كان أميراً على جيشهم!!

أو أن يُقدم أُسامة في كل شيء، حتى على أبي بكر وعمر وغيرهم من الصحابة الأجلاء!!

أو هل من الممكن أن يُفضل عليهم جميعاً بسبب ذلك!!

ـ أما كون أبي بكر (رض) كان صاحب رسول الله ﷺ. . . ومن أوائل الصحابة. . فهناك مَنْ هو من النبي ﷺ صحابة وقرابة. . نحو علي، وعمه العباس. . . وعلي من أقدم الناس إسلاماً. . رباه الرسول ﷺ قبل الرسالة. . وعلمه بعدها مبادئها. .

ـ وأما سبب السن، هو الآخر لم يكن مبرراً لاستخلاف أسن المسلمين عليهم. . لأن رسول الله ﷺ، لم يجعل للسن ميزة على بقية الخصائص عند الإنسان المسلم. . والدليل على ذلك كما ذكرنا هو تعين الرسول ﷺ أسامة بن زيد قائداً لجيش المسلمين. . وهو شاب في مقتبل العمر. . وتحت إمرته مَنْ هو ضعف عمره. .

---

(١) (نظرة جديدة في سيرة رسول الله) كونستانس جيورجيو (وزير خارجية رومانيا الأسبق) ص٣٧٧.

وكذلك عندما أمر النبي علياً أن يأخذ سورة براءة من أبي بكر ليقرأها على المسلمين.. وأبو بكر أكبر من علي بن أبي طالب بسنين كثيرة..

كما كان في زمن أبي بكر مَنْ هو أسن منه، نحو أبيه.. والعباس بن عبد المطلب.. وسلمان الفارسي.. وربيعة.. وعدي بن حاتم الطائي.. وحسان بن ثابت الأنصاري... وغيرهم..

إذاً نجد أن السن ما كان المبرر للتقديم أو التأخير في القيادة أو الخلافة، وبين الناس مَنْ طعنوا في السن وفيهم الفاسق والفاجر والعاري من الفضائل والمكارم والبعيد عن القيم والأخلاق..

وبين الناس مَنْ هم في مقتبل العمر وفيهم النوابغ والعلماء والنساك والحكماء.. والمرء إذا مُدح فإنما يُمدح بمآثره لا بطول عمره!!

فعلي بن أبي طالب أقل من أبي بكر عمراً، وأصغر منه سناً.. لكنه أكثر منه علماً وأوسع منه فقهاً.

ودليلنا على ذلك احتياج الخليفة الأول لعلي... بل احتياج كل الخلفاء والصحابة له للتزود من غزير معارفه وسعة إطلاعه.. ولم يحتاج هو لواحد منهم أبداً...

نعود إلى وصية النبي لمن أراد له أن يخلفه.... وذكرنا أن الرسول ﷺ لم يوصي لأبي بكر ولا لغير أبي بكر من الصحابة.. غير علي بن أبي طالب.. حيث اتفق الرواة جميعاً أن النبي ﷺ لم يُوصي للأول.. بينما نستطيع القول أن الأحاديث والأخبار من مصادر مختلفة... وعلى اختلاف الروايات ولو أنها دون إجماع...

إن رسول الله ﷺ أوصى لعلي بن أبي طالب أن يكون ولياً على المسلمين.. ولم يرِدْ أبداً أي حديث أو أية رواية في حق أحد من الصحابة من المسلمين ذكر أن رسول الله ﷺ أوصى له غير الإمام علي (ع)..

وكان النبي ﷺ يُمهّد له سبيل الخلافة في مواقف مختلفة...

ذلك لأنه رأى في ربيبه صورة منه.. بسمو الخلق.. وسعة الإيمان.. والإخلاص المتناهي للعقيدة... وسعة في فهم مبادىء الدين.. والتفاني من أجل حماية الدعوة ونشر مبادئها..

فلم يجد غير علي بن أبي طالب مَنْ يكون مؤهلاً للوصية والولاية...

ولأنه خير مَنْ يستطيع أن يتمم شروط الرسالة من بعده...

الفصل الخامس

هل للإمام علي مقومات الخلافة... وخصائص الوصيّة؟

١ ـ ربيب الوحي.. وسابق المسلمين..

٢ ـ خصائص الإمام في الأحاديث النبوية..

٣ ـ ما خصه الذكر الحكيم من آيات كريمة.

٤ ـ حديث الدار.

٥ ـ خصوصية الإمام بوصية الرسول في آل بيته.

٦ ـ آية المباهلة.. وحديث الطير.

٧ ـ استخلافه في مكة لرد الودائع.. ومؤاخاة النبي له.

٨ ـ حديث المنزلة... والراية يوم خيبر.

٩ ـ لم يؤمر عليه أحداً... ولم يسد بابه.. وخبر المناجاة.

١٠ـ أداؤه عن النبي البراءة.

١١ ـ وصية الغدير... وآية الولاية.

١٢ ـ أشجعهم، وأعلمهم.

١٣ ـ أتقاهم، وأقضاهم، وأزهدهم.

١٤ـ رأى وسمع ما لم ير ويسمع غيره.

١٥ ـ أقواله في ذكر الوصية.

١٦ـ الوصاية في الشعر.

١ ربيب الوحي.. وسابق المسلمين[1]

عندما نذكر أن الرسول ﷺ أوصى بالخلافة لعلي بن أبي طالب.. أو رشحه لها، بناءً لما ذكره المؤرخون.. وأورده المحدثون، وإن اختلفوا في ذلك..

إلا أنهم لم يختلفوا.. بل أجمعوا على عدم تسمية غيره..

لذا نرى لزاماً علينا عرض خصائصه.. وفضائله، التي أهَّلته لأن يكون مرشحاً من قبل النبي ﷺ، ليحل محله بعد رحيله في إدارة شؤون المسلمين.. وهل للإمام علي (ع) مقومات الخلافة.. وخصائص الوصية!!

قبل ذكر مقوماته، وخصائصه أو فضائله... علينا أيضاً إثبات الوصية في

---

(١) تلك تسمية أطلقها الكاتب الكبير المرحوم خالد محمد خالد، على الإمام علي كرم الله وجهه وذلك في مجلده (خلفاء الرسول) من كتابه (في رحاب علي)... وستقتطف بعضاً منها:
(هذا هو: علي بن أبي طالب.. هذا هو الذي نرجو أن لا نكون مُغالين إذا وصفناه بأنه «ربيب الوحي») ص٣٦٠ من المجلد المذكور.
(.... إنه «ربيب الوحي».. والتلميذ الأول للقرآن) ص٤٨ (في رحاب علي) القاهرة ١٩٦٦.
(... من ولائه الوثيق للقرآن.. ومشهوده فجر الوحي وضُحاه كان «علي».. ربيب الوحي...) ص٣٦١ ـ خلفاء الرسول.
(أجل.. هذه دنيا المسلم، كما يفهمها ربيب الوحي، وسابق المسلمين...) ص٣٦٨ المصدر.
(إنه سليل بني هاشم.. وتلميذ محمد.. إنه ربيب الوحي وسابق المسلمين..) ص٣٨٠ (..العابد الورع.. التقي، الذي تفوق على إغراء الدنيا، وأطماع البشر.. تلميذ «الرسول» الأول، والأمثل!! ربيب الوحي، وسابق المسلمين) ص٤٤٧ ـ المصدر أعلاه.
كما ذكر د. طه حسين في كتابه (الفتنة الكبرى) ج٢ ص١٥١ ما يلي:
(...وامتاز كذلك «الإمام علي» بأنه نشأ في منزل الوحي بأدق معاني هذه الكلمة..).
وهذا لا يعني أن علياً هو الربيب المباشر للوحي، وإنما هو ربيب لذلك الربيب لأن الوحي لا ينزل إلا على الأنبياء..

عرض سريع وموجز للأسانيد التي استند عليها أصحاب هذا الرأي في تثبيتها.. (وأعني أصحاب الرأي الثاني المؤيد للوصية والخلافة للإمام دون غيره..)

لكن الأحداث، والمواقف التاريخية التي سوف نذكرها، والخاصة بدعم وقائع الوصية.. هي متداخلة مع خصائصه، وفضائله، وصفاته..

لذا فسيكون كل موضوعاً من المواضيع التالية، يعني بين سطوره الإجابة عن إثبات الوصية للإمام.. وعن مؤهلاته معاً..

.. كتب الدكتور الشيخ أحمد الوائلي بحثاً مقتضباً عن الإمام.. لخص فيه، وبتركيز فضائله..

وكشف عن مضامين ذاته، التي جعلته أن يأخذ مكانه من التقديم في موضعه الطبيعي في قيادة المجتمع..

ونظراً لأهمية ما كتبه هذا المفكر، الواسع الاطلاع.. والذي جمع فضائل الإمام علي (ع) بكل جوانبها، في بحثٍ ملخص.. جامع وشامل..

ولعلاقته بموضوعنا هذا، نرى من الفائدة بمكان أن نقتبس منه بعض ما يخص ما نحن فيه... يقول الأستاذ الوائلي:

(... يذهب الشيعة كافة وكثير من غيرهم، إلى أن الإمام علياً مؤهل أكثر من عامة الصحابة للخلافة.. بل يضعونه في المنزلة الثانية بعد النبي ﷺ في كل الكفاءات.. ذلك أن الشروط التي يعتبرها علماء الكلام لازمة للخليفة، هي صنفان:

الصنف الأول:

ما يتميز به الإنسان خارج حدود كسبه وتحصيله، وفي هذا الصنف:

النسب الكريم، وسلامة البدن، والشجاعة، وسائر صفات الكمال، أو المناقب الخارجة عن الإرادة..

الصنف الثاني:

ما يقع في قائمة الكسب والتحصيل، كالعلم، والفصاحة، والعدل في

السلوك وما شاكل ذلك مما للإنسان يد في تحصيله والتدرب على إتقانه، والارتفاع به..

وقد ثبت بما لا مزيد عليه من الأثار أن سهم الإمام علي من هذين الصنفين من المناقب لا يدانيه أحد من الصحابة..

فعلي: هاشمي النسب، ولا شك أن قريشاً أشرف القبائل.. وأشرف قريش هم بنو هاشم..

وعلي: أشجع العرب، وما تخلف عن حضور غزوة من غزوات المسلمين في عهد النبي ﷺ إلا في غزوة ـ تبوك ـ...

إذ خلفه النبي ﷺ ليحمي المدينة، وقال له:

«أنت مني بمنزلة هارون من موسى إلا أنه لا نبي بعدي».

وقال له النبي ﷺ في تقييم ضربة من ضرباته يوم الخندق:

«ضربة علي تعدل عبادة الثقلين».

وبالجملة فإن وضع شخص من الصحابة إلى جانب الإمام بالشجاعة مكابرة لا سبيل إلى قبولها من أحد.. والمتتبع لكتب السير والمغازي يعرف ذلك جيداً..

أما الفصاحة والبلاغة:

فقد قيل إن كلامه دون كلام الخالق.. وفوق كلام المخلوقين. عدا النبي ﷺ فقد كان أفصح قريش..

ويكفينا التدليل على ذلك نهج البلاغة وحده..

وهو في بُعد نظره، وحصافة رأيه:

موضع استشارة الخلفاء، كانوا يرجعون إليه إذا دجت الخطوب.. وهو في علمه:

باب مدينة علم النبي ﷺ الأمين، يجلوه لنا عقلية مخططة في الإدارة والسياسة والاجتماع.. حسبنا في ذلك ما وصل إلينا دون ما حيل بيننا وبينه...

إذ أننا يجب أن لا ننسى، إن ما وصل إلينا من تاريخ هذه الفترات، إنما هو

من تدوين عهد يعتبر فيه مَنْ يذكر أهل البيت بخير، خارجاً على الحكم أقل ما يقابل به الموت!

وأقلام كانت تتقرب إلى الحكم بشتمه وثلبه، وبالوضع والتلفيق لخلق مثالب له يدعمها السيف، ويرفدها المال، ويدفعها الطمع والخسة، وخلو الضمير من النبل.. اللهم إلا أفراد قلائل يفيئون إلى دين ومروءة حفظوالنا على تكتم شديد شيئاً من أخباره الصحيحة ظهرت بعد ذلك..

وما تزال معظم الأقلام إلى يومنا هذا تجتر ما كتبته الأيدي الملوثة أيام المحنة، وتتحول إلى صدىً تافه عندما تمر بسيرة هذا الرجل، وتتخلى عن أبسط مقومات الأحكام الصحيحة..

وعلى الإجمال أن الإمام في ميزاته، حالة جمعت من ضروب الكمالات ما تميزت به عن معاصر لها..

وليس صدفة أن تنحرف جماعة كبيرة وتضل حتى تلحقه بمصاف الآلهه (أعاذنا الله من سوء العقيد).. وإنما كان ذلك، لأن الرجل كان نموذجاً مثالياً بكل صفات الكمال..

إن فهرست الفضائل الذي قدمته، والكاشف عن مضامين ذات الإمام، يضعنا أمام نسيج مميز في خواصه، كما أسلفت بحيث ترتفع في خواصه الذاتية والخارجية عن مستوى الإعجاب به.. حتى يصل إلى استهداء الألباب وسحرها، فتنفعل النفوس إزاءه بردود فعل مختلفة يتقابل طرفاها بين العبادة والبغض، ويظل الوسط يضعه في مكان التفوق بين معاصريه، ويرسمه عبقرية ليس بالمعتاد حصولها دائماً، وإنما تجيء فلتة.. وللعيون بعد ذلك العذر إذا انحسرت أمام ضوء عارم..

وإلى هنا ينبغي أن يكون من الطبيعي والعادي أن يأخذ الإمام مكانه من التقديم في موضعه الطبيعي في قيادة المجتمع..)[1].

... لماذا ينبغي للإمام علي أن يأخذ مكانه من التقديم في قيادة المجتمع

(١) علي بن أبي طالب ـ نظرة عصرية جديدة ـ ص٩٧.

الإسلامي!! أو بعبارة أخرى لماذا كانت الوصية له دون غيره من الصحابة والقرابة!!

وما هي الخصائص، والفضائل التي جعلته، أن يكون للوصية أهلاً؟؟

... للرد على ذلك ينبغي أن نلقي الضوء على تلك المؤهلات، والسمات التي اختص بها، والتي أجمع عليها كل الفقهاء، والرواة، والمؤرخون على اختلاف مذاهبهم وأرائهم ومشاربهم وسنستعرضها كما رواها رواتها.. (ولكن بإيجاز) في المواضيع المتسلسلة القادمة..

٢ خصائص الإمام في الأحاديث النبوية

قال رسول الله ﷺ:

«أدبني ربي فأحسن تأديبي..».

لقد بُعث الصادق الأمين.. ذلك المبعوث العظيم.. إلى البشرية جمعاء، بعد أن كان مؤهلاً للبعثة، لما فيه من خصائص النبوة.. صفات وخصائص فاقت ما اتسم به أي مخلوق متميز قبله أو بعده.. فلا مثيل لذلك الرجل السماوي السمات منذ بدء الخليقة حتى نهايتها..

أراد الخالق سبحانه وتعالى لهذا المخلوق العظيم، أن يكون عظيماً في كل شيء.. في أخلاقه.. وعلمه.. ومُثله.. وقيمه..

لذا أدّبَ الله عز وجل نبيه أحسن تأديب.. وعَلّمهُ من خلال ما كان يوحي إليه بواسطة الوحي عند نزول القرآن الكريم عليه.. أو عن طريق الأحاديث القدسية..

فالحق أن محمداً ﷺ هو مَنْ رباه ربه بواسطة وحيه.. فكان ربيباً للوحي الذي خصه سبحانه وتعالى بما لا يخص غيره من أنبياء ورسل...

وكان بيته بيت الرسالة الذي شع منه نور الإسلام.. ومنه انطلقت المبادىء والقيم، لتشع بشعاعها المسالك المُعتمة التي كانت فيها البشرية تُعاني من ظلمها وظلامتها..

.. في ذلك البيت العريق الذي منه انطلقت مصابيح العلم والإيمان والمعرفة وتباشير الحرية.. في ذلك البيت الجليل الذي خرجت منه الدعوة الإسلامية.. نشأ وعاش علي بن أبي طالب في كنف من أدبه ربه.. وبين أحضان مَنْ علمه الوحي ورباه..

.. لذا لا نكون مغالين، إذا وصفناه بأنه ربيب الوحي، كما ذكر الأستاذ المرحوم خالد محمد خالد.. لأنه التلميذ الأول للقرآن.. وإنه سابق المسلمين للإسلام.. فطوال السنوات الأولى لنزول الوحي، كان علي (ع) يشهد نزوله، ويسبق غيره في تلقيه من النبي ﷺ.. ويُلقي سمعه وقلبه لأسراره وأنواره[1]..

.. ولد الإمام علي في داخل الكعبة، وكرم الله وجهه عن السجود لأصنامها.. فكأنما كان ميلاده ثمة إيذاناً بعهدٍ جديد للكعبة وللعبادة فيها..

وكاد علي أن يُولد مسلماً.. بل لقد وُلد مسلماً على التحقيق إذا نحن نظرنا إلى ميلاد العقيدة والروح.. لأنه فتح عينيه على الإسلام، ولم يعرف قط عبادة الأصنام.. فهو قد تربى في البيت الذي خرجت منه الدعوة الإسلامية[2].

.. رباه رسول الله ﷺ على ما تربى عليه.

فأخذ من سجاياه، والتمس من أفكاره وعقائده..

وقد قال في ذلك:

«... يرفع لي في كل يوم: من أخلاقه علماً، ويأمرني بالاقتداء به..».

وقال:

«.. تالله لقد عَلِمتُ تبليغ الرسالات، وإتمام العدات وتمام الكلمات. وعندنا أهل البيت أبواب الحكم وضياء الأمر..»[3].

... بناءاً على ما تقدم، جاز لنا القول:

إن الإمام علياً بن أبي طالب.. هو خليفة رسول الله ﷺ في علمه، وإيمانه، وفقهه، وتقواه.. وهو ظله في كل شيء سوى مكانة الرسول ﷺ من النبوة والسماء..

---

(١) في رحاب علي ص٤٨ و٦٠ أو (خلفاء الرسول) ص٣٦٠.

(٢) عبقرية الإمام علي ـ عباس محمود العقاد ص٤٣.

(٣) راجع موضوع نشأته وصباه من مواضيع هذا الكتاب.

(.. أحب الله ورسوله... وأحبه الله ورسوله...) ولم يخصَّ النبي ﷺ أحداً بهذا الوصف غيره..

... نعم إن علياً كان من أحب الناس إلى النبي، إن لم يكن أحبهم إليه على الإطلاق. ومما لا خلاف عليه، إنه ﷺ كان لا يكتفي بحبه إياه، بل كان يسره ويرضيه أن يحببه إلى الناس.. وكان يسوؤه ويغضبه أن يسمع مَنْ يكرهه ويجفوه.. فهو يحبه ويمهد له وينظر إلى غده.. ويسره أن يحبه الناس كما أحبه.. وأن يحين الحنين الذي يكلون فيه أمورهم إليه[(١)]..

كان رسول الله ﷺ من خلال تربيته وتعليمه لعلي، وقد عَلّمه علم السموات والأرض... وجعله يتعمق في الفقه والدين.. حتى صارت مبادىء الإسلام له كل حياته وشغلت كل تفكيره.. فتقدم المسلمين في كل شيء.. وسبقهم لكل شيء.. حتى صار للمسلمين إماماً فيما سبقهم فيه..

اهتم رسول الله ﷺ بإعداد شخصية الإمام علي إعداداً نبوياً.. حتى جعل من شخصيته شخصية تفوق أقرانه، بل تتجاوزها إلى المصاف التي هي أدنى من مصاف الأنبياء وأرقى من مصاف الأولياء..

وحسبنا في ذلك أقواله.. وخطبه.. وحكمه... المجموعة في (نهج البلاغة) ومافيها من بلاغة اللسان.. وبلاغة الإيمان والبيان، حتى لا يدع لنا أي مجال للشك في أن النبي ﷺ كان يعد الإمام علياً ليأخذ مكانه من بعده في قيادة المسلمين..

تربىٰ علي بن أبي طالب تحت رعاية النبي وتتلمذ له.. وورث أخلاقه وأسلوبه في النظر إلى الحياة والخلق..

وجرى الميراث في قلبه وعقله سواء بسواء..

وعكف على دراسة القرآن دراسة المتبصر الحكيم الذي ينفذ إلى لباب الأشياء، فيعي حقائقها ويستوحيها[(٢)]...

---

(١) عبقرية الإمام علي ـ عباس محمود العقاد ص١٧٧ ـ ١٧٩.

(٢) علي وحقوق الإنسان ـ جورج جرداق ـ المجلد الأول ص٩٧.

وقد قال فيه أستاذه محمد ﷺ:

«أما أنت يا علي: أنت صفيي وأميني..»[1].

وقوله ﷺ:

«أوحي إلي في علي ثلاث: إنه سيد المسلمين.. وإمام المتقين.. وقائد الغر المحجلين»[2].

وقال ﷺ في علي:

«هذا أول مَنْ آمن بي.. وصدقني، وصلى معي..».

وفيه، قال ﷺ:

«لكل نبي وصي، وأنا وصيي علي بن أبي طالب»[3].

كما قال ﷺ:

«أنا خاتم الأنبياء.. وعلي خاتم الأوصياء..»[4].

وفي حب علي.. قال أستاذ علي:

«من أحب علياً، فقد أحبني.. ومَنْ أبغض علياً، فقد أبغضني»[5].

وعن ولايته.. ولاية الإمام علي، قال مَنْ وَلاَّهُ الولاية:

«من كنت مولاه فهذا علي مولاه... أللّهُمَّ والي مَنْ والاه، وعادِ مَنْ عاداه، وانصر مَنْ نصره، واخذل مَنْ خذله... وأدر الحق معه حيث دار..»[6].

---

(١) أخرجه أبو داود.. والحاكم... والبخاري.. وابن أبي حاتم في (الجرح والتعديل) وغيرهم..

(٢) أخرجه الحاكم.. والبزار.. وأبو نعيم.. والبارودي... وابن قانع... وابن النجار.. وابن أبي الحديد وغيرهم.

(٣) التاريخ لابن عساكر والشافعي ج٣ ص٥. (المناقب) للخوارزمي ص٤٢. و(ينابيع المودة) ص٧٩.

(٤) (ذخائر العقبى). (المناقب) للخوارزمي. و(ينابيع المودة) ج٢ ص٣.

(٥) أخرج الحاكم. وأورده الذهبي ومسلم في كتاب الإيمان من صحيحه. وابن عبد البر في الاستيعاب).

(٦) أخرجه الإمام أحمد بن حنبل في (مسنده) ج١ ص١١٩. والبزار. والطبراني في (الكبير). =

أما عن سبه . . فقد قال ﷺ:

«مَنْ سبَّ علياً فقد سَبَني . .».

عن أبي عبد الله الجدلي، قال:

دخلت على أم سلمة، فقالت: أيُسب رسول الله ﷺ فيكم!! قلت: معاذ الله . . قالت: سمعت رسول الله ﷺ يقول:

«مَنْ سبَّ علياً فقد سبّني» . .

هذا الحديث أخرجه الإمام أحمد في (المناقب). والحاكم. والطبراني في (الصغير). ويعقوب بن سفيان في (المعرفة والتاريخ). وابن حبان. والبخاري في (الكبير). والبزار. وابن منلة في (الإصابة). .

كما أخرج الشجري في (الأمالي)[1] من طريق أبي الشيخ الأصبهاني، قال:

حدثنا أبو سعيد الثقفي، عن جندار بن واثق، عن حماد، عن علي بن زيد عن سعيد بن حبير، قال:

بلغ ابن عباس (رض) أن قوماً يقعون في علي (ع)، فقال لابنه علي بن عبد الله بن عباس: خذ بيدي، فاذهب بي إليهم . . فأخذ بيده حتى انتهى إليهم. فقال:

(أيكم السابُّ الله؟ . . . قالوا: سبحان الله! مَنْ سب الله فقد أشرك! فقال:

أيكم السابُّ رسول الله؟ . . . قالوا: مَنْ سب رسول الله فقد كفر! فقال:

أيكم السابُّ لعلي؟ . . . قالوا: قد كان ذلك . . قال: فأَشهد لسمعت رسول الله ﷺ يقول:

«مَنْ سبَّ علياً، فقد سبّني، ومَنْ سبّني، فقد سبَّ الله، ومَنْ سبَّ الله كبّه الله على وجهه في النار» . . ثم تولى عنهم!!

= والحاكم. والترمذي. وابن أبي عاصم. وابن المغازلي. وابن أبي شيبة. وفي (فضائل الصحابة). وفي (أضواء على السنة) محمود أبو ريه ص٢١٧.

(١) (الأمالي) ج١ ص١٣٦.

وعن عبد الله بن دينار، عن خاله عمرو بن شاش. (وكان من أصحاب الحديبية) قال: خرجت مع علي بن أبي طالب في خيله التي بعثها رسول الله ﷺ اليمن.. فجفاني بعض الجفاء، فوجدت عليه..

فلما قدمتُ المدينة، أظهرت الشكاية في مجالس المسجد..

فأقبلتُ ذات غداةٍ، والنبي ﷺ جالس في المسجد..

فلما رآني أبدني عينيه[1]... حتى أخذت حَظي من المجلس، فلما جلست، قال: يا عمرو بن شاش! قلت: لبيك بأبي أنت وأمي يا رسول الله، فقال: (أما والله لقد آذيتني)!.. قلت:

إنا لله وإنا لله راجعون.. أعوذ بالله أن أؤذي رسول الله!! قال:

(بلى! مَنْ آذى علياً، فقد آذاني..)[2].

ولمن شكا علياً.. قال له ذلك العظيم ﷺ:

(أيها الناس لا تشكوا علياً، فوالله إنه ليخشوشن في سبيل الله..)[3].

وعن العلم.. وباب مدينة العلم، قال ذلك العالم العظيم ﷺ:

«أنا مدينة العلم وعلي بابها، ومَنْ أراد العلم فليأته من بابه..»[4].

وقال رسول الله ﷺ لعلي:

---

(١) أبدني عينيه: لحظني عينيه.

(٢) الإمام الحافظ النسائي في (خصائصه) ص٩٤ ـ ٩٥.

(٣) (تاريخ الخلفاء) للإمام السيوطي ص٢٠٦.

(٤) رواه الخطيب البغدادي في (تاريخه) ج٤ ص٣٤٨ بعدة طرق.. وابن الأثير في (أسد الغابة) ج٤ ص٢٢.. والحاكم في (المستدرك) ج٣ ص١٢٦.. وابن حجر في (تهذيب التهذيب) ج٦ ص٣٢٠.. والمتقي في (كنز العمال) ج٦ ص١٥٢.. كما أخرجه العقيلي، وابن عدي، والطبراني، والهيثمي في (مجمعه) ج٩ ص١١٤.. و(الرياض النضرة) ج٢ ص١٩٣.. و(كنز الحقائق) للمناوي ص٤٣... و(الصواعق المحرقة) لابن حجر ص٧٣.. وغيرهم (وهذا ما ورد في «فضائل الخمسة من الصحاح الستة» لمرتضى الحسيني ج٢ ص٢٨٠ كما ورد هذا الحديث في (الجامع الصغير) للسيوطي ج١ ص٣٦٤ وله في (الدر المنثور) ص٤٢. والقندوزي في (ينابيع الموده) ص١٨٣. وابن كثير في (البداية والنهاية) ج٧ ص٣٥٨. والحنفي في (نظم درر السمطين) ص١١٣. وابن الجوزي في (تذكرة الخواص) ص٥٣. والذهبي في (ميزان الاعتدال) ج١ ص١٩٣.

«أنك تقاتل على تأويل القرآن، كما قاتلت على تنزيله..»[1].

عن أبي سعيد الخدري، قال:

كنا جلوساً ننظر رسول الله ﷺ، فخرج إلينا قد انقطع شسع نعله، فرمى به إلى علي رضي الله عنه، فقال ﷺ:

«إن منكم رجلاً يقاتل الناس على تأويل القرآن كما قاتل على تنزيله».

قال أبو بكر: أنا؟.. قال: لا.

قال عمر بن الخطاب: أنا؟... قال: لا.. ولكن خاصف النعل..

هذا الحديث أخرجه أبو يعلي.. وابن حبان.. وعبد الله بن أحمد في (زيادات الفضائل) وأبو نعيم في (الحلية).. وابن الجوزي في (الواهيات)..

وكذلك أخرجه الحاكم، وابن أبي شيبة[2].

وقال النبي ﷺ عن علي والقرآن:

«علي مع القرآن، والقرآن مع علي لا يفترقان حتى يردا علي الحوض..»[3].

وقال ﷺ:

«علي باب علمي ومبين لأمتي ما أرسلت به من بعدي..»[4].

وقال ﷺ للإمام علي (ع):

---

(١) أخرجه الإمام أحمد، والحاكم عن أبي سعيد الخدري في (مستدرك الصحيحين) ج٣ ص١٢٤. وأبو نعيم. وابن الجوزي... وابن أبي شيبه.. والنسائي في (الخصائص)... وابن حجر في (الصواعق المحرقة) ص٧٥.. وابن الأثير في (أسد الغابة).

(٢) النسائي في (خصائصه) ص١٣٤. كما ورد في (مجمع) الهيثمي ج٩ ص١٣٤. وفي (مستدرك الصحيحين) للحاكم ج٣ ص١٢٤. وفي (الصواعق المحرقة) لابن حجر. ص٧٥. والشبلنجي في (نور الأبصار) ص٧٢. والطبراني في (الأوسط). (وأسد الغابة) لابن الأثير.

(٣) السيوطي في (تاريخ الخلفاء) ص٢٠٥ عن الطبراني.

(٤) الهمداني الشافعي في (ينابيع المودة) ص٢٥٤ عن الشيخ سليمان. والقندوزي الحنفي.

«أنت تبين لأمتي ما اختلفوا فيه من بعدي..»[1].

وجاء عن عمر بن الخطاب (رض) وولده عبد الله، عن رسول الله ﷺ قال:

«وإني أوصيت علياً، وهو أفضل من أتركه بعدي..»[2].

وروى زيد بن أرقم عن النبي ﷺ الذي قال:

«مَنْ أراد أن يحيا حياتي، ويسكن جنة الخلد التي وعدني ربي، فليتول علياً بن أبي طالب.. فإنه لم يخرجكم من هدى، ولن يدخلكم في ظلالة..»[3].

وقال ﷺ لفاطمة الزهراء عن زوجها.. علي بن أبي طالب:

«يا فاطمة.. زوجك أقدمهم سلماً، وأعظمهم حلماً، وأعلمهم علماً..»[4].

وقوله ﷺ عن علي:

«علي مني وأنا من علي.. ولا يؤدي عني إلا أنا أو علي..»[5].

وفي رواية أخرى:

«إن علياً مني وأنا منه... وهو ولي كل مؤمن من بعدي» أو: «إن علياً مني وأنا منه.. وهو وليكم بعدي..»[6].

وعن منزلة علي منه.. قال ذلك العظيم ﷺ:

---

(١) الحاكم في (المستدرك) عن أنس بن مالك. و(حلية الأولياء) لأبي نعيم ج١ ص٦٣. و(كنز العمال) ج٦ ص١٥٦. وفي (كنوز الحقائق) للمناوي ص١٨٨. وفي (الصواعق) لابن حجر.

(٢) (ينابيع المودة) ـ للهمداني الشافعي ص٢٥٣ عن مودة القربى.

(٣) أخرجه الحاكم في (المستدرك) ج٣ ص١٢٨.

(٤) حجيج النهج ـ د. سعيد السامرائي ص١٨٨.

(٥) أخرجه ابن ماجه في (سننه) في باب فضائل الصحابة ج١ ص٩٢. والنسائي والترمذي في صحيحهما. والإمام أحمد في (مسنده) ج٤ ص١٦٤.

(٦) أخرجه الإمام أحمد. والبزار. وأبو يعلي. وابن أبي شيبة. وكذلك الهيثمي في مجمعه ج٩ ص١٢٨ والخطيب البغدادي في (تاريخ بغداد). والمحب الطبري في (الرياض النضرة) ج١ ص١٥٢.

«علي مني بمنزلتي من ربي..»(١).

وحَقُّ علي.. ماذا قال النبي ﷺ عن ذلك الحق؟

«حقُّ علي على المسلمين حق الوالد على الولد..»(٢).

وعن بيت علي.. قال أستاذه رسول الله ﷺ:

«أفضل البيوت بيت علي.. وبابه أفضل الأبواب الذي مَنْ دخله كان آمناً..»(٣).

وبمن يهتدي المهتدون بعد النبي ﷺ؟... قال عليه الصلاة والسلام في ذلك:

«أنا المنذر.. وعلي الهاد.. وبك يا علي يهتدي المهتدون من بعدي..»(٤).. وذلك عندما نزلت الآية الكريمة: ﴿إِنَّمَآ أَنتَ مُنذِرٌ وَلِكُلِّ قَوۡمٍ هَادٍ﴾ [سورة الرعد، الآية: ٧].

كما قال رسول الله ﷺ لتلميذه وربيبه علي بن أبي طالب:

«يا علي أنت سيد في الدنيا، وسيد في الآخرة.. حبيبك حبيبي، وحبيبي حبيب الله وعدوك عدوي، وعدوي عدو الله.. والويل لمن أبغضك من بعدي»(٥).

---

(١) ذكر ذلك ابن حجر في (صواعقه).

(٢) (الإمام علي بن أبي طالب رابع الخلفاء الراشدين) محمد رضا ص٢١.

(٣) (أساس التأويل) النعمان بن محمد المغربي ص٣٦٥.

(٤) ذكر هذا الحديث الحافظ الحاكم في (المستدرك) ج٣ ص١٢٥. العلامة فخر الدين الرازي في (تفسيره) ج١٩ ص١٤ وفي (تفسير) ابن كثير ج٢ ص٥٠١. وابن الصباغ المالكي في (الفصول المهمة) ص١٠٥. والعلامة الطبري في (تفسيره) ج١٣ ص٦٣. وفي (تفسير) النيسابوري ج١٣ ص٧٣. وكذلك الشوكاني في (تفسيره) ج٣ ص٦٦. وفي (روح المعاني) للآلوسي ج١٣ ص٩٧ «والقندوزي في (ينابيع المودة) ص٩٩. والعلامة ابن حجر العسقلاني في (الإصابة) ج٤ ص٢٧٠. والحسكاني في (شواهد التنزيل) ج١ ص٢٩٤ والهندي في (كنز العمال) ج٦ ص١٥٧.. (أورد تلك المصادر عبد الرسول الغفار في «ملامح من شخصية الإمام علي» ص١٣٣).

(٥) (مستدرك الصحيحين) للحاكم ج٣ ص١٢٧. الخطيب البغدادي في (تاريخه) ج٤ ص٤١. ابن=

وعن علي.. وآل بيته، قال سيد ذلك البيت ﷺ:

«من سره أن يحيا حياتي، ويموت مماتي، ويسكن جنة عدن غرسها ربي.. وليوالِ علياً من بعدي، فليوالِ وليه، وليقتد بأهل بيتي من بعدي. فإنهم عترتي، خلقوا من طينتي، ورزقوا فهمي وعلمي.. فويل للمكذبين بفضلهم من أمتي، القاطعين فيهم صلتي.. لا أنالهم الله شفاعتي..»[1].

وعن سيف علي بن أبي طالب.. قال رسول الله ﷺ:

«لا سيف إلا ذو الفقار، ولا فتى إلا علي»[2].

وفي حديث نقله ورواه الصحابي الجليل عمار بن ياسر عن النبي ﷺ:

«أوصي مَنْ آمن بي وصدقني بولاية علي بن أبي طالب، فمن تولاه فقد تولاني، ومن تولاني فقد تولى الله.. ومَنْ أحبه فقد أحبني، ومَنْ أحبني فقد أحب الله، ومَنْ أبغضه فقد أبغضني، ومَنْ أبغضني فقد أبغض الله عز وجل..»[3].

ولعمار بن ياسر (رض)، قال له رسول الله ﷺ!

«يا عمار إذا رأيت علياً قد سلك وادياً، وسلك الناس وادياً غيره..

= حجر العسقلاني في (تهذيب التهذيب) ج١ ص١٢. الإمام أحمد بن حنبل في (المناقب). الطبري في (الرياض النضرة) ج٢ ص١٧٧. وفي (كنوز الحقائق) ص١٨٨.

(١) أخرجه الطبراني في (الجامع الكبير) والرافعي في (مسنده) بالإسناد إلى عبد الله بن عباس. وابن حجر في (كنز العمال) ج٦ ص١٥٥. والخوارزمي في (مناقبه) ص٣٤. والقندوزي في (ينابيع المودة) ص١٤٩. وفي (حلية الأولياء) لأبي نعيم ج١ ص٨٦. وابن عساكر في (التاريخ) ج٢ ص٩٥.

(٢) ذكر ذلك محب الدين الطبري في (ذخائر العقبى) وفي (الرياض النضرة). وكذلك ذكره الذهبي في (ميزان الاعتدال) وابن كثير في (البداية والنهاية). وابن الجوزي في (تاريخ الأمم). خالد محمد خالد في (رحاب علي) ص٨٠.

(٣) أخرجه الطبراني في (الكبير). وابن عساكر في (تاريخه).

فاسلك مع علي ودع الناس.. فإنه لن يدلك على ردى.. ولن يخرجك من هدى..»[1].

وقال عليه أفضل الصلاة والسلام مشيراً إلى علي:

«إن هذا أول من آمن بي، وأول مَنْ يصافحني يوم القيامة.. وهذا الصديق الأكبر.. وهذا فاروق هذه الأمة، يفرق بين الحق والباطل.. وهذا يعسوب المؤمنين..»[2].

وأخرج الدارقطني في (الأفراد) عن عبد الله بن عباس (رض) قول رسول الله ﷺ:

«علي بن أبي طالب باب حطة.. مَنْ دخل منه كان مؤمناً، ومَنْ خرج منه كان كافراً»[3].

قال قائد المسلمين العظيم.. الرسول الكريم ﷺ:

«أول مَنْ يدخل من هذا الباب أمام المتقين، وسيد المسلمين، ويعسوب الدين، وخاتم الوصين، وقائد الغر المحجلين..».

فدخل علي بن أبي طالب (ع).. واستقبله، وقال له:

«أنت تؤدي عني، وتسمعهم صوتي، وتبين لهم ما اختلفوا فيه بعدي»[4].

---

(١) أخرجه الديلمي في (الكنز) عن عمار بن ياسر وأبي أيوب ص١٥٦ ج٦.

(٢) أخرجه الطبراني في (الكبير) عن سلمان وأبي ذر. والبيهقي في (سننه). وابن عدي في (الكامل). وابن أبي الحديد في (شرحه). وابن كثير في (البداية والنهاية). وابن عساكر في (تاريخه). والنسائي في (خصائصه). وابن عبد البر في (الاستيعاب). والطبري في (ذخائر العقبى). وابن الأثير في (أسد الغابة) والهيثمي في (مجمع الزوائد).

(٣) أخرجه أبو نعيم في (حلية الأولياء) عن أنس بن مالك. والهندي في (الكنز) ج٦ ص١٥٣.

(٤) أخرجه الطبري في (ذخائر العقبى). وابن عساكر في (تاريخه). وابن أبي الحديد في (شرحه). وأبي نعيم في (حلية الأولياء). والهندي في (كنزل العمال). والقندوزي في (ينابيع المودة).

وقال عنه النبي ﷺ:

«هذا إمام البررة. قاتل الفجره.. منصور مَنْ نصره، مخذول مَنْ خذله..»[1].

وأخبر النبي ﷺ علياً عن ما سيحدث له بعده:

«إن الأمة ستغدر بك بعدي.. وأنت تعيش على ملتي.. وتُقتل على سنتي..»[2].

ذكر ابن أبي الحديد المعتزلي من شرحه لنهج البلاغة[3].. أن رسول الله ﷺ قال:

«مَنْ أراد أن ينظر إلى نوح في عزمه.. وإلى آدم في علمه.. وإلى إبراهيم في حلمه.. وإلى موسى في فطنته.. وإلى عيسى في زهده، فلينظر إلى علي بن أبي طالب»[4].

وقال ﷺ مخاطباً الإمام علي (ع):

«يا علي، إن فيك من عيسى مثلاً أبغضته اليهود حتى بهتو أمه.. وأحبه النصارى حتى أنزلوه بالمنزلة التي ليس بها..»[5].

وذكر الإمام الحافظ النسائي في كتابه (خصائص أمير المؤمنين)[6]، عن أبو جعفر محمد بن عبد الله بن المبارك المخرمي، قال:

حدثنا يحيى بن معين، قال: أخبرنا أبو حفص الأبار، عن الحكم بن عبد الملك، عن الحارث بن حصيرة، عن أبي صادق، عن ربيعة بن ناجد، عن علي (رض) قال:

---

(١) أخرجه الحاكم في (المستدرك) ج٣ ص١٢٩ من حديث جابر.

(٢) الحاكم في (المستدرك) ج٣ ص١٤٧. والذهبي في (التلخيص).

(٣) ج٢ ص٤٤٩.

(٤) أخرجه البيهقي في (صحيحه). والإمام أحمد بن حنبل في (مسنده) وذكره الإمام الرازي في (تفسيره الكبير).

(٥) أخرجه الحاكم في (المستدرك) ج٣ ص١٢٢.

(٦) (الخصائص) للنسائي ص١٠٢.

قال رسول الله ﷺ:

«يا علي فيك مثل من مثل عيسى أبغضته اليهود..»[1] إلى آخر الحديث..

وذكر ابن الجوزي في (الواهيات)، من طريق عيسى بن عبد الله، قال: حدثني أبي عن أبيه، عن جده علي بن أبي طالب، قال:

جئت إلى رسول الله ﷺ يوماً، فوجدته في ملأ من قريش.. فنظر إليّ، وقال:

«يا علي، إنما مثلك في هذه الأمة، كمثل عيسى بن مريم، أحبه قومٌ فأفرطوا فيه. وأبغضه قومٌ فأفرطوا فيه..».

وفي رواية أخرى أوردها د. سعيد السامرائي[2]، أن رسول الله ﷺ قال:

«والذي نفسي بيده لولا أن تقول طوائف من أمتي فيك ما قالت النصارى في ابن مريم، لقلت اليوم فيك مقالاً، لا تمر بملأ من المسلمين إلا أخذوا التراب من تحت قدميك للبركة» وهذا ما ذكره الإمام أحمد بن حنبل في (مسنده).. كماذكر الإمام أحمد في المسند أيضاً:

إن الرسول ﷺ خرج على الحجيج عشية عرفة، فقال لهم:

«إن الله قد باهى بكم الملائكة عامة، وغفر لكم عامة.. وباهى بعلي خاصة، وغفر له خاصة.. إني قائل لكم قولاً غير محابٍ فيه لقرابتي،

---

(١) أخرجه الإمام أحمد في (الفضائل) ص١٠٢٥ ـ ١٢٢١. وعبد الله بن أحمد بن حنبل في (زوائد الفضائل) ص١٠٨٧ وفي (زوائد المسند) ج١ ص١٦٠. وكذلك البخاري في (التاريخ الكبير) ج٢ ص٢٨١. والبزار. وأبو يعلي في(مسنده) ج١ ص٤٠٧. والبلاذري في (أنساب الإشراف) ج٢ ص١٢٠. وأبو سعيد بن الأعرابي في (معجمه) ج٢ ص١٥٢. والحاكم. وابن حبان في (المجروحين) ج٢ ص١٢٢.

(٢) (حجيج النهج) د. سيعد السامرائي ص١٩٨.

إن السعيد كل السعيد حق السعيد، من أحب علياً في حياته وبعد موته..»[1].

أخرج الطبراني والحاكم عن ابن مسعود أن النبي ﷺ قال:

«النظر إلى علي عبادة..»[2].

لم يرد في حق غيره، بما ورد فيه:

.. كان ذلك جانباً مختصراً مما قاله الصادق الأمين محمد ﷺ في تلميذه علي بن أبي طالب من أحاديث وسمت صدره..

ويستنتج منها أن رسول الله ﷺ كان يشعر بنوع من الإخاء لعلي.. وأن علياً كان ممتلئاً بهذا الإخاء..

وإن النبي ﷺ كان يوجه الأنظار إلى العظمة الإنسانية التي تتمثل في شخصية علي بن أبي طالب..

وتحاشياً للضجر والإطالة، لم نذكر كل ما ذُكر فيه عن الرسول ﷺ..

وحسبنا ما أوردناه في هذا الموضوع.. وما ورد، أو سيرد في مواضيع أخرى من هذا الكتاب..

وكفى بابن أبي طالب أن يكون لا منافس له من الصحابة والقرابة بما خصه النبي ﷺ من أحاديث وأقوال..

وقد قال الإمام أبو عبد الله أحمد بن حنبل في ذلك:

(ما جاء لأحد من أصحاب رسول الله ﷺ من الفضائل ما جاء لعلي بن أبي طالب) وقال القاضي إسماعيل والنسائي وأبو علي النيسابوري والحافظ بن حجر:

(لم يرد في حق أحد من الصحابة بالأسانيد الجياد أكثر ما جاء في علي)[3].

---

(١) نفس المصدر.

(٢) السيوطي في (تاريخ الخلفاء) ص٢٠٤.

(٣) ابن عساكر في (صواعقه) ص٨٦. (تاريخ الخلفاء) للسيوطي ص٢٠٤. (المراجعات) عبد الحسين شرف الدين الموسوي ص٦٧.

٣ ما خصه الذكر الحكيم من آيات كريمة

الآيات القرآنية التي خصّت الإمام علي (ع)... أو التي نزلت في حقه.. لا بد لنا أن نأتي على بعضٍ منها.. وهي كثيرة، وقد قال عبد الله عباس (رض):

(نزل في علي وحده ثلاث مئة آية..)(١)... كما قال أيضاً:

(ما من آية في القرآن إلا وعلي أميرها، ولقد عاتب الله أصحاب محمد في غير مكان وما ذكر علياً إلا بخير..)(٢).

تلك الآيات الكريمة ذُكرتْ، وفُصلتْ، وفُسرتْ في مختلف التفاسير لكثير من مفسري القرآن الكريم.. منها:

تفسير فرات الكوفي المتوفي ٣٠٠هـ - ... وتفسير التستري المتوفي ٣١٠هـ. وتفسير عياش المتوفي ٣٢٣هـ ... وتفسير علي بن إبراهيم القمي المتوفي ٣٢٤هـ... وتفسير الطوسي المتوفي ٤٦٠هـ... وغيرهم من المفسرين أمثال الطبري وابن جرير والثعلبي والرازي والنيسابوري والآلوسي.

ويذكر صاحب (عيون المعجزات)(٣) الشيخ حسن بن عبد الوهاب (وهو من القرن الخامس الهجري) إن كل ما ورد في القرآن الكريم:

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ﴾ فالمقصود بها علي بن أبي طالب(٤)..

---

(١) تاريخ الخلفاء للسيوطي ص٢٠٤. تاريخ بغداد للخطيب البغدادي ج٦ ص٢٢١. والمراجعات - عبد الحسين شرف الدين الموسوي ص٦٧ عن ابن عساكر في صواعقه ص٧٦.

(٢) (الإمام علي رسالة وعدالة) الشيخ خليل ياسين ص٧٥.

(٣) ص٣٢.

(٤) نشأة الشيعة الإمامية - نبيلة عبد المنعم داود ص١٤٤.

أخرج الطبراني.. وابن أبي حاتم عن ابن عباس، قال:

(ما أنزل الله: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ﴾ إلا وعلي أميرها وشريفها.. ولقد عاتب.. إلى آخر الحديث)[1].

كما ذكر علي بن إبراهيم القمي في تفسيره للآية ١٨٩ من سورة البقرة:

﴿وَلَيْسَ ٱلْبِرُّ بِأَن تَأْتُواْ ٱلْبُيُوتَ مِن ظُهُورِهَا وَلَٰكِنَّ ٱلْبِرَّ مَنِ ٱتَّقَىٰ ۗ وَأْتُواْ ٱلْبُيُوتَ مِنْ أَبْوَٰبِهَا ۚ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ﴾.

تلك الآية نزلت في حق الإمام علي، لقول الرسول ﷺ:

«**أنا مدينة العلم وعلي بابها..**» وقد قال الإمام في ذلك:

«**نحن البيوت التي أمر الله أن يؤتى من أبوابها.. ونحن باب الله الذي يؤتى، فمن يأتينا، وآمن بولايتنا، فقد أتى البيوت من أبوابها..**».

ويذكر أبو حنيفة النعمان المغربي في (أساس التأويل)[2]:

إن الآية ٦٧ من سورة المائدة:

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلرَّسُولُ بَلِّغْ مَآ أُنزِلَ إِلَيْكَ مِن رَّبِّكَ ۖ وَإِن لَّمْ تَفْعَلْ فَمَا بَلَّغْتَ رِسَالَتَهُۥ ۚ وَٱللَّهُ يَعْصِمُكَ مِنَ ٱلنَّاسِ ۗ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَهْدِى ٱلْقَوْمَ ٱلْكَٰفِرِينَ﴾.

يقول المغربي أن هذه الآية نزلت بغدير خم حيث الوصية لعلي بن أبي طالب كرم الله وجهه..

ويفسر ابن المطهر في (منهاج الكرامة)[3] قوله تعالى في الآية ١ ـ ٢ من سورة النجم:

﴿وَٱلنَّجْمِ إِذَا هَوَىٰ مَا ضَلَّ صَاحِبُكُمْ وَمَا غَوَىٰ﴾ [سورة النجم، الآيتان: ١ و٢].

إنه خَصّ بهذه الآية علياً، مستنداً في ذلك برواية عن عبد الله بن عباس

---

(١) تاريخ الخلفاء ـ للإمام الحافظ السيوطي ص١٧١.

(٢) ص٣٣٢.

(٣) ص١٥١.

قوله: (كنت جالساً مع فتية من بني هاشم عند النبي ﷺ. . . . إذا انقض كوكب. . فقال:

«مَنْ انقضَ هذا الكوكب في منزله، فهو الوصي. .» فقام الفتية ونظروا، فإذا الكوكب قد انقض في منزل علي[1]!!

وأخرج الثعلبي في تفسيره، قوله تعالى في الآية ٤٦ من سورة الأعراف:
﴿وَبَيْنَهُمَا حِجَابٌ وَعَلَى ٱلْأَعْرَافِ رِجَالٌ يَعْرِفُونَ كُلًّا بِسِيمَاهُمْ وَنَادَوْا أَصْحَابَ ٱلْجَنَّةِ أَن سَلَامٌ عَلَيْكُمْ لَمْ يَدْخُلُوهَا وَهُمْ يَطْمَعُونَ﴾.

عن عبد الله بن عباس قوله: (الأعراف: موضع عال من السراط عليه، العباس وحمزة وعلي بن أبي طالب وجعفر ذو الجناحين، يعرفون مُحبيهم ببياض الوجوه. . ومُبغضيهم بسواد الوجوه)[2].

وقوله تعالى في سورة آل عمران، الآية ٦١:
﴿فَمَنْ حَآجَّكَ فِيهِ مِنۢ بَعْدِ مَا جَآءَكَ مِنَ ٱلْعِلْمِ فَقُلْ تَعَالَوْا نَدْعُ أَبْنَآءَنَا وَأَبْنَآءَكُمْ وَنِسَآءَنَا وَنِسَآءَكُمْ وَأَنفُسَنَا وَأَنفُسَكُمْ ثُمَّ نَبْتَهِلْ فَنَجْعَل لَّعْنَتَ ٱللَّهِ عَلَى ٱلْكَٰذِبِينَ﴾ [سورة آل عمران، الآية: ٦١].

ذلك عندما أراد رسول الله ﷺ مباهلة أعداء الإسلام. . وقوله تعالى في الآية ١٧٣ من سورة آل عمران:

﴿ٱلَّذِينَ قَالَ لَهُمُ ٱلنَّاسُ إِنَّ ٱلنَّاسَ قَدْ جَمَعُوا لَكُمْ فَٱخْشَوْهُمْ فَزَادَهُمْ إِيمَٰنًا وَقَالُوا حَسْبُنَا ٱللَّهُ وَنِعْمَ ٱلْوَكِيلُ﴾ [سورة آل عمران، الآية: ١٧٣].

قال الشيخ المفيد:

(وكان سبب نزول هذه الآية، أن رجلاً قال للإمام علي (ع) قبل وقعة أُحد: إن أبا سفيان قد جمع لكم الجموع. . فقال له الإمام: ﴿حَسْبُنَا ٱللَّهُ وَنِعْمَ ٱلْوَكِيلُ﴾ [سورة عمران، الآية: ١٧٣][3].

---

(١) هذا الحديث عندنا من الأحاديث الضعيفة.

(٢) الصواعق المحرقة ص١٠٣، وفضائل الخمسة ج١ ص٢٨٦. وينابيع المودة ص١٠٢.

(٣) علي في القرآن ـ علي محمد علي دخيل ص١٣.

وفي سورة الأنفال الآية ٢ قوله عز من قائل:

﴿إِنَّمَا ٱلْمُؤْمِنُونَ ٱلَّذِينَ إِذَا ذُكِرَ ٱللَّهُ وَجِلَتْ قُلُوبُهُمْ وَإِذَا تُلِيَتْ عَلَيْهِمْ ءَايَٰتُهُۥ زَادَتْهُمْ إِيمَٰنًا وَعَلَىٰ رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ ٱلَّذِينَ يُقِيمُونَ ٱلصَّلَوٰةَ وَمِمَّا رَزَقْنَٰهُمْ يُنفِقُونَ أُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُؤْمِنُونَ حَقًّا لَّهُمْ دَرَجَٰتٌ عِندَ رَبِّهِمْ وَمَغْفِرَةٌ وَرِزْقٌ كَرِيمٌ﴾.

هذه الآيات الكريمة نزلت في علي بن أبي طالب.. وأبي ذر الغفاري.. وسلمان.. والمقداد[1] وفي السورة نفسها الآية ٦٢ قوله تعالى:

﴿هُوَ ٱلَّذِيٓ أَيَّدَكَ بِنَصْرِهِۦ وَبِٱلْمُؤْمِنِينَ﴾، عن أبي هريرة قال: المقصود بالمؤمنين هو علي بن أبي طالب[2]..

وهناك آيات من الذكر الحكيم وردت في مختلف المراجع على اختلاف مذاهب أصحابها فسروا نزولها في حق الإمام علي.. منها: قوله تعالى في سورة المائدة الآية ٥٥ ـ ٥٦.

﴿إِنَّمَا وَلِيُّكُمُ ٱللَّهُ وَرَسُولُهُۥ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱلَّذِينَ يُقِيمُونَ ٱلصَّلَوٰةَ وَيُؤْتُونَ ٱلزَّكَوٰةَ وَهُمْ رَٰكِعُونَ وَمَن يَتَوَلَّ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ فَإِنَّ حِزْبَ ٱللَّهِ هُمُ ٱلْغَٰلِبُونَ﴾.

وقد أجمع أكثر الفقهاء والرواة، على أن هذه الآية الكريمة نزلت في حق الإمام علي بن أبي طالب منهم ابن كثير.. والسيوطي.. والطبري.. والثعلبي في تفسيره القرآن الكريم.. ورواه الشافعي.. والزمخشري في كتاب (الكشاف في تفسير القرآن)..

وقوله تعالى في سورة الأحزاب الآية: ٢٣.

---

(١) المصدر السابق ص١٨.

(٢) ذكر ذلك ابن جرير في تفسيره.. وابن عساكر في تاريخه... ورواه الحافظ الإمام جلال الدين السيوطي في (الدر المنثور) عن ابن عساكر نقلاً عن الحافظ أبي نعيم.. وذكره الخطيب البغدادي في (تاريخه) بإسناده عن أنس بن مالك.. وذكره محب الدين الطبري في (الرياض النضرة).. والخوارزمي في (المناقب).

﴿مِنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ رِجَالٌ صَدَقُوا۟ مَا عَٰهَدُوا۟ ٱللَّهَ عَلَيْهِ ۖ فَمِنْهُم مَّن قَضَىٰ نَحْبَهُۥ وَمِنْهُم مَّن يَنتَظِرُ ۖ وَمَا بَدَّلُوا۟ تَبْدِيلًا﴾.

قال الإمام علي (ع):

ولقد كنت عاهدت الله عز وجل ورسوله ﷺ أنا وعمي حمزة، وأخي جعفر، وابن عمي عبيدة، على أمرٍ وفينا به لله ولرسوله..

فتقدمني أصحابي، وتخلفتُ بعدهم لما أراد الله عز وجل... فأنزل الله فينا هذه الآية(١)

وفي سورة الحشر الآية ١٠... قوله تعالى:

﴿وَٱلَّذِينَ جَآءُو مِنۢ بَعْدِهِمْ يَقُولُونَ رَبَّنَا ٱغْفِرْ لَنَا وَلِإِخْوَٰنِنَا ٱلَّذِينَ سَبَقُونَا بِٱلْإِيمَٰنِ وَلَا تَجْعَلْ فِى قُلُوبِنَا غِلًّا لِّلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ رَبَّنَآ إِنَّكَ رَءُوفٌ رَّحِيمٌ﴾.

فكل من أسلم بعد الإمام علي، فهو يستغفر له(٢).

وفي سورة التوبة الآية ٢٠:

﴿ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَهَاجَرُوا۟ وَجَٰهَدُوا۟ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ بِأَمْوَٰلِهِمْ وَأَنفُسِهِمْ أَعْظَمُ دَرَجَةً عِندَ ٱللَّهِ ۚ وَأُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْفَآئِزُونَ﴾.

وقوله عز من قائل في سورة البقرة الآية ٢٠٧:

﴿وَمِنَ ٱلنَّاسِ مَن يَشْرِى نَفْسَهُ ٱبْتِغَآءَ مَرْضَاتِ ٱللَّهِ ۗ وَٱللَّهُ رَءُوفٌۢ بِٱلْعِبَادِ﴾.

نزلت هذه الآية الكريمة بعد أن نام الإمام علي (ع)، في فراش رسول الله ﷺ ليلة الهجرة.. حيث فداه بنفسه.. فكان علياً أول فدائي في الإسلام(٣)...

---

(١) الصواعق المحرقة ص٨٠. الشبلنجي في (نور الأبصار) ص٩٧.

(٢) حجج النهج ـ د. سعيد السامرائي ص٣١٩.

(٣) ذكر ذلك الطبري في (تفسيره). الإمام أحمد بن حنبل في (مسنده) ج١ ص٣٣١. الإمام الثعلبي في (تفسيره). أبو حامد محمد الغزالي في (إحياء العلوم). وفخر الدين الرازي في (تفسيره الكبير) =

وللإمام ذكر بالذكر الحكيم في سورة السجدة الآية ١٨.

﴿أَفَمَن كَانَ مُؤْمِنًا كَمَن كَانَ فَاسِقًا لَّا يَسْتَوُونَ﴾.

قال الحسن بن علي للوليد بن عقبة بن معيط وهو من فتيان قريش:

.. وأما أنت يا وليد فوالله ما ألومك على بغض علي وقد جلدك ثمانين في الخمرة. وقتل أباك بين يدي رسول الله ﷺ.. وأنت الذي سماك الله (الفاسق).. وسمى علياً (المؤمن).. حيث تفاخرتما، فقلت له:

يا علي أنا أشجع منك جنانا، وأبسط منك لساناً، وأحد منك سناناً فقال له علي:

«اسكت يا وليد فأنا مؤمن، وأنت فاسق» فأنزل الله عز وجل الآية الكريمة: ﴿أَفَمَن كَانَ مُؤْمِنًا....﴾[1].

ذكر ذلك ابن جرير الطبري في تفسيره بسنده عن عطاء بن يسار.. وكذلك الزمخشري في الكشاف، والسيوطي في الدر المنثور عن ابن إسحاق عن عطاء بن يسار. كما أخرجه ابن أبي حاتم.

وفي سورة النساء الآية ٥٤:

﴿أَمْ يَحْسُدُونَ النَّاسَ عَلَىٰ مَا آتَاهُمُ اللَّهُ مِن فَضْلِهِ فَقَدْ آتَيْنَا آلَ إِبْرَاهِيمَ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَآتَيْنَاهُم مُّلْكًا عَظِيمًا﴾.

وقوله تعالى في سورة هود الآية ١٧:

﴿أَفَمَن كَانَ عَلَىٰ بَيِّنَةٍ مِّن رَّبِّهِ وَيَتْلُوهُ شَاهِدٌ مِّنْهُ وَمِن قَبْلِهِ﴾.

= ج٥ ص٢٢٣. وابن الأثير في (أسد الغابة) ج٤ ص٢٥. وسبط ابن الجوزي في (التذكرة) ص٢٠٨. والعلامة النيسابوري في (تفسيره) ج٢ ص٢٠٨. وابن صباغ المالكي في (الفصول المهمة). والعلامة الآلوسي في تفسيره (روح المعاني) ج٢ ص٨٣... والقندوزي الحنفي في (ينابيع المودة) ص٩٢.. والعلامة الحافظ الحاكم في (المستدرك) ج٣ ص٤.

(١) تفسير الطبري ج١ ص٦٨. الواحدي في (أسباب النزول) ص٢٦٣ رواه بسند عن ابن عباس كما أخرجه ابن مردويه، والخطيب وابن عساكر عن عبد الله بن عباس (رض).. وورد في (علي إمام المتقين) ج١ ص٥٦ لعبد الرحمن الشرقاوي. وكذلك ورد في (تاريخ بغداد) ج١٣ ص٣٢١ بسنده عن ابن عباس أيضاً. وفي (الرياض النضرة) ج٢ ص٢٠٦.

فمن كان على بينة من ربه، هو النبي ﷺ...

وأما (الشاهد)، فهو علي بن أبي طالب.. يشهد له وهو منه[1]...

وفي سورة الواقعة الآية ١٠ ـ ١١ قوله تعالى:

﴿وَٱلسَّٰبِقُونَ ٱلسَّٰبِقُونَ أُوْلَٰٓئِكَ ٱلْمُقَرَّبُونَ﴾.

أخرج ابن مردويه عن عبد الله بن عباس، أن هذه الآية نزلت في حزقيل مؤمن آل فرعون. وحبيب النجار الذي ذكر في سورة يس.. وعلي بن أبي طالب، وكل رجل منهم سابق أمته وعلي أفضلهم سبقاً[2].

وعن جابر قال: قال رسول الله ﷺ: ثلاثة لم يكفروا بالوحي طرفة عين: مؤمن آل ياسين.. وعلي بن أبي طالب.. وآسية امرأة فرعون[3]...

وقوله عز من قائل في سورة محمد الآية ٣٠:

﴿وَلَوْ نَشَآءُ لَأَرَيْنَٰكَهُمْ فَلَعَرَفْتَهُم بِسِيمَٰهُمْ ۚ وَلَتَعْرِفَنَّهُمْ فِى لَحْنِ ٱلْقَوْلِ ۚ وَٱللَّهُ يَعْلَمُ أَعْمَٰلَكُمْ﴾.

ذكر السيوطي في تفسيره (الدر المنثور) عن أبي سعيد الخدري قال:

(لتعرفنهم في لحن القول..) أي ببغضهم لعلي بن أبي طالب (ع)..

وقوله تعالى في سورة الرعد الآية ٧:

﴿وَيَقُولُ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ لَوْلَآ أُنزِلَ عَلَيْهِ ءَايَةٌ مِّن رَّبِّهِۦٓ ۗ إِنَّمَآ أَنتَ مُنذِرٌ ۖ وَلِكُلِّ قَوْمٍ هَادٍ﴾.

روى الحاكم في المستدرك بسنده عن علي، قال:

---

(١) السيوطي في (الدر المنثور) في ذيل تفسير الآية المذكورة عن ابن أبي حاتم وابن مردويه وأبو نعيم وابن عساكر. والرازي في (تفسيره الكبير).

(٢) السيوطي في (الدر المنثور). وفي (كنز العمال) ج٦ ص١٥٢ حيث ذكر السُبق ثلاثة، فالسابق إلى موسى يوشع بن نون. والسابق إلى عيسى صاحب يس.. والسابق إلى محمد ﷺ علي.. وكذلك الثعلبي في (قصصه) ص٢٣٨.

(٣) تاريخ بغداد ج١٤ ص١٥٥ بسند عن جابر الأنصاري.

رسول الله ﷺ المنذر.. وأنا الهادي.

وفي رواية أخرى قال الإمام: الهادي رجل من بني هاشم، ويعني به نفسه لأنه كره التصريح باسمه[1].

وفي سورة الإنسان الآية ٨ و٩ قوله تعالى وهو عز من قائل:

﴿وَيُطْعِمُونَ ٱلطَّعَامَ عَلَىٰ حُبِّهِۦ مِسْكِينًا وَيَتِيمًا وَأَسِيرًا إِنَّمَا نُطْعِمُكُمْ لِوَجْهِ ٱللَّهِ لَا نُرِيدُ مِنكُمْ جَزَآءً وَلَا شُكُورًا﴾.

ذكر الواحدي في أسباب النزول[2]، إنها نزلت في حق علي وفاطمة...

وقوله تعالى في ذكره العزيز الآية: ٧ من سورة الإنسان:

﴿يُوفُونَ بِٱلنَّذْرِ وَيَخَافُونَ يَوْمًا كَانَ شَرُّهُۥ مُسْتَطِيرًا﴾.

مرض الحسن والحسين، وهما صبيان فعادهما رسول الله ﷺ ومعه أبو بكر وعمر بن الخطاب (رض) فقال عمر (رض) لعلي (ع):

يا أبا الحسن لو نذرت عن أبنيك نذراً إن الله عافاهما، قال:

أصوم ثلاثة أيام شكراً لله.. قالت فاطمة:

وأنا أيضاً أصوم ثلاثة أيام شكراً لله... وقال الصبيان:

ونحن نصوم ثلاثة أيام شكراً لله.. وقالت جاريتهما فضة:

وأنا أصوم ثلاثة أيام شكراً لله.. فألبسهما الله العافية، فأصبحوا صياماً[3]..

وقوله تعالى في سورة الحديد الآية ١٩.

---

(١) مستدرك الصحيحين للحاكم ج٣ ص١٢٩. وورد في كنز العمال ج١ ص٢٥١ عن ابن أبي حاتم. وذكره الهيثمي في مجمعه. ج٧ ص٤١. والسيوطي في الدر المنثور وأخرجه ابن عساكر، وابن مردويه، والطبري في تفسيره ج١٣ ص٧٢ عن ابن عباس. وأبو نعيم في المعرفة والديلمي، وابن النجار، والرازي في تفسيره الكبير عن ابن عباس، والشبلنجي في نور الأبصار ص٧٠، والمناوي في كنوز الحقائق ص٤٢.

(٢) ص ٣٣١.

(٣) (فضائل الخمسة من الصحاح الستة). مرتضى الحسيني ج١ ص٣٠٣.

﴿وَالَّذِينَ ءَامَنُوا بِاللَّهِ وَرُسُلِهِ أُولَٰئِكَ هُمُ الصِّدِّيقُونَ وَالشُّهَدَاءُ عِندَ رَبِّهِمْ لَهُمْ أَجْرُهُمْ وَنُورُهُمْ﴾.

ذكر الإمام أحمد بن حنبل، أن هذه الآية نزلت في حق الإمام علي (ع)(١).

وفي سورة يس الآية ١٣:

﴿وَاضْرِبْ لَهُم مَّثَلًا أَصْحَابَ الْقَرْيَةِ إِذْ جَاءَهَا الْمُرْسَلُونَ﴾.

ذكر السيوطي في الدر المنثور في ذيل تفسير هذه الآية:

ثلاثة ما كفروا بالله قط.. مؤمن آل ياسين.. وعلي بن أبي طالب.. وآسيه امرأة فرعون..(٢)

وكذلك الآية ٣٣ من سورة الزمر:

﴿وَالَّذِي جَاءَ بِالصِّدْقِ وَصَدَّقَ بِهِ أُولَٰئِكَ هُمُ الْمُتَّقُونَ﴾ عن ابن عباس (رض) قال: جاءت هذه الآية في حق علي(٣)...

﴿إِنَّ الَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ سَيَجْعَلُ لَهُمُ الرَّحْمَٰنُ وُدًّا﴾ [سورة مريم، الآية: ٩٦].

وكان الإمام علي (ع) يدعو الله بقوله:

«اللهم اجعل لي عندك عهداً، واجعل لي في صدور المؤمنين مودة»(٤).

وذكر الزمخشري في (الكشاف) في تفسير لهذه الآية الكريمة، إن النبي ﷺ قال لعلي: **«يا علي قل: اللهم اجعل لي عندك عهداً، واجعل لي في صدور المؤمنين مودة»**. فنزلت تلك الآية الشريفة(٥).

---

(١) (علي في القرآن) علي محمد علي دخيل ص٣٦.

(٢) فضائل الخمسة من الصحاح الستة ج١ ص٢٢٤.

(٣) رواه سعيد عن الضحاك. وعبيدة بن حميد عن منصور عن مجاهد. وأبو بكر الحضرمي. وعلي بن أبي حمزة. وابن مردويه عن أبي هريرة كما ورد في (الدر المنثور) للسيوطي.

(٤) الشرقاوي في (علي إمام المتقين) ج١ ص٥٦.

(٥) (الدر المنثور) للحافظ السيوطي. وأخرجه ابن مردويه والديلمي عن البراء. والطبراني في =

وفي سورة البينة الآية ٧، جاء في الإمام:

﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ أُو۟لَٰٓئِكَ هُمْ خَيْرُ ٱلْبَرِيَّةِ﴾.

كانت الصحابة تقول عند مجيء الإمام علي (ع) عليهم:

جاء خير البرية[1]... وفي تفسير الطبري عن أبي الجارود عن محمد بن علي... قال:

قال النبي ﷺ لعلي عندما نزلن هذه الآية: «أنت يا علي خير البرية»[2]...

﴿۞ أَجَعَلْتُمْ سِقَايَةَ ٱلْحَآجِّ وَعِمَارَةَ ٱلْمَسْجِدِ ٱلْحَرَامِ كَمَنْ ءَامَنَ بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْءَاخِرِ وَجَٰهَدَ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ ۚ لَا يَسْتَوُۥنَ عِندَ ٱللَّهِ ۗ وَٱللَّهُ لَا يَهْدِى ٱلْقَوْمَ ٱلظَّٰلِمِينَ﴾

[سورة التوبة، الآية: ١٩].

قال أحد الصحابة لعلي: أنا خير منك فأنا أسقي الحجيج..

وافتخر الآخر بأن له ولقومه البيت الحرام..

فقال لهما علي أنه سبقهما إلى الإسلام والهجرة، والجهاد في سبيل الله.. ثم روى للنبي ﷺ ما حدث... فنزلت هذه الآية الكريمة[3].

ورد في (أسباب النزول) للواحدي قال: قال الحسن والشعبي والقرطبي، نزلت هذه الآية أجعلتم سقاية الحاج.. الخ) في علي (ع) والعباس وطلحة بن شيبة..

= (الأوسط) عن ابن عباس. والهيثمي في (مجمعه) ج٩ ص١٢٥. (الرياض النضرة) ج٢ ص٢٠٧. وأخرجه الحافظ السلفي، وابن حجرفي (صواعقه) ص١٠٢.. وذكره الشبلنجي في (نور الإبصار) ص١٠١. (فضائل الخمسة) ج١ ص٣٢٣.

(١) علي إمام المتقين عبد الرحمن الشرقاوي ج١ ص٥٦.

(٢) ج٣ ص١٧١. وورد في (الدر المنثور) للسيوطي. وأخرجه ابن عساكر عن جابر بن عبد الله. وابن عدي عن أبي سعيد الخدري وعن بعد الله بن عباس (رض). وابن مردويه،. وورد في (الصواعق المحرقة) لابن حجر العسقلاني ص٩٦. كما أخرج الحافظ جمال الدين الزرندي عن ابن عباس. وذكره الشبلبخي في (نور الأبصار) ص١٠٠ ـ ١٠١.

(٣) (علي إمام المتقين) عبد الرحمن الشرقاوي ج١ ص٥٦.

وذلك أنهم افتخروا.. فقال طلحة: أنا صاحب البيت بيدي مفتاحه، والي ثياب بيته.

وقال العباس: أنا صاحب السقاية، والقائم عليها..

وقال علي: «لقد صليت ستة أشهر قبل الناس، وأنا صاحب الجهاد».. فأنزل الله تعالى تلك الآية الكريمة..[1].

﴿ٱلَّذِينَ يُنفِقُونَ أَمْوَٰلَهُم بِٱلَّيْلِ وَٱلنَّهَارِ سِرًّا وَعَلَانِيَةً فَلَهُمْ أَجْرُهُمْ عِندَ رَبِّهِمْ وَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ﴾ [سورة البقرة، الآية: ٢٧٤].

هذه الآية نزلت في أبي بكر الصديق، وعلي بن أبي طالب معاً[2]...

ونزلت في حمزة وعلي وأبي جهل الآية ٦١ من سورة القصص:

﴿أَفَمَن وَعَدْنَٰهُ وَعْدًا حَسَنًا فَهُوَ لَٰقِيهِ كَمَن مَّتَّعْنَٰهُ مَتَٰعَ ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا ثُمَّ هُوَ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ مِنَ ٱلْمُحْضَرِينَ﴾[3].

وقوله تعالى:

﴿أَفَمَن شَرَحَ ٱللَّهُ صَدْرَهُۥ لِلْإِسْلَٰمِ فَهُوَ عَلَىٰ نُورٍ مِّن رَّبِّهِۦ ۚ فَوَيْلٌ لِّلْقَٰسِيَةِ قُلُوبُهُم مِّن ذِكْرِ ٱللَّهِ ۚ أُو۟لَٰٓئِكَ فِى ضَلَٰلٍ مُّبِينٍ﴾ [سورة الزمر، الآية: ٢٢].

هذه الآية نزلت في علي بن أبي طالب.. وحمزة (رض).. وأبي لهب وأولاده.. فعلي وحمزة شرح الله صدرهما للإسلام.. وأبو لهب وأولاده قست قلوبهم[4]....

وقال علي: «**إن في كتاب الله لآية ما عمل بها أحد قبلي.. وما يعمل بها أحد بعدي..**» هي آية النجوى:

---

(١) الطبري في (تفسيره) ج١٠ ص٦٨. والفخر الرازي في (تفسيره). والسيوطي في (الدر المنثور). وأخرج ذلك ابن أبي شيبة وابن جرير وابن أبي حاتم وابن مردويه وعبد الرزاق وابن المنذر عن الشعبي.

(٢) علي إمام المتقين عبد الرحمن الشرقاوي ج١ ص٥٥.

(٣) المصدر السابق ص٥٧. والطبري في تفسيره ج٢٠ ص٦٢. والواحدي في أسباب النزول ص٢٥٥.

(٤) الطبري في الرياض النضرة ج٢ ص٢٠٧. الواحدي في أسباب النزول.

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِذَا نَٰجَيۡتُمُ ٱلرَّسُولَ فَقَدِّمُواْ بَيۡنَ يَدَيۡ نَجۡوَىٰكُمۡ صَدَقَةٗۚ﴾ [سورة المجادلة، الآية: ١٢].

كان عندي دينار فصرفته عشرة دراهم، فكنت كلما ناجيت الرسول ﷺ قدمت بين يدي درهماً (أي أتصدق بدرهم).. ثم نسخت الآية فلم يعمل بها أحد[١]..

وفي سورة النحل الآية ٤٣. والآية ٧ من سورة الأنبياء.

﴿... فَسۡـَٔلُوٓاْ أَهۡلَ ٱلذِّكۡرِ إِن كُنتُمۡ لَا تَعۡلَمُونَ﴾.. قال الإمام علي (ع):

«نحن أهل الذكر، إسألونا»[٢].

وقوله تعالى:

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ وَكُونُواْ مَعَ ٱلصَّٰدِقِينَ﴾ [سورة التوبة، الآية: ١١٩].

وفسّر تلك الآية السيوطي في (الدر المنثور) مع علي بن أبي طالب.. كما أخرج ذلك ابن مردويه عن ابن عباس. وأخرج ابن عساكر عن أبي جعفر في قوله: ﴿ وَكُونُواْ مَعَ ٱلصَّٰدِقِينَ ﴾ مع علي[٣]..

وفي سورة المائدة الآية ٥٤:

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ مَن يَرۡتَدَّ مِنكُمۡ عَن دِينِهِۦ فَسَوۡفَ يَأۡتِي ٱللَّهُ بِقَوۡمٖ يُحِبُّهُمۡ وَيُحِبُّونَهُۥٓ أَذِلَّةٍ عَلَى ٱلۡمُؤۡمِنِينَ أَعِزَّةٍ عَلَى ٱلۡكَٰفِرِينَ يُجَٰهِدُونَ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ وَلَا يَخَافُونَ لَوۡمَةَ لَآئِمٖۚ ذَٰلِكَ فَضۡلُ ٱللَّهِ يُؤۡتِيهِ مَن يَشَآءُۚ وَٱللَّهُ وَٰسِعٌ عَلِيمٌ﴾.

ذكر العلامة فخر الدين الرازي في تفسيره الكبير في ذيل تفسير هذه الآية الشريفة، إنها نزلت في علي (ع).. ويدل عليه وجهان:

الأول: إن الرسول ﷺ لما دفع الراية إلى علي يوم خيبر، قال:

---

(١) علي إمام المتقين ص ٥٧.

(٢) المصدر السابق ص٥٦.

(٣) (فضائل الخمسة من الصحاح الستة) مرتضى الحسيني ج١ ص٣٢٩.

«لأدفعن الراية غداً إلى رجل يحب الله ورسوله، ويحبه الله ورسوله»، وهذا هو الصفة المذكورة في الآية.

والثاني: إن الله سبحانه وتعالى ذكر بعد هذه الآية:

﴿إِنَّمَا وَلِيُّكُمُ اللَّهُ وَرَسُولُهُ وَالَّذِينَ آمَنُوا الَّذِينَ يُقِيمُونَ الصَّلَاةَ وَيُؤْتُونَ الزَّكَاةَ وَهُمْ رَاكِعُونَ﴾ [سورة المائدة، الآية: ٥٥] وهذه الآية في حق علي، فكان الأول جعل ما قبلها أيضاً في حقه[1]..

والآية ١٩ و٢٠ من سورة الرحمن قوله تعالى:

﴿مَرَجَ الْبَحْرَيْنِ يَلْتَقِيَانِ بَيْنَهُمَا بَرْزَخٌ لَا يَبْغِيَانِ﴾.

ورد في الدر المنثور للسيوطي في ذيل تفسير الآيتين الكريمتين قال: وأخرج ابن مردويه عن أنس بن مالك، وعن ابن عباس في قوله: ﴿مَرَجَ الْبَحْرَيْنِ يَلْتَقِيَانِ﴾، قال: علي وفاطمة..

﴿وبَيْنَهُمَا بَرْزَخٌ لَا يَبْغِيَانِ﴾، قال: النبي ﷺ... ﴿ويَخْرُجُ مِنْهُمَا اللُّؤْلُؤُ وَالْمَرْجَانُ﴾ قال: الحسن والحسين...[2].

وقوله تعالى في سورة الجاثية الآية ٢١:

﴿أَمْ حَسِبَ الَّذِينَ اجْتَرَحُوا السَّيِّئَاتِ أَنْ نَجْعَلَهُمْ كَالَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ سَوَاءً مَحْيَاهُمْ وَمَمَاتُهُمْ سَاءَ مَا يَحْكُمُونَ﴾.

ذكر الفخر الرازي في تفسيره الكبير، قال: قال الكلبي:

نزلت هذه الآية في علي.. وحمزة.. وعبيدة.. وفي ثلاثة من المشركين، هم: عتبه.. وشيبة.. والوليد بن عتبة.. قالوا للمؤمنين:

والله ما أنتم على شيء، ولو كان ما تقولون حقاً لكان حالنا أفضل من حالكم في الآخرة، كما إنا أفضل حالاً منكم في الدنيا!.. فأنكر الله عليهم هذا الكلام،

---

(١) المصدر السابق ص٣٢٨.

(٢) كما ورد ذلك في (نور الأبصار) للشبلنجي ص١٠١.. وفي (فضائل الخمسة من الصحاح الستة) لمرتضى الحسيني ج١ ص٣٣٣.

وبيَّنَ لهم في هذه الآية أن لا يكون حال المؤمن المطيع مساوياً لحال الكافر العاصي في درجات الثواب ومنازل العادات(١) . . .

﴿وَيُؤْثِرُونَ عَلَىٰٓ أَنفُسِهِمْ وَلَوْ كَانَ بِهِمْ خَصَاصَةٌ وَمَن يُوقَ شُحَّ نَفْسِهِۦ فَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُفْلِحُونَ﴾ [سورة الحشر، الآية: ٩] عن أبي هريرة قال:

إنها جاءت في علي بن أبي طالب، عندما جاء رجل إلى النبي ﷺ فشكا إليه الجوع. فأطعمه علي قوت أولاده وهم صبية(٢) . . .

وهناك آيات أخرى فيها لعلي بن أبي طالب بعض من الذكر. . نورد منها، ونمر عليها. .

﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ يَغُضُّونَ أَصْوَٰتَهُمْ عِندَ رَسُولِ ٱللَّهِ أُوْلَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ ٱمْتَحَنَ ٱللَّهُ قُلُوبَهُمْ لِلتَّقْوَىٰ لَهُم مَّغْفِرَةٌ وَأَجْرٌ عَظِيمٌ﴾ [سورة الحجرات، الآية: ٣].

﴿أَمَّنْ هُوَ قَٰنِتٌ ءَانَآءَ ٱلَّيْلِ سَاجِدًا وَقَآئِمًا يَحْذَرُ ٱلْءَاخِرَةَ وَيَرْجُواْ رَحْمَةَ رَبِّهِۦ قُلْ هَلْ يَسْتَوِى ٱلَّذِينَ يَعْلَمُونَ وَٱلَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ إِنَّمَا يَتَذَكَّرُ أُوْلُواْ ٱلْأَلْبَٰبِ﴾ [سورة الزمر، الآية: ٩].

وفي سورة النساء الآية ٦٩:

﴿وَمَن يُطِعِ ٱللَّهَ وَٱلرَّسُولَ فَأُوْلَٰٓئِكَ مَعَ ٱلَّذِينَ أَنْعَمَ ٱللَّهُ عَلَيْهِم مِّنَ ٱلنَّبِيِّـۧنَ وَٱلصِّدِّيقِينَ وَٱلشُّهَدَآءِ وَٱلصَّٰلِحِينَ وَحَسُنَ أُوْلَٰٓئِكَ رَفِيقًا﴾.

﴿ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَلَمْ يَلْبِسُوٓاْ إِيمَٰنَهُم بِظُلْمٍ أُوْلَٰٓئِكَ لَهُمُ ٱلْأَمْنُ وَهُم مُّهْتَدُونَ﴾ [سورة الأنعام، الآية: ٨٢].

وفي سورة السجدة الآية ١٦:

﴿تَتَجَافَىٰ جُنُوبُهُمْ عَنِ ٱلْمَضَاجِعِ يَدْعُونَ رَبَّهُمْ خَوْفًا وَطَمَعًا وَمِمَّا رَزَقْنَٰهُمْ يُنفِقُونَ﴾.

(١) المصدر السابق ص٣٣٤.

(٢) (علي في القرآن) علي محمد علي دخيل ص٣٧.

تلك الآيات الشريفة نزلت في حق علي بن أبي طالب (ع) دون غيره من الصحابة الذين كانوا يعرفون أنها نزلت في علي. . ويعرفون لعلي قدره[1]. .

وتحاشياً للإطالة، نكتفي بهذا القدر من ذكر الآيات الكريمة.

والآيات في علي (ع) كثيرة، وعديدة حتى عدّها عبد الله بن عباس (رض) (حبر الأمة) بثلاث مئة آية (كما ذكرنا).

(١) (علي إمام المتقين) عبد الرحمن الشرقاوي ج١ ص٥٨.

٤ حديث الدار

﴿وَأَنذِرْ عَشِيرَتَكَ ٱلْأَقْرَبِينَ﴾ [سورة الشعراء، الآية: ٢١٤]

ذكر ابن جرير الطبري في (تاريخه)[1] عن أبي حميد، قال: حدثني محمد بن إسحاق عن عبد الغفار بن القاسم، عن المنهال بن عمر، عن عبد الله بن الحارث بن نوفل بن الحارث بن عبد المطلب، عن عبد الله بن عباس، عن علي بن أبي طالب، قال:

.. لما نزلت هذه الآية ﴿وَأَنذِرْ عَشِيرَتَكَ ٱلْأَقْرَبِينَ﴾، دعاني رسول الله ﷺ فقال لي:

يا علي إن الله أمرني أن أنذر عشيرتي الأقربين.. فاصنع لنا صاعاً من طعام، واجعل عليه رجل شاة، وإملأ لنا عساً من لبن..

ثم اجمع لي بني عبد المطلب حتى أُكلمهم وأُبلغهم ما أُمرت به..

ثم دعوتهم له، وهم يومئذٍ أربعون رجلاً يزيدون رجلاً أو ينقصونه.. وفيهم أعمامه أبو طالب.. وحمزة.. والعباس.. وأبو لهب..

فلما اجتمعوا إليه دعاهم إلى الطعام، فأكلوا حتى شبعوا.. وبقي الطعام كما هو كأنه لم يُمسّ..

فلما أراد رسول الله ﷺ أن يكلمهم، قاطعه أبو لهب، فقال: لشد ما سحركم صاحبكم!

فتفرق القوم، ولم يستطع الرسول ﷺ أن يقول لهم ما كان يريد قوله...

فقال ﷺ الغد يا علي.. فجمعهم ثانية، فقال لهم:

---

(١) ج٢ ص٢١٦.

«يا بني عبد المطلب إني والله ما أعلم شاباً في العرب جاء قومه بأفضل مما قد جئتكم. . .

إني قد جئتكم بخير الدنيا والآخرة. . وقد أمرني الله تعالى أن أدعوكم إليه، فأيكم يؤازرني على هذا الأمر على أن يكون أخي ووصيي وخليفتي فيكم؟».

فأحجم القوم عنها جميعاً. .

وقلت أني لأحدثهم سناً، وأرمصهم عيناً، وأعظمهم بطناً، وأحمشهم ساقاً: أنا يا نبي الله، أكون وزيرك عليه. . فقال لي: اجلس. . ثم قال ثلاث مرات كل ذلك أقوم عليه. . فيقول لي: اجلس. . حتى كان في الثالثة، فأخذ برقبتي ثم قال:

«إن هذا أخي ووصيي وخليفتي فيكم، فاسمعوا له وأطيعوا. . ».

فقام القوم يضحكون، ويقولون لأبي طالب، قد أمرك أن تسمع لابنك وتطيع.

ويستدل من هذا الحديث أن النبي ﷺ سمى خليفته من بعده في بدء الدعوة، واستوزر علياً له خلال فترة النبوة. . فكان وزيره في حياته، وخليفته بعد مماته. .

وحديث الدار هذا أخرجه وذكره غالبية الثقاة من الرواة، وفي مقدمتهم الإمام أحمد بن حنبل في (مسنده)(١). . . وعبد الله بن الإمام أحمد في (زيادات المسند). . . والجاحظ في (رسالته عن بني هاشم). . والثعلبي في (تفسيره). . والطبري في (تاريخ الأمم والملوك). . . والنسائي في (خصائصه)(٢). . . والطبري في (تاريخه)(٣). . . وابن أبي الحديد المعتزلي في (شرحه لنهج البلاغة)(٤) وعماد

---

(١) ج١ ص١٥٩.

(٢) ص١٨.

(٣) ج١ ص٢١٧.

(٤) ج٣ ص٢٥٥.

الدين الدمشقي في (تاريخه)[1].. والحاكم في (المستدرك)[2] وفي (كنز العمال)... والبغدادي في (تفسيره)[3] والسيوطي في (جمع الجوامع)[4].. وابن تيميه في (منهاج السنة)[5]... والحلبي في (سيرته)[6].

وأخرجه الذهبي، وابن مردويه، وأبي نعيم، والبيهقي في (سننه) وفي (الدلائل) وكذلك أبو الفداء في الجزء الأول من (تاريخه)، وسعيد بن منصور في (السنن).. وأبو إسحاق الثعلبي في (الكشف والبيان).. والهيثمي في (جمع الفوائد)... وابن عبد ربه في (العقد الفريد)... كما ورد في (حياة محمد) لمحمد حسين هيكل في طبعته الأولى[7].. كما ذكر هذا الحديث الكاتب المصري عبد المسيح الأنطاكي.. وتوماس كارليل في كتابه (الأبطال).. أما المؤرخ والكاتب الكبير جرجي زيدان فقد أورد هذا الحديث في كتابه (تاريخ التمدن الإسلامي)[8]..

أما الرواة والمؤرخون والفقهاء من الشيعة، فقد أجمعوا على ذكر هذا الحديث دون أن ينكره أو يسكت عنه أي كاتب أو مؤرخ، واستندوا على مصادر مهمة وردت في كتب التاريخ المنقولة عن الصحابة، وعن علماء وفقهاء من أهل السنة..

ذكر الشيخ المفيد المتوفي (٤١٣هـ) في كتابه المشهور (الإرشاد)[9]:

إن لهذا الحديث أهمية كبيرة فهو يرى الإمام أهلاً للوصية، وإن الوصية له دون غيره...

---

(١) ج١ ص١١٦.
(٢) ج٣ ص١٣٢.
(٣) ص٣٩٠.
(٤) ج٦ ص٣٩٢.
(٥) ج٤ ص٨٠.
(٦) ج١ ص٣٠٤.
(٧) الطبعة الأولى ص١٠٤.
(٨) ج١ ص٣١.
(٩) ص١١ ـ ٣٠.

ويرى أن مؤازرة الإمام علي للنبي ﷺ في تلك الفترة الحرجة من تاريخ الإسلام عند بداية ظهوره، من المناقب الجليلة التي انفرد بها علي بن أبي طالب..

وهي من الأمور الدالة على وصاية النبي ﷺ له..

٥

خصوصية الإمام بوصية الرسول ﷺ في آل بيته

قال الإمام علي (ع):

«إن الله تعالى طهرنا وعصمنا نحن آل البيت، وجعلنا شهداء على خلقه وحُججاً على عباده، وجعلنا مع القرآن، وجعل القرآن معنا لا نفارقه ولا يفارقنا».

أخرج مسلم في صحيحه، في كتاب فضائل الصحابة، في باب فضائل أهل بيت النبي ﷺ بسنده عن صفية بنت شيبة عن عائشة (رض):

خرج النبي ﷺ ذات غداة وعليه مرطٌ مرجّل من شعر أسود.. فجاء الحسن بن علي، فأدخله.. ثم جاء الحسين فأدخله.. ثم جاءت فاطمة فأدخلها.. ثم جاء علي فأدخله.. ثم قال ﷺ:

﴿إِنَّمَا يُرِيدُ ٱللَّهُ لِيُذْهِبَ عَنكُمُ ٱلرِّجْسَ أَهْلَ ٱلْبَيْتِ وَيُطَهِّرَكُمْ تَطْهِيرًا﴾[1] [سورة الأحزاب، الآية: ٣٣].

وقد ذكر ذلك أبو سعيد الخدري.. كما أخرجه الترمذي في (صحيحه) عن أم سلمى وعن سعد بن أبي وقاص.. كما أخرجه أحمد في (المناقب)... والطبراني في (معجمه).. وكذلك ابن جرير الطبري... وغيرهم.

وللغساني[2] في (معجمه) الذي أضاف على ذلك الحديث، أن رسول الله ﷺ رفع يده إلى السماء، وقال:

---

(١) صحيح مسلم ج٧ ص١٣٠.

(٢) يحيى بن قيس بن حارثة بن زيد بن عبد مناة الغساني، استعمله عمر بن عبد العزيز على القضاء في الموصل، وكان عالماً بالفتيا والقضاء، توفي سنة ١٣٣هـ.

«اللهم هؤلاء أهل بيتي وحامّتي وخاصتي، اللهم إذهب عنهم الرجس وطهرهم تطهيرا، أنا حرب لمن حاربهم، وسلم لمن سالمهم، وعدو لمن عاداهم»...

أخرجه الإمام النسائي في (خصائصه).. والبخاري في (التاريخ الكبير).. وابن حجر العسقلاني في (الإصابة).. والإمام الرازي في (تفسيره)... وابن الجوزي في (تذكرة الخواص).. وابن الأثير في (أسد الغابة)... والسيوطي في (الدر المنثور)..

كما أخرجه الحافظ عبد العزيز بن محمود بن المبارك بن الأخضر الجنابذي، المعروف بالبزار[1] في (معالم العترة النبوية)... وكذلك ابن عساكر في (تاريخه).. والزمخشري في (تفسير الكشاف)... وابن كثير في (تفسيره)... وابن عبد ربه في (العقد الفريد).. والحاكم في (شواهد التنزيل) و(منتخب كنز العمال)... والخوارزمي في (المناقب)... والقرطبي في (تفسيره)[2]... وورد في (مسند) الإمام أحمد بن حنبل[3]... وفي (المستدرك) أيضاً.. وذكره البيهقي، عن شهر بن حوشب عن أم سلمى زوج الرسول ﷺ..

وقد اختلف المفسرون في المراد بقوله تعالى في هذه الآية: ﴿أَهْلَ ٱلْبَيْتِ﴾... فقالت فرقة... ومنهم أبو بكر النقاش[4]:

هم نساء النبي ﷺ، لأنهن في بيت سكناه، لقوله تعالى: ﴿وَٱذْكُرْنَ مَا يُتْلَىٰ فِى بُيُوتِكُنَّ﴾ [سورة الأحزاب، الآية: ٣٤].

إلا أن أكثر الفرق قالت:

إن أهل البيت هم: محمد وعلي وفاطمة والحسن والحسين..

وقد أجمع أهل التفسير إنها نزلت فيهم.. واستدلوا بتذكير الضمير في قوله

---

(١) ولد في بغداد عام ٥٢٤هـ، وتوفي فيها عام ٦١١هـ.

(٢) (فاسألوا أهل الذكر) د. محمد التيجاني السماوي ص٧٠.

(٣) ج٤ ص١٠٧.

(٤) توفي بالقاهرة سنة ٣٦٧هـ.

تعالى: ﴿لِيُذْهِبَ عَنكُمُ ٱلرِّجْسَ أَهْلَ ٱلْبَيْتِ وَيُطَهِّرَكُمْ تَطْهِيرًا﴾ [سورة الأحزاب، الآية: ٣٣]. .

إذ لو كان لنسائه خاصة، قال: (عنكنّ. . . ويُطَهِّركُنّ. .)[١]. . .

كما أن نساء النبي ﷺ لم تدعي واحدة منهن إنها من أهل البيت، كعائشة وأم سلمى، وغيرهن. .

وقد ذكر كل من مسلم، والترمذي. . والحاكم، والطبري، والسيوطي، والذهبي، وابن الأثير. إن تلك الآية نزلت في حق:

(محمد ﷺ. . . وعلي. . . وفاطمة. . والحسن. . . والحسين)[٢].

خطب الإمام الحسن بن علي بن أبي طالب (ع)، وقال:

(. . أنا أهل البيت الذين أذهب الله عنهم الرجس وطهرهم تطهيرا. . . وإنا أهل البيت الذين افترض الله عز وجل مودتهم وولايتهم، فقال فيما أنزل على محمد ﷺ ﴿قُل لَّآ أَسْـَٔلُكُمْ عَلَيْهِ أَجْرًا إِلَّا ٱلْمَوَدَّةَ فِى ٱلْقُرْبَىٰ﴾ [سورة الشورى، الآية: ٢٣]. . رواه البزار، والطبراني[٣] ولأبي بشر الدولابي عن طريق الحسن بن زيد بن حسن بن علي عن أبيه:

إن الحسن بن علي (ع)، خطب، فقال في خطبته:

(أنا من أهل البيت الذين افترض الله مودتهم على كل مسلم، فقال لنبيه ﷺ: ﴿قُل لَّآ أَسْـَٔلُكُمْ عَلَيْهِ أَجْرًا إِلَّا ٱلْمَوَدَّةَ فِى ٱلْقُرْبَىٰ وَمَن يَقْتَرِفْ حَسَنَةً نَّزِدْ لَهُۥ فِيهَا حُسْنًا إِنَّ ٱللَّهَ غَفُورٌ شَكُورٌ﴾ [سورة الشورى، الآية: ٢٣] فاقتراف الحسنة مودتنا أهل البيت)[٤].

وعن ابن عباس (رض):

---

(١) (جواهر العقدين في فضائل الشرفين) لعلي بن عبد الله السمهوري ـ إصدار وزارة الأوقاف العراقية ج١ ص١٧.

(٢) (فاسألوا أهل الذكر) د. محمد التيجاني السماوي ص٧٢.

(٣) (الصواعق المحرقة) لابن حجر العسقلاني ص٨٨.

(٤) (الذرية الطاهرة) للدولابي. . (ذخائر العقبى) ص١٣٨. . (الصواعق المحرقة) ص١٣٩.

(سُئل رسول الله ﷺ مَنْ قرابتك هؤلاء اللذين وجبت علينا مودتهم؟... قال ﷺ: **علي وفاطمة وأبناهما..)**[1]..

أخرجه الإمام أحمد بن حنبل في (المناقب) والطبراني.. والحاكم.. وابن أبي حاتم عن ابن عباس.. وابن حجر.. وابن مردويه والسيوطي في (الدر المنثور).. والحافظ أبو نعيم في (حليته)... والحمويني في (فرائده) والواحدي.. وابن المغازلي في (المناقب).. والزمخشري في (الكشاف).. والطبري في (الذخائر).. والنيسابوري في (تفسيره)... وابن طلحة الشافعي في (مطالب السؤال) والرازي في (تفسيره).. وأبو حيان في (تفسيره).. والمالكي في (الفصول المهمة).. والهيثمي في (المجمع).. والكنجي الشافعي في (كفاية الطالب)..

ورواه البخاري في (صحيحه) عن ابن عباس.. والعسقلاني في (المواهب).. وغيرهم..

قال رسول الله ﷺ:

«والذي نفسي بيده لا يؤمن عبد بي حتى يحبني، ولا يحبني حتى يحب ذويّ»[2].

وقال ﷺ:

«ألا مَنْ آذى قرابتي فقد أذاني.. ومَنْ آذاني فقد أذى الله تعالى»[3].

وقال رسول الله ﷺ:

«إني تارك فيكم ما إن تمسكتم به لن تضلوا، كتاب الله.. وعترتي»[4].

---

(1) المعجم الكبير ج٣ ص٣٩.

(2) (الصواعق المحرقة) لابن حجر العسقلاني ص١٤١.

(3) ينابيع المودة ص١٩٠.

(4) صحيح مسلم باب فضائل علي ج٧ ص١٢٣.

وأخرج الإمام أحمد بن حنبل في (مسنده) عن أبي سعيد الخدري، إن رسول الله ﷺ قال:

«إني أُوشك أن أُدعىٰ فأُجيب، وإني تارك فيكم الثقلين.. كتاب الله حبل ممدود من السماء إلى الأرض... وعترتي أهل بيتي، أذكركم الله في أهل بيتي.. أذكركم الله في أهل بيتي.. وإن اللطيف الخبير أخبرني إنهما لن يفترقا حتى يردا عليّ الحوض، فانظروا بِمَ تخلفوني فيهما»(1).

أخرجه كذلك الطبراني في (الأوسط)... وأبو يعلي... والترمذي.. والنسائي في (خصائصه) عن جابر... المحاملي.. والذهبي في (هامش المستدرك)..

وورد كذلك في (مستدرك الحاكم)... وفي كنز العمال.. و(الطبقات الكبرى) لابن سعد... و(جامع الأصول) و(أسد الغابة) لابن الأثير.. و(الجامع الصغير) للسيوطي... وغيرهم(2).

قيل لزيد بن أرقم، مَنْ أهل بيته.. نساؤه!! فقال:

(لا وأيمُ الله إن المرأة تكون مع الرجل العصر من الدهر ثم يطلقها فترجع إلى أبيها وقومها..

---

(1) مسند الإمام أحمد بن حنبل ج٣ ص١٧.. ذخائر العقبى ص١٦ ابن حجر في (الصواعق المحرقة) ص٨٧ وابن كثير في (البداية والنهاية) ج٥ ص٢٢٨.. وأبو بكر الهيثمي (مجمع الزوائد) ج٩ ص١٦٣.. والمناوي في (فيض القدير) ج٣ ص١٥.

(2) روى هذا الحديث مشاهير الصحابة عن النبي ﷺ كالإمام علي (ع) نفسه.. وكذلك الصحابي الجليل أبي ذر الغفاري.. جابر بن عبد الله الأنصاري.. زيد بن أرقم.. أبي سعيد الخدري.. زيد بن ثابت.. حذيفة بن أسيد الغفاري.. عبد الله بن حنطب.. أبي هريرة.. وأنس بن مالك.. عبد الله بن عباس.. أم هاني بنت أبي طالب.. فاطمة الزهراء بنت الرسول ﷺ.. حبشي بن جنادة.. الصحابي سلمان الفارسي.. عبد الرحمن بن عوف.. سعد بن أبي وقاص.. حمزة الأسلمي.. الحسن بن علي.. أبو رافع.. حذيفة بن اليمان.. ابن أبي الدنيا.. جرير بن عبد الله.. محمد بن فلاد.. وكثير غيرهم..

أهل بيته أصله وعصبته الذين حُرِمُوا الصدقة بعده..)

قيل له.. ومَنْ هم؟؟ قال:

(هم آل علي.. وآل عقيل... وآل جعفر.. وآل العباس..)[1].

اعتاد رسول الله ﷺ بعد نزول الآية الكريمة:

﴿إِنَّمَا يُرِيدُ ٱللَّهُ لِيُذْهِبَ عَنكُمُ ٱلرِّجْسَ أَهْلَ ٱلْبَيْتِ وَيُطَهِّرَكُمْ تَطْهِيرًا﴾ [سورة الأحزاب، الآية: ٣٣] أن يمر على بيت علي وفاطمة وولديها قبل الشروع في إقامة الصلاة، حيث يتلو هذه الآية ببابهم، قاصداً تعليم المسلمين بمقصود الآية الكريمة..

هذا ما ذكره كل من الترمذي في (صحيحه).. والحاكم في (المستدرك)... والإمام أحمد في (مسنده)... وابن الأثير في (أسد الغابة).. والحسكاني في (شواهد التنزيل).. والسيوطي في (الدر المنثور)... والطبري في (تفسيره)... والبلاذري في (أنساب الأشراف) وابن كثير في (تفسيره)[2].

وعن ابن عمر قال: آخر ما تكلم به رسول الله ﷺ قال:

«اخلفوني في أهل بيتي»[3].

وعن أبي هريرة (رض) قال:

قال رسول الله ﷺ: **«إني خلفت فيكم اثنين لن تضلوا بعدهما أبداً، كتاب الله ونسبي، ولن يتفرقا حتى يردا علي الحوض»**.

أخرجه البزار في (مسنده). وقد ذكر ذلك أبي رافع مولى رسول الله ﷺ.. والإمام علي نفسه.. وغيرهم[4].

(١) صحيح مسلم ج٧ ص١٢٣.. و(رياض الصالحين في كلام سيد المرسلين) لمحي الدين الشافعي ص١٠٩.

(٢) (مع الصادقين) د. محمد التيجاني السماوي ص٧٢.

(٣) (زوائد المعجمين) ج٢ ص٣٤٩.. (الأوسط) للطبراني.. (فضائل الخمسة في الصحاح الستة) ج٢ ص٧١.

(٤) أهم المصادر التي ذكرت حديث النبي (ص): (إني تارك فيكم الثقلين..) هي: الترمذي في =

الصلاة على آل محمد . .

عن عبد الرحمن بن أبي ليلى . . . عن كعب عجرة، قال:

سألنا رسول الله ﷺ، فقلنا: يا رسول الله كيف الصلاة عليكم أهل البيت؟

قال: **«قولوا اللهم صل على محمد وعلى آل محمد كما صليت على إبراهيم وعلى آل إبراهيم إنك حميد مجيد»**[1].

ورد في (سنن) الدارقطني[2] عن أبي مسعود الأنصاري، قال:

قال رسول الله ﷺ:

«مَن صلى صلاة لم يصل فيها عليَّ، ولا على أهل بيتي لم تقبل منه».

وفي سنن البيهقي[3] ورد ذلك الحديث . . كما ورد في ذخائر العقبى[4] . . . وكذلك في الصواعق المحرقة[5] . . .

وفي صحيح البخاري في كتاب الدعوات في باب الصلاة على النبي ﷺ، بسنده عن عبد الرحمن بن أبي ليلى قال: قال رسول الله ﷺ:

«قولوا اللهم صل على محمد وعلى آل محمد كما صليت على آل إبراهيم إنك حميد مجيد. اللهم بارك على محمد وعلى آل محمد كما باركت على آل إبراهيم إنك حميد مجيد».

هذا الحديث رواه مسلم في (صحيحه) في كتاب الصلاة في باب الصلاة

= (صحيحه) ج٢ ص٣٠٨.. ابن الأثير في (أسد الغابة) ج٢ ص١٢.. السيوطي في (الدر المنثور).. (مستدرك الصحيحين) ج٣ ص١٠٩.. (الخصائص) للنسائي ص٢١.. الإمام أحمد في (مسنده) ج٣ ص١٧.. ابن سعد في (طبقاته) ج٢/ القسم الثاني ص٢.. (حلية الأولياء) لأبي نعيم ج١ ص٣٥٥.. الخطيب البغدادي في (تاريخ بغداد) ج٨ ص٤٤٢. (كنز العمال) ج٧ ص٢٢٥ الهيثمي في (معجمه) ج٩ ص١٦٤.. (الصواعق المحرقة) لابن حجر العسقلاني ص٧٥.

(١) أخرجه الحاكم في (المستدرك) ج٣ ص١٤٨.

(٢) ص١٣٦.

(٣) ج٢ ص٣٧٩.

(٤) ص١٩.

(٥) ص٨٨.

على النبي ﷺ بعد التشهد. . . ورواه النسائي أيضاً. . وابن ماجة. . وأبو داود. . والخطيب البغدادي في (تاريخه). . . والإمام أحمد بن حنبل. . وورد في (كنز العمال). .

قال رسول الله ﷺ:

«لا تصلوا عليّ الصلاة البتراء». فقالوا: وما الصلاة البتراء؟ قال:

«تقولون: اللهم صل على محمد وتمسكون. . بل قولوا: اللهم صل على محمد وعلى آل محمد»[1].

ورد في الكتاب الكريم في سورة الأحزاب الآية ٥٦:

﴿إِنَّ ٱللَّهَ وَمَلَٰٓئِكَتَهُۥ يُصَلُّونَ عَلَى ٱلنَّبِيِّۚ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ صَلُّواْ عَلَيْهِ وَسَلِّمُواْ تَسْلِيمًا﴾ وبعد نزول هذه الآية الكريمة، دعى رسول الله ربه وقال:

«اللهم إنهم مني وأنا منهم، فاجعل صلواتك ورحمتك ومغفرتك ورضوانك علي وعليهم»[2].

إذ مقتضى استجابة هذا الدعاء، أن الله عز وجل خصهم بالصلاة عليهم معه إذ كانت صلاة الله عليه وعليهم. . كذلك شرعت صلاة المؤمنين عليهم معه كما يقتضيه سياق الآية الكريمة. . فينتج من ذلك دخولهم في قوله عز وجل:

﴿إِنَّ ٱللَّهَ وَمَلَٰٓئِكَتَهُۥ يُصَلُّونَ عَلَى ٱلنَّبِيِّۚ﴾.

وأكمل الصلاة وأتمها تكون عليه وعلى آله، فما رتبه عز وجل على ذلك من أمر المؤمنين بالصلاة عليه يكون لطلب الصلاة عليه وعلى آله أيضاً. . ومنشأ ذلك إلحاقهم به في التطهير كما ورد في قوله تعالى: ﴿. . لِيُذْهِبَ عَنكُمُ ٱلرِّجْسَ أَهْلَ ٱلْبَيْتِ وَيُطَهِّرَكُمْ تَطْهِيرًا﴾ [سورة الأحزاب، الآية: ٣٣] مع تأكيده لتطهيرهم بالمصدر، وإنه في أعلى مراتب التطهير (تطهيراً)[3].

---

(١) الصواعق المحرقة ص٨٧.

(٢) المصدر السابق ص٨٩.

(٣) (جواهر العقدين) وزارة الأوقاف العراقية ج١ ص٤٨.

قال الإمام فخر الدين الرازي(١):

جعل الله أهل بيت النبي ﷺ مساويين له في خمسة أشياء:

١ ـ **في السلام: حيث قال (السلام عليك أيها النبي ورحمة الله وبركاته) وقال لأهل بيته،** ﴿سَلَٰمٌ عَلَىٰٓ إِلْ يَاسِينَ﴾ [سورة الصافات، الآية: ١٣٠].

٢ ـ **في الصلاة على النبي ﷺ**، وعلى آله كما في التشهد: (اللهم صل على محمد وعلى آل محمد..).

٣ ـ **في الطهارة**: قال تعالى: ﴿طه «أي طاهر» مَآ أَنزَلْنَا عَلَيْكَ ٱلْقُرْءَانَ لِتَشْقَىٰٓ﴾ [سورة طه، الآيتان: ١ و٢] وقال لأهل بيته: ﴿.... وَيُطَهِّرَكُمْ تَطْهِيرًا﴾.

٤ ـ **في تحريم الصدقة**: قال ﷺ (لا تحل الصدقة لمحمد ولآل محمد) كما ورد في سنن الترمذي.

٥ ـ **في المحبة**: قال الله تعالى: ﴿فَٱتَّبِعُونِى يُحْبِبْكُمُ ٱللَّهُ﴾ [سورة آل عمران، الآية: ٣١] وقال تعالى لأهل بيت النبي ﷺ، ﴿قُل لَّآ أَسْـَٔلُكُمْ عَلَيْهِ أَجْرًا إِلَّا ٱلْمَوَدَّةَ فِى ٱلْقُرْبَىٰ﴾(٢) [سورة الشورى، الآية: ٢٣]..

لقد خص الله سبحانه وتعالى آل بيت الرسول ﷺ بالمنزلة الخصيصة، وفضلهم على مَنْ سواهم، حتى جعل الصلاة عليهم فرضاً من فرائضه من خلال الصلاة المفروضة على كافة المسلمين من الصحابة والقرابة وغيرهم..

فلا تصح الصلاة بدون الصلاة عليهم.. وفي ذلك قال الإمام الشافعي (رض):

يا أهل بيت رسول الله حبكم فرض من الله في القرآن أنزله
كفاكم من عظيم الفخر أنكم مَنْ لم يُصلي عليكم لا صلاة له

ونحن نعجب أشد العجب أن قسماً من المسلمين يصلون على النبي ﷺ صلاة مَبتُورة نحو (صلى الله عليه وسلم) دون الصلاة على أهل بيته..

---

(١) هو أبو عبد الله محمد بن عمر بن الحسن بن الحسين التيمي البكري الرازي. كان عالماً في المعقول والمنقول وعلوم الأوائل، وكان مفسراً وله تفسير للقرآن الكريم. توفي سنة ٦٠٦هـ.

(٢) (الصواعق المحرقة) ص٩١.. و(فرائد السمطين) ج١ ص٣٥.

وهل هناك ضير في الصلاة عليه وعلى آل بيته الذين أوصى الله ورسوله بهم في مواضع مختلفة، كما مر ذكره!!

قال رسول الله ﷺ:

«النجوم أمان لأهل السماء، وأهل بيتي أمان لأهل الأرض»(١).

وعن أبي إسحاق السبعي الهمداني الكوفي(٢) الذي أدرك الإمام علي، عن حنش بن المعتمر ابن ربيعة الكناني الكوفي السبائي الصفاني، عن أبي ذر الغفاري (رض) قال:

سمعت رسول الله ﷺ يقول: **«مثل أهل بيتي فيكم مثل سفينة نوح في قومه، مَن ركبها نجا، ومَن تخلّف عنها غرق.. ومثل باب حطّة لبني إسرائيل»**(٣).

وعن الإمام علي (ع)، قال:

«سمعت رسول الله ﷺ يقول: «مَنْ أحبنا بقلبه وأعاننا بيده ولسانه، كنت أنا وهو في عليين.. ومَنْ أحبنا بقلبه، وأعاننا بلسانه، وكَفَّ يده، فهو في الدرجة التي تليها.. ومَنْ أحبنا بقلبه، وكفَّ عنا لسانه ويده، فهو في الدرجة التي تليها..» رواه أبو نعيم(٤).

وعن أبي هريرة، قال:

---

(١) أخرجه الإمام أحمد في (المناقب). وورد في (ذخائر العقبى) للطبري ص١٧. (تذكرة الخواص) ص١٨٢. (مستدرك الصحيحين) ج٣ ص١٤٩. وورد في (كنز العمال) ج٦ ص١١٦. وذكره الطبراني أيضاً.

(٢) المتوفي سنة ١٢٧هـ.

(٣) (المعجم الصغير) للطبراني ج١ ص١٣٩.. (والمستدرك) للحاكم ج٣ ص١٥١. و(ينابيع المودة) ص٣٠ و(تاريخ الخلفاء) للسيوطي. (والصواعق المحرقة) لابن حجر ص١٨٤ و٢٣٤. (مستدرك الصحيحين) ج٢ ص٣٤٣. و(حلية الأولياء) لأبي نعيم ج٤ ص٣٠٦. (تاريخ بغداد) للخطيب البغدادي ج١٢ ص١٩و(الدر المنثور) للسيوطي. و(كنز العمال) ج١ ص٢٥٠. والهيثمي في (مجمعه) ج٩ ص١٦٧ (ذخائر العقبى) للطبري ص٢٠. و(كنوز الحقائق) للمناوي ص١٣٢. والدارقطني في (الأفراد). وأخرجه أبو يعلي في (مسنده). ورواه أبي الصهباء الكوفي عن سعيد بن جبير عن ابن عباس ورواه كل من عبد الله بن الزبير، وأبي سعيد الخدري.

(٤) ميزان الاعتدال (طبعة مصطفى البابي الحلبي عام ١٩٦٣) ج١ ص١٧١.

قال رسول الله ﷺ: **«خيركم خيركم لأهلي من بعدي»** رواه أبو يعلي، والمحب الطبري..

ولابن عدي في (كامله) عن أنس بن مالك (رض) قال:

قال رسول الله ﷺ:

«أحبوا أهلي، وأحبوا علياً، مَنْ أبغض أحداً من أهل بيتي فقد حُرِمَ شفاعتي..»[1].

وقال ﷺ:

«إن الله اصطفى من العرب معداً، واصطفى من معد بني النضر بن كنانه، واصطفى هاشماً من بني النضر.. واصطفاني من بني هاشم»..

وقوله ﷺ:

«إن جبرائيل (ع) قال لي: يا محمد قد طفتُ الأرض شرقاً وغرباً، فلم أجد فيها أكرم منك، ولا بيتاً أكرم من بني هاشم».

وقال رسول الله ﷺ:

«سادة أهل المحشر، سادة أهل الدنيا: أنا وعلي وحسن وحسين وحمزة وجعفر»[2].

أخرج الإمام الثعلبي، في تفسير آية المودة من تفسيره الكبير، عن جرير ابن عبد الله البجلي، عن رسول الله ﷺ، حيث قال:

«ألا ومن مات على حب آل محمد مات مغفوراً له.. ألا ومن مات على حب آل محمد مات تائباً... ألا ومن مات على حب آل محمد مات مؤمناً مستكمل الإيمان.. ألا ومن مات على حب آل محمد

---

(١) (الموضوعات) لأبي الجوزي ج٢ ص٤.

(٢) حجج النهج ـ د. سعيد السامرائي ص١٨٤.

بشره ملك الموت بالجنة ثم منكر ونكير.. ألا ومن مات على حب آل محمد يُزف إلى الجنة كما تزف العروس إلى بيت زوجها.. ألا ومن مات على حب آل محمد جعل الله قبره مزار ملائكة الرحمة.. ألا ومَنْ مات على حب آل محمد مات على السنة والجماعة..»[1].

أخرج عبد الغني بن سعد في (إيضاح الإشكال) إن الإمام علي (ع) قال:

«إني وأطائب أرومتي، وأبرار عترتي أحلم الناس صغاراً، وأعلم الناس كباراً، بنا ينفي الله الكذب، وبنا يفك الله عنتكم وينزع ربق أعناقكم، وبنا يفتح الله ويختم».

ذكر د. طه حسين:

(إن الله قد اختص بيت أهل النبي بالسبق إلى الإسلام، كما اختصهم بالصبر على المكروه في شُعَبهم ذاك الذي اضطروا إليه. على حين كان غيرهم من المسلمين في سعة ودعة، تمنعهم عشائرهم كما منعت تيم أبا بكر، وكما منعت عدي عُمر، وكما منعت أمية عثمان. أو يمنعهم حلفاؤهم إن لم يكونوا من قريش..

ومعنى ذلك أن أهل البيت احتملوا في الإسلام ما لم يحتمل غيرهم، وما لم يحتمل أبو بكر وعمر وعثمان خاصة، فهم لم يُحصروا ولم يُهجروا ولم يُضيَّق عليهم في الرزق. فهم (أهل البيت) إذا أولى الناس بالنبي، وأحقهم بالأمر بعده..)[2].

مقام الإمام علي (ع) من آل البيت:

قال رسول الله ﷺ:

«أوصيكم بعترتي خيراً، إن موعدكم الحوض. والذي نفسي بيده

---

(١) المراجعات ص٥٠. (هذا يعني بعد أن يسلك سلوك مَنْ أحبهم في طاعة الله ومرضاته، وحبهم وحده لا يكفي في اعتقادنا).

(٢) الفتنة الكبرى (علي وبنوه) د. طه حسين ص٦٩.

لتقيمن الصلاة ولتؤتنّ الزكاة، أو لأبعثنّ إليكم رجلاً مني، أو كنفسي يضرب أعناقكم.. ثم أخذ بيد علي بن أبي طالب، فقال: هذا هو..»[١].

أخرج الإمام أحمد بن حنبل في حديث له، قال:

(ذُكرَ عند النبي ﷺ قضاءاً قضى به علي بن أبي طالب، فأُعجبَ النبي ﷺ.. وقال **«الحمد لله الذي جعل فينا الحكمة أهل البيت»**[٢].

... ذكر بشار بن هلال، عن جعفر بن سليمان، عن يزيد الرشك، عن مطرف بن عبد الله، عن عمران بن حصين.. قال: قال رسول الله ﷺ:

«إن علياً مني وأنا منه، وولي كل مؤمن بعدي»[٣]..

أخرج الدارقطني في (الفضائل) عن معقل بن بشار، قال:

(سمعت أبا بكر (رض) يقول: علي بن أبي طالب عترة رسول الله ﷺ، أي الذين حثّ على التمسك بهم).

وأخرج أبو الحسن بن المغازي عن طريق عبد الله بن المثنى الأنصاري عن عمه ثُمامة بن عبد الله بن أنس بن مالك عن أبيه، قال:

(قال رسول الله ﷺ: **«إذا كان يوم القيامة ونُصبَ الصراط على شفيرِ جهنم، لم يجز عليه إلا من معه كتاب ولاية علي بن أبي طالب»**[٤].

ذكر الحسن البصري، قال:

---

(١) (ينابيع المودة) ص٤٠. و(المطالب العالية بزوائد المسانيد الثمانية) ج٤ ص٥٦.

(٢) (فضائل الخمسة من الصحاح الستة) ج٢ ص٧٠.

(٣) أخرجه الإمام أحمد في (الفضائل) ص١٠٣٥. والترمذي. والحاكم. وابن المغازلي في (مناقب علي) ص٢٧٠. والشجري في (الأمالي) ج١ ص١٣٤، والبخاري.. كما أخرجه القطيعي في (زياداته) ص١١٠٤. والطيالسي، وابن ماجه، والطبراني في (الكبير)، والذهبي في (تاريخ الإسلام)، وابن سعد في (الطبقات)، وابي أبي عاصم في (السُنة)، ويعقوب بن سفيان في (المعرفة والتاريخ)، والبيهقي في (الدلائل) ج٤ ص٣٣٧، والبغوي في (شرح السُنة) ج١٤ ص١٣٨.. وغيرهم.

(٤) (ينابيع المودة) ص١١٢.

حدثنا عيسى بن راشد، عن أبي بصير، عن عكرمة، عن ابن عباس، قال:

(فرض الله تعالى الاستغفار لعلي في القرآن على كل مسلم، بقوله تعالى: ﴿رَبَّنَا ٱغْفِرْ لَنَا وَلِإِخْوَٰنِنَا ٱلَّذِينَ سَبَقُونَا بِٱلْإِيمَٰنِ﴾ [سورة الحشر، الآية: ١٠]، فكل مَنْ أسلم بعد علي، فهو يستغفر لعلي (ع)[١].

أخرج ابن السَّمان في كتاب (الموافقة بين بني هاشم والصحابة)، عن ابن عباس، قال: (جاء أبو بكر وعلي يزوران قبر النبي ﷺ، قال علي لأبي بكر:

تقدم يا خليفة رسول الله.. فقال له أبو بكر:

ما كنت لأتقدم رجلاً سمعت رسول الله ﷺ يقول فيه:

«علي مني كمنزلتي من ربي»[٢].

من شهادات عمر لعلي:

قال رسول الله ﷺ:

«والذي نفسي بيده لا يزول قدمٌ عن قدمٍ يوم القيامة حتى يسأل الله تعالى الرجل عن أربع: عمره فيما أفناه.. وعن جسده فيما أبلاه... وعن ماله مم كسب، وفيم أنفقه.. وعن حبنا أهل البيت».

فقال له عمر (رض): يا نبي الله، وما آية حبكم؟

فوضع يدهُ الكريمة على رأس علي بن أبي طالب وهو جالس إلى جانبه، وقال: آية حبنا هذا من بعدي[٣].

وفي رواية أخرى عن سلمان الفارسي (رض)، قال:

(قال رسول الله ﷺ: **«لا يؤمن رجل حتى يحب أهل بيتي بحُبي»**.. فقال

---

(١) حجج النهج د. سعيد السامراني ص٣١٩.

(٢) (جواهر العقدين في فضل الشرفين). ج١ ص٣١٧ (وزارة الأوقاف العراقية). (الرياض النضرة) ج٢ ص١٦٣. (الصواعق المحرقة) لابن حجر ص١٠٦. كما أخرجه ابن السمان في (الموافقة).

(٣) ينابيع المودة ص١٣.

عمر بن الخطاب (رض): وما علامة حب أهل بيتك؟.. قال ﷺ: هذا. «وضرب بيده على علي»[1].

وعن عمر بن الخطاب (رض) عن النبي ﷺ قال:

كل سببٍ ونسبٍ منقطع يوم القيامة إلا سببي ونسبي.. وكل ولد أمٍّ، فإن عصبتم لأبيهم ما خلا ولد فاطمة، فإني أنا أبوهم وعصبتهم»[2]

وأخرج الدارقطني عن عروة بن الزبير:

إن عمر بن الخطاب (رض) سمع رجلاً يقع في علي بن أبي طالب، فقال: ويحك أتعرف علياً!! هذا ابن عمه (وأشار إلى قبر رسول الله ﷺ)، وقال: والله ما آذيت إلا هذا في قبره[3].

وأخرج ابن عبد البر في (الاستيعاب)، عن سعيد بن المسيب، قال:

قال عمر (رض):

تحببوا إلى الأشراف وتوددوا، واتقوا على أعراضكم من السفلة، واعلموا أنه لا يتم شرفٌ إلا بولاية علي بن أبي طالب[4].

وعن ابن أبي عمر، عن أبي هارون، عن أبي سعيد الخدري:

إنه سمع عمر (رض) يقول لعلي كرم الله وجهه، وسأله عن شيء فأجابه، فقال له عمر:

(أعوذ بالله أن أعيش في قوم لست فيهم يا أبا الحسن)[5].

---

(١) (جواهر العقدين) ج١ ص٢٣٧.

(٢) ذخائر العقبى ص١٦٩. ينابيع المودة ص٢٦٨. وأخرجه أبو صالح المؤذن في (فضل الزهراء). والحافظ أبو محمد عبد العزيز بن الأخضر وكلاهما عن طريق شريك بن عبد الله بن أبي شريك النخعي الكوفي القاضي (٩٠ ـ ١٧٧هـ) عن شبيب بن غردقة السلمي الكوفي.

(٣) الصواعق المحرقة ـ لابن حجر السعقلاني ص١٠٩. ورواه الإمام أحمد بن حنبل في (زوائد المسند). ورواه ابن سعد عن أبي جعفر محمد بن علي. والبزار عن مجاهد عن ابن عباس (رض).

(٤) الصواعق المحرقة ص١٠٩ ـ ١١٠.

(٥) ذخائر العقبى ص٨٢.

وعن سالم بن أبي الجعد، قال:

(قيل لعمر (رض) إنك تصنع بعلي شيئاً لا تصنعه بأحدٍ من أصحاب النبي ﷺ.. قال عمر: إنه مولاي)(١).

إن ما أوجزناه بما تقدم يدلنا على أن الله سبحانه وتعالى، ونبيه الكريم ﷺ أوصيا بآل بيت محمد ﷺ بجوانب عديدة، ومواقف مختلفة..

وفضلوا على كل المسلمين سواء: بالتطهير.. أو بالصلاة.. أو بالمودة.. أو بالمحبة.. أو بالولاية... أو بالشفاعة والنجاة.

ومما لا شك فيه أن النبي ﷺ خص الإمام علياً (ع) بوصيته في آل بيته. وجعله في مقدمة مَنْ أوصى بهم، وكأن وصية الرسول ﷺ في آل بيته انصبت جلها على علي بن أبي طالب وحده دون منازع، أو منافس له في تلك الوصايا التي لم ينل غيره منها مثلما نال هو منها..

سُئل الإمام أحمد بن حنبل، ما بال الصحابة كلهم كأنهم أخوة لأب وأم.. وعلي بن أبي طالب بينهم وكأنه ابن علة (ابن ضرة)!!. فقال:

(لأن علياً بزّهم شرفاً، وفاقهم علماً، وسبقهم إسلاماً.. فمالوا عنه، والجنس لجنسه أميل)(٢).

ذلك إن الإمام علياً في إسلامه نموذج عظيم مكتمل الشكل والجوهر..

فإذا كان الإسلام عبادةً، ونسكاً، جهاداً، وبذلاً.. ترفعاً وزهداً.. فطنة وورعاً.. سيادة وتواضعاً.. قوة ورحمةً.. عدلاً وفضلاً. استقامة وعلماً... بساطة وتمكناً.. ولاءً وفهماً..

إذا كان الإسلام ذلك كله... فإن سابق المسلمين علياً كرم الله وجهه، كان أحد النماذج الباهرة، والنادرة لهذا الإسلام...

فإذا حثّ الناس على الزهد.. فلأنه أسبقهم إليه.

---

(١) (جواهر العقديين) وزارة الأوقاف العراقية ج١ ص٣٢٧.

(٢) علي بن أبي طالب نظرة عصرية (اشترك في الكتابة عدة كتاب) ص٩٩.

وإذا حثهم على البذل.. فلأنه أقدرهم عليه..

وإذا حثهم على طاعة.. فلأنه يمارسها في أعلى مستوياتها..

إن ابن أبي طالب في كل مجالات حياته، لواحد من أولئك الذين تجلى فيهم إعجاز الإسلام وعظمته[1]..

يقول الإمام علي (ع):

«أين الذين زعموا أنهم الراسخون في العلم دوننا كذباً وبغياً علينا أن رفعنا الله ووضعهم، وأعطانا وحرمهم، وأدخلنا وأخرجهم..

بنا يُستعطى الهدى، ويستجلى العمى. إن الأئمة من قريش غرسوا في هذا البطن من هاشم لا تصلح على سواهم، ولا تصلح الولادة من غيرهم»[2].

ويقول في موضع آخر، يذكر فيه آل البيت:

«نحن الشعار والأصحاب، والخزنة والأبواب.. لا تؤتى البيوت إلا من أبوابها، فمن أتى من غير بابها سُميَ سارقاً.. فيهم كرائم القرآن، وهم كنوز الرحمن، إن نطقوا صدقوا، وإن صمتوا لم يسبقوا..»[3].

ثم يقول الإمام علي (ع):

«نحن شجرة النبوة، ومحط الرسالة، ومختلف الملائكة، ومعادن العلم، وينابيع الحكم.. ناظرنا ومحبنا ينتظر الرحمة، وعدونا ومبغضنا ينتظر السطوة..»[4].

«انظروا أهل بيت نبيكم فالزموا سمتهم، واتبعوا أثرهم فلن يخرجوكم

---

(١) (خلفاء الرسول) في رحاب علي خالد محمد خالد ص٥٣ و٦٨.

(٢) شرح نهج البلاغة محمد عبده ج٢ ص٢٧.

(٣) المصدر السابق ج٢ ص٤٤.

(٤) نفس المصدر ج١ ص٢١٥.

من هدى، ولن يعيدوكم في ردى. فإن لبدوا فالبدوا، وإن نهضوا فانهضوا. ولا تسبقوهم فتضلوا، ولا تتأخروا عنهم فتهلكوا..».

ويقول عنه وعن قومه من روائع القول:

«وإني لمن قوم لا تأخذهم في الله لومةُ لائم. سيماهم سيما الصديقين. وكلامهم كلام الأبرار.. عُمار اللَّيلِ ومنارُ النهارِ متمسكون بحبل القرآن، يحيون سنن الله وسنن رسوله، لا يستكبرون ولا يعلون ولا يغلون ولا يفسدون... قلوبهم في الجنان، وأجسادهم في العمل»[1].

---

(١) المصدر السابق ج١ ص٢١٥.

٦ آية المباهلة... وحديث الطير

قال تعالى في كتابه الكريم من سورة آل عمران الآية ٦١:

﴿فَمَنْ حَآجَّكَ فِيهِ مِنۢ بَعْدِ مَا جَآءَكَ مِنَ ٱلْعِلْمِ فَقُلْ تَعَالَوْا۟ نَدْعُ أَبْنَآءَنَا وَأَبْنَآءَكُمْ وَنِسَآءَنَا وَنِسَآءَكُمْ وَأَنفُسَنَا وَأَنفُسَكُمْ ثُمَّ نَبْتَهِلْ فَنَجْعَل لَّعْنَتَ ٱللَّهِ عَلَى ٱلْكَـٰذِبِينَ﴾.

... قدم وفد نجران على النبي ﷺ مع رئيسهم أبو حارثة، فدارسوه، وسألوه وحاجوه.. فنزلت على رسول الله ﷺ آية المباهلة هذه..

فلما أصبحوا قدم النبي ﷺ ومعه علي بن أبي طالب.. وولداه الحسن والحسين ومعهما أمهما السيدة فاطمة الزهراء..

فسئل أبو حارثة رئيس وفد نجران عنهم.. فقيل له هذا ابن عمه علي.. وتلك ابنته فاطمة.. وهذان ابناهما.

وعندما علم أبو حارثة ذلك، رفض المباهلة!!

وقد فَسَّرَ (فرات) عن أبي جعفر آية المباهلة، قوله تعالى: ﴿أَبْنَآءَنَا وَأَبْنَآءَكُمْ﴾ يعني الحسن والحسين.. ﴿وَأَنفُسَنَا وَأَنفُسَكُمْ﴾ يعني رسول الله ﷺ وعلياً.. ﴿وَنِسَآءَنَا﴾ أي السيدة فاطمة الزهراء[1]..

سُئل الإمام علي (ع) عن أفضل مناقبه، فقال:

«أفضل مناقبي ما لم يكن لي فيه صنع» ثم ذكر لهم خروج النبي ﷺ

---

(١) تفسير فرات ص١٤. وورد ذلك في (البداية والنهاية) لابن كثير ج٧ ص٣٧٦. وفي (الإمامة والسياسة) ج١ ص٢٠٩ لابن قتيبة.

للمباهلة معه وزوجته وابنيه[1] . .

وقصة المباهلة هذه لها حيز كبير في بيان مكانة الإمام علي، وموقعه من النبي ﷺ وتحديداً من سبحانه وتعالى الذين أنزل تلك الآية على نبيه الكريم ﷺ. . وهي آية من الآيات التي تجعل الإمام للوصية أهلاً، لكونه أصبح فيها كنفس رسول الله ﷺ

وفي ذلك يقول الشريف المرتضى:

(لا شبهة في دلالة آية المباهلة على فضل من دُعي إليها وجعل حضوره حجة على المخالفين واقتضائها تقدمه على غيره، لأن النبي لا يجوز أن يدعو إلى ذلك المقام ليكون حجة فيه إلا مَنْ هو في غاية الفضل، وعلو المنزلة. .

ونحن نعلم أن قوله أنفسنا وأنفسكم لا يجوز أن يعني بالمدعو فيه إلى النبي ﷺ لأنه هو الداعي. . ولا يجوز أن يدعو الإنسان نفسه، وإنما يصح أن يدعو غيره. . كما لا يجوز أن يأمر نفسه وينهاها. .)[2].

كما ذكر الشريف الرضي (رض) قصة المباهلة، وفسّر الآية مؤكداً أن دعاء الأنفس مقصوراً على الإمام علي. .

إذ لا أحد في الجماعة يجوز أن يكون ذلك متوجهاً إلى غيره، لأن دعاء الإنسان نفسه لا يصح. كما لا يصح أن يأمر نفسه[3]. .

وذكر الطبري أهمية المباهلة في دلالتها على الوصية لعلي كرّم الله وجهه، ويقول: (والدليل على أن علياً هو المخصوص بالإمامة، والخلافة، والوصية، وإنه كان أرضاً لها وسماءاً، إذ كان نفس رسول الله ﷺ إذ أن القوم ساروا إلى رسول الله ﷺ ليحاجوه في المسيح. . فأنزل الله ﴿فَقُلْ تَعَالَوْا نَدْعُ أَبْنَآءَنَا وَأَبْنَآءَكُمْ وَنِسَآءَنَا وَنِسَآءَكُمْ وَأَنفُسَنَا وَأَنفُسَكُمْ ثُمَّ نَبْتَهِلْ فَنَجْعَل لَّعْنَتَ ٱللَّهِ عَلَى ٱلْكَـٰذِبِينَ﴾ . .

---

(١) أبو حنيفة النعمان المغربي في (دعائم الإسلام) ج١ ص١٧.
(٢) المرتضى (الشافي) ص١٣٠.
(٣) حقائق التأويل في متشابه التنزيل ـ الشريف الرضي ـ ص١١٠.

فدعا أهل بيته، وكان علي نفس رسول الله، وكان هاشمي الوالدين، أشبه الناس برسول الله ﷺ)[1].

أما الشيخ المفيد، فيقول:

(إن الله تعالى حكم لأمير المؤمنين علي بن أبي طالب بأنه نفس رسول الله ﷺ، كاشفاً بذلك بلوغه نهاية الفضل، ومساواته للنبي في الكمال، والعصمة من الأثام..

وإن الله جعله وزوجته وولديه مع تقارب سنهما حجة لنبيه، وبرهاناً على دينه، ونص على الحكم بأن الحسن والحسين أبناءوه، وإن فاطمة نساءوه المتوجه إليهم الذكر والخطاب في الدعاء إلى المباهلة والاحتجاج..

وهذا فضل لم يشركهم فيه أحد من الأمة ولا قاربهم فيه ولا ماثلهم في معناه..)[2].

ويرى ابن المطهر في (منهاج الكرامة)[3]:

(إن آية المباهلة، أول دليل على ثبوت الخلافة والوصاية لعلي.. لأنه قد جعله نفس رسول الله ﷺ والاتحاد محال.. فيبقى المراد المساوي له، وله ﷺ الولاية العامة فكذا لمساويه).

وذكر سليم بن قيس، أن علياً احتج بها لبيان حقه بالخلافة، حيث قال:

«أفتقرون أن رسول الله ﷺ حين دعا أهل نجران إلى المباهلة، إنه لم يأتِ إلا بي وبصاحبتي، وابنيي؟» قالوا: اللهم نعم!

وذكر ابن طاووس، أهمية المباهلة مخاطباً ابنه:

(وكفى سلفك الطاهرين حجة على المخالفين، وحجة للموافقين التابعين عليهم يوم المباهلة. مباهلة المسلمين والكافرين.. وكان ذلك اليوم من أعظم

---

(١) (المسترشد) للطبري ص١٧٣.

(٢) (الإرشاد) للشيخ المفيد ص٩٠.

(٣) ص١٥٤.

الأيام عند جدك محمد ﷺ، وكشف الحجة للسامعين، ولمن يبلغهم إلى يوم الدين..)[1].

.... وحديث الطير:

... أما حديث الطير، فهو دليل آخر من أدلة التفضيل، والترشيح عند أصحاب الرأي المؤيد لتفضيل الإمام علي على سائر الصحابة والقرابة.. ومن ثم ترشيحه للخلافة من قبل رسول الله ﷺ..

.. وخلاصته أن النبي ﷺ أُهدي له طائر مشوي شهي... فلما رآه تمنى أن يشاركه فيه أحب خلق الله إليه.. ودعا ربه، وقال:

«اللهم ائتني بأحب خلقك إليّ، يأكل معي هذا الطائر».

ثم جاءه علي بن أبي طالب.. فقال له رسول الله ﷺ:

«لتأكل يا علي، فأنت أحب الله إليه... فقد دعوتُ الله تعالى أن يسوق أحب خلقه إليه..».

روى هذا الحديث أنس بن مالك (رض)[2].. كما احتج به الإمام علي لبيان فضله يوم الشورى، حيث قال:

«... فأنشدكم الله هل فيكم أحد يوم أتى رسول الله ﷺ بالطير..
فقال: اللهم ائتني بأحب خلقك يأكل معي من هذا الطير غيري!!»..
قالوا: اللهم لا[3]..

ويؤكد الشيخ المفيد دلالة هذا الحديث على الإمامة، ويقول:

(إن رسول الله ﷺ حين دعا «اللهم ائتني بأحب خلقك..» فجاءه أمير المؤمنين الإمام علي فأكل معه.. وقد ثبت أنه أحب الخلق إلى الله «بعد رسوله»

---

(١) (كشف المحجة لثمرة المهجة) لابن طاووس (المتوفي ٦٦٤هـ).

(٢) الزمخشري في (خصائص العشرة الكرام).

(٣) ابن رستم في (المسترشد) ص٧١.

وأفضلهم عنده.. وإذا صح أنه أفضل خلق الله تعالى.. ثبت أنه كان الإمام)[١].

وقد ذكر حديث الطائر الإمام أحمد بن حنبل (رض) في مسنده، وبسنده عن سفينة مولى النبي ﷺ، قال:

(أهدت امرأة من الأنصار طيرين مشويين بين رغيفين.. فقال رسول الله ﷺ: «اللهم ائتني بأحب خلقك إليك وإلى رسولك..» فجاءه علي بن أبي طالب، فأكل معه في الطيرين حتى كفيا..)[٢].

وقد ذكر حديث الطير كثير من الرواة وحفظة التاريخ، منهم:

الترمذي.. وعبد الله بن الإمام أحمد في كتاب (زوائده على فضائل الصحابة)[٣].. والبزار.. والبخاري في (الكبير)[٤]... والطبراني.. والسهمي في (تاريخ جرجان) والخطيب في (تاريخ بغداد) وفي (الموضح)... والحاكم في (المستدرك).. وابن الجوزي في (العلل).. وابن المغازلي في (مناقب علي) ومن طرق كثيرة عن أنس بن مالك وغيره..

وقال الحافظ ابن كثير في (البداية)[٥]:

(وقد جمع الناس في هذا الحديث مصنفات مفردة، منهم: أبو بكر بن مردويه، والحافظ أبو طاهر محمد بن أحمد بن حمدان، فيما رواه شيخنا أبو عبد الله الذهبي.. ورأيتُ فيه مجلداً في جميع طرقه وألفاظه لأبي جعفر بن جرير الطبري المفسر صاحب التاريخ).

قال الشيخ المعلمي في (طليعة التنكيل)[٦]:

(وحديث الطير مشهور، روى من طرق كثيرة، ولم ينكر أهل السنة مجيئه من طرق كثيرة..).

---

(١) د. نبيله عبد المنعم داود (نشأة الشيعة الإمامية) ص١٢٠.

(٢) ينابيع المودة ج١ ص٥٤.

(٣) ص٩٤٥.

(٤) ج١ ص٣٥٨.

(٥) ج٧ ص٣٨٧.

(٦) ص٤٠.

وذكر الإمام الحافظ النسائي في (خصائص أمير المؤمنين علي بن أبي طالب)[1]:

(أخبرنا زكريا بن يحيى، قال: حدثنا الحسن بن حماد، قال: أخبرنا مسهر بن عبد الملك، عن عيسى بن عمر، عن السدي، عن أنس بن مالك، أن النبي ﷺ كان عنده طائر، فقال:

«اللهم ائتني بأحب خلقك إليك يأكل معي من هذا الطير..».. وجاء علي بن أبي طالب)[2].

---

(١) ص٣٤.

(٢) ورد هذا الحديث في (تاريخ) ابن عساكر. وفي (البداية والنهاية) لابن كثير.. وفي (أسد الغابة) لابن الأثير.. وورد في (الكنز) للعلامة الهندي.. و(كفاية الطالب) للعلامة الكنجي. وفي (ينابيع المودة) للقندوزي.

٧ استخلافه في مكة
لرد الودائع.. ومؤاخاة النبي ﷺ له[1]

أخذ النبي ﷺ يد علي أمام ملأ من المسلمين، أنصارهم ومهاجريهم، وقال: «**أنت أخي وصاحبي في الدنيا والآخرة..**»[2].

يجدر بنا أن نشير إلى النبي ﷺ سبق له وأن أخى في مكة بين المسلمين قبل الهجرة.. فكان أبو بكر وعمر بن الخطاب (رض) أخويين في المؤاخاة الأولى بمكة.. وعثمان بن عفان آخى عبد الرحمن بن عوف (رض).. وآخى بين الحمزة وزيد بن حارثة.. والزبير ابن العوام وابن مسعود..

أما المؤاخاة الثانية بيثرب بعد الهجرة، بين المهاجرين والأنصار... فقد آخى أبو بكر وخارجة بن زيد.. وعمر بن الخطاب آخى عتبان بن مالك.. وبأمر من النبي ﷺ..

كان الإمام علي (ع) في كلتا المرتين (المؤآخاة في مكة، والموآخاة في يثرب) آخا رسول الله ﷺ.. وهذا ما جاء بالنصوص الثابتة بطرقها الصحيحة عن كل من:

ابن عباس، وابن عمر، وزيد بن أرقم، وزيد بن أبي أوفى، وأنس بن مالك، وحذيفة بن اليمان، ومخدوج بن يزيد، وعمر بن الخطاب، والبراء بن عازب، وعلي بن أبي طالب وغيرهم[3].

---

(١) هذا الموضوع مكملاً لما وردفي (وداعا يا روابي مكة) من الفصل الأول أما استخلافه في مكة فقد مر ذكره.

(٢) أخرجه الحاكم في المستدرك ج٣ ص١٤ عن ابن عمر.

(٣) المراجعات ص١٥٠.

وورد في صحيح الترمذي(١) بسنده عن ابن عمر، قال:

آخى رسول الله ﷺ بين أصحابه فجاءه علي، وقال له:

يا رسول الله آخيت بين أصحابك، ولم تواخ بيني وبين أحد، فقال له رسول الله ﷺ: **«أنت أخي في الدنيا والآخرة»**(٢).

وعن أبي رافع، عن أبي تمامة، قال:

لما آخى رسول الله ﷺ بين الناس، آخى بينه وبين علي(٣)..

وقد قال الإمام يوم الشورى لعثمان وعبد الرحمن وسعد والزبير:

«أنشدكم الله هل فيكم أحد آخى رسول الله ﷺ بينه وبينه، إذ آخى بين المسلمين غيري..» قالوا: اللهم لا..

ولما برز الإمام للوليد بن عتبة يوم بدر.. قال للوليد:

«أنا عبد الله وأخو رسول الله»(٤).

يقول الكاتب الكبير المرحوم خالد محمد خالد:

لقد كان الصديق أبو بكر.. وكان الفاروق عمر أنئذ هناك في يثرب عند المؤاخاة، فهل من حقنا أن نتساءل: لماذا لم يختص الرسول ﷺ أحدهما بهذا الذي اختص به علياً؟

اختار الرسول ﷺ إذن علياً ليكون في هذه المؤاخاة أخاً..

---

(١) صحيح الترمذي ج٢ ص٢٩٩.

(٢) ورواه الحاكم في (مستدرك الصحيحن) ج٣ ص١١١.. وذكره المناوي في (كنوز الحقائق). وابن ماجه في (صحيحه) ص١٢ عن عباد بن عبد الله عن علي.. وورد في (التاريخ) لابن جرير الطبري ج٢ ص٥٦.. والنسائي في (خصائصه) ص٣ ـ ١٨... وفي (كنز العمال) ج٦ ص٣٩٤.

(٣) كنز العمال ج٦ ص٤٠٠.. وذكره الهيثمي في (مجمع الزوائد) ج٩ ص١١٢.. ورواه الطبراني.. وذكره المناوي في (فيض القدير) ج٤ ص٢٥٥.. وورد ذلك في (المناقب) للإمام أحمد بن حنبل.. وأخرجه ابن عدي في (الكامل).. وورد في (أسد الغابة) ج٣ ص٣١٧ عن عبد الرحمن بن عويم بن ساعدة الأنصاري (وهو ممن أدرك النبي ﷺ).

(٤) المراجعات ص١٥٣.

وكل شرف كان الإسلام يُضيفه على (علي بن أبي طالب) كان يزيد إحساسه بمسؤولياته الدينية شحذاً وقوة[(١)] . .

. . . أكثر الرواة ذكروا مؤاخاة ربيب الوحي ﷺ لعلي بن أبي طالب، ما هي إلا استثناء من المؤاخاة التي استحدثها رسول الله ﷺ بين الأنصار والمهاجرين. . . لأنه كان مهاجراً آخى مهاجراً. . ولم يختر له ﷺ أخاً من الأنصار.

ذلك حتى يكون له علي أخاً في دنياه وأخاً وفي آخرته. .

روى البلاذري، عن عبد الله بن عباس وغيره. . لما نزل قوله تعالى: ﴿إِنَّمَا ٱلْمُؤْمِنُونَ إِخْوَةٌ﴾ [سورة الحجرات، الآية: ١٠] آخى رسول الله ﷺ بين الأشكال والأمثال[(٢)]. . . فآخى بين أبي بكر وعمر. . وبين عثمان وعبد الرحمن. . وبين سعد بن أبي وقاص وسعيد بن زيد. . وبين طلحة والزبير. . وبين أبي عبيدة وسعد بن معاذ. . وبين مصعب بن عمير وأبي أيوب الأنصاري، وبين أبي ذر وأبي مسعود. . وبين سلمان وحذيفة. . . وبين جعفر الطيار ومعاذ بن جبل. . وبين حمزة وزيد بن حارثة. . وبين أبي الدرداء وبلال. . وبين المقداد وعمار. . وبين عائشة وحفصة. . وبين زينب بنت جحش وميمونه. . وبين أم سلمة وصفية. .

حتى آخى بين الصحابة بأجمعهم على قدر منازلهم، وكان علي حاضراً، فقال له:

«يا رسول الله آخيت بين أصحابك وتركتني». . فقال له الرسول ﷺ:

«إنما أخرتك لنفسي، أنت أخي، وأنا أخوك في الدنيا والآخرة»[(٣)].

---

(١) (في رحاب علي) ـ خالد محمد خالد ص٥٢.

(٢) تلك المؤاخاة الأولى في مكة.

(٣) (الإمام علي رسالة وعدالة) الشيخ خليل ياسين ص٢٧٤.

ذكر الأستاذ عبد الفتاح عبد المقصود:

. . . ولئن كان أبو بكر من رسول الله وزيره الصادق. فإن علياً كان منه الظل اللاصق. .

لم يفته (الرسول ﷺ) أن يؤثر بالأخاء علياً دون الباقين. . آخى بين صحبه الخارجين معه، وبين أصحاب البلدة الذين آووا. . فتخير أن يكون علي أخاه في الدين. . لم يؤاخ أبا بكر ولم يؤاخ عمر، ولم يؤاخ حمزة أسده وأسد الله. . ولكنه اصطفى لهذه الأخوة المعنوية بعد إخوة الدم فتاه الربيب فآثره على حبيب بعيد أو قريب[1]. .

(١) (الإمام علي بن أبي طالب) عبد الفتاح عبد المقصود ج٣ ص٧٣. . . ووردت أخبار المؤاخاة بمختلف المصادر وشتى المؤلفات، نذكر منها:

١ ـ جامع الترمذي ج٢ ص٢١٣. ٢ ـ الاستيعاب ج٢ ص٤٦٠. ٣ ـ مستدرك الحاكم ج٣ ص١٤. ٤ ـ تذكرة السبط ص١٣ ـ ١٥. ٥ ـ الرياض النضرة ج٢ ص١٦٧ ـ ٢١٢. ٦ ـ تاريخ ابن كثير ج٧ ص٣٣٥. ٧ ـ الصواعق المحرقة ص٧٣. ٨ ـ تاريخ الخلفاء ص١١٤. ٩ ـ السيرة الحلبية ج١ ص٢٣ ـ ١٠١. ١٠ ـ تاريخ ابن هشام ج١ ص١٢٣. ١١ ـ تاريخ ابن عساكر ج٦ ص٢٠١. ١٢ ـ كنز العمال ج٦ ص٣٩٠.

١٣ ـ تاريخ الخطيب ج١٢ ص٢٦٨. ١٤ ـ (الإمام علي) محمد رضا ص٢١. ١٥ ـ مسند أحمد ج١ ص٢٣٠. ١٦ ـ مناقب الخوارزمي ص٨٧. ١٧ ـ تاريخ الطبري ص٣١٢. ١٨ ـ خصائص النسائي ص٣٢. ١٩ ـ شرح ابن أبي الحديد ج٢ ص٤٩٩. ٢٠ ـ (الإمام علي) عبد الفتاح عبد المقصود. ٢١ ـ ذخائر العقبى ص٩١. ٢٢ ـ فرائد السمطين. ٢٣ ـ تاريخ بغداد ج١١ ص١١٢. ٢٤ ـ سنن ابن ماجه ج١ ص٥٧. ٢٥ ـ العقد الفريد ج١ ص٢٧٥. ٢٦ ـ حلية الأولياء ج١ ص٦٧. ٢٧ ـ مجمع الزوائد ج٩ ص١١١.

٨ حديث المنزلة.. والراية يوم خيبر

قال الرسول الأعظم ﷺ لعلي بن أبي طالب كرم الله وجهه:

«أفلا ترضى يا علي أن تكون مني بمنزلة هارون من موسى؟ إلا أنه لا نبيَ بعدي..»

ذكر هذا الحديث كثير من الصحابة والمؤرخين، على اختلاف مذاهبهم، قول النبي ﷺ لعلي في مناسبات عدة، وبمواقف مختلفة..

فقد روى ابن هشام في (السيرة النبوية)، أن رسول الله ﷺ عندما استخلف علياً في المدينة، ليكون خليفته فيها.. عندما قاد ﷺ جيش المسلمين في غزوة تبوك.. حيث قال لعلي قبل مغادرة الجيش للمدينة ذلك الحديث..

ولم يقل النبي ﷺ ذلك القول لأحد من أهل بيته.. ولا لأحد من صحابته.. ولا حتى لأحد من المسلمين غيره.. غير علي بن أبي طالب.. الذي صار بمقتضى ذلك الحديث من النبي ﷺ منزلة، كمنزلة هارون من موسى (ع)..

ذكر البلاذري في (أنساب الأشراف):

إن رسول الله ﷺ خرج إلى (تبوك) وخلف علياً في المدينة.. فقال علي: **«يا رسول الله خرجت وخلفتني»**!!.. فقال له ﷺ:

«أما ترضى أن تكون مني بمنزلة هارون من موسى.. إلا أنه لا نبي بعدي..»[1].

(١) ذكره العلامة الحسكاني في (شواهد التنزيل) ج١ ص١٤٩.. والطبري في (تاريخ الرسل والملوك) ج٣ ص١٠٣، وكذلك في (ذخائر العقبى) ص٦٣.. والمسعودي في (مروج الذهب) ج٢=

ولهذا الحديث.. حديث المنزلة، خصوصيته لدى الفقهاء والرواة من المسلمين الشيعة.. فقد ذكر أبو حنيفة النعمان المغربي عنه، وقال:

(ولا يقتضي قول رسول الله ﷺ لعلي **«أنت مني بمنزلة هارون من موسى»**... إلا أنه خليفته في أمته، كما قال موسى لهارون: اخلفني في قومي..)[١].

وسئل جابر بن عبد الله الأنصاري عن ما يعنيه قول رسول الله ﷺ لعلي في حديث المنزلة.. فقال:

(استخلفه بذلك، والله، على أمته في حياته، بعد وفاته.. وفرض عليهم طاعته فمن لم يشهد له بعد هذا القول بالخلافة فهو من الظالمين)[٢]..

وعن سعيد بن المسيب.. عن عامر بن سعيد.. عن سعد بن أبي وقاص، قال: (سمعت النبي ﷺ يقول لعلي **«أنت مني بمنزلة هارون من موسى»**).

أما الطبري، فيفسر حديث المنزلة:

إن النبي ﷺ جعل منزلة علي منه، كمنزلة هارون من موسى، واستثنى النبوة.. وأوجب كل ما كان لهارون من موسى.. وإنه بهذا دلّ على خلافته، لأن هارون خليفة موسى.. كما أن هارون كان أحب الناس لموسى.. فكذلك علي أحب الناس إلى النبي وكانت أخوّة هارون لموسى، أخوّة النسب..

أما أخوّة علي لرسول الله ﷺ، فهي أخوة الدين، والمشاكلة، والمشابهة[٣]...

ويرى الشيخ المفيد، إن حديث المنزلة نص لا خفاء به على خلافة الإمام علي (ع):

= ص٤٣٧.. والمقدسي في (البدء والتاريخ) ج٤ ص٢٣٩.. وابن عساكر في (تاريخه) ج١ ص١٠٧.. والخطيب البغدادي في (تاريخ بغداد) ج١٠ ص٤٣.. وابن حجر في (الإصابة) ج٤ ص٢٧٠.. والحاكم في (المستدرك) ج٣ ص١٣٣.

(١) (دعائم الإسلام) النعمان المغربي ج١ ص٢٠.

(٢) (معاني الأخبار) للصدوق ص٨٤.

(٣) (المسترشد في الإمامة) لابن رستم الطبري ص١٠٩.

(لأن رسول الله ﷺ حكم له بالفضل على الجماعة، والنصرة والوزارة والخلافة له في حياته، وبعد وفاته. بدلالة أن هذه المنازل كلها كانت لهارون من موسى في حياته..

وإيجاب جميعها للإمام، إلا ما أخرجه الاستثناء منه ظاهراً، وأوجبه بلفظة بعد له من بعد وفاته، بتقدير ما كان يجب لهارون من موسى لو بقى بعد أخيه، فلم يستثنه النبي ﷺ، فبقي للإمام علي بعموم ما حكم له من المنازل)[1].

وقد ذكر حديث المنزلة في منزلة الإمام علي بن أبي طالب، الشريف المرتضى، فقال: (إن الخبر دال على النص من وجهين..

أحدهما، قوله: «أنت مني بمنزلة هارون..» يقتضي حصول جميع منازل هارون من موسى لعلي، إلا ما خصه الاستثناء (النبوة)..

... ويقول: وقد علمنا أن من منازل هارون من موسى، الخلافة في حال غيبته عن أمته.. وأنه لو بقي بعده لخلفه فيهم.. ولم يجز أن يخرج القيام بأمورهم عنه إلى غيره..

ويقول: إنه لو بقي لخلفه، ودبر أمر أمته، وقام فيهم مقامه، وعلمنا بقاءه (علي) بعد وفاة الرسول ﷺ... لذا وجبت له الإمامة بعده بلا شُبهة)[2]..

وحديث المنزلة، ورد في الصحاح بأسانيد مختلفة، ومصادر متنوعة صحيحة. كما أُسند من غالبية الرواة من أهل الحديث والسنة..

فقد أخرج الإمام مسلم في صحيحه، أن معاوية بن أبي سفيان عندما أمر بسب الإمام علي على المنابر في الجوامع.. لم يمتثل له سعد بن أبي وقاص..

فسأله معاوية قائلاً:

ما منعك أن تسب أبا تراب؟؟ أجابه سعد:

لن أسبه، لأني سمعت رسول الله ﷺ يقول له، وقد خلفه في بعض

---

(١) (نشأة الشيعة الإمامية) د. نبيلة عبد المنعم داود ص١١٧.

(٢) (الشافي) للمرتضى ص١٤٨.

مغازيه: «أما ترضى أن تكون مني بمنزلة هارون من موسى، إلا أنه لا نبي بعدي»[1].

وذكر ذلك الإمام الحافظ النسائي[2] عن قتيبة بن سعيد البلخي، وهشام بن عمار الدمشقي، قالا:

حدثنا حاتم ابن إسماعيل المدني، عن بكير بن مسمار، عن عامر بن سعد بن أبي وقاص، عن أبيه سعد بن أبي وقاص..

كما ذكر ذلك حرص بن يونس بن محمد المؤدب، قال:

أخبرنا أبو غسان، قال: أخبرنا عبد السلام، عن موسى الصغير، عن عبد الرحمن بن سابط عن سعد بن أبي وقاص..

وذكر هذا الحديث ابن عساكر[3]... كما أخرجه القطيعي في (زوائد الفضائل)... وأبو نعيم في (الحلية).. وابن عدي[4].. وابن المغازلي[5].. والحافظ الذهبي[6]... والطيالسي... وأبو الحسن الصيداوي في (معجمه) وغيرهم..

... ومعاوية هو الآخر ذكر حديث المنزلة المتعلق بمنزلة الإمام علي من الرسول الأعظم ﷺ!!

فقد أخرج الإمام أحمد بن حنبل (رض):

إن رجلاً سأل معاوية عن مسألة ما.. فقال له: سل عنها علياً فهو أعلم بها.. قال: جوابك فيها أحب إلي من جواب علي!

قال له معاوية:

---

(١) صحيح مسلم ج٢ ص٣٢٤ (باب فضائل علي).

(٢) (خصائص أمير المؤمنين علي بن أبي طالب) النسائي ص٣٢.

(٣) (تاريخ دمشق) من ترجمة علي بن أبي طالب ج١ ص٣٢١.

(٤) (الكامل) لابن عدي. ج٦ ص٢٤٠٨.

(٥) (مناقب علي) لابن المغازلي ص٥٤.

(٦) (تذكرة الحفاظ) للذهبي ج٢ ص٥٢٣.

بئس ما قُلت! . . . لقد كرهتَ رجلاً كان رسول الله يغره بالعلم غراً، ولقد قال له: **«أنت مني بمنزلة هارون من موسى إلا أنه لا نبي بعدي»**[1] . . .

وحديث المنزلة هذا من الأحاديث التي لها أهميتها في فضائل الإمام علي، وتفضيله على كل صحابة رسول الله ﷺ وقرابته . .

وهو من الوسائل الثبوتية المهمة في الوصاية للإمام . . أو لأهليته لها ليخلف سيد المرسلين . .

وقد روى هذا الحديث من قبل مختلف الفقهاء، على اختلاف آرائهم بالوصية والخلافة . .

فقد رواه الإمام أحمد (بمسنده)[2] وفي (التهذيب) وفي (الفضائل)[3] عن أحاديث منقولة وبسند صحيح عن ابن عباس، وأسماء بنت عميس، وأبي سعيد الخدري، ومعاوية بن أبي سفيان. وآخرين غيرهم من الصحابة . .

أما الطبراني فقد أخرجه بأحاديث مختلفة المصادر في (الكبير) عن:

أسماء بنت عميس، وأم سلمة، وحبيش بن جنادة، وابن عمر، والحسن بن عرفة، وابن ماجة، وأبي يعلي في (مسنده) . . . وابن أبي عاصم في (السنة) . . وابن عباس . . . وجابر بن سمرة، وزيد بن أرقم، والبراء بن عازب . . وعلي بن أبي طالب . .

وكذلك أخرجه البزار في (مسنده)، والترمذي في (صحيحه)، وابن عبد البر في أحوال علي من (الاستيعاب)، وابن أبي عاصم في (السنة)، وابن النجار في (ذيل تاريخ بغداد) والخطيب البغدادي في (تاريخه). والحافظ ابن كثير في (البداية والنهاية) . . . وغيرهم.

وقد ذكر حديث المنزلة كل من تعرض لغزوة تبوك من المحدثين، وأهل السير والأخبار . . كما رواه كل مَنْ كتب في مناقب أهل البيت وفضائل الصحابة،

---

(١) (الصواعق المحرقة) لابن حجر العسقلاني ص١٠٧.

(٢) ج١ ص١٧٩.

(٣) ص٩٥٧.

وكل مَنْ ترجم حياة الإمام علي وسيرته، ومنهم السيوطي في (تاريخ الخلفاء)[1]. .

وحديث المنزلة، الذي جاء عن لسان النبي ﷺ. . . كرره ﷺ في مواقف مختلفة بعد غزوة تبوك عندما استخلفه على المدينة.

فقد أخرج الحسن بن بدر، والحاكم في (الكنى)، والشيرازي في (الألقاب)، أن النبي ﷺ كان مريضاً، فزاره أبو بكر وعمر بن الخطاب، وأبو عبيدة بن الجراح (رض). . . وخرج ﷺ مستنداً على تلميذه وربيبه علي بن أبي طالب، فضرب بيده الكريمة على كتف علي، وقال امام صحابته:

«يا علي أنت أول المؤمنين إيماناً، وأولهم إسلاماً. . وأنت مني بمنزلة هارون من موسى إلا أنه لا نبيّ بعدي».

وفي حديث آخر عن هذا الحديث، أن رسول الله ﷺ قال لأم سليم، (وهي والدة الصحابي الجليل أنس بن مالك (رض)، ولها مكانتها الكبيرة في الإسلام وبين المسلمين، لاسيما لدى النبي ﷺ. . حيث كان يزورها في بيتها). . قال لها:

«يا أم سليم أن علياً لحمه من لحمي. . ودمه من دمي. . وهو مني بمنزلة هارون من موسى. .»[2].

أخرجه الطبراني في (الكبير) من طريق حسن بن حسين العرني، عن الأعمش، عن حبيب بن أبي ثابت، عن سعيد بن جبير، عن عبد الله بن عباس (رض).

وفي رواية أخرى كان ذلك الحديث مع (أم سلمة). . لا مع (أم سليم). .

وحديث المنزلة ورد عن الخليفة الثاني عمر بن الخطاب[3] أيضاً. . كما ورد عن غالبية الصحابة وكثير من القرابة من آل البيت. .

---

(١) المراجعات ص١٤١.

(٢) المصدر السابق ص١٤٦.

(٣) (الرياض النضرة) ج٢ ص٢٤٤.

ذكر بشر بن هلال البصري، قال: حدثنا جعفر بن سليمان، عن حرب بن شداد، عن قتادة، عن سعيد بن المسيب، عن سعد بن أبي وقاص، قال:

لما غزا رسول الله ﷺ غزوة تبوك، خلف علياً في المدينة..

قالوا فيه: ملَّهُ وكره صحبته!!

فتبع علي النبي ﷺ، حتى لحقه في الطريق، وقال:

«يا رسول الله، خلفتني بالمدينة مع الذراري والنساء، حتى قالوا: مله وكره صحبته!» فقال النبي ﷺ:

«يا علي إنما خلفتك على أهلي.. أما ترضى أن تكون مني بمنزلة هارون من موسى، غير أنه لا نبي بعدي»...

... كان هارون، هو رجل الطقوس الدينية وشعائر الكهنوت في بني إسرائيل.. وكان موسى (ع) هو رسول... يقوم بأعباء الرسالة.

ومن عجائب التشابه، أن علياً ورث عن رسول الله ﷺ العلم الباطن، وما يتفرع عنه من علوم المعارف الإلهية..

كما تخصص هارون في إقامة شعائر الدين في بني إسرائيل..

أريد أن أقول، أن هارون، كان الرجل الرباني في قومه..

وأن علياً، كان الرجل الرباني في قومه..

حتى في مسار الأحداث.. اختلف بنو إسرائيل على هارون حين خلفه موسى في قومه، فعصوه وعبدوا العجل الذي صنعه لهم السامري.. وثبت مع هارون فريق، وخرج عليه فريق..

وهو ما حدث لعلي... حين خلف رسول الله ﷺ خليفة على المسلمين.. خرج عليه فريق منهم، وهم الذين عصوه،.. وثبت معه فريق، وهم الذين أطاعوه[١]...

---

(١) (حياة الإمام علي) محمود شلبي ص٣٤.. لم يكن هذا الموضوع تكراراً لموضوع (تبوك.. واستخلافه على المدينة) في ذاك سرد تاريخي عرضناه. وفي هذا عرض لمناقشات وآراء موضوعية لذلك التاريخ..

حديث الراية.. يوم خيبر[1]:

أخبرنا زكريا بن يحيى السجزي، قال: أخبرنا نصر بن علي، قال: حدثنا عبد الله بن داود عن عبد الواحد بن أيمن، عن أبيه. أن سعداً بن أبي وقاص، قال:

قال رسول الله ﷺ:

«لا دفعن الراية إلى رجل يحب الله ورسوله، ويحبه الله ورسوله، ويفتح الله بيده»

وهذا الحديث أخرجه الإمام أحمد.. وابن أبي عاصم[2].. والبيهقي[3].. أما شيخ الإسلام ابن تيمية، فقال:

(وهذا الحديث من أحسن ما يُحتج به على النواصب الذين يتبرؤون منه، ولا يتولونه ولا يحبونه، بل قد يكفرونه، ويفسقونه. كالخوارج..

فإن النبي ﷺ شهد له بأنه يحب الله ورسوله، ويحبه الله ورسوله)[4]

ذكر الإمام الحافظ النسائي. قال:

أخبرنا أحمد بن سليمان الرّهاوي، حدثنا عبد الله، أخبرنا ابن أبي ليلى، عن الحكم والمنهال، عن عبيد الرحمن بن أبي ليلى، عن أبيه. قال لعلي، وكان يسير معه:

إن الناس قد أنكروا منك شيئاً.. تخرج في البرد بالملاءتين.. وتخرج في الحرفي الخشن والثوب الغليظ!!

فقال: ألم تكن معنا بخيبر؟.. قال: بلى.. قال:

بعث رسول الله ﷺ أبا بكر، وعقد له لواء. فرجع.. وبعث عمر،

---

(١) راجع (من غزوة خيبر.. إلى معركة حنين) من هذا الكتاب تحاشياً للإطالة.

(٢) (السنه) ص١٣٧٩.

(٣) (الدلائل) ج٤ ص٢٠٧.

(٤) (المنهاج) لابن تيمية ج٣ ص١١.

وعقد له لواء. فرجع فقال رسول الله ﷺ: «لأعطين الراية رجلاً يحب الله ورسوله، ويحبه الله ورسوله، ليس بفرار. فأرسل إليّ وأنا أرمد فتفل في عيني، فقال: «اللهم اكفه أذى الحر والبرد..» قال ما وجدت حراً بعد ذلك، ولا برداً)[1].

أخرج مسلم في (صحيحه): أن رسول الله ﷺ أعطى الراية إلى علي يوم خيبر، فقال علي: **«يا رسول الله على ماذا أقاتلهم»؟**

فقال له ﷺ: **«قاتلهم حتى يشهدوا أن لا إله إلا الله، وإن محمداً رسول الله، فإن فعلوا ذلك فقد منعوا منك دماءهم وأموالهم إلا بحقها وحسابهم على الله»**[2]

وحديث الراية ورد عن أبي هريرة، على اختلاف أسماء الناقلين، مع تطابق الروايات.. ونذكر منهم ما ذكره الإمام الحافظ النسائي في (خصائصه)[3]..

١ ـ ذكر إسحاق بن إبراهيم بن راهويه، قال: أخبرنا جرير، عن سهيل، عن أبيه عن (أبي هريرة)، قال: قال رسول الله ﷺ:

«لأعطين الراية غداً رجلاً يحب الله ورسوله، يفتح عليه...».

قال عمر: فما أحببت الإمارة قط إلا يومئذٍ.. قال: فاستشرفت لها.. فدعا علياً فبعثه.. ثم قال ﷺ:

«اذهب فقاتل حتى يفتح الله عليك، ولا تلتفت...».

قال: فمشى ما شاء الله.. ثم وقف، ولم يلتفت.

---

(١) (خصائص أمير المؤمنين) للحافظ النسائي ص٣٦.

(٢) صحيح مسلم ج٨ ص٥١.. أخرجه البخاري، وأبو نعيم في (الحلية) ج١ ص٦٢ وفي (دلائل النبوة).. والقطيعي في (زياداته على الفضائل) ١١٢٢... والبيهقي في (الدلائل) ج٤ ص٢٠٥. والبغوي في (شرح السنة) ج١٤ ص١١١.. كما أخرجه أبو يعلي، والبزار عن سعيد بن جبير عن ابن عباس. والطبراني في (الصغير) ج٢ ص١٠ عن عمرو بن دينار عن جابر. وأخرجه قتيبة بن سعيد عن يعقوب بن عبد الرحمن عن أبي حازم، عن سهل بن سعد.. كما أخرجه عبد الله بن أحمد في (زوائده على فضائل الصحابة) والإمام أحمد في (مسنده) وفي (فضائل الصحابة). وابن الجزري في (مناقب علي)، وابن ماجه.. وغيرهم.

(٣) ص٤٣.

فقال: «**علام نقاتل الناس يا رسول الله**».

قال ﷺ: «**قاتلهم حتى يشهدوا أن لا إله إلا الله، وأن محمداً رسول الله. فإذا فعلوا ذلك، فقد منعوا دماءهم وأموالهم إلا بحقها، وحسابهم على الله**».

٢ ـ وعن محمد بن عبد الله بن المبارك المخرمي، قال: حدثنا أبو هشام المخزومي. قال: حدثنا وهيب عن سهيل بن أبي صالح، عن أبيه، عن (أبي هريرة)..

٣ ـ ورواية أخرى مطابقة لما سبقها، ولكن عن طريق قتيبة بن سعيد، قال: أخبرنا يعقوب عن سهيل بن أبي صالح، عن أبيه، عن (أبي هريرة)..

٤ ـ أما أبو الحسين أحمد بن سليمان الرهاوي، قال: حدثنا يعلي بن عبيد، قال: حدثنا يزيد بن كيسان، عن أبي حازم، عن (أبي هريرة)، قال: قال رسول الله ﷺ: «**لأدفعن الراية اليوم إلى رجل يحب الله ورسوله، ويحبه الله ورسوله**»، فتطاول القوم، فقال: أين علي بن أبي طالب؟.. فقالوا: يشتكي عينيه، قال: فبصق نبي الله في كفيه، ومسح بهما عيني علي، ودفع إليه الراية.. ففتح الله على يديه..

أما الإمام الحسن بن علي بن أبي طالب، قال بعد أن جمع الناس لما قتل أبوه، وهو معتم بعمامة سوداء:

(لقد كان قتلتم بالأمس رجلاً ما سبقه الأولون، ولا يدركه الآخرون، وإن رسول الله ﷺ قال: «لأعطين الراية غداً رجلاً يحب الله ورسوله، ويحبه الله ورسوله، ويقاتل جبرائيل عن يمينه، وميكائيل عن يساره، ثم لا ترد رايته حتى يفتح الله عليه..» ما ترك ديناراً، ولا درهماً، إلا تسعمائة أخذها عياله من عطاء كان أراد أن يبتاع بها خادماً لأهله...).

ذكر هذا الحديث إسحاق بن إبراهيم بن راهويه، عن النضر بن شميل، قال: أخبرنا يونس، عن أبي إسحاق عن هبير بن يريم[1].

(١) أخرجه الإمام أحمد بن حنبل في (المسند) ص١٧١٩ وفي (مناقب الصحابة) ص١٠١٤ وفي (الزهد) ص١٣٣ كما أخرجه ابن حبان. والشجري في (الأمالي) ج١ ص١٤٢... وغيرهم.

٩

لم يؤمر عليه أحد..
ولم يسد بابه.. وخبر المناجاة

قال رسول الله ﷺ للإمام علي:

«إني أُمرت أن أُدينك ، ولا أقصيك. . الخ» كما ذكر ذلك ابن جرير الطبري في تفسير للآية ١٢ من سورة الحاقة: ﴿وَتَعِيَهَآ أُذُنٌ وَٰعِيَةٌ﴾. .

كان النبي ﷺ يقرب ربيبه علياً بن أبي طالب، ويفضله على كل صحابته وقرابته. . لم يؤمر عليه أحداً من المسلمين. . ولم يجعله تحت قيادة أحد. . ولم يكن مأموراً، ولا تابعاً لغير رسول الله ﷺ طيلة حياته. .

فكان ﷺ يوليه القيادات، ويجعله على رأس جيش المسلمين. . كما كانت له الإمرة على غيره من القادة والشجعان. .

وعلي بن أبي طالب كان حاملاً للواء المسلمين في كل معركة وفي كل فتح وزحف. .

لقد أَمرّ النبي ﷺ على غيره من الصحابة الأوائل. . مثل أبي بكر، وعمر بن الخطاب (رض) أمرّ غيرهما عليهما. .

ففي غزوة (مؤتة) عبأ الرسول ﷺ جيشاً بقيادة أسامة بن زيد بن حارثة لغزو الروم في الشام، وعمره أقل من عشرين عاماً. . وكان تحت قيادته من الصحابة من هم أكبر منه سناً، نحو أبي بكر وعمر وقتادة بن النعمان، وسعد بن أبي وقاص، وأبي عبيدة بن الجراح وغيرهم. . سوى علي بن أبي طالب، الذي لم يكن من بين جند (أسامة). . كما لم يكن تحت قيادة أحد من المسلمين مطلقاً. . (وقد مر هذا ذكره). .

كما أن أبا بكر وعمر (رض) جعلهما رسول الله ﷺ من أجناد عمرو بن العاص في غزوة ذات السلاسل. .

وهذا ما أخرجه الحاكم[1].. وابن سعد في طبقاته.. وذكر ذلك كل مَنْ ذكر غزوة (ذات السلاسل) كالسيرة الحلبية مثلاً..

وورد في مسند الإمام أحمد بن حنبل (رض)، قال:

بعث رسول الله ﷺ بعثين إلى اليمن.. على أحدهما علي بن أبي طالب.. وعلى الآخر خالد بن الوليد..

فقال ﷺ: إذا التقيتم، فعلي بن أبي طالب على الناس.. وإن افترقتم فكل واحد منكما جنده[2]...

سد أبواب المسجد.. إلا باب علي:

ومن فضائل الإمام علي (ع) المشهودة له.. والتي يعتبرها الفقهاء دليلاً آخر من دلائل الوصاية له أو به..

خبر قيام رسول الله ﷺبسد الأبواب التي تصل إلى المسجد النبوي الشريف كلها، ما عدا باب علي، استثناها من أمر غلق الأبواب، وأمر بتركها مفتوحة له أنى شاء دخولها دون غيرها من الأبواب.. ودون غيره من الصحابة..

قال الإمام علي كرم الله وجهه، وهو يُشهد الناس على ذلك:

«أتقرون أن رسول الله ﷺ اشترى موضع مسجده ومنازله فابتناه، ثم بنى عشرة منازل، تسعة له، وجعل لي عاشرها في وسطها.. وسدّ كل باب شارع إلى المسجد غير بأبي.. فتكلم في ذلك مَنْ تكلم»..
فقال ﷺ:

«ما أنا سددت أبوابكم وفتحت بابه.. ولكن الله أمرني بسد أبوابكم، وفتح بابه».

قالوا: اللهم نعم..

---

(١) (المستدرك) للحاكم ج٣ ص٤٣.

(٢) (المراجعات) ص١٥٧.

وقد ذكر الإمام علي ذلك، حينما تفاخرت الأنصار وقريش بأمجادها.. فاحتج عليهم بأنهم نالوا تلك المفاخر والأفضال بالنبي ﷺ.. وهو أخوه وربيبه وأحق الناس به حياً أو ميتاً(١)...

... عن عامر بن واثلة، قال:

كنت مع علي يوم الشورى.. فسمعت علياً يقول لهم:

«لأحتجن عليكم بما لا يستطيع عربيكم، ولا عجميكم تغيير ذلك».. ثم قال: **«أنشدكم الله، هل فيكم أحد وحّدَ الله قبلي»**.. ثم قال:

«وأنشدكم الله، أتعلمون إنه ﷺ أمر بسد أبوابكم، وفتح بابي.. فقلتم في ذلك» فقال رسول الله ﷺ:

«ما أنا سددت أبوابكم ولا فتحت بابه... بل الله سبحانه وتعالى..»(٢).

وعن عبد الله بن عباس (رض)، قال:

حين طعن عمر بن الخطاب (رض)، دخل عليه علي بن أبي طالب.. فكان بينهما حديث.. فقال عمر (رض):

(إن رسول الله ﷺ المخصوص بسكنى المسجد.. وإن علياً أولى الناس به..)(٣).

ذكر الأمام أحمد بن حنبل (رض):

.. كانت لجماعة من الصحابة أبواب شارعة في مسجد الرسول ﷺ،

---

(١) (السقيفة) سليم بن قيس ص١٠١.

(٢) (ينابيع المودة) للحنفي ص٩٩. و(كنز العمال) ج١٢ ص٢٠٠. وابن الجوزي في (تذكرة الخواص) ص٤٦. والمحب الطبري في (ذخائر العقبى) ص٧٦.. و(الرياض النضرة) ج٢ ص١٩٢. والترمذي في (صحيحه) ج٢ ص٣٠١. الإمام أحمد في (مسنده) ج١ ص١٧٥. ابن حجر في (صواعقه) ص٧٦. و(مستدرك الصحيحين) ج٣ ص١٢٥.

(٣) (المسترشد) لابن رستم ص٦٨.

فقال ﷺ: «سدوا كل باب في المسجد، إلا باب علي».. حتى بلغ رسول الله ﷺ ما قالوا في ذلك.. فقام فيهم، فقال:

«إن قوماً قالوا في سد الأبواب، وتركي باب علي. إني ما سددت ولا فتحت ولكني أُمرتُ بأمر فاتبعته»(١).

وحديث سد الأبواب، وفتح بابه.. ذكره الإمام الحافظ النسائي في (الخصائص).. وابن الجوزي في (تذكرة الخواص).. والنيسابوري في (المستدرك).. والطبري في (الرياض النضرة)... وابن كثير الدمشقي في (البداية والنهاية)... والإمام أحمد بن حنبل في (المسند).. وابن أبي الحديد المعتزلي في (شرح نهج البلاغة).. والقندوزي في (ينابيع المودة).. وابن حجر العسقلاني في (الصواعق المحرقة).. والهيثمي في (مجمع الزوائد)... والشافعي البيهقي في (السنن الكبرى)... والعلامة الإمام السيوطي في (الحاوي للفتاوي)، وفي (تاريخ الخلفاء)... والترمذي في (صحيحه).. وأبو نعيم في (حلية الأولياء)... وغيرهم

لم يكتف رسول الله ﷺ بفتح بابه المؤدي إلى المسجد النبوي الشريف.. وسد أبواب غيره..

بل أحلَّ للإمام علي أن يجنب فيه في نومه إن نام فيه.. كما أورد ذلك ابن حجر العسقلاني في (صواعقه المحرقة).. فقال:

قال الرسول ﷺ لعلي:

«يا علي، لا يحل لأحد أن يجنب في المسجد غيري وغيرك..».

وقد روى هذا الحديث الطبري عن أم سلمى.. والبزار عن سعد بن أبي وقاص عن النبي ﷺ الذي أمر بسد أبواب الصحابة من المسجد تنزيهاً له عن الجنب والجنابة لكنه أبقى باب علي.. وأباح له عن الله تعالى أنْ يجنب في المسجد في نومه..

---

(١) (حجج النهج) للدكتور سعيد السامرائي ص٢٠٢.

ذكر محمد بن المثنى، عن يحيى بن حماد، عن الوضاح، قال: أخبرنا يحيى، حدثنا عمرو بن ميمون، قال: قال ابن عباس (رض):

(وسد رسول الله ﷺ أبواب المسجد غير باب علي، فكان يدخل المسجد جنباً وهو طريقه ليس له طريق غيره..)[1].

كما ذكر ذلك أيضاً عبد الله بن شريك، عن عبد الله بن الرقيم، عن سعد بن أبي وقاص، قال: إن العباس (رض) أتى النبي ﷺ، فقال:

سددت أبوابنا إلا باب علي!! فقال ﷺ:

«ما أنا فتحتها، ولا أنا سددتها..».

وأيد ذلك أيضاً زكريا بن يحيى السجزيُّ، قال: حدثنا عبد الله بن عمر.. وكذلك محمد بن وهب بن أبي كريمة الحراني، عن مسكين، قال: حدثنا شعبة، عن أبي بلج، عن عمرو بن ميمون، عن ابن عباس (رض)[2].

.... والمناجاة:

وعن خبر المناجاة.. روى الإمام أحمد بن حنبل (رض) في مسنده عن جابر الأنصاري، أن النبي ﷺ دعا علياً (ع) في يوم الطائف.. فانتجاه، وأطال نجواه.. حتى كره قوم من الصحابة ذلك.

فقال قائل منهم: لقد أطال اليوم نجوى ابن عمه!!

فبلغه عليه الصلاة والسلام ذلك، فجمع منهم قوماً، ثم قال ﷺ:

«إن قائلاً قال: لقد أطال نجوى ابن عمه. أما إني ما أنتجيته، ولكن الله إنتجاه».

رواه أبو بكر البغدادي في (تاريخ بغداد). والطبري في (الرياض النضرة)

---

(١) (خصائص علي بن أبي طالب) الإمام الحافظ النسائي ص٥٩.. الترمذي في (صحيحه) ج٢ ص٣٠٠... البيهقي في (سننه) ج٧ ص٦٥.. البخاري في (شرحه) ج٨ ص١٦... (كنز العمال) ج٦ ص١٥٩.. الهيثمي في (مجمعه) ج٩ ص١١٥.

(٢) أخرجه الترمذي. وابن عدي في (الكامل).

وفي (تفسيره) وفي (ذخائر العقبى). والجوزي في (تذكرة الخواص). وابن كثير في (البداية والنهاية). وابن المغازلي في (المناقب). وابن الأثير في (أسد الغابة). والترمذي في (صحيحه). والعلامة ابن أبي الحديد المعتزلي في (شرح نهج البلاغة). والعلامة الحسكاني في (شواهد التنزيل). وابن عساكر في (تاريخ دمشق). والمتقي الهندي في (كنزل العمال). والخوارزمي في (المناقب). وسليمان القندوزي في (ينابيع المودة). والعلامة الكنجي في (كفاية الطالب) وغيرهم[١]..

وعن أبي زُرعة بن عمرو بن جرير.. عن عبد الله بن نُجَيٍّ، سمع علياً يقول:

«كنتُ أدخل على نبي الله ﷺ، فإن كان يصلي سَبَّحَ فدخلتُ.. وإن لم يكن يصلي أذِنَ لي فدخلتُ»..

أخرجه الإمام أحمد بن حنبل. والمصنف في (السنن). وابن ماجة. وابن خزيمة[٢].

قال عز من قائل في محكم كتابه الكريم:

﴿يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِذَا نَـٰجَيْتُمُ ٱلرَّسُولَ فَقَدِّمُواْ بَيْنَ يَدَىْ نَجْوَىٰكُمْ صَدَقَةً ذَٰلِكَ خَيْرٌ لَّكُمْ وَأَطْهَرُ فَإِن لَّمْ تَجِدُواْ فَإِنَّ ٱللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ﴾ [سورة المجادلة، الآية: ١٢].

أورد الطبري في (تفسيره) لهذه الآية، إن الله سبحانه وتعالى نهى المسلمين عن مناجاة رسول الله ﷺ حتى يتصدقوا.. فلم يناجه إلا علي بن أبي طالب، قدم ديناراً فتصدق به.. ثم نزلت الرُّخصَةُ في ذلك ونُسِخَتْ.

(١) (ملامح شخصية الإمام علي) عبد الرسول عبد الغفار ص١١٢.

(٢) النسائي في (خصائصه) ص١١٠.

١٠ أداءة عن النبي ﷺ البراءة

في موسم الحج.. وعلى وجه التحديد أول ذي الحجة من السنة التاسعة للهجرة.. أوفد الصادق الأمين محمد ﷺ صاحبه أبو بكر الصديق (رض) على رأس بعثة إسلامية إلى مكة المكرمة التي كان يحجها كثير من المشركين إلى جانب المسلمين..

يأتي المشركون إلى الكعبة المشرفة يطوفون بها.. ويتقربون إلى الكهنة فيها ورجال دياناتهم، ليقدموا لهم النذورات والقرابين، في داخل البيت الحرام ومنهم عراة دون غطاء.. إلى أن نزلت الآية الكريمة:

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِنَّمَا ٱلْمُشْرِكُونَ نَجَسٌ فَلَا يَقْرَبُواْ ٱلْمَسْجِدَ ٱلْحَرَامَ بَعْدَ عَامِهِمْ هَٰذَا ۚ وَإِنْ خِفْتُمْ عَيْلَةً فَسَوْفَ يُغْنِيكُمُ ٱللَّهُ مِن فَضْلِهِۦٓ إِن شَآءَ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ عَلِيمٌ حَكِيمٌ﴾ [سورة التوبة، الآية: ٢٨]

فأرسل النبي ﷺ بعثة الحج تلك يرأسها أبو بكر الصديق (رض)، ليتلو على المسلمين في مكة المكرمة (البراءة)، وذلك لتحقيق جملة أغراض منها:

١ ـ تأكيد سيادة الدين الإسلامي والمسلمين على مكة بصورة عامة، وعلى بيت الله الحرام بصورة خاصة..

٢ ـ تعريف المسلمين بالكيفية التي يؤدي بها المسلم مناسك الحج في كل عام من موسم الحج..

٣ ـ إنذار واضح وشديد للمشركين بعدم السماح لهم بدخول بيت الله الحرام، اعتباراً من العام القادم، وحتى يشهروا إسلامهم...

لذا يتوجب على كهنتهم أن يرحلوا من هذا البيت، ويحملوا معهم ما بقي لهم من رموز وطقوس فيه..

٤ ـ إعلام للمسلمين بأن بيت الله لا يعمره، ولا يديمه إلا المسلمون. .
تطبيقاً لقوله تعالى:

﴿مَا كَانَ لِلْمُشْرِكِينَ أَن يَعْمُرُوا مَسَاجِدَ اللَّهِ شَاهِدِينَ عَلَىٰ أَنفُسِهِم بِالْكُفْرِ أُولَٰئِكَ حَبِطَتْ أَعْمَالُهُمْ وَفِي النَّارِ هُمْ خَالِدُونَ﴾ [سورة التوبة، الآية: ١٧].

﴿إِنَّمَا يَعْمُرُ مَسَاجِدَ اللَّهِ مَنْ آمَنَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ وَأَقَامَ الصَّلَاةَ وَآتَى الزَّكَاةَ وَلَمْ يَخْشَ إِلَّا اللَّهَ فَعَسَىٰ أُولَٰئِكَ أَن يَكُونُوا مِنَ الْمُهْتَدِينَ﴾ [سورة التوبة، الآية: ١٨].

٥ ـ كان النبي ﷺ يرمي من تلاوة ما ورد في سورة التوبة من براءة، إعلام المشركين أن ما بينهم وبين المسلمين من معاهدات غير محدودة الزمن منتهية. .

وإن ما بينهما من اتفاقيات، أو معاهدات محدودة الزمن، ووقتية بمدتها، فهي قائمة يحترمها المسلمون، إلا إذا أخل المشركون بها. .

إلا أن رسول الله ﷺ وبعد أن أوفد صاحبه الصديق (رض) ليتلو (البراءة) جاءه جبريل يحمل معه أمر ربه سبحانه وتعالى:

(أن لا يؤديها عنك إلا أنت أو رجل منك. .).

فأوفد النبي ﷺ ابن عمه علياً بن أبي طالب، تنفيذاً لأمره سبحانه وتعالى إلى مكة المكرمة ليتلو على الحجيج البراءة بدلاً من أبي بكر (رض). .

يقول جابر الأنصاري الذي كان في بعثة الحج مع أبي بكر:

كدنا نصل مكة حتى استوقفنا رغوة ناقة رسول الله ﷺ. . . فإذا عليها علي. فقال له أبو بكر: جئت أميراً، أم رسولاً؟

أجابه علي (ع):

«بل أرسلني رسول الله ﷺ ببراءة أقرأها على الناس يوم الحج»(١).

---

(١) صحيح الترمذي ج٢ ص١٨٣. النسائي في خصائصه ص٢٠. والإمام أحمد بن حنبل في مسنده ج٣ ص٢٨٣. والدر المنثور للسيوطي. تفسير ابن جرير الطبري ج١٠ ص٤٦. كنزل العمال ج١ ص٢٤٦.

وانسحب أبو بكر الصديق (رض) من مهمته التي أمره بها رسول الله ﷺ، بناء على أمره بتقديم الإمام علي بن أبي طالب عليه لتنفيذ تلك المهمة الجليلة الصعبة، التي ستُبَدل أكثر العلاقات بين المسلمين والمشركين، وستغير كل الموازين بينها.. بل وستزلزل أرض الجزيرة العربية التي اعتاد أهلها على الطواف بالكعبة كل عام وتقديم الأضاحي والنذورات لكهنتها!

تلك الرسالة سوف تطالب المسلمين بتوسيع سيطرتهم في سبيل الله سبحانه وتعالى، ونشر دينهم على عموم الجزيرة العربية.. وكذلك القضاء على الشرك والمشركين..

وتلا علي كرم الله وجهه على الناس أجمعين، مسلمين وغير مسلمين.. ما أمره الصادق الأمين ﷺ بتلاوته:

﴿بَرَآءَةٌ مِّنَ ٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦٓ إِلَى ٱلَّذِينَ عَٰهَدتُّم مِّنَ ٱلْمُشْرِكِينَ فَسِيحُوا۟ فِى ٱلْأَرْضِ أَرْبَعَةَ أَشْهُرٍ وَٱعْلَمُوٓا۟ أَنَّكُمْ غَيْرُ مُعْجِزِى ٱللَّهِ وَأَنَّ ٱللَّهَ مُخْزِى ٱلْكَٰفِرِينَ وَأَذَٰنٌ مِّنَ ٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦٓ إِلَى ٱلنَّاسِ يَوْمَ ٱلْحَجِّ ٱلْأَكْبَرِ أَنَّ ٱللَّهَ بَرِىٓءٌ مِّنَ ٱلْمُشْرِكِينَ وَرَسُولُهُۥ فَإِن تُبْتُمْ فَهُوَ خَيْرٌ لَّكُمْ وَإِن تَوَلَّيْتُمْ فَٱعْلَمُوٓا۟ أَنَّكُمْ غَيْرُ مُعْجِزِى ٱللَّهِ وَبَشِّرِ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ بِعَذَابٍ أَلِيمٍ﴾ [سورة التوبة، الآيات: ١ ـ ٣].

ثم:

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓا۟ إِنَّمَا ٱلْمُشْرِكُونَ نَجَسٌ فَلَا يَقْرَبُوا۟ ٱلْمَسْجِدَ ٱلْحَرَامَ بَعْدَ عَامِهِمْ هَٰذَا وَإِنْ خِفْتُمْ عَيْلَةً فَسَوْفَ يُغْنِيكُمُ ٱللَّهُ مِن فَضْلِهِۦٓ إِن شَآءَ إِنَّ ٱللَّهَ عَلِيمٌ حَكِيمٌ﴾ [سورة التوبة، الآية: ٢٨].

... وبعد أن أنهى الإمام ما تلاه بلّغ بقية الرسالة إلى الحجاج من المسلمين:

(إنه لا يدخل الجنة كافر، ولا يحج بعد العام مشرك، ولا يطوف بالبيت عريان)...

ثم عاد إلى المدينة بعد أداءه فريضة الحج ومراسيمها..

وعلم المشركون أن في تلك الرسالة رسالة لهم. . أن لا شرك ولا إشراك في الجزيرة العربية. .

بل يجب أن يسود الدين الإسلامي تحت شعار (لا إله إلا الله) فيها، دون أن يشرك في الله مشرك. .

عن عبد الله بن عباس، حبر الأمة (رض) قال:

بعث ببراءة مع أبي بكر (رض)، ثم بعث علياً ليأخذها منه. .

فجاء أبو بكر (رض) للنبي ﷺ، فقال:

يا رسول الله هل نزل فيَّ شيء!!. . قال ﷺ:

«لا يؤدي عني غيري، أو رجل من أهل بيتي»[١]. . . وفي رواية أخرى: **«لا يؤدي عني إلا أنا أو رجل مني»**. . .

وهكذا أرسل رسول الله ﷺ علياً ليتولى بنفسه إبلاغ، البراءة إلى المشركين نيابة عنه، لكونه ابن عمه ومن عصبته[٢].

وذكر (الصدوق) أن ابن عمر بن الخطاب (رض)، ذكر إرسال النبي ﷺ لعلي بتلاوة براءة، وشهد لعلي بهذه الفضيلة التي حسبها من فضائله[٣]. .

وقد أورد (الترمذي) في صحيحه[٤]، الحديث عن تلاوة البراءة. . وكذلك الإمام أحمد بن حنبل في مسنده[٥]. . وفي مستدرك الحاكم[٦] أيضاً وورد في كتاب (خصائص أمير المؤمنين علي بن أبي طالب) للإمام الحافظ النقَّاد أبي عبد الرحمن أحمد بن شُعيب النسائي، ذكرٌ لقول رسول الله ﷺ:

---

(١) البلاذري في (أنساب الإشراف) ج١ ص٢٨٣.

(٢) (البداية والنهاية في التاريخ) ٢ ص٣٧.

(٣) علل الشرائع ج١ ص١٨٩.

(٤) ج٤ ص٣٣٩.

(٥) ج٢ ص٣١٩.

(٦) ج٣ ص٥١ (مستدرك الصحيحين).

«. . . لا يؤدي عني إلا أنا ورجل مني» وبروايات مختلفة المصادر منها:

عن محمد بن بشار، عن عفان وعبد الصمد، قالا: حدثنا حماد بن سلمة، عن سماك بن حرب، عن أنس بن مالك، قال:

بعث النبي ﷺ سورة براءة مع أبي بكر، ثم دعاه، فقال:

«لا ينبغي أن يُبلغ هذا إلا رجل من أهلي».. فدعا علياً، فأعطاه إياها..

ويسند النسائي هذه الرواية إلى الإمام أحمد بن حنبل في (فضائل الصحابة) وفي (الفضائل).. وأخرجه أبو الحسين الصيداوي في (معجم شيوخه).. وكذلك الترمذي..

وفي رواية أخرى أوردها عن إسحاق بن إبراهيم بن راهويه، قال:

قرأت على أبي قرة موسى بن طارق، عن ابن جريج:

حدثني عبد الله بن خثيم، عن أبي الزبير، عن جابر:

أن النبي ﷺ حين رجع من عمرة (الجعرانة) بعث أبا بكر على الحج، فأقبلنا معه، حتى إذا كنا بالعرج، ثوّب بالصبح.. فلما استوى للتكبير، سمع الرغوة خلف ظهره.. فوقف عن التكبير، فقال:

(هذه رغوة ناقة رسول الله ﷺ «الجدعاء» لقد بدا لرسول الله ﷺ في الحج، فلعله أن يكون رسول الله ﷺ فنصلي معه).

فإذا علي (رض) عليها، فقال له أبو بكر:

أمير أم رسول؟ قال:

«لا، بل رسول أرسلني رسول الله ﷺ ببراءة أقرؤها على الناس في مواقف الحج»

فقدمنا مكة.. فلما كان قبل التروية بيوم، قام أبو بكر فخطب الناس فحدثهم عن مناسكهم، حتى إذا فرغ، قام علي (رض) فقرأ على الناس براءة حتى

ختمها.. فلما كان النفر الأول، قام أبو بكر، فخطب الناس، فحدثهم كيف (يَنْفِرُون) أو كيف يرمون، فعلمهم مناسكهم..

فلما فرغ قام علي (رض) فقرأ على الناس براءة حتى ختمها..

وفي رواية ثالثة، قال فيها:

أخبرنا العباس بن محمد الدُوْريُّ، قال: حدثنا أبو نوح قُرَادُ عن يونس بن أبي إسحاق، عن أبي إسحاق، عن زيد بن يُثَيعٍ، عن علي (رض):

أن رسول الله ﷺ، بعث ببراءة إلى أهل مكة مع أبي بكر، ثم أَتبعه بعلي، فقال له: (خذ الكتاب فامضى به إلى أهل مكة).. قال:

فلحقه فأخذ الكتاب منه، فانصرف أبو بكر وهو كئيبٌ.. فقال لرسول الله ﷺ:

أنزل فيَّ شيءٌ؟ قال:

«لا، إلا إني أُمرتُ أن أُبلِّغهُ أنا أو رجلٌ من أهل بيتي»[1].

(١) وتلك الرواية بسندها الإمام النسائي إلى الدارقطني، ويعقوب بن شيبه، والترمذي، والإمام أحمد بن حنبل، والبلاذري.

١١ وصية الغدير، وآية الولاية[1]

واقعة يوم الغدير... وحديث الرسول الأعظم ﷺ فيها، من الوقائع الرئيسة التي يستند إليها المسلمون من الشيعة في إثبات الوصية لعلي بن أبي طالب (ع)..

وكذلك حديث النبي ﷺ عند غدير خم الذي يبعد في موقعه عن منطقة (الجحفة) بناحية (رابغ) مسافة لا تزيد عن ثلاثة أميال.. والتي تتفرق منها طرق عديدة لمدن عدة.. وهو مكان لا يصلح للنزول لعدم وجود الماء والمرعى.. ومع ذلك توقف النبي ﷺ ومن معه في ذلك المكان القافر الشديد الحرارة.

خطبة رسول الله ﷺ يوم الغدير التي طلب فيها من المسلمين أن يوالوا الإمام علياً.. فدعا لمن يواليه.. كما دعا على مَنْ يعاديه..

تلك الخطبة التي أجمع عليها كل فقهاء المسلمين والمؤرخين، ورواة الحديث على اختلاف مذاهبهم، فذكروها بالإجماع...

واتفقوا على ما جاء بها، لا سيما ذكر علي بن أبي طالب فيها، وإنه كان هو المقصود بتلك الخطبة دون غيره.. أي أنهم اتفقوا عليها، وعليه.

ولم يذكر أي واحد من المسلمين أن الخطبة جاءت في غير علي (ع).. ولا في أي أحد من صحابة رسول الله ﷺ....

نعم اتفقوا على نقطتين مهمتين حول الخطبة عند غدير خم:

١ - إنها جاءت في حق علي بن أبي طالب... سواء كانت وصية له، أم وصية به.

---

(١) هذا الموضوع لم يكن تكراراً لموضوع (من كنت مولاه..) في الفصل الرابع.. وإنما هو مكمل له.

٢ ـ لم يكن لأي أحد من الصحابة له ذكر فيها إلا علي.. فلا وصية لغيره، أو وصية بغيره..

لكنهم اختلفوا في تفسير خطبة النبي ﷺ.... هل هي جاءت بالوصية نصاً للإمام علي ليخلف رسول الله ﷺبعده في خلافة المسلمين، وإدارة شؤونهم!

أم هي وصية به للحفاظ على موقعه الذي كان به في حياة النبي ﷺ، ولتكون له المكانة الكبيرة مستمرة ومحفوظة لدى المسلمين بعد حياته!

جاء في خطبة الرسول الأعظم ﷺ عند غدير خم بعد أن أخذ بيد علي بن أبي طالب رافعاً إياها إلى الأعلى:

«مَنْ كنت مولاه فهذا علي مولاه، اللهم والِ من والاه، وعادِ من عاداه وانصر من نصره، واخذل من خذله، وأدر الحق معه حيث دار».

أخرج هذا الحديث، وتلك الخطبة كل رواة الحديث، والفقهاء، وأجمع عليها المسلمون (ولا حاجة لنا بذكرهم مرة أخرى بعد أن ذكرناهم تفصيلاً في الفصل الرابع «إشكالية الخلافة بعد النبي ﷺ» في موضوع «من كنت مولاه فهذا علي مولاه..» لذا أرجو من القارىء الكريم العودة له ليكون موضوعنا هذا مكملاً له..).

يقول سيد الكائنات محمد ﷺ (من كنت مولاه..) وعني بها مَنْ كان يدين للنبي ﷺ بالولاية، ويؤمن بولايته ويلتزم بها، ويطيعه فيما يأمرهم بإذن الله تعالى، لأن إطاعة النبي ﷺ أوجبها على المسلمين رب العالمين سبحانه وتعالى..

فهي فريضة من فرائض الإسلام التي أوجبت حب نبيهم.. وحبه من حب الله.. ذلك لأن مَنْ أحب النبي، فقد أحب الله..

إذن أوجب سبحانه وتعالى موالاة النبي ﷺ وطاعته وحبه.. وإلا فلا يكون المسلم مسلماً بغيرها..

وقد جعل الله تعالى لنبيه الموقع الأول، والمكانة المتقدمة.. وأولاه قيادة المسلمين عامة والولاية عليهم..

ثم في قول رسول الله ﷺ في خطبته، يقول: (... فهذا علي مولاه).

يتتج من قوله ﷺ ذلك، إنه جعل للإمام علي المقام الذي جعله الله له.. حيث أعطى النبي ﷺ لعلي ما أعطاه الله لمحمد ﷺ، وبأمر من الله سبحانه وتعالى..

نعم قصد الرسول ﷺ في قوله هذا أن يكون للإمام علي بعده، نفس الموقع الذي كان هو فيه من قيادة للمسلمين وولايته عليهم..

فجعله بموقعه بعد موته.. وبمكانته بعد وفاته. وأمر المسلمين جميعاً أن يعقدوا له الولاية والطاعة، كما كانوا يوالونه ويطيعونه..

ودعا ربه أن ينصر مَنْ يواليه، ويطيعه وينصره.. ويعادِ مَنْ يحاربه ويعاديه ويخذله ولا ينصره..

ذلك لأن النبي ﷺ كان دائماً يضع علياً في منزلته منه.. ويكرر قوله له:

«.. إنه ليس أحد أحق منك بمقامي لقدمك في الإسلام، وقربك مني، وصهرك وعندك سيدة نساء العالمين. وقبل ذلك ما كان من بلاء أبي طالب عندي حين نزل القرآن، فأنا حريص على أن أراعي ذلك لولده..»[1].

كما قال ﷺ لعلي بن أبي طالب:

«أخصمك يا علي بالنبوة، فلا نبوة بعدي...»[2].

وقال رسول الله ﷺ:

«لكل نبي وصي، وأنا وصيي علي بن أبي طالب..»[3]. وقال ﷺ:

«أنا خاتم الأنبياء، وعلي خاتم الأوصياء»[4].

وعن أم المؤمنين أم سلمة (رض)، قالت: قال رسول الله ﷺ:

---

(١) رواه أبو إسحاق الثعلبي في تفسيره للقرآن الكريم.

(٢) رواه الإمام أحمد بن حنبل (رض) في مسنده.

(٣) رواه ابن عساكر في تاريخه ج٣ ص٥. والخوارزمي في مناقبه ص٤٢. وورد في ينابيع المودة ص٧٩.

(٤) المصادر السابقة.. ذخائر العقبى.

«**إن الله اختار لكل نبي وصياً، وعلي وصيي في عترتي وأهل بيتي وأمتي بعدي**»[1].

تلك الأحاديث والأقوال الشريفة لسيد المخلوقات ﷺ.. لم يخص بها أحداً من الصحابة والقرابة.. غير علي بن أبي طالب الذي عقد له، اجتماع (خم).. ودعى في خطبته المسلمين مولاته.. بل وجعله في مكانته وموقعه منهم.. ذلك للخصائص التي أنعم الله بها عليه.. فقول الرسول ﷺ:

«**من كنت مولاه فهذا علي مولاه**» أراد به ﷺ:

«من كنت أملك طاعته فعلي يملك طاعته..»[2].

إذن فلا تفسير لغير تفسير الوصاية والولاية له بأمر من الله تعالى، واستناداً لقوله: «**يا أيها الرسول بلغ ما أنزل إليك من ربك وإن لم تفعل فما بلغت رسالته والله يعصمك من الناس**».

ذكر اليعقوبي حديث الغدير... حيث سماه (يوم النص على علي بن أبي طالب).. ويقصد النص على خلافة علي من بعده[3].

وعن عامر بن أبي ليلى بن ضُمرة، وحذيفة بن أسيد، قالا:

(بعد حجة الوداع التي حجها النبي ﷺ والتي لم يحج بعدها، انصرف إلى الناس وذلك يوم غدير خم، وخم من الجُحفة، وله بها مسجد معروف، فقال:

«**أيها الناس إنه قد نبأني اللطيف الخبير أن ادعى فأجيب، وإني مسؤول وأنتم مسؤولون.. هل بلغتُ، فما أنتم قائلون؟**».

قالوا: نقول قد بلغت وجهدت ونصحت فجزاك الله خيراً.

قال: «**ألستم تشهدون أن لا إله إلا الله وأن محمداً عبده ورسوله، وإن جنته حقّ، وإن ناره حقّ، والبعث بعد الموت حقّ!**».

قالوا: بلى نشهد.. وقال ﷺ: **اللهم اشهد**... ثم قال ﷺ: «**أيها الناس**

(١) الموفق بن أحمد الحنفي في مناقبه. الحمويني الشافعي في فرائد السمطين.. وأحمد بن حنبل في مسند.. والثعلبي أبو إسحاق في الكشف والبيان.

(٢) (معاني الأخبار) للصدوق ص٧٤.

(٣) اليعقوبي في (تاريخه) ج٢ ص٣٢.

ألا تسمعون، ألا فانَّ الله مولاي، وأنا أولى بكم من أنفسكم. . ألا ومن كنت مولاه فهذا مولاه. .» وأخذ بيد علي فرفعها حتى عرفه القوم أجمعون. ثم قال ﷺ: **«اللهم والِ مَنْ والاه، وعادِ مَنْ عاداه. .»**[1].

أخرجه ابن عقدة[2] في الموالاة من طريق عبد الله بن سنان عن أبي الطفيل. .

روى أبو إسحاق الثعلبي في تفسيره:

(إن سفيان بن عُيينة سُئلَ عن قوله تعالى: ﴿سَأَلَ سَآئِلٌۢ بِعَذَابٍ وَاقِعٍ﴾ [سورة المعارج، الآية: ١] فيمن نزلت، فقال للسائل:

سألتني عن مسألة ما سألني أحد قبلك. . وقال:

حدثني أبي عن جعفر بن محمد عن أبائه عليهم السلام: إن رسول الله ﷺ لما كان بغدير خم نادى الناس فاجتمعوا. . فأخذ بيد علي رضي الله عنه، وقال: **«مَنْ كنت مولاه فعلي مولاه»**. . فشاع ذلك وطار في البلاد. .

فبلغ ذلك (الحارث بن النعمان الفهري)، فأتى رسول الله ﷺ على ناقة، فنزل بالأبطح عن ناقته، وأناخها. . فقال:

يا محمد أمرتنا من الله أن نشهد أن لا إله إلا الله، وإنك رسول الله، فقبلناه منك. . وأمرتنا أن نصلي خمساً، فقبلناه منك. . وأمرتنا بالزكاة، فقبلنا. . وأمرتنا أن نصوم شهراً، فقبلنا. . وأمرتنا بالحج، فقبلنا. .

ثم لم ترضى بهذا حتى رفعت بضبعي ابن عمك تُفضله علينا، وقلت: من كنت مولاه فعلي مولاه. . فهذا شيءٌ منك أم من الله عز وجل؟

فقال له النبي ﷺ: **«والذي لا إله إلا هو أن هذا من الله عز وجل وليس مني. . وقالها ثلاثاً. .»**.

---

(١) ينابيع المودة ص٣٨.

(٢) هو أبو العباس أحمد بن محمد بن سعيد بن عقدة الكوفي. . كان حافظاً للحديث، وكان يقول: أحفظ مائة ألف حديث. وله عدة كتب، منها الولاية. وهو مَنْ روى غدير خم. ولد في الكوفة سنة ٢٥٠هـ وتوفي فيها سنة ٣٣٢هـ.

فنهض الحارث ورفس راحلته، وقال:

اللهم إن كان هذا صحيحاً، فأنزل علينا عذاباً أليماً!!

وعندما سمع الرسول ﷺ ذلك دعا عليه، فأمطرت السماء عليه حجراً أهلكته.. ونزلت الآية الكريمة: ﴿سَأَلَ سَآئِلُۢ بِعَذَابٖ وَاقِعٖ لِّلۡكَٰفِرِينَ لَيۡسَ لَهُۥ دَافِعٞ﴾[1].

ذكر ابن قتيبة في كتابه الإمامة والسياسة[2]، وقال:

(ذكروا أن رجلاً من همدان يقال له «برد» قدم على معاوية بن أبي سفيان، فسمع عمرو بن العاص يقع في علي بن أبي طالب.. فقال:

يا عمرو إن أشياخنا سمعوا رسول الله ﷺ يقول: مَنْ كنت مولاه فعلي مولاه.. أحقٌ ذلك، أم لا؟

فقال عمرو بن العاص:

حقٌ، وأنا أزيدك أنه ليس أحد من صحابة رسول الله ﷺ له مناقب مثل مناقب علي بن أبي طالب..

ففزع الفتى.. ورجع إلى قومه، فقال:

(إنا أتينا قوماً أخذنا الحجة عليهم من أفواههم، علي على الحق فاتبعوه).

وروى فقهاء الشيعة عن جعفر بن محمد الصادق، أنه قال:

(أوصى الله نبيه وأمره أن ينصب لهم علياً إماماً يقتدون به من بعده، فخشي رسول الله ﷺأن يقول الناس أنه حابى ابن عمه.. فأوحى الله إليه:

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلرَّسُولُ بَلِّغۡ مَآ أُنزِلَ إِلَيۡكَ مِن رَّبِّكَۖ وَإِن لَّمۡ تَفۡعَلۡ فَمَا بَلَّغۡتَ رِسَالَتَهُۥۚ وَٱللَّهُ يَعۡصِمُكَ مِنَ ٱلنَّاسِۗ﴾ [سورة المائدة، الآية: ٦٧]...

(١) (جواهر العقدين) ـ إصدار وزارة الأوقاف العراقية ص٩٨٧.. تفسير الثعلبي في السورة المذكورة.. تفسير القرطبي ج١٨ ص٢٧٨.. السيرة الحلبية ج٣ ص٢٧٥.. وتذكرة الخواص لابن الجوزي ص٣٧.

(٢) ج١ ص١٢٩.

فقام يوم الغدير، فنصب لهم علياً، وقال: «مَنْ كنت مولاه فهذا علي مولاه..» فأنزل الله تعالى:

﴿ٱلْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتْمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِي وَرَضِيتُ لَكُمُ ٱلْإِسْلَٰمَ دِينًا﴾ [سورة المائدة، الآية: ٣] فطاعة علي (ع) آخر فريضة نزلت من فرائض الإسلام)[١]..

وذكر الشيخ المفيد: (أن رسول الله ﷺ أوجب لعلي فرض طاعته على الخلايق واختصاصه بخلافته، ودعا إلى اتباعه، والنهي عن مخالفته، والدعاء لمن اقتدى به وقام لنصرته، والدعاء على مَنْ خالفه، واللعن على مَنْ بارزه بعداوته..)[٢].

وأورد الشريف المرتضى عن حديث الغدير، على أنه من النصوص الجليلة على خلافة علي بن أبي طالب (ع)[٣]..

ويقول العلامة الطبرسي:

(إن خبر الغدير رواه الشيعي، وغير الشيعي، وتلقته الأمة بالقبول على اختلافها في النحل وتباينها في المذاهب، وإن كانوا اختلفوا في تأويله..

ويقول إن النبي ﷺ قرر لأمته في ذلك المقام على فرض طاعته، فقال ﷺ: «ألست أولى بكم من أنفسكم»! فلما أجابوه بالاعتراف رفع أمير المؤمنين علي، وقال عاطفاً على ما تقدم: «مَنْ كنت مولاه فهذا مولاه»..

ثم يقول: وإذا كان النبي ﷺ أولى بالخلق من أنفسهم، حيث كان مفترض الطاعة عليهم وأحق بتدبيرهم وأمرهم ونهيهم بلا خلاف. وجب أن يكون ما أوجبه لأمير المؤمنين فيكون أولى بالمؤمنين من حيث إطاعته مفترضة عليهم، وأمره ونهيه مما يجب نفوذه فيهم وفرض الطاعة محقق بالتدبير، ومن هذا الوجه لا يكون إلا

(١) الرازي في (الزينة) ص٢٠٢.

(٢) (الإرشاد) للشيخ المفيد ص٩٥.

(٣) (الشافي) للمرتضى ص٨٥.

النبي أو الإمام. . فإذا لم يكن نبياً، وجب أن يكون إماماً. .)[1].

وعن جعفر بن محمد الصادق، قال:

(نعطي حقوق الناس بشهادة شاهدين، وما أُعطي أمير المؤمنين علي حقه بشهادة عشرة آلاف نفس!!).

وذكر سبط ابن الجوزي:

(إن المراد من الحديث الطاعة المحضة المخصوصة، ومعنى ذلك مَنْ كنتُ أولى به من نفسه، فعلي أولى به).

ويفسر قوله ﷺ «ألست أولى بالمؤمنين من أنفسهم»، فيقول:

(هذا نص صريح في إثبات إمامته وقبول طاعته. .)[2].

كما أنه يروي حديث الغدير عن زيد بن أرقم، وعن أبي هريرة، والبراء بن عازب. . ويذكر اتفاق علماء التاريخ والحديث والسير على أن خطبة الغدير، كانت بعد رجوع النبي ﷺ من حجة الوداع. . حيث جمع الصحابة وكانوا مائة وعشرين ألفاً ممن كانوا يسكنوا مكة والمدينة وما حولهما.

الإجماع على اجتماع الغدير:

. . من هنا نجد أن واقعة الغدير، واجتماع الحجيج العائد بقيادة النبي ﷺ وخطبته في ذلك الملأ العظيم من المسلمين. . أجمع عليه رواة التاريخ، وأثبتتها المصادر التاريخية على اختلاف مللها ونحلها، عن صحابة رسول الله ﷺ الذين شهدوا معه ذلك الحدث العظيم. .

وقد أعطت مؤلفات ومصادرالشيعة أهمية كبرى في النص على خلافة الإمام علي كرم الله وجهه من خلال حادث وحديث الغدير. . .

لما أخذ النبي ﷺ بيد علي بن أبي طالب يوم الغدير، استأذن الشاعر

(١) (أعلام الورى بأعلام الهدى) للطبرسي ص١٦٩.

(٢) (تذكرة الخواص) ص٣٧ لسبط بن الجوزي المتوفي ٦٥٤هـ.

حسان بن ثابت من الرسول الأعظم ﷺ، أن يقول في تلك المناسبة شعراً، فأذن له فقال:

يناديهم يوم الغدير نبيهم ... بخم واسمع بالرسول مناديا
فقال: فمن مولاكم ونبيكم؟ ... فقالوا ولم يبدوا هناك تعاميا
إلاهك مولانا وأنت نبينا ... ولم تلق منا في الولاية عاصيا
فقال له قم يا علي فإنني ... رضيتك من بعدي إماماً وهاديا
فمن كنت مولاه فهذا وليه ... فكونوا له اتباع صدق مواليا
هناك دعا اللهم وال وليه ... وكن للذي عادا علياً معاديا[1]

لم تقتصر رواية الغدير على الرواة من الشيعة.. وإنما كثير من العلماء والرواة من أهل السنة ذكروا موضوع الغدير تفصيلاً.. (وقد ذكرنا قسماً منهم في موضوع «مَنْ كنت مولاه فهذاعلي مولاه» لذا فلا حاجة لنا لتكرار ما ذكرناه).. ولكن نضيف لهم، إن الجاحظ (المتوفي ٢٥٥هـ) تحدث عن حديث الغدير في كتابه (العثمانية). وكذلك القاضي عبد الجبار المعتزلي (المتوفي ٤١٥هـ) في (شرح اصول الخمسة).. كما أورد النسائي عدة روايات في حديث الغدير عن زيد بن أرقم، والبلاذري..

أما الباقلاني (المتوفي ٤٠٣هـ) فقد ذكر حديث الغدير وفسر (من كنت مولاه..) قال:

إنه يحتمل أمريين، أحدهما مَنْ كنت ناصره على دينه، وحامياً عنه بظاهري وباطني وسري وعلانيتي.. فعلي ناصره على هذا السبيل!!

كما يحتمل أيضاً أن يكون، مَنْ كنت محبوباً عنده وولياً، فعلي مولاه... أي إن ولاءه ومحبته واجبه.. كما أن ولائي ومحبتي على هذا السبيل واجب!!

فالباقلاني يعطي تفسيراً لكلمة (مولى) مخالفاً بقية تفاسير الفقهاء المارة

---

(١) ذكره الخوارزمي المالكي في (المناقب) ص٨٠.. وجلال الدين السيوطي في (الازدهار فيما عقده الشعراء من الأشعار) وكذلك الشافعي في (كفاية الطالب). والرضي في (خصائص أمير المؤمنين) ص٦. وسليم بن قيس في (السقيفة) ص٢٠٣. والشيخ المفيد في (الإرشاد) ص٩٤.

الذكر. . . وهو لا يفسر ذلك الحديث بالإمامة، أو الخلافة لعلي. .

ويقول لو كان هذا الحديث صحيحاً لاحتج به علي يوم السقيفة(١)!!

نقول. . نعم لم يحتج الإمام علي كرم الله وجهه بحديث الغدير يوم السقيفة، لسبب جلي وبسيط. . وهو أنه لم يحضر السقيفة، ولم يشارك فيها. . بل عزّ على القوم أن يكون بينهم لعلمهم بأن مقاييس أمورهم تنقلب بوجوده. .

لقد كان شغله الشاغل، وهمه الكبير تحضير جنازة أعظم مخلوق، وأجل إنسان، وسيد كل مرسل. . ألا وهو الرسول القائد العظيم، وحزنه بفقدانه لاتسعه الأحزان، ورزيته بموته اهتزت لها القلوب، وتجلجلت الأبدان. .

. . . لكن الإمام ذكر واقعة الغدير بعد حين في خطبته (الشقشقية) والتي سيأتي ذكرها، وكذلك ذكرها في خطب وأحاديث غيرها، منها عند استخلافه في خلافته واجتماعه مع أصحابه في (الرحبة) قرب الكوفة سنة خمس وثلاثين هجرية.

وقد قصد الإمام علي من ذلك تثبيت حقه للمسلمين، وللتاريخ. . فكان له ذلك دون شكٍ أو ريب، بعد أن رأى فرصة إظهار الحق قد تحققت، وآن أوانها. .

آية الولاية. .

قال عز من قائل في سورة المائدة الآية ٥٥:

﴿إِنَّمَا وَلِيُّكُمُ ٱللَّهُ وَرَسُولُهُۥ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ٱلَّذِينَ يُقِيمُونَ ٱلصَّلَوٰةَ وَيُؤْتُونَ ٱلزَّكَوٰةَ وَهُمْ رَٰكِعُونَ وَمَن يَتَوَلَّ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ فَإِنَّ حِزْبَ ٱللَّهِ هُمُ ٱلْغَٰلِبُونَ﴾.

هذه الآية الكريمة قطعت الشك باليقين في تفسير حديث الغدير لصالح الإمام علي كرم الله وجهه، وولايته على المسلمين بعد رسول الله ﷺ الذي جاء حديثه (وصاية له). . لا (وصاية به)!!

(إنما وليكم الله. .): معناها واضح وضوح الشمس. . إنه ولينا، ومولانا، ونعم المولى ونعم النصير. .

(١) (التمهيد في الرد على الملحدة والمعطلة والرافضة والخوارج والمعتزلة) للباقلاني ص١٧٢ ـ ١٧٣.

(ورسوله..) كذلك هو رسول الله ﷺ.. ولينا بعد الله عز وجل.. ولا حاجة لهذا الجزء من الآية الشريفة إلى تفسير، أو تأويل لوضوحها أيضاً..

(والذين آمنوا. الذين يقيمون الصلاة.. ويؤتون الزكاة وهم راكعون..) أما أولياؤنا بعد الله ورسوله هم:

(الذين آمنوا...) ولكن! لا كل الذين آمنوا.. لأن كل صحابة النبي ﷺ من المؤمنين. لكنها جاءت محددة تحديداً واضحاً تكاد تسمي مَنْ هو كان مقصوداً بها من بين الذين آمنوا..

إذاً مَنْ مِنْ الذين آمنوا!!.. هم:

(الذين يقيمون الصلاة ويؤتون الزكاة وهم راكعون...) وقد اتفق كل فقهاء المسلمين دون استثناء، إنها جاءت بحق علي بن أبي طالب عندما كان يقيم صلاته، جاءه أحد المحتاجين من المسلمين طالباً منه المساعدة لسد حاجته..

فمدَّ له الإمام إصبع يده الذي به خاتمه، مشيراً له أن يأخذه منه.. فأخذه ذلك السائل، وعندها نزلت تلك الآية الكريمة بحقه(١)..

إذن نستنتج من هذه الآية الشريفة، الواضحة المعنى التي لا تحتاج إلى تأويل أو تفسير، أو اجتهاد... إن الإمام علياً بن أبي طالب، هو ولي المسلمين الثالث بعد الله سبحانه وتعالى، وبعد رسوله ﷺ...

وتطبيقاً لتلك الآية، أوصى الرسول ﷺ للإمام علي أن يكون ولياً على المسلمين من بعده، وذلك في مجالات ومواقف وأحاديث عديدة.. تصريحاً

---

(١) بعض المصادر المؤيدة لنزول هذه الآية الشريفة في حق الإمام علي:

أ ـ في التفاسير: تفسير النيسابوري. البيضاوي.. الثعلبي.. الفخر الرازي في (تفسيره الكبير) ورشيد رضا في (تفسيره المنار)..

ب ـ في المصادر: السيوطي في (الدر المنثور). الهيثمي في (مجمعه) ج٧ ص١٧. (كنز العمال) ج٦ ص٣١٩. (ذخائر العقبى) ص١٠٢. الطبراني في (الأوسط). وابن مردويه عن عمار بن ياسر. والقرطبي الأندلسي في (الجامع لأحكام القرآن). والآلوسي في (روح المعاني). وكذلك في (مجمع البيان) للطبرسي. الواحدي في (أسباب النزول). ابن حجر العسقلاني في (صواعقه المحرقة). وابن كثير أبو بركات النسفي. وابن عساكر. والكنجي الشافعي في (كفاية الطالب). وابن أبي حاتم. وعبد الرزاق وغيرهم.

وتلميحاً.. وتَوَجُّهاً بيوم غدير خم، حيث أوصى له بصورة مباشرة... أو (بصورة رسمية) حسب التعبيرات السياسية في العصر الحديث..

.. هذا ومن غير المعقول أن يفسر مفسر حديث الغدير، أن النبي ﷺ أوصى بعلي ولم يوص له!! ذلك لأن من غير المعقول أيضاً أن يجمع الرسول ﷺ المسلمين البالغ عددهم أكثر من مائة ألف مسلم مرة أخرى بعد أن خطب فيهم خطبته المشهورة في حجة الوداع، ليقول لهم أوصيكم بابن عمي علي بن أبي طالب أن تحبوه لأن محبته واجبة!! كما ذكر الباقلاني وغيره من بعض مفسري خطبة الغدير تفسيراً سياسياً لمصلحة مَنْ لعب بالحكم والخلافة بعد الخلفاء الراشدين!!

﴿وَإِنَّ فَرِيقًا مِّنْهُمْ لَيَكْتُمُونَ ٱلْحَقَّ وَهُمْ يَعْلَمُونَ﴾ [سورة البقرة، الآية: ١٤٦].

والوصية بمحبة الإمام لا تحتاج أن يجمع النبي ﷺ في ذلك الحر الشديد المسلمين مرة ثانية وهم مثقلون بمتاعب السفر والسير بعد عودتهم من مراسيم الحج معه، وهو الذي أوصى به وبآل بيته بمواضع ومواقف عديدة ومختلفة..

فهل يحتاج علي بن أبي طالب في ذلك الظرف الصعب العصيب وصية خاصة بمحبته واحترامه من قبل المسلمين! وقد قال ﷺ من قبل عنه:

«إن هذا أخي ووصي، وخليفتي من بعدي فاسمعوا وأطيعوا»(١). وفي رواية أخرى قال ﷺ لعلي:

«أنت أخي ووصيي وخليفتي من بعدي وقاضي ديني..»(٢).

لقد ذكر كثير من الرواة أن رسول الله ﷺ لم يجمع حشد المسلمين، ويخطب فيهم إلا لموضوع جلل ومهم.. مثل الدفاع عن المبادىء الإسلامية، ورد

---

(١) تاريخ ابن أثير ج٢ ص٦٢. تاريخ ابن عساكر ج١ ص٨٥. تاريخ الطبري ج٢ ص٣١٩. كنز العمال ج١٥ ص١٥. السيرة الحلبية ج١ ص٣١١.

(٢) (الرياض النضرة) لمحب الدين الطبري ج٢ ص١٧٨. (تذكرة الخواص) للعلامة سبط ابن الجوزي ص٤٣. (مجمع الزوائد) لأبي بكر الهيثمي ج٩ ص١١٣. (تهذيب التهذيب) لابن حجر العسقلاني. (ميزان الاعتدال) للعلامة الحافظ الذهبي ج٤ ص١٢٧. (المحاسن والمساوىء) للبيهقي ص٣١. (شواهد التنزيل) للحسكاني ص٧٧ ج١. وفي (كنز العمال) ج٦ ص١٥٤.

الغزاة، وكذلك إلزامهم بتنفيذ أمر من أوامر الله سبحانه وتعالى بعد نزول آية من آياته، أو لتعليمهم تعاليم الدين الحنيف..

وكانت وصية الغدير حدثاً من الأحداث المهمة في الإسلام، والتي جاءت لتنفيذ أمر من أوامره سبحانه وتعالى، تطبيقاً للآية الكريمة:

﴿وَمَا يَنطِقُ عَنِ الْهَوَىٰ إِنْ هُوَ إِلَّا وَحْيٌ يُوحَىٰ﴾ [سورة النجم، الآيتين: ٣ و٤].

في وصية الغدير لم يذكر الرسول ﷺ أي واحد من آل بيته تخصيصاً، أو من أصحابه... ولم يوصي بأحد منهم.. كما ذكرنا.

بل جاءت تلك الخطبة وصية خاصة لعلي بن أبي طالب.. ومن ثم بآل بيته عموماً. حيث ذكر اسمه فيها وحده دون غيره: **«مَنْ كنت مولاه.. فهذا علي مولاه..»** ونستطيع أن نفسر هذا المقطع من الخطبة الشريفة بآحاديث شريفة أخرى خص فيها الإمام علي، وحدد فيها موقعه منه ومن المسلمين.. منها: **«لكل نبي وصي. وأنا وصيي علي بن أبي طالب»** وغير هذا الحديث، أحاديث للوصاية قالها رسول الله ﷺبحق علي كثيرة، أوردنا منها فيما مر..

وفي رواية رواها أبو بكر (رض) عن الرسول ﷺ أيضاً الذي قال:

«علي مني كمنزلتي من ربي..»(١).. وغير ذلك من أحاديث شريفة، كثيرة ومنوعة(٢)..

ورد في مجمع الهيثمي(٣)، عن سلمان الفارسي، قال:

قلت لرسول الله ﷺ: يا رسول الله إن لكل نبي وصياً، فمن وصيك؟

قال النبي ﷺ: **«يا سلمان.. تعلم مَنْ وصيّ موسى؟»**.

قلت: نعم.. (يوشع بن نون)..

قال ﷺ: لِمَ؟

---

(١) (جواهر العقديين في فضل الشرفين) لعلي بن عبد الله السمهودي الحسيني وزارة الأوقاف العراقية ج١ ص٣١٧.

(٢) راجع (خصائص الإمام في الأحاديث النبوية) من هذا الكتاب.

(٣) ج٩ ص١١٣.

قلت: لأنه كان أعلمهم يومئذٍ. .

قال ﷺ: «فإن وصيي، وموضع سري، وخير مَنْ أترك بعدي، وينجز عدتي، ويقضي ديني. . علي بن أبي طالب»[1].

. . . تلك هي وصية الغدير يوم الغدير. . واقعة وقعت. . وتاريخ مهم من تاريخ المسلمين. . وحدث جلل وأمر جليل من أوامر الله الواضحة التي لا لبس فيها ولا اختلاف. . وكل أوامره سبحانه وتعالى جليلة وواضحة غير ذات لبس ولا اختلاف. .

إذن للمسلم خياران، لا ثالث لهما:

إما أن يقر ويؤمن بيوم الغدير، وما جاء بخطبة رسول الله ﷺ فيها، من وصية واضحة للإمام علي، دون أن يجزىء محتواها ولا يغيرمن فحواها. .

أي إنه لا يمكن للمسلم أن يقرّ بيوم الغدير وخطبته، ولا يؤمن بمحتواها الحقيقي التي جاءت من أجله!!!

وإما أن لا يؤمن بيوم الغدير وما جاء به بصورة مطلقة. . وفي هذه الحالة عليه أن يعود إلى الآية الكريمة الواضحة. . إلى قوله تعالى في سورة المائدة:

﴿إِنَّمَا وَلِيُّكُمُ ٱللَّهُ وَرَسُولُهُۥ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱلَّذِينَ يُقِيمُونَ ٱلصَّلَوٰةَ وَيُؤْتُونَ ٱلزَّكَوٰةَ وَهُمْ رَٰكِعُونَ﴾ [سورة المائدة، الآية: ٥٥].

هذه الآية لا اختلاف عليها بين المسلمين في تفسيرها ومعناها، ومَنْ المقصود بالولاية كما ذكرنا:

إنه الله سبحانه وتعالى عزت قدرته. . وبعده نبيه الكريم ﷺ. . وبعده علي بن أبي طالب كرم الله وجهه، ولي على المسلمين بعد نبي المسلمين ﷺ. .

وهنا لا بد لنا أن نورد بعض الرواة والحفظة والمؤرخين من غير الشيعة. . والذين أيدوا نزول آية الولاية بحق الإمام علي كما ذكرنا، بالإضافة إلى ما مر ذكرهم فيما سبق من هذا الموضوع[2]:

---

(١) رواه الطبراني، ذكره المناوي في فيض القدير ج٤ ص٣٥٩ في الشرح. . وأخرجه البزار أيضاً.

(٢) راجع ص٣٧٧ من هذا الكتاب/ الهامش.

١ ـ الحافظ أبو القاسم الطبراني ـ المتوفي ٣٧٠هـ في (أحكام القرآن) ج٢ ص٥٤٢.

٢ ـ الحافظ أبو سعد السمعاني الشافعي ـ المتوفي ٥٦٢هـ في (فضائل الصحابة).

٣ ـ الحافظ محمد بن أحمد بن جزي الكلبي ـ المتوفي ٧٥٨هـ في تفسيره (التسهيل لعلوم التنزيل) ج١ ص١٨١.

٤ ـ الحافظ أبو الفرج ابن الجوزي الحنبلي ـ المتوفي ٥٩٧هـ.

٥ ـ الحافظ عبد بن حميد الكشي ـ المتوفي ٢٤٩هـ في تفسيره.

٦ ـ الحاكم ابن البيع النيسابوري ـ المتوفي ٤٠٥هـ في (معرفة أصول الحديث) ص١٠٢.

٧ ـ ابن جرير الطبري ـ المتوفي ٣١٠هـ في تفسيره ج٦ ص١٨٦ وبمختلف الطرق.

٨ ـ القاضي أبو عبد الله محمد بن عمر المدني الواقدي ـ المتوفي ٢٠٧هـ في (ذخائر العقبى) ص١٠٢.

٩ ـ الفقيه أبو الحسن علي بن محمد الطبري الشافعي ـ المتوفي ٥٠٤هـ في تفسيره.

١٠ ـ أخطب الخطباء الخوارزمي ـ المتوفي ٥٦٦هـ في مناقبه ص١٧٨.

١١ ـ ابن أبي حاتم الرازي ـ المتوفي ٣٢٧هـ. كمافي تفسير ابن كثير. والدر المنثور، وأسباب النزول للسيوطي.

١٢ ـ أبو الحسن الماوردي الشافعي ـ المتوفي ٤٥٠هـ ـ في تفسيره.

١٣ ـ أبو القاسم جار الله الزمخشري الحنفي ـ المتوفي ٥٣٨هـ ـ في (الكشاف) ج١ ص٤٢٢.

١٤ ـ عز الدين ابن أبي الحديد المعتزلي ـ المتوفي ٦٥٥هـ ـ في (شرح نهج البلاغة) ج٣ ص٢٧٥.

١٥ ـ الإمام أبو بكر بن سعدون القرطبي ـ المتوفي ٥٦٧هـ ـ في تفسيره ج٦ ص٢٢١.

١٦ ـ أبو المظفر ابن الجوزي الحنفي ـ المتوفي ٦٥٤ ـ في (تذكرة الخواص) ص٩.

١٧ ـ أبو حيان أثير الدين الأندلسي ـ المتوفي ٧٥٤هـ ـ في تفسيره (البحر المحيط) ج٣ ص٥١٤.

١٨ ـ القاضي ناصر الدين البيضاوي الشافعي ـ المتوفي ٦٨٥هـ ـ في تفسيره ج١ ص٣٤٥. وفي (مطلع الأنظار) ص٤٧٧ و٤٧٩.

١٩ ـ علاء الدين الخازن البغدادي ـ المتوفي ٧٤١هـ ـ في تفسيره ج١ ص٤٩٦.

٢٠ ـ الشيخ محمد مؤمن الشبلنجي ـ في (نور الأبصار) ص٧٧.

.. ذكر العلامة الزمخشري في خصائص العشرة الكرام البررة، خصوصية من خصائص الإمام علي (ع):

(إنه ولي الله وولي رسوله، وولي المؤمنين كما جاء بالآية الكريمة إنما وليكم والله ورسوله..).

ذلك هو الإمام علي الذي يصف مكانته من الولاية، كما سماها الرسول الأعظم ﷺ.. أو الخلافة كما سُميت بعده:

«... وإن محلي منها محل القطب من الرحى ينحدر عني السيل، ولا يرقى إلي الطير..»[1].

ومن خطبته له:

«... والذي بعثه بالحق واصطفاه على الخلق ما أنطق إلا صادقاً وقد عهد إلي بذلك كله..»[2].

(١) (نهج البلاغة) محمد عبده ج١ ص٣٠.

(٢) المصدر السابق ج٢ ص٩٠.

ومن كلام له:

«إن أولى الناس بالأنبياء أعلمهم بما جاءوا به..»[١].

وقال الإمام علي:

«... واجمعوا على منازعتي حقاً كنت أولى به من غيري»[٢].

... وبعد حين، عاد حقه في الولاية أو الخلافة بعد مقتل الخليفة الثالث عثمان بن عفان (رض) عام ٣٥ هجرية. وعلى وجه التحديد في ١١/٧/٦٥٥م، وفي رواية أخرى في ٢٦/٥/٦٥٦م.

وهنا لا بد لنا أن نقول: أن الأمة الإسلامية أجمعت على خلافة الإمام علي (ع) على اختلاف مذاهبها ومشاربها، ولم تختلف عليه.. ولكنها اختلفت على خلافة غيره!!

نعم كان علي مؤهلاً للولاية.. بل في مقدمة الذين كانوا أهلاً لها..

فَمن مثله في إيمانه وزهده.. في تقواه وورعه.. في عبادته ويقينه..

ومَنْ مثله في فقهه وعلمه واعتقاده.. في بطولته وبطولاته.. في شجاعته ومواقفه وتضحياته وجهاده..

ومَنْ مثله في فصاحته وبلاغته... ومَنْ مثله في حلمه وسعة صدره وصبره وسماحته..

ومَنْ مثله عرف الله وأطاعه وأعطاه حقه... وعرف رسوله وآمن بكل ما جاء به.. ومَنْ مثله جمع حكمة الحكماء، وعلم العلماء، وفقه الفقهاء.. ومَن قبله أسلم وصلى.. ومن غيره تربى بأحضان سيد الكائنات.. وولد في بيت الله، واستشهد في بيت الله!!...

روى أنس بن مالك، أن يهودياً دخل المسجد أيام خلافة أبي بكر (رض)، فسأل الناس:

---

(١) نفس المصدر ج٣ ص١٥٧.

(٢) نفس المصدر ج٢ ص٢٠٢.

ـ أين وصي رسول الله؟ فأشاروا إلى أبي بكر، فقال الرجل له:

ـ أريد أن أسألك عن أشياء لا يعلمها إلا وصي أو نبي.. فقال أبو بكر:

ـ سل عما بدا لك.. قال اليهودي:

ـ أخبرني عما ليس لله.. وعما ليس عند الله.. وعما لا يعلمه الله..!! قال أبو بكر:

ـ هذه مسائل الزنادقة يا يهودي!

همّ أبو بكر والمسلمون باليهودي.. فقال لهم ابن عباس (رض): ما أنصفتم الرجل! فقال أبو بكر:

ـ أما سمعت ما تكلم به!... فقال ابن عباس:

ـ إن كان عندكم جوابه.. وإلا فاذهبوا به إلىٰ علي بن أبي طالب يجيبه، فإني سمعتُ رسول الله ﷺ يقول لعلي: «اللهم اهد قلبه وثبت لسانه». فقام أبو بكر ومَنْ حضره فأتوا علياً في داره.. فاستأذنوا عليه، فقال أبو بكر:

ـ يا أبا الحسن إن هذا اليهودي سألني مسائل الزندقة.. فقال الإمام علي بن أبي طالب: ما تقول؟... قال اليهودي:

ـ أسألك عن أشياء لا يعلمها إلا نبي أو وصي نبي..

فأعاد اليهودي أسئلته عليه.. أجابه الإمام:

ـ أما ما لا يعلمه الله: فذلك قولكم معشر اليهود أن عزيرا ابن الله. والله لا يعلم أن له ولداً. إذ لو كان له ولد، لكان يعلمه..

وأما قولك، بما ليس عند الله: فليس عنده ظلم للعباد..

وأما قولك، بما ليس لله: فليس لله شريك..

فقال اليهودي:

ـ (أشهد أن لا إله إلا الله، وأن محمداً رسول الله، وأنك وصي رسول الله..)[1].

---

(١) (علي إمام المتقين) المرحوم عبد الرحمن الشرقاوي ج١ ص٨٣.

١٢ أشجعهم وأعلمهم..

إذا أعد المؤرخون سجلاً بأسماء أشجع الشجعان منذ بدأ الحياة على الأرض وحتى يومنا هذا، فلا بُدّ لهم أن يبدأوا سجلهم بالإمام علي بن أبي طالب.. ولا بُدّ لهم أن يختموا ذلك السجل به أيضاً..

فعندما نذكر الأبطال، نذكر أولهم الإمام.. وعندما نذكر الإمام، نذكر البطولات والشجاعة ونقرنهما به..

وكل كتب السيرة والتاريخ التي كتبت عن الإمام، أجمعت على أن علياً بن أبي طالب أشجع الصحابة.. وأقواهم.. وأكثرهم إقداماً..

وقد فرّ أمامه الشجعان والأبطال والصناديد في كل المعارك والغزوات الإسلامية التي شارك فيها..

وفرّ منه مَنْ كان له قوة تقارب الخيال

وكانت قوته حديث الناس يتحدثون عنها قصصاً عجيبة وغريبة قاربت الخيال أيضاً!!

كان شجاعة وقوة الإمام علي كرم الله وجهه مضرب الأمثال عبر الأزمنة والأجيال.. حتى رويت عن شجاعته وقوته أحداث قاربت المعجزات.. كاقتلاع باب خيبر، وقد عجز عن تحريكه فيما بعد عشرون صحابياً.. وتحويل الصخرة العظيمة التي عجز الجيش كله عن تحريكها.. وغير ذلك من الروايات المشهورة[١].

لقد فرّ الشجعان من الصحابة في المعارك الإسلامية المختلفة بمواقف

(١) (مع الصادقين) د. محمد التيجاني السماوي ص١٠١.

عديدة.. بينما لم يفرّ الإمام علي في أية معركة مطلقاً.. ولم تُسجل عليه أية هزيمة في أية معركة اشترك بها.. بل كان ثابتاً في موقعه.. مستمراً في زحفه ضد عدوه.. مشهوراً بضربته الآحادية المنفردة دون تكرار لها.. كان كراراً ليس فراراً.

وكان أشجع الصحابة قاطبة دون استثناء.. ولم نسمع بمَنْ هو أشجع منه بين صفوف المسلمين..

الإمام علي له من القوة العظيمة التي عدها أقرانه بالقوة الخارقة التي وهبها الله سبحانه وتعالى له دون غيره.. وحسبنا في ذلك:

إصراره في طلبه من الرسول ﷺ بمنازلة بطل جزيرة العرب (عمرو بن عبد ود العامري) الذي كانت صناديد العرب تهاب اسمه، وتتحاشى الاشتراك في قتال القوم الذين يقاتل معهم!!

وحسبنا كذلك مبيته في فراش رسول الله ﷺ، عندما هاجر مع صاحبه إلى يثرب.. بعد أن علم ﷺ بمؤامرة قريش على قتله في فراشه.. وقد مر ذلك علينا سابقاً في مواضع مختلفة..

وإذا ما أضفنا صفة الشجاعة هذه إلى صفاته المتميزة الأخرى التي انفرد بها.. لذا يصبح حقاً أنه (رباني) هذه الأمة.. كما ذكر ذلك الإمام الفقيه الحسن البصري.. وكما قال عن شجاعته خصمه اللدود معاوية بن أبي سفيان:

(.. إنه لم يبرز إليه أحد إلا قتله..)[1].

والحديث عن شجاعة الإمام وقوته وبطولاته، والوقائع التي استبسل فيها، يراد لها فصولاً عديدة..

ونحن هنا لا نريد التوسع في ذلك، لأننا أوردنا في بداية هذا الكتاب مواضيع تتعلق بشجاعته، وبطولاته، ابتداء من موضوع (الفتى الذي لا فتى غيره) حتى معارك المسلمين التي قاتل فيها دفاعاً عن الحق..

... وبطولات الإمام ما اقتصرت يوماً على ميادين الحرب.. فقد كان بطلاً في صفاء بصيرته، وطهارة وجدانه، وسحر بيانه، وعمق إنسانيته، وحرارة إيمانه،

---

(١) (حياة الإمام علي) محمود شلبي ص٥١٩.

وسمو دعته، ونصرته للمحروم والمظلوم من الحارم والظالم.. وتعبده للحق أينما تجلى له الحق..

وهذه البطولات، ومهما تقادم بها العهد، لا تزال مقلعاً غنياً، نعود إليه اليوم وفي كل يوم كلما اشتد بنا الوجد إلى بناء حياة صالحة، فاضلة[1]...

يصف الأستاذ جورج جرداق شجاعة الإمام علي، فيقول:

(... والشجاعة في حدودها الصحيحة ليست عملاً جسدياً، بل طبعاً من طباع النفس، ومزية من مزايا الإيمان.. وشجاعة الإمام هي من الإمام بمنزلة التعبير من الفكرة.. وبمثابة العمل من الإرادة، لأن محورها الدفاع عن طبعٍ في الحق وإيمان بالخير. والمشهور أن أحداً من الأبطال لم ينهض له في ميدان. وإن فارساً لم يثبت أمامه على صهوة، فقد كان لجرأته على الموت، لا يهاب صنديداً بالغاً ما بلغ من القوة والبأس والصولة ورهبة الصيت..

بل إن فكرة الموت لم تجل مرة في خاطر الإمام وهو في موقف نزال.. وإنه لم يقارع بطلاً إلا بعد أن حاوره لينصحه ويهديه..)[2].

لو تجسمت الشجاعة وتمثلت في شخص، لكان ذلك الشخص هو علي بن أبي طالب.. بل لو عرفه قدماء اليونان لا تخذوه إلهاً للشجاعة في جملة آلهتم التي عبدوها..

سئل في بعض حروبه:

إذا جالت الخيل، أين نطلبك؟ قال:

(حيث تركتموني، فإني لا أفر.. ولا أتبع فاراً).

وذُكر أن درعه كانت لا ظهر لها.. فقالوا له:

أنا نخاف عليك أن تؤتى من قبل ظهرك! فقال:

«إذا مكنت عدوي من ظهري، فلا أبقى الله عليه إن أبقى عليّ»[3].

---

(١) ميخائيل نعيمه (في تقديمه لكتاب (علي وحقوق الإنسان لجورج جرداق).

(٢) (علي وحقوق الإنسان) جورج جرداق ص٨٠.

(٣) (الإمام علي أسد الإسلام وقديسه) روكسي العزيزي ص١١٧ ـ ١٦٠.

سلوني... وسلوني:

لنطوي صفحة شجاعة الإمام علي، لنفتح صفحة أخرى من صفحاته المشرقة التي انفرد بها دون غيره.. كما انفرد ببقية صفاته دون غيره أيضاً..

ولنطرق في هذه الصفحة باب علمه ومعرفته.. ذلك العلم الذي تعلمه من رسول الله ﷺ الذي أخذ علمه من الوحي الإلهي، فعلم النبي ﷺ الإمام، حتى أوصله في علمه إلى المصاف الذي هو فوق الأولياء، ودون الأنبياء.. ولو لم يكن في مثل هذا المستوى والمرتبة النادرة لما قال عنه النبي ﷺ: **«أنا مدينة العلم وعلي بابها»**.

وكفاه فخراً بعلمه، حينما قال عنه ذلك العالم العظيم محمد ﷺ:

(أعلم أمتي من بعدي علي بن أبي طالب)[1].

عن ابن مسعود، قال:

كنت عند النبي ﷺ، فسأله سائل عن علم علي بن أبي طالب كرم الله وجهه..

أجابه النبي ﷺ:

«قسمت الحكمة عشرة أجزاء، فأُعطي علي تسعة أجزاء، والناس جزءاً واحداً، وهو أعلم بالعُشر الباقي»[2].

وقال ذلك أيضاً حبر الأمة ابن عم رسول الله ﷺ عبد الله بن عباس (رض):

(أُعطي علي تسعة أعشار العلم، وأنه لأعلمهم بالعُشر الباقي) وفي رواية أخرى قال عبد الله بن عباس (رض):

---

(١) ورد في كنز العمال ج٦ ص١٥٦ عن الديلمي عن سلمان.

(٢) أخرجه الخوارزمي.. وابن المغازلي الشافعي.. وذكره المتقي في (كنز العمال) ج٦ ص١٥٤. وأبو نعيم في (الحلية).. وابن الجوزي عن ابن مسعود.. وأخرجه الإمام أحمد بن حنبل في (المناقب) والمحب الطبري في (الرياض النضرة) ج٢ ص٢٠٠... والشافعي في (مطالب السؤول) ص٢١.. وكذلك في (فرائد السمطين) لإبراهيم الحمويني.. والقندوزي في (ينابيع المودة) ص٧٠.

(. . سلوه. . فوالله لقد أُعطي علي تسعة أعشار العلم، وأيم الله لقد شاركهم في العُشر العاشر. .)[1].

وقال عنه الخليفة الثاني عمر بن الخطاب (رض):

(العلم ستة أسداس، لعلي من ذلك خمسة أسداس، وللناس سدس. ولقد شاركنا في السدس حتى لهو أعلم به منا). .

وقال عمر (رض) أيضاً:

قال رسول الله ﷺ:

«ما اكتسب مكتسب مثل فضل علي، يهدي صاحبه إلى الهدى، ويرده عن الردى»[2].

روى الإمام أحمد بن حنبل (رض) في مسنده، عن معاوية بن أبي سفيان، قال:

(إن علياً كان رسول الله ﷺ يغره العلم غراً)[3].

وسُئل عطاء بن أبي رباح، عن أعلم من علي بعد رسول الله ﷺ. . أجاب بعدم وجود أعلم منه بعد الرسول ﷺ. .

وذكر الخطيب البغدادي، عن أنس بن مالك (رض)، قال:

قيل: يا رسول الله عمن نكتب العلم؟ أجاب ﷺ:

«عن علي بن أبي طالب. . . وعن سلمان»[4].

وورد في التفسير الكبير للفخر الرازي، في ذيل تفسيرقوله تعالى:

---

(١) (علي إمام المتقين) عبد الرحمن الشرقاوي ج٢ ص٢١.. (الاستيعاب) لابن عبد البر ج٢ ص٤٦٢.. (أسد الغابة) لابن الأثير ج٤ ص٢٢.. القندوزي في (ينابيع المودة) ص٧٠.. (ذخائر العقبى) للطبري ص٧٨ والسيوطي في (تاريخ الخلفاء) والدمشقي في (الشذرات الذهبية).

(٢) وردفي (ذخائر العقبى) ص٦١ وأخرجه الطبراني.

(٣) رواه الطبري في (ذخائر العقبى) ببعض الاختلاف. . ورواه الحمويني في (فرائد السمطين) ج١ الباب ٦٨.

(٤) (تاريخ بغداد) ج٦ ص١٥٨.

﴿وَأَمَّا بِنِعْمَةِ رَبِّكَ فَحَدِّثْ﴾ [سورة الضحى، الآية: ١١]. . ذكر حديثاً قال فيه:

قالوا لعلي: حدثنا عن نفسك، فقال:

«مهلاً فقد نهى الله عن التزكية». . . فقيل له:

أليس الله تعالى يقول: ﴿وَأَمَّا بِنِعْمَةِ رَبِّكَ فَحَدِّثْ﴾. . . فقال:

«إني أحدث. . كنت إذا سئلت أعطيت، وإذا سكت ابتديت. . وبين الجوانح علم جم. . فاسألوني. .»[1].

وعن عطاء بن مسلم، قال: سمعت سفيان يقول:

(ما حاج علي أحداً، إلا حجه)[2].

وعن عبد الله بن عباس (رض) قال، وقد سأله الناس عن علي بن أبي طالب:

(كان ممتلئاً جوفه حكماً وعلماً وبأساً ونجدة، مع قرابته من رسول الله ﷺ)[3].

كان الإمام علي قطب الإسلام. . وفذاً من أفذاذ العقل. . وموسوعة المعارف العربية. . وما من علم من علوم العرب إلا وقد وضع أصله، أو ساهم في وضعه. وكان من العلوم في المحل الذي لا تحلق إليه البشر كما ذكر ذلك الشيخ الرئيس ابن سينا. .

. . قال سعيد بن المسيب:

(ما كان أحد من الناس يقول سلوني غير علي بن أبي طالب)[4].

---

(١) (الفضائل) مرتضى الحسيني ج٢ ص٢٦٢.

(٢) ابن سعد في (طبقاته) ج٢ القسم ٢ ص١٠١.

(٣) (الرياض النضرة) ج٢ ص١٩٤. وأخرجه الإمام أحمد بن حنبل في (المناقب).

(٤) ورد ذلك في (الاستيعاب) لابن عبد البر ج٢ ص٤٦٢. وفي (أسد الغابة) لابن أثير ج٤ ص٢٢. وابن حجر العسقلاني في (صواعقه) ص٧٦. والمحب الطبري في (الرياض النضرة) ج٢ ص١٩٨. والإمام أحمد في (المناقب).

.. نعم انفرد الإمام علي (ع) من بين الصحابة في قوله: (سلوني..) ولم يقل غيره ذلك أحد..

وكم من مرة كرر قوله أمام جمع المسلمين من على منابر مساجدهم، وفي حشودهم:

«يا معشر الناس سلوني قبل أن تفقدوني.. سلوني فإن عندي علم الأولين والآخرين.. أما والله لو ثُنيت لي الوسادة لحكمت بين أهل التوراة بتوراتهم، وبين أهل الإنجيل بإنجيلهم.. وبين أهل الزبور بزبورهم، وبين أهل الفرقان بفرقانهم، حتى ينهي كل كتاب من هذه الكتب، ويقول: يا رب إن علياً قضى بقضائك.. والله إني لأعلم بالقرآن وتأويله من كل مدع علمه..».

.. ثم يقول:

«سلوني قبل أن تفقدوني.. فوالذي فلق الحبة وبرأ النسمة لو سألتموني عن آية لأخبرتكم بوقت نزولها، وفيم نزلت، وأنبأتكم بناسخها ومنسوخها، وخاصها من عامها، ومحكمها من متشابهها، ومكيها من مدنيها.. والله ما من فئة تضل أو تهدي إلا وأنا أعرف قائدها، وسائقها، وناعقها..».

فسأله أحد القراء:

فما نزل فيك؟ قال الإمام:

«لولا أنك سألتني على رؤوس الملأ ما حدثتك!! أما تقرأ قوله تعالى في سورة هود: ﴿أَفَمَن كَانَ عَلَىٰ بَيِّنَةٍ مِّن رَّبِّهِۦ وَيَتْلُوهُ شَاهِدٌ مِّنْهُ﴾.

فرسول الله ﷺ على بينة من ربه.. وأنا الشاهد منه، أتلوه، وأتبعه».

ثم أمسك الإمام عن الحديث عن نفسه حياءً وتحرجاً.. فقام عبد الله بن عباس (رض)، وقال:

(وقوله تعالى في سورة المائدة: ﴿إِنَّمَا وَلِيُّكُمُ ٱللَّهُ وَرَسُولُهُۥ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱلَّذِينَ يُقِيمُونَ ٱلصَّلَوٰةَ وَيُؤۡتُونَ ٱلزَّكَوٰةَ وَهُمۡ رَٰكِعُونَ وَمَن يَتَوَلَّ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ فَإِنَّ حِزۡبَ ٱللَّهِ هُمُ ٱلۡغَٰلِبُونَ﴾... نزلت في علي بن أبي طالب (ع))[1].

ويقول الإمام علي ذلك العالم النحرير في معرض طلبه من المسلمين أن يسألوه حتى يُعلمهم مما تعلمه:

«سلوني فوالله لا تسألوني عن شيء إلا أخبرتكم.. وسلوني عن كتاب الله.. فوالله ما من آية إلا وأنا أعلم أبليل نزلت أم بنهار، أم في سهل أم في جبل..»[2].

... تلك النداءات التي انطلقت من علي بن أبي طالب، تنم عن آيات جليلة على سعة معرفته وعمقها بكل المجالات والحقول الواسعة في العلم والمعرفة والفقه والكون.. ولا عجب في ذلك إذا ما عرفنا أن معرفته تلك غره إياها معلمه العظيم، سيد الكائنات الذي تلقى كل علمه ومعرفته من رب العالمين عن طريق وحيه كما مرَّ ذكره..

فكان وحده منفرداً بعد الرسول ﷺ بالعلم والمعرفة بكل ضروبها، وشتى أركانها.. وكان وحده الذي كرر القول للمسلمين: (سلوني.. وسلوني..)

وما كان أحد من الناس يقولها غيره..

لقد تعود الإمام أن يقول كلما يعتلي المنبر:

«سلوني قبل ألا تسألوني. لن تسألوا بعدي مثلي».

فسأله ابن الكواء: ما الذاريات! قال الإمام: الريح..

قال: فما الحاملات وقرا؟ أجابه: السحب..

---

(١) (علي إمام المتقين) المرحوم عبد الرحمن الشرقاوي ج٢ ص٢١.

(٢) (حلية الأولياء) لأبي نعيم ج١ ص٦٧. و(طبقات ابن سعد) ج٢ ص١٠١. (كنز العمال) ج١ ص٢٢٨. (الإصابة) لابن حجر. (الاستيعاب) لابن عبد البر ج٢ ص٤٦٣. (المناقب) للخوارزمي. (شرح نهج البلاغة) لابن أبي الحديد، بنحو آخر.. وذكره القندوزي في (ينابيع المودة).

فسأله ابن الكواء: فما الجاريات يسراً؟ قال: السفن..

فسأله: فما المقسمات أمراً؟ قال: الملائكة..

وتعالت الصيحات: الله أكبر.. صدق الرسول ﷺ إذ قال:

«أنا مدينة العلم وعلي بابها»[1].

وقد خاطب من على منبر رسول الله ﷺ المسلمين مراراً، بأنه تعلم من النبي ﷺ علم السموات والأرض.. وهو يريد أن يفيد المسلمين ببعض مما تعلمه منه، ويقول:

«إن في صدري هذا لعلماً جماً، علمنيه رسول الله ﷺ، ولو أجد له حفظة يرعونه حق رعايته، ويروونه عني كما يسمعونه مني.. إذاً لأودعتهم بعضه».

كان الإمام علي كرم الله وجهه يطالب المسلمين بالمبادرة إلى سؤاله ليفيدهم من علمه.. وكم كان يقول لهم:

«سلوني قبل أن تفقدوني»..

ولكن لا مجيب له، ولا سائل يسأله حتى يتعلم من علمه.. إلا بعض من أصحاب المدارك المحدودة، والعقليات السقيمة..

حيث يسأله سنان بن أنس النخعي، ويقول للإمام:

أخبرني يا أمير المؤمنين بما في رأسي ولحيتي من طاقة شعر!!

وكذلك فعل تميم بن أسامة التميمي!!

إلا أن الإمام يجيب الأول:

«والله لقد حدثني خليلي أن على كل طاقة شعر من رأسك ملكاً يلعنك.. وإن كل طاقة شعر من لحيتك شيطاناً يغويك.. وإن في بيتك سخلاً يقتل ابن رسول الله ﷺ»..

---

(١) (علي إمام المتقين) ج٢ ص٢١.

وكان ابنه أحد قتلة الحسين في (واقعة كربلاء) يومئذ طفلاً صغيراً عند ذلك القول!!

لله درك يا أبا الحسن، وأنت تعرض على المسلمين ما عندك من علم لا يعلمه إلا الله وأنبيائه وتُسأل ما سُئلت!!

مَثَلي بينكم مَثَلُ السِّراج في الظُّلمةِ..

كان الإمام علي (ع) سابق عهده وزمانه في علمه ومعرفته بكل أمور الدين والدنيا.. فهو خُلقَ لغير زمانه، وعاش في غير عهده، لأن المجتمع الذي كان فيه لا يقارب العلم، ولا يجاري المعرفة..

لذا فإنه كان يُعاني من جهل قومه، ومن عدم تقيمهم لما كان هو فيه من علم ومعرفة ويقين.. فهو لم يكن ابن زمانه.. ولا ابن مكانه قياساً على ما كان عليه من معرفة موسوعية. وقد قال في ذلك:

«إنما مَثَلِي بينكم مَثَل السِّراجِ في الظُّلمةِ يَستَضيءُ بهِ من وَلَجها».

لم يستطع الإمام أن يسدي لمجتمعه ويقدم له الكثير من المعرفة والحكمة بسبب الظروف الاجتماعية والثقافية والسياسية على حد سواء..

ومع ذلك استطاع أن يبث بعض من مفاهيمه الإسلامية.. وإن يكشف بعض أسرار المعرفة لبعض الخاصة من المسلمين الذين قدروا للإمام علي حق قدره في علمه وحكمته ومعرفته..

فقال على سبيل المثال من خطبة له فيهم:

«الحمدُ لله الذي لمْ يَسبقْ لَهُ حالٌ حالاً فَيكُونَ أولاً قبلَ أَن يكُونَ آخراً. ويكُونَ ظَاهِراً قَبلَ أَن يكُونَ باطِناً، كُلُّ مُسمَى بالوحدةِ غيرُهُ قلَيلٌ، وكلُ عزيزٍ غيرهُ ذَليلٌ، وكلُ قويٍّ غيرُهُ ضَعيفٌ. وكلُ مالِكٍ غَيْرُهُ مَملُوكٌ. وكُل عالمٍ غيرَهُ مُتعلِّمٌ. وكل قادِرٍ غيرهُ يقْدرُ ويَعجِزُ. وكلُ سَميعٍ غَيرهُ يَصَمُّ عن لطيفِ الأصواتِ، ويَصُمُّه كبيرُها ويذهبُ عَنْهُ ما

بَعُدَ مِنها[1]. وكلُ بصيرٍ غيرهُ يَعمىٰ عَنْ خَفِّي الألوانِ ولطيف الأَجسامِ. وكلُ ظاهرٍ غيرهُ باطِنٌ. وكُل باطِنٍ غيرُهُ غَيرُ ظاهِرٍ.

لم يَخلُقْ ما خَلَقَهُ لتَشديدِ سُلطانٍ. ولا تَخوفٍ من عواقبِ زمانٍ. ولا استعانةٍ على نِدٍّ مُثاوِرٍ[2]، ولا شَريكٍ مُكاثِرٍ[3] ولا ضِدٍّ مُنافرٍ، ولكن خَلائِقُ مَرْبُوبونَ، وَعِبادٌ داخِرُونَ[4]. لم يَحللْ في الأشياءِ فَيُقالُ هو فيها كائِنٌ. ولم يَنأ عنها فيُقالُ هو منها بائِنٌ[5] لم يَؤُدْهُ خَلقُ ما أبْتَدأَ[6]، ولا تَدْبيرُ ما ذَرَأَ[7]، ولا وقَفَ بهِ عَجزٌ عَمَّا خَلَقَ. ولا وَلَجَتْ[8] عليهِ شُبهةٌ فيما قَضىٰ وقَدَّرَ، بل قَضَاءٌ مُتقَنٌ وعِلمٌ مُحكَمٌ، وأَمرٌ مُبَرمٌ[9] المأمُولُ مَعَ النَّقَمِ المرَهُوبُ مَعَ النِّعَمِ».

. . . كان الإمام علي (ع) فقيهاً واسع المعرفة في علم الفقه، وهو أصله وأساسه. وكل فقيه من فقهاء المسلمين استفاد من فقهه. . بل وينتمي إلى فقهه. . كما ينتمي كل (إمام) إلى الإمام علي، الذي أول مَنْ سمي (إماماً) قبل غيره، ولم يسمى غيره بهذا الاسم قبله. .

وترتبط هذه الصفة، وأعني صفة (الإمامة) بالإمام وحده. . فعندما نذكرها نقرنها به ونقرنه بها. . فهو إمام الأئمة. . ومَنْ ادعى الإمامة بعده كان يستمد منه صفات الإمامة. .

---

(١) السامعون من الحيوان والإنسان لقوى سمعهم حد محدود، فما خفي من الأصوات لا يصل إليها. وما عظم من الأصوات حتى فاق المألوف سماعه والذي لا يستطيع احتماله يُصاب بالصمم. أما سبحانه وتعالى فيستوي عنده الخفي والشديد والقريب والبعيد.

(٢) الند: النظير والمثل. والمثاور المواثب والمحارب.

(٣) الشريك المكاثر: أي المفاخر بالكثرة.

(٤) داخرون: أذلاء، من دخر: ذل وصغر.

(٥) أي لم ينفصل عنها انفصال الجسم حتى يقال هو بائن أي منفصل.

(٦) يؤده: أي لم يثقله. آده الأمر: أثقله وأتعبه.

(٧) ذرأ: أي خلق.

(٨) ولجت عليه: دخلت عليه.

(٩) مبرم: محتوم. وأصله من أبرم الحبل جعله طاقين ثم فتله وبهذا أحكمه.

ذكر الأستاذ عباس محمود العقاد:

(. . . وخاصة أخرى من خواص الإمامة، ينفرد بها الإمام علي ولا يجاريه فيها أمام غيره، وهي اتصاله بكل مذهب من مذاهب الفرق الإسلامية منذ وجدت في صدر الإسلام، فهو منشىء هذه الفرق أو قطبها الذي تدور عليه.

وندرت فرقة في الإسلام لم يكن عليٌّ معلماً لها منذ نشأتها، أو لم يكن موضوعاً لها ومحوراً لمباحثها.

فالإمام أحق لقب به، وهو أحق الأئمة بلقب الإمام. .)[1].

ويلخص الإمام علي سُنة الإمامة في قوله:

«مَنْ نصب نفسه للناس إماماً فليبدأ بتعليم نفسه قبل تعليم غيره، وليكن تأديبه بسيرته قبل تأديبه بلسانه، ومعلم نفسه ومؤدبها أحق بالإجلال من معلم الناس ومؤدبهم»[2].

قال الحسن البصري عن الإمام:

(كان علي رباني هذه الأمة وذا فضلها، ولذا تسميه الفلاسفة: إمام الأئمة وحكيم العرب).

نعم كان الإمام علي إمام الأئمة. . وكل إمام بعده تتلمذ عليه أو انتسب إليه، أو أخذ منه، وتعلم من علمه. .

فأصحاب الإمام أبي حنيفة، كالإمام أبي يوسف ومحمد وغيرهما، أخذوا عن الإمام أبي حنيفة. . وأما الإمام الشافعي فقرأ على الإمام محمد بن الحسن، وبالتالي يرجع فقهه أيضاً إلى الإمام أبي حنيفة. .

وأما الإمام أحمد بن حنبل فقرأ على الإمام الشافعي، فيرجع فقهه أيضاً إلى الإمام أبي حنيفة. وأبو حنيفة قرأ على الإمام جعفر بن محمد الصادق. . وقرأ

---

(١) (عبقرية الإمام علي) لعباس محمود العقاد ص١٨٨.

(٢) (نهج البلاغة) محمد عبده ج٣ ص١٥٣.

الإمام جعفر الصادق على أبيه.. حتى ينتهي الأمر إلى الإمام علي بن أبي طالب..

أما الإمام مالك بن أنس، فقرأ على ربيعة الرأي.. وقرأ ربيعة الرأي على عكرمة.. وقرأ عكرمة على الإمام عبد الله بن عباس..

وقرأ الإمام عبد الله بن عباس على الإمام علي بن أبي طالب(١).

ذكرالمؤرخون إجماعاً أن المدارس الفكرية، والحركات الفقهية على اختلاف ما اختلفوا عليه، ينتمون إلى مدرسة الإمام (ع)..

وهو الذي تنازعته كل المدارس والحركات التي نشأت في عهود المسلمين المختلفة.. فالأشاعرة انتسبوا إليه.. والمعتزلة نسبوا أنفسهم له.. والمتصوفة ادعوا بانتمائهم إلى مدرسته.. والقدرية، والجبرية، وأهل الرأي والفقه وغيرهم ادعوا انتسابهم لأفكاره..

وأما الشيعة من الإمامية والزيدية والكيسانية فانتماؤها إليه ظاهر(٢).. فقد حملوا مبادئه، وسلكوا صراطه، وعملوا بما تعلمه وعمله، فصار لهم إماماً وقدوة ومعلماً..

وأهل السنة والجماعة، يرجعون لأحكامه وقضائه وعلمه، مقتدين بمن سبقوه بالخلافة الذين أخذوا منه وتعلموا من علمه..

وكانوا يرجعون إليه في أمهات المسائل المعقدة، والأحكام الصعبة الفهم والوضوح. ولم يرجع الإمام علي إلى أي أحد من الخلفاء أو الصحابة في تفسير أو توضيح أية مسألة من مواضيع الفقه والدين، وسائر الأحكام..

وهذا الخليفة الأول أبو بكر الصديق (رض) يقول:

(لا أبقاني الله لمعضلةٍ ليس لها أبو الحسن)(٣)!

---

(١) (حجج النهج) د. سعيد السامرائي ص٣٣.

(٢) (الإمام علي أسد الإسلام وقديسه) روكسي العزيزي ص٧٦.

(٣) وفي رواية أخرى يُنسب هذا القول إلى الخليفة الثاني عمر بن الخطاب (رض).

أما الخليفة الثاني عمر بن الخطاب (رض)، كان يكرر قوله المشهور:

(لولا علي لهلك عمر)[1]! وقوله (رض):

(لا يفتين أحد في المسجد وعلي حاضر).

الأمور الغيبية والمستقبلية..

قال الإمام علي (ع) من على منبر رسول الله:

«... والله لو شئت أن أُخبر كل رجل منكم بمخرجه ومولجه وجميع شأنه لفعلتُ. ولكن أخاف أن تكفروا فيّ برسول الله ﷺ. ألا وإني مفضيه إلى الخاصة ممن يؤمن ذلك منه.

والذي بعثه بالحق، واصطفاه على الخلق ما أنطق إلا صادقاً، ولقد عهد إليّ بذلك كله وبمهلك مَن يهلك، ومنجي مَنْ ينجو، ومآل هذا الأمر، وما أبقى شيئاً يمر على رأسي إلا أفرغه في أذني، وأفضى به إليّ».

نستدل من ذلك أن الإمام علي (ع) كان له معرفة بالأمور الغيبية التي تعلمها من النبي ﷺ..

فالنبي ﷺ علم علياً بمن يهلك من الصحابة والمسلمين، وبنجاة مَنْ ينجو منهم..

وعن ما سيحدث في الإسلام والمسلمين ودولتهم وخلافتهم.. وما إلى ذلك من مجريات الأمور التي ستقع بعد النبي ﷺ.. فلا غرابة في ذلك بعد أن كان له مع النبي ﷺ خلوات ومناجاة لم تكن لغيره ولم يحظ بها سواه.

وللإمام علي بعض الخطب والأحاديث تكلم فيها عن حوادث استبق حدوثها....

---

(١) (الرياض النضرة) ج٢ ص١٩٤. (المناقب) للخوارزمي ص٤٨. وكذلك ورد في (الاستيعاب) ج٣ ص٣٩.

فقال له بعض من سمع أقواله:

لقد أُعطيت يا أمير المؤمنين علم الغيب!!

فضحك الإمام وقال للرجل الذي كان من بني كلب:

«يا أخا كلبٍ ليسَ هُوَ بعلمِ غَيبٍ، وإنما هُوَ تَعَلُّمٌ من ذِي عِلمٍ. وإنما عِلمُ الغَيبِ عِلمُ السَّاعَةِ وما عَدَّدَهُ الله سبحانهُ بقوله:

﴿إِنَّ ٱللَّهَ عِندَهُۥ عِلْمُ ٱلسَّاعَةِ وَيُنَزِّلُ ٱلْغَيْثَ وَيَعْلَمُ مَا فِى ٱلْأَرْحَامِ ۖ وَمَا تَدْرِى نَفْسٌ مَّاذَا تَكْسِبُ غَدًا ۖ وَمَا تَدْرِى نَفْسٌۢ بِأَىِّ أَرْضٍ تَمُوتُ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ عَلِيمٌ خَبِيرٌۢ﴾ [سورة لقمان، الآية: ٣٤].

فَيَعلَمُ سبحانُه ما في الأَرحامِ من ذكرٍ أو أُنثى وقَبيحٍ أو جميلٍ. وسخيٍ أو بخيلٍ، وشَقيٍ أو سَعِيدٍ، ومَنْ يكُونُ في النارِ حَطباً، أو في الجنانِ لِلنَبِينَ مُرافِقاً.. فهذا عِلمُ الغَيبِ الذي لا يَعلَمُهُ أحدٌ إلا الله. وما سِوى ذلك، فَعِلمُ عَلَّمَهُ الله نَبِيَهُ فَعَلَّمنيه، وَدَعَا لي بأَنْ يَعِيهُ صَدرِي، وتَضطَمَّ عَلَيهِ جَوانحي..»(١).

لقد تحدث الإمام علي كرم الله وجهه عن أمور مستقبلية ستحدث بعد عصره.. وتلك الأحداث التي ستقع بعده، لا يعرفها غيره لا من الصحابة ولا من القرابة.. تعلمها من رسول الله ﷺ، وأخبره بما سيحدث بعدهما من وقائع وأمور تهم الإسلام والمسلمين..

وكما قال الإمام: **«ليس هو بعلم غيب»** وإنما تعلُّمٌ من ذي علم.. أو وعاها بنفسه من خلال ما وهبه الله سبحانه وتعالى من قابليات خارقة في فهم العلم واستيعاب المعرفة واستقراء المستقبل.

وهذا نستدل به على عظمة الإمام، وسمو كيانه الروحي الذي أهله لمعرفة الكثير من أسرار المستقبل..

---

(١) تضطم: تنظم عليه جوانحي. والجوانح الاضلاع ما تحت الصدر. وانضمامها عليه اشتماله على قلب يعيها.

وهنا لا بد لنا أن نشير إلى أقواله وخطبه وكلماته في (نهج البلاغة)، نجد فيها الكثير من الأمور التي تناول الإمام فيها الحديث عن أمور مستقبلية حدثت فعلاً بعد عصره..

نحو خطب الملاحم.. وأقواله التي ذكر فيها ما سيحدث بالإسلام في أواخر الزمان.. منها ما نعيشه أيامنا الحاضرة.. وكذلك ذكره لوقائع توقعها أن تقع بعده.. ووقعت فعلاً..

يقول الإمام علي (ع) في معرض وصفه الدقيق لما سيحصل للدين في زمانٍ بعد زمانه:

«يأَتي على النّاسِ زَمَانٌ لا يبقى فِيهِ من القُرآنِ إلا رَسَمُهُ، ومِنَ الإسلامِ إلا اسمُهُ. مَسَاجِدُهُم يَوْمئذٍ عَامِرَةٌ من البُنَىٰ، خَرَابٌ من الهُدىٰ. سُكّانَها وَعُمّارُها شَرُّ أَهلِ الأَرضِ. مِنهُمْ تَخرجُ الفِتنةُ، وإليهم تأوى الخطِيئَةُ يَرُدُّونَ مَنْ شَذَّ عَنها فِيها، ويَسُوقونَ مَنْ تَأَخَّرَ عَنها إِلَيها..».

وقال (ع):

«... يأتي على الناس زمانٌ، المؤمِنُ فيه أَذَلُّ مِن الأَمَةِ..».

أخرجه سعيد بن منصور[1].

كما قال الإمام علي في خطبة له:

«... وإنهُ سيأتي عليكم من بعدي زَمانٌ ليسَ فيهِ شيءٌ أَخفى من الحقّ، ولا أَظْهَرَ مِنَ الباطِلِ، ولا أكثرَ مِنَ الكَذِبِ على الله وَرَسُولِهِ. وليسَ عِندَ أَهلِ ذلكَ الزّمانِ سِلْعَةٌ أَبْوَرُ من الكتابِ إذا تُليَ حَقّ تِلاوَتِهِ، ولا أَنْفَقُ مِنْهُ[2] إذا حُرِّفَ عن مواضِعِهِ.

ولا في البِلادِ شَيءٌ أَنكَرُ مِنَ المعروفِ، ولا أَعْرَفُ مِنَ المُنْكَرِ»[3].

---

(١) (تاريخ الخلفاء) للإمام السيوطي ص٢١٩.

(٢) أنفق منه: أروج منه.

(٣) (شرح نهج البلاغة) محمد عبده ج٢ ص٣١.

وقال (ع):

«يأتي على الناس زَمَانٌ لا يُقَرَّبُ فيهِ إلا المَاحِلُ، ولا يُظَرَّفُ فيهِ إلا الفَاجِرُ، ولايُضعَّفُ فيهِ إلا المُنصِفُ.

يَعُدُّونَ الصَّدقَةَ فيهِ غُرماً، وصِلَةَ الرَّحمِ مَنَّاً، والعِبَادَةُ استِطالَةً على الناس، فعِندَ ذلكَ يكونُ السُّلطانُ بِمشَوَرَةِ النِّساءِ وإِمَارَةِ الصِّبيانِ وتَدبير الخِصْيَانِ».

وقال عما سيفقده الناس:

«يوشك أن يفقد الناسُ ثلاثاً:

درهماً حلالاً . . ولساناً صادقاً . . . وأَخاً يُستراح إليه».

أحاديثه عن أمور مستقبلية حدثت . .

من الأحداث المستقبلية التي تحدث عنها. وحدثت فعلاً، نذكر بإيجاز بعضاً مما رواه لنا المؤرخون والرواة:

١ ـ روى الحسن بن محبوب، عن ثابت الثمالي، عن سويد بن غفلة . . إن الإمام علياً خطب ذات مرة في مسجد الكوفة . . فنهض رجل من تحت منبره، فقال:

ـ يا أمير المؤمنين إني مررت بوادي القرى، فوجدت (خالد بن عرفطة) قد مات، فاستغفر له . . فقال له الإمام:

ـ والله ما مات ولا يموت حتى يقود جيش ظلالة، صاحب لوائه (حبيب بن حمار) . . . فقام رجل آخر من تحت المنبر، وقال:

ـ يا أمير المؤمنين أنا حبيب بن حمار، وإني لك شيعة ومحب . . فقال له أمير المؤمنين:

ـ أنت حبيب بن حمار! . . . فقال: نعم . . وقال الإمام ثانية:

ـ والله إنك لحبيب بن حمار؟ . . . فقال: إي والله!

قال له الإمام علي (ع):

- أما والله إنك لحاملها ولتحملنها، ولتدخلن بها من هذا الباب.. (وأشار إلى باب الفيل بمسجد الكوفة)..

قال (ثابت الثمالي): فوالله ما متُ حتى رأيتُ ابن زياد، وقد بعث (عمر بن سعد بن أبي وقاص) إلى حرب الحسين بن علي، وجعل خالداً بن عرفطة على مقدمته.. وحبيباً بن حمار صاحب رايته!!

فدخل بها من باب الفيل التي ذكرها الإمام علي[1]..

٢ - روى محمد بن علي الصوّاف، عن الحسين بن سفيان، عن أبيه، عن شَمِير بن سَدِير الأزدي، قال الإمام لعمرو بن الحمِق الخزاعي:

لا تنزل في قومك، ولا في بني كنانة..

فسأله عمرو: فأين أنزل يا أمير المؤمنين؟

قال له الإمام علي: انزل في بني عمرو بن عامر من الأزد..

فقال قوم حضروا ذلك المجلس:

ما نراه إلا كاهناً يتحدث بحديث الكهنة!! ثم استمر الإمام في قوله له:

«... يا عمرو إنك لمقتول بعدي، وإن رأسك لمنقول، وهو أول رأس ينقل في الإسلام.. والويل لقاتلك!

أما إنك لا تنزل بقوم إلا أسلموك برمتك[2] إلا هذا الحي من بني عمرو بن عامر فانهم لن يسلموك، ولن يخذلوك..».

قال الأزدي (راوي الحديث):

فوالله ما مضت الأيام حتى تنقل عمرو بن الحمق الخزاعي في خلافة معاوية في بعض أحياء العرب خائفاً مذعوراً، حتى نزل في قومه من بني خزاعة،

---

(١) (شرح نهج البلاغة) لابن أبي الحديد ج٢ ص٢٨٧.

(٢) أي أسلموك بما معك.

فأسلموه، فقُتل، وحُمل رأسه من العراق إلى معاوية بالشام.. وهو أول رأس حُمل في الإسلام من بلد إلى آخر[1]..

٣ ـ ذكر عثمان بن سعيد، عن يحيى التيمي، عن الأعمش، عن إسماعيل بن رجاء، قال:

قام (أعشى بأهله) ـ وهو غلام يومئذ حدث ـ إلى الإمام علي (ع) وهو يخطب، ويذكر الملاحم، فقال:

يا أمير المؤمنين ما أشبه هذا الحديث بحديث خرافة!!

فقال له الإمام علي:

إن كنت آثماً فيما قلت يا غلام، فرماك الله بغلام ثقيف.. ثم سكت.

فقام رجال، فقالوا:

ومَنْ غلام ثقيف يا أمير المؤمنين؟... قال:

غلام يملك بلدتكم هذه، لا يترك لله حرمة إلا إنتهكها.. يضرب عنق هذا الغلام بسيفه.

فقالوا: كم يملك يا أمير المؤمنين؟... قال:

عشرين إن بلغها.. قالوا: فيقتل قتلاً أم يموت موتاً؟... قال: بل يموت حتف أنفه بداء البطن.. يثقب سريره لكثرة ما يخرج من جوفه..

قال إسماعيل بن رجاء:

فوالله لقد رأيت بعيني (أعشى بأهله) أُحضر في جملة الأسرى الذين أُسروا من جيش عبد الرحمن بن محمد بن الأشعث بين يدي الحجاج بن يوسف الثقفي.. فقرعه ووبخه واستنشده من شعره الذي يُحرض فيه عبد الرحمن على الحرب.. ثم ضرب عنقه في ذلك المجلس[2]...

٤ ـ روى ابن ميمون الأزدي في كتاب (الغارات)، عن أحمد بن الحسن

---

(١) المصدر السابق ص٢٨٩.

(٢) نفس المصدر ص٢٨٩.

الميثمي، قال: كان (ميثم التمار) مولى علي بن أبي طالب (ع) عبداً لأمرأة من بني أسد.. فاشتراه علي (ع) منها وأعتقه، وقال له: ما اسمك؟

فقال: سالم.. فقال له الإمام:

إن رسول الله ﷺ أَخبرني أن اسمك الذي سماك أبوك في العجم (ميثم)... فقال: صدق الله ورسوله، وصدقت يا أمير المؤمنين.. فهو والله اسمي..

قال الإمام: فارجع إلى اسمك، ودع سالماً، فنحن نكنيك به..

فكناه أبا سالم، وكان قد أطلعه الإمام علي (ع) على علم كثير، وأسرار خفية من أسرار الوصية.

فكان ميثم يُحدّث ببعض ذلك، فيشك فيه قوم من أهل الكوفة.. وينسبون علياً (ع) في ذلك إلى المخرقة (اختلاق الكذب) والإيهام والتدليس، حتى قال له يوماً بمحضرٍ من خلق كثير من أصحابه.. وفيهم الشاك والمخلص:

(... يا ميثم إنك تؤخذ بعدي وتُصلب.. فإذا كان اليوم الثاني ابتدر مُنخُراك وفمك دماً، حتى تخضب لحيتك..

فإذا كان اليوم الثالث، طعنت بحربة يقضي عليك.. فانتظر ذلك.

والموضع الذي تُصلب فيه على باب دار (عمرو بن حريث).. إنك لعاشر عشرة أنت أقصرهم خشبة، وأقربهم من المطهرة (الأرض)..

ولأرينك النخلة التي تصلب على جذعها..).

ثم أراه إياها بعد ذلك بيومين..

وكان ميثم يأتيها فيصلي عندها، ويقول:

بوركت من نخلة لك خُلقت، ولي نَبتّ.. فلم يزل يتعاهدها بعد قتل علي (ع) حتى قطعت، فكان يرصد جذعها، ويتعاهده ويتردد إليه، ويبصره..

وكان يلقى عمرو بن حريث، فيقول له:

إني مجاورك فأحسن جواري!... فلا يعلم عمرو ما يريد، فيقول له:

أتريد أن تشتري دار ابن مسعود، أم دار ابن حكيم!

وحَجَّ في السنة التي قُتل فيها. . فدخل على (أم سلمى) (رض)، فقالت له: مَنْ أنت؟. . قال: عراقي! فاستنسبته. . فذكر لها أنه مولى علي بن أبي طالب. . فقالت له:

أنت هيثم. . قال: بل أنا ميثم. .

فقالت: سبحان الله، والله لربما سمعت رسول الله ﷺ يوصي بك علياً في جوف الليل. فسألها عن الحسين بن علي. . فقالت: هو في حائط له (بستان له). .

قال: أخبريه أني قد أحببت السلام عليه. . ونحن ملتقون عند رب العالمين إن شاء الله، ولا أقدر اليوم على لقائه، وأريد الرجوع. .

فدعت بطيب فطيبت لحيته. . فقال لها:

أما إنها ستخضب بدم! فقالت له: مَنْ أنبأك هذا؟

قال: أنبأني سيدي. . فبكت أم سلمى، وقالت له:

إنه ليس بسيدك وحدك. . هو سيدي وسيد المسلمين. ثم ودعته.

فقدم الكوفة، فأُخذ، وأُدخل على (عُبيد الله بن زياد بن أبيه)، وقيل له: هذا كان من آثر الناس عند (أبي تراب)(١). . قال: ويحكم هذا الأعجمي! قالوا: نعم. . فقال له عبيد الله بن زياد: أين ربُّك؟ قال: بالمرصاد. .

قال: قد بلغني اختصاص أبي تراب لك! قال:

قد كان بعضُ ذلك فما تريد؟ قال:

وإنه ليقال إنه قد أخبرك بما سيلقاك! قال: نعم، إنه أخبرني. .

قال: ما الذي أخبرك أني صانع بك؟

قال: أخبرني أنك تصلبني عاشر عشرة وأنا أقصرهم خشبة، وأقربهم من المطهرة. . قال: لأخالفنه!

---

(١) (أبي تراب) الإمام علي (ع) كناه النبي ﷺ بأبي تراب، عندما وجده مضطجعاً عند المسجد ورداؤه قد سقط منه وتلوث بالتراب. . وتلك الكناية كانت من أحب الكنايات إلى نفس الإمام، لأنها جاءت من رسول الله ﷺ وقد مرذلك في موضوع (ألقابه. .).

قال: ويحك! كيف تخالفه، إنما أخبر عن رسول الله ﷺ، وأخبر رسول الله ﷺ عن جبرائيل عن الله... فكيف تخالف هؤلاء!!

أما والله لقد عرفتُ الموضع الذي أُصلب فيه أين هو من الكوفة.. وإني أول خلق الله ألجم في الإسلام بلجام كما يُلجم الخيل..

فحبسه، وحبس معه (المختار بن عبيدة الثقفي).. فقال ميثم للمختار وهما في حبس ابن زياد:

إنك تُفْلِت، وتخرج ثائراً بدم الحسين (ع).. فتقتل هذا الجبار الذي نحن في سجنه وتطأ بقدمك هذه على جهته وخديه..

فلما دعا عبيد الله بن زياد بالمختار ليقتله، طلع البريد بكتاب (يزيد بن معاوية) إلى عبيد الله بن زياد، يأمره بتخلية سبيله، وذاك أن أخته كانت تحت (عبد الله بن عمر بن الخطاب) (رض)، فسألت بعلها أن يشفع فيه إلى يزيد فشفع، فأمضى شفاعته، وكتب بتخلية سبيل المختار على البريد، فوافى البريد، وقد أخرج ليضرب عنقه، فأُطلق..

وأما ميثم فأُخرج بعد ليُصلَب.. وقال عبيد الله:

لأمضين حكم أبي تراب فيه!! فلقيه رجل، فقال له:

ما كان أغناك عن هذا يا ميثم!!

فتبسم، وقال: لها خلقتُ، ولي غُذيتُ..

فلما رُفعَ على الخشبة، اجتمع الناس حوله على باب عمرو بن حريث، فقال عمرو:

لقد كان يقول لي: إني مجاورك، فكان يأمر جاريته كلَّ عشية أن تكنس تحت خشبته وترشّه، وتجمر بالمجمر تحته..

فجعل ميثم يحدث بفضائل بني هاشم، ومخازي بني أمية، وهو مصلوب على الخشبة! فقيل لابن زياد: قد فضحكم هذا العبد!

فقال: إلجموه فألجم.. فكان أول خلق الله أُلجم في الإسلام!

فلما كان اليوم الثاني فاضت منخراه وفيه دماء.. فلما كان الثالث طعن بحربة

فمات! وكان قتل ميثم قبل قدوم الحسين بن علي العراق بعشرة أيام[1]!

٥ ـ الرواية التي مر ذكرها في هذا الموضوع... المتعلق بـ (سلوني)... عندما قام للإمام سنان بن أنس النخعي يسأله عن ما في رأسه ولحيته من طاقة شعر وجواب الإمام علي (ع) له، وذكر مَنْ في بيته، وهو ابنه الذي كان صغيراً، والذي ساهم مع مَنْ ساهم في قتل الحسين بواقعة كربلاء...

٦ ـ ذكر الشعبي: أن الإمام علياً مَرَّ بكربلاء في مسيره إلى صفين.. وحاذى نينوى وهي قرية على الفرات، فوقف ونادى صاحب مطهرته:

أخبرنا أبا عبد الله ما يقال لهذه الأرض؟

فقال: كربلاء!.. فبكى الإمام، ثم قال:

دخلتُ على رسول الله ﷺ، وهو يبكي، فقلتُ:

ما يبكيك يا رسول الله! فقال ﷺ:

«كان عندي جبريل آنفاً، فأخبرني أن ولدي الحسين يُقتل بشاطىء الفرات بموضع يقال له كربلاء.. ثم قبض جبريل قبضة من تراب فشمني إياها.. فلم أملك عيني أن فاضتا..».

رواه ابن سعد، والإمام أحمد بن حنبل، والملا في سيرته، وابن الأخضر في معالم العترة الطاهرة، وأم سلمى، والحافظ بن يوسف الزرندي في الدرر. كما أخرجه الطبراني، ورواه ابن عباس[2] وغيرهم.

وعن أسماء بنت عميس التي روت هذا الحديث.. عن النبي ﷺ الذي قال لها:

«ابني هذا يا أسماء تقتله الفئة الباغية من أمتي، لا أنالهم الله شفاعتي يا أسماء..» أخرجه الإمام علي بن موسى الكاظم[3].

---

(١) (حجج النهج) الدكتور سعيد السامرائي ص١٤٧.

(٢) (تذكرة الخواص) ص١٤٢. و(جواهر العقدين في فضل الشرفين) لعلي بن عبد الله السمهودي (نشر وزارة الأوقاف العراقية) ص٣٥٥.

(٣) المصدر السابق ص١١. و(ذخائر العقبى) ص١١٩.

٧ ـ إخبار الإمام علي (ع) أصحابه عن الضربة التي سيضربه بها (ابن ملجم) بسيفه على رأس الإمام، فتقضي عليه. .

وكان يقول لأهل العراق عند تضجره منهم:

«وددت أنه قد انبعث أشقاكم فخضب هذه «يعني لحيته» من هذه «ووضع يده على مقدم رأسه»..

رواه الطبراني في (الكبير)... وأبو يعلي في (مسنده).. وأخرجه أبو حاتم[١].

... ذكر يزيد بن أمية الديلي، قال:

مرض علي بن أبي طالب مرضاً شديداً، حتى خفنا عليه.. ثم إنه برأ ونقه.. فقلنا:

هنيئاً لك أبا الحسن، الحمد لله الذي عافاك، قد كنا نخاف عليك.. قال:

لكني لم أخف على نفسي.. أخبرني الصادق المصدق أني لا أموت حتى أضرب على هذه (وأشار إلى مقدم رأسه الأيسر) فتخضب هذه منها بدم (وأخذ بلحيته) وقال لي:

«يقتلك أشقى هذه الأمة كما عقر ناقة الله أشقى بني فلانٍ من ثمود»..

أخرجه الإمام أحمد بن حنبل في (فضائل الصحابة).. والهيثمي في (المجمع)..

ولما كانت الليلة التي قُتل في صبيحتها أكثر الخروج، والنظر إلى السماء وهو يقول:

«والله ما كَذبْتُ ولا كُذِّبتُ، إنها الليلة التي وعُدتُ..»[٢]!!

---

(١) (مسند) أبي يعلي ج١ ص٣٤. المعجم الكبير ج٨ ص٧٥. (ذخائر العقبى) ص١١٦ (المطالب العالية بزوائد المسانيد الثمانية) ج٤ ص٣٣٢.

(٢) (جواهر العقدين في فضل الشرفين) ص٣٥٣.

.. وهناك روايات مختلفة أخبر فيها الإمام علي أصحابه عنها قبل وقوعها وحدثت فعلاً بعده... منها:

٨ ـ أخباره بامتلاك معاوية بن أبي سفيان أمر المسلمين بعده.. وفي ذلك قال لأصحابه:

«أما إِنَّهُ سَيظهرُ عليكُمْ بعدي رَجلٌ رَحْبُ البُلعُوم مُندحِقُ[(١)] البَطنِ.. يَأكلُ ما يَجِدُ ويَطلُبُ ما لا يَجِدُ. فاقْتُلوهُ ولَنْ تقتُلُوهُ.. ألاَ وإِنَّهُ سيأمُرُكُمْ بِسَبِّي، والبراءَةِ مني.. فأما السَّبُّ فَسُبُّوني، فإِنَّهُ لي زَكاةٌ ولكم نَجاةٌ. وأما البراءَةُ فلا تَتَبرأُوا مني، فإِنّي وُلدتُ على الفِطَرةِ وَسَبقتُ إلى الإيمانِ والهِجرةِ»[(٢)].

٩ ـ إخباره عبد اللهبن عباس (رض) عن انتقال الحكم إلى أولاده، وقيام الحكم العباسي..

١٠ ـ إخباره تولي أولاد (مروان بن الحكم) الحُكم، وما ستلقى الأمة منهم.. وذلك بعد أن جاؤوا بمروان بن الحكم أسيراً يوم الجمل، فاستشفع الحسن والحسين إلى أبيهم.. فقالا له يبايعك يا أمير المؤمنين.. فقال لهم:

«أَوَ لم يُبايعني بَعْدَ قَتْلِ عُثمانَ! لا حَاجَةَ لي في بيعتِهِ. إنها كفٌّ يهودية، لو بايعَنَي بكفِّهِ لغَدَرَ بِاسْتِهِ[(٣)]... أما إنَّ له إِمرةً كَلَعْقَةِ الكلبِ أَنْفَهُ... وهو أَبو الأَكبُشِ[(٤)] الأَربعةِ، وستلقى الأُمةُ منهُ ومن ولدِهِ يوماً أَحْمَرَ».

١١ ـ إخباره عن قيام الدولة العلوية في المغرب.. ودولة بني بويه في العراق.

---

(١) مندحق: كبير. عظيم.

(٢) نهج البلاغة ـ محمد عبده ـ ج١ ص١٠٦.. .في رواية أخرى يقال عنى به زياداً، وبعضهم يقول عنى المغيرة ابن شعبة.

(٣) وهو ما يحرص الإنسان على إخفائه.

(٤) جمع كبش. وهو من القوم رئيسهم. ويعني بني عبد الملك بن مروان وهم: الوليد وسليمان ويزيد وهشام. ولم يتولى الخلافة أربعة أخوة سوى هؤلاء.

١٢ ـ أخباره عن حركة عبد الله بن الزبير وفشله ومقتله.

١٣ ـ عن الحجاج بن يوسف الثقفي، وظلمه وقسوته، وما يجري به..

١٤ ـ عن البصرة وهلاكها بالغرق.. وبسيطرة الزنج عليها..

١٥ ـ أخباره عن مقتل محمد صاحب النفس الزكية، وأخيه إبراهيم بعد ثورتهما على العباسين في عهد أبي جعفر المنصور...

وغير ما ذكرناه آنفاً، من أخبار وحوادث أوردتها كتب التاريخ..

كلامه دون كلام الخالق.. وفوق كلام المخلوق:

أما الفصاحة والبلاغة، فهو كما وصفه ابن أبي الحديد المعتزلي:

(فهو سيد البلغاء، وإمام الفصحاء، حتى قيل في كلامه دون كلام الخالق، وفوق كلام المخلوق..) عدا كلام النبي ﷺ، فقد كان أفصح العرب إطلاقاً.. وهو الذي علم علياً من فصاحته وبلاغته..

وحسبنا في بلاغة الإمام علي، الروائع من بلاغته في (نهج البلاغة) وفيه من البلاغة أبلغها.. ومن الفصاحة أفصحها.. ومن الحِكَم أحكمها.. ومن العلوم أوسعها..

وكتاب نهج البلاغة يدل عليه اسمه.. يجمع من كل شيء بعضه..

ورد في مقدمة السيد الشريف الرضي في نهج البلاغة، وصفاً لبلاغة الإمام علي، قال فيها:

(... إذ كان أمير المؤمنين (ع) مُشرّع الفصاحة وموردها، ومنشأ البلاغة ومولدها، ومنه عليه السلام ظهر مكنونها. وعنه أخذت قوانينها. وعلى أمثلته حذا كل قائد خطيب، وبكلامه استعان كل واعظ بليغ.

ومع ذلك فقد سبق وقصروا.. وتقدم وتأخروا. لأن كلامه عليه السلام الكلام الذي عليه مسحة من العلم الإلهي، وفيه عبقة من الكلام النبوي..)[1].

---

(١) (نهج البلاغة) شرح محمد عبده ج٣ ص١٦٥.

نعم.. في كلامه مسحة من العلم الإلهي، وفي قوله دقة في التعبير، وبلاغة في التفسير، وروائع في التصوير.. وكأنه في وصفه للشيء أمام المستمع له مصور.. قال في وصفه للإسلام:

«لأَنْسُبَنَّ الإِسْلامَ نِسْبَةً لَمْ يَنْسُبْها أَحَدٌ قَبلي.. الإِسْلامُ: هو التَّسْليمُ.. والتَّسْليمُ هو اليَقينُ.. واليَقِينُ هو التَّصديقُ.. والتَّصديقُ هو الإِقرارُ.. والإِقرارُ هو الأَدَاءُ.. والأَداءُ هو العَملُ الصالحِ»[١].

.. كان الإمام علي (ع) أحد العلماء الربانين[٢].. وله ما شئت من ضرس قاطع في العلم، كما ذكر عبد الله بن عياش بن أبي ربيعة[٣]..

قال سبط ابن الجوزي:

(كان علي ينطق بكلام قد حفَّ بالعصمة.. ويتكلم بميزان الحكمة.. كلام ألقى الله عليه المهابة.. فكل مَنْ طرق سمعه راقه فهابه..

وقد جمع الله له بين الحلاوة والملاحة.. والطلاوة والفصاحة، ولم تسقط له كلمة.. ولا بارت له حجة.

أَعجز الناطقين، وحاز قصب السبق في السابقين..)[٤].

وقال ابن أبي الحديد المعتزلي:

(واعلم أننا لا يتخالجنا الشك في أنه (ع) أفصح من كل ناطق بلغة العرب من الأولين والآخرين، إلا من كلام الله سبحانه، وكلام رسول الله ﷺ)[٥].

يقول الأستاذ جورج جرداق في نهج البلاغة:

(.. هل سألت تاريخ هذا الشرق عن نهج للبلاغة آخذٍ من الفكر والخيال،

---

(١) (نهج البلاغة) محمد عبده ج٣ ص١٦٥.

(٢) (تاريخ الخلفاء) الإمام السيوطي ص١٩٧.

(٣) المصدر السابق ص٢٠٣.

(٤) تذكرة الخواص لابن الجوزي.

(٥) شرح نهج البلاغة ابن أبي الحديد ج٢ ص٩٩.

والعاطفة آياتٍ تتصل بالذوق الفني الرفيع ما بقي الإنسان، وما بقي له خيال وعاطفة وفكر، مترابط بآياته متساوق، متفجر بالحسن المشبوب والإدراك البعيد، متدفقٍ بلوعة الواقع وحرارة الحقيقة والشوق إلى معرفة ما وراء هذا الواقع..

متآلفٍ يجمع بين جمال الموضوع، وجمال الإخراج حتى ليندمج التعبير بالمدلول أو الشكل بالمعنى، اندماج الحرارة بالنار والضوء بالشمس والهواء بالهواء.. فما أنت إزاءه إلا ما يكون المرء قبالةَ السيل إذ ينحدر، والبحر إذ يتموج والريح إذ تطوف..

أو قبالة الحدث الطبيعي الذي لا بد له أن يكون بالضرورة على ما هو كائن عليه من الوحدة التي لا تُفرّق بين عناصرها إلا لتمحو وجودها، وتجعلها إلى غير كَوْن)(١).

ويقول الكاتب الكبير الأستاذ جورج جرداق في مجال آخر في نهج البلاغة أيضاً:

... هذه الحقيقة تتركز جليةً واضحة في شخصية علي بن أبي طالب.. فإذا هو الإمام في الأدب وسره البلاغة، كما هو الإمام في ما أثبت من حقوق وفي ما علّم وهدى..

وآيته في ذلك (نهج البلاغة) الذي يقوم في أُسُس البلاغة العربية في ما يلي القرآن من أُسُس..

وتتصل به أساليبُ العرب في نحو ثلاثة عشر قرناً، فتبني على بنائه وتقتبس منه ويحيا جيّدُها في نطاقِ من بيانه الساحر..

ثم يقول:

... وإن شروط البلاغة التي هي موافقة الكلام لمقتضى الحال، لم تجتمع لأديب عربي كما اجتمعت لعلي بن أبي طالب..

فإنشاؤه أعلى مثلٍ لهذه البلاغة بعد القرآن.. فهو موجزٌ على وضوح، قويٌ

(١) (الإمام علي صوت العدالة الإنسانية) جورج جرداق ـ المجلد الأول ص٤٥.

جياش، تام الانسجام لما بين ألفاظه ومعانيه وأغراضه من ائتلاف.. حلو الرنة في الأذن، موسيقي الوقع...

فأسلوب علي صريحٌ كقلبه وذهنه، صادق كطويته.. فلا عجب أن يكون نهجاً للبلاغة..)[1].

قال الكاتب إبراهيم اليازجي:

(ما أتقنت الكتابة إلا بدروس القرآن ونهج البلاغة.. ونهج البلاغة يحتاج له كل مَنْ يريد أن يفهم المجتمع العربي، والعقلية العربية، وفهم أسلوب الحكم في البلاد العربية.. وكذلك الفقيه الذي يرغب في أن يكون نافذ الفكر، مستنير البصيرة.. هو في أقصى الحاجة إلى نهج البلاغة..

وكذلك يحتاج لنهج البلاغة رجل الوعظ المسلم الذي يريد أن يكون واسع الآفاق)[2].

جاء رجل إلى الأمام، فقال:

أخبرني عن القدر.. فقال له الإمام:

طريق مظلم لا تسلكه.. وكرر الرجل عليه السؤال.. فقال له:

بحر عميق لا تلجه.. ثم عاد الرجل بسؤاله للإمام... فقال له:

سرُ الله قد خفي عليك فلا تفتشه..

ولم يكتف الرجل، فقال: أخبرني عن القدر!... فقال له:

يا أيها السائل إن الله خلقك لما شاء، أو لما شئت؟ قال:

بل لما شاء. فقال له الإمام: فيستعملك لما شاء..

وجاء رجل يهودي إلى الإمام فسأله متى كان ربنا؟

فأجابه الإمام:

«لم يكن فكان، هو كان ولا كينونة.. وكان بلا كيف.. كان ليس له

---

(١) (علي وسقراط) جروج جرداق ص١٨٤ و٢٠٨.

(٢) (الإمام علي أسد الإسلام وقديسه) روكسي العزيزي ص٢٠٩.

قبلٌ ولا غاية. انقطعت الغايات دونه، فهو غاية كل غاية..».

فأسلم اليهودي على جواب الإمام..

سأل الإمام أحد المهتمين بالإلهيات: هل نرى ربنا!

أجابه الإمام:

«وكيف نعبد ما لم نره! سبحانه وتعالى لم تره العيون بكشف العيان.. لكن تراه القلوب بحقائق الإيمان. وقد قال رسول الله ﷺ: «اعبد الله كأنك تراه.. فإن لم تكن تراه فإنه يراك».

... لقد قال الإمام في أكثر من مرة أنه يعبد الله كأنه يراه..

ولعل بعض المتمردين يستهجنون لهذا القول، ظناً منهم أنه مبالغ فيه. وهو (ع) لم يتركه دون برهان.. بل شرح حقيقته للعقلاء بلسان الأنبياء والصالحين، اقتناعاً منه بقناعتهم، واعتماداً منه على برهانهم...

إلى جانب ذلك تصدى الإمام لأهل العقول المتمردة، طالباً منهم التوقف عند حدود عقولهم وحواسهم، والانصراف إلى الله بقلوبهم، فإنها وحدها التي تراه(١). سأل الإمام علياً كرم الله وجهه سائل:

يا أمير المؤمنين، بم عرفت ربك؟ أجابه:

«بما عرفني نفسه، لا تشبهه صورة، ولا يدرك بالحواس، ولا يقاس بالناس قريب في بعده، بعيد في قربه.. فوق كل شيء ولا يقال شيء تحته، وتحت كل شيء ولا يقال شيء فوقه.. أمام كل شيء ولا يقال شيء أمامه.. داخل في الأشياء ولا كشيء، ولا من شيء، ولا في شيء، ولا بشيء..

سبحان من هو هكذا ولا هكذا غيره.. خلق الأشياء لا من شيء كان معه، ولا عن شيء احتذاه، ولا عن شيء امتثله، فكل صانع فمن

(١) (الإمام علي والفلسفة الزمنية) فرح موسى ص٥٥.

شيء صنع، وكل عالم فمن بعد جهل علم . .

والله تعالى عالم لا من بعد جهل . .

والإيمان يبدو لمظة بيضاء في القلب، فكلما ازداد الإيمان ازداد القلب بياضاً، فإذا استكمل الإيمان أبيض القلب.

وإن النفاق يبدو لمظة سوداء في القلب، فكلما ازداد النفاق ازداد القلب سواداً، فإذا استكمل النفاق اسود القلب . .

وأسلم الناس مَنْ جعل عقله أميره، وحذره وزيره، والموعظة زمامه، والصبر قائده، والاعتصام بالتقوى ظهيره، وخوف الله تعالى جليسه، وذكر الموت والبلى أنيسه»[1] .

أوصى الإمام علي ابنه الحسن، قائلاً له:

«يا بني احفظ عني أربعاً، وأربعاً:

أغنى الغنى العقلُ . . . وأكبرُ الفَقْرِ الحُمقُ . . وأَوحَشُ الوَحشَةِ العُجْبُ[2] . . وأَكرَمُ الحَسَبِ حُسنُ الخُلقِ . . » .

أما الأربع الأخرى:

«إِياكَ ومُصادقَةَ الأَحمَقِ، فإنهُ يُريدُ أَن يَنفَعَكَ فيضُرَّكَ . .

وإِياكَ ومصادقَةَ الكذَّابِ، فإنهُ كالسرابِ يقربُ عليكَ البعدَ ويُبعدُ عليكَ القَريبَ.

وإِياكَ ومصادقَةَ البَخيلِ، فإِنهُ يَبْعُدُ عَنكَ أَحوجَ ما تكونُ إِليهِ . .

وإِياكَ ومصادقَةَ الفاجِرِ، فإِنهُ يَبيعُكَ بالتَّافِهِ[3] . . »

---

(١) (علي إمام المتقين) عبد الرحمن الشرقاوي ج٢ ص٣٦٥.

(٢) العُجب من أعجب بنفسه مقته الناس، فلا يوجد له أنيس.

(٣) التافه: القليل.

وقد ذكر الإمام (ع) الأربعة مرة أخرى في قول آخر له، حيث قال:

«مَنْ أُعطيَ أربعاً، لم يحرم أربعاً:

مَنْ أُعطيَ الدعاء.. لم يُحرم الإجابة.

ومَنْ أُعطيَ التوبة.. لم يُحرم القبول.

ومَنْ أُعطيَ الاستغفار.. لم يُحرم المغفرة.

ومَنْ أُعطيَ الشكر.. لم يُحرم الزيادة».

وتصديق ذلك كتاب الله تعالى، قال الله عز وجل:

في الدعاء: ﴿ٱدْعُونِىٓ أَسْتَجِبْ لَكُمْ﴾ [سورة غافر، الآية: ٦٠].

وقال في الاستغفار: ﴿وَمَن يَعْمَلْ سُوٓءًا أَوْ يَظْلِمْ نَفْسَهُۥ ثُمَّ يَسْتَغْفِرِ ٱللَّهَ يَجِدِ ٱللَّهَ غَفُورًا رَّحِيمًا﴾ [سورة النساء، الآية: ١١٠].

وقال في الشكر: ﴿لَئِن شَكَرْتُمْ لَأَزِيدَنَّكُمْ﴾ [سورة إبراهيم، الآية: ٧].

وقال في التوبة: ﴿إِنَّمَا ٱلتَّوْبَةُ عَلَى ٱللَّهِ لِلَّذِينَ يَعْمَلُونَ ٱلسُّوٓءَ بِجَهَٰلَةٍ ثُمَّ يَتُوبُونَ مِن قَرِيبٍ فَأُو۟لَٰٓئِكَ يَتُوبُ ٱللَّهُ عَلَيْهِمْ ۗ وَكَانَ ٱللَّهُ عَلِيمًا حَكِيمًا﴾ [سورة النساء، الآية: ١٧].

وقال الإمام علي بن أبي طالب كرم الله وجهه:

«سبع من الشيطان:

شدة الغضب.. وشدة العطس.. وشدة التثاؤب.. والقيء.. والرُّعاف.. والنَّجوى.. والنوم عند الذكر».

وقال الإمام قولاً هو من روائع حكمه:

«مَنْ استبد برأيه هلك.. ومَنْ شاور الرجال شاركها في عقولها».

مشى يوماً في السوق، فمر ببائع يحلف، فقال له:

«لا تحلف! ويل للصانع وويل للتاجر من «لا والله» و«بلى والله» ألا إن

كل يمين فاجرة تذهب بالبركة.. فاتقوا «لا والله» و«بلى والله» وقد قال رسول الله ﷺ:

«التاجر الصدوق يُحشر مع النبيين والصديقين والشهداء».

أنحُ على هذا النحو:

كان الإمام علي ركناً من أركان الفقه واللغة العربية بشتى علومها.. كما هو ركن من أركان الإسلام من حيث الموقع..

لم يكن في زمان الإمام أو من أقرانه مَنْ يقف إلى جانبه في شتى علوم المعرفة..

منها فصاحته وبلاغته باللغة العربية.. إنه تلميذ ذلك العبقري الفذ محمد ﷺ.. فهو له ما ليس لغيره من قوى خارقة في كل علم وكل مقدرة، متأتية من قواه الذهنية الخارقة، وحدة ذكائه المفرط..

ذكر الدكتور مهدي محبوبة[(١)]:

(أما العلوم العربية اللغوية من بلاغة وفصاحة وخطب ورسائل ونحو، فمرجعها إليه ثابت...

فقد رجع إليه أساطين البلاغة والفصاحة في الأمة العربية، يتفيأون ظلاله، ويرتشفون نهل رسائله وخطبه... وقد شهد بذلك أفضل كُتاب العرب وسادة القول والبيان..

فقد ذكر الخليل بن أحمد العلامة المشهور صاحب علم العروض، وأول واضع للقاموس العربي، ومن أكابر علماء اللغة في صدر الإسلام بقوله:

«احتياج الكل إليه، واستغناؤه عن الكل دليل على أنه إمام الكل»..

وقال ابن نباته: «حفظت من الخطابة كنزاً لا يزيده الانفاق إلا سعة وكثرة، حفظت مئة فصل من مواعظ علي بن أبي طالب»..

---

(١) (ملامح من عبقرية الإمام) د. مهدي محبوبة دار الكتاب العربي ـ بيروت ص١٣٦.

وقد أفاض الجاحظ أبو عثمان، العالم المشهور، في ذكر الإمام علي، وبما له من سبق في البلاغة والفصاحة، وكان ذلك في كثير من كتبه. .

وقد ذكر المسعودي في مروج الذهب:

«إنه حفظ الناس عن الإمام علي أربع مئة وثمانين خطبة ونيفاً. .

كان الإمام مشرعاً للفصاحة وساناً للبلاغة. .

كان يمتاز بدقة السبك، وحسن الأسلوب، وإحكام الحجة، وسهولة اللفظ، وجزالة المعنى، وبساطة التعبير، والإحاطة بالقصد)

ذكر أبو القاسم الزّجّاجي في أماليه:

(حدثنا أبو جعفر محمد بن رستم الطبري، عن السجستاني، عن ابن إسحاق الحضرمي، عن سعيد بن سَلْم الباهلي. . حدثنا أبي عن جدي، عن أبي الأسود الدُؤَلي، قال:

دخلت على أمير المؤمنين علي بن أبي طالب، فرأيته مطرقاً مفكراً. . فقلتُ:

فيم تفكر يا أمير المؤمنين؟ قال:

إني سمعتُ ببلدكم هذا لحناً، فأردت أن أصنع كتاباً فيه أصول العربية. .

فقلت: إن فعلت هذا أحييتنا، وبقيت فينا هذه اللغة. .

ثم أتيته بعد ثلاث، فألقى إلي صحيفة فيها:

«بسم الله الرحمن الرحيم، الكلمة: اسم، وفعل، وحرف.

فالاسم: ما أنبأ عن المسمى.

والفعل: ما أنبأ عن حركة المسمى.

والحرف: ما أنبأ عن معنى ليس باسم ولا فعل. .»

ثم قال: تتبعه وزد فيه ما وقع لك. . واعلم يا أبا الأسود أن الأشياء ثلاثة: ظاهر. . ومضمر. . وشيء ليس بظاهر ولا مضمر، وإنما يتفاضل العلماء في معرفة ما ليس بظاهر ولا مضمر. .

قال أبو الأسود:

فجمعت منه أشياء، وعرضتها عليه.. فكان ذلك من حروف النصب، فذكرت منها (إِنَّ) و(أَنَّ) و(ليت).. و(لعل)... و(كأنَّ).. ولم أذكر (لكن). فقال لي: لِمَ تركتها! فقلت: لم أحسبها منها.

فقال: بل هي منها فزدها فيها[1].

ثم قال الإمام لأبي الأسود الدُؤَلي:

«أنح هذا النحو في العربية».

لذا سُميّ هذا العلم بـ (علم النحو)... فكان الإمام هو مبتدع علم النحو، وهذا ما أقره كل علماء اللغة العربية دون استثناء..

قال معاوية بن أبي سفيان:

(والله ما سن الفصاحة لقريش غير علي بن أبي طالب..)!!.

أول مَنْ جمع القرآن..

ومن علوم الإمام علي، علم تفسير القرآن الذي عكف على دراسته، دارسة المتبصر الحكيم، وقام بجمعه بعد وفاة النبي ﷺ حينما اعتكف في بيته، ولم يخرج منه إلا إلى الصلاة، حتى جمع القرآن الكريم.. وهو أول مَنْ جمعه..

جاء في (المناقب) للخوارزمي الحنفي بسند عن الإمام علي، قال:

«لما قُبض رسول الله ﷺ أقسمتُ أن لا أَضع ردائي على ظهري حتى أجمع ما بين اللوحين، فما وضعت ردائي على ظهري حتى جمعت القرآن»[2].

وجاء في كتاب (تأريخ القرآن):

(ولقد كان في دار الكتب العلوية في النجف مصحف بالخط الكوفي

---

(١) (تاريخ الخلفاء) الإمام الحافظ السيوطي ص٢١٣.

(٢) (المناقب) للخوارزمي ص٤٩.

مكتوب في آخره: كتبه علي بن أبي طالب سنة أربعين من الهجرة).

وجاء في موضع آخر:

(أما مصحف علي فيعزى إليه، إنه رأى من الناس طيرة عند وفاة النبي ﷺ فأقسم ألا يضع على ظهره رداءه حتى يجمع القرآن، فجلس في بيته ثلاثة أيام حتى جمع القرآن.. فكان أول مصحف جُمِع فيه القرآن).

يروي ابن النديم في كتابه (الفهرست):

إن هذا المصحف كان عند أهل جعفر.. ويقول:

(ورأيت أنا في زماننا عند أبي يعلي حمزة الحسني رحمه الله مصحفاً قد سقطت منه أوراق بخط علي بن أبي طالب، يتوارثه بنو حسن على مر الزمان..)

وذكر أحمد بن أبي يعقوب اليعقوبي:

(وروى بعضهم أن علياً بن أبي طالب (ع) جمعه لما قُبض رسول الله ﷺ، وأتى به يحمله على جمل، فقال:

«هذا القرآن جمعته».

وكان قد جزأه سبعة أجزاء:

١ ـ جزء البقرة.

٢ ـ جزء آل عمران.

٣ ـ جزء النساء.

٤ ـ جزء المائدة.

٥ ـ جزء الأنعام.

٦ ـ جزء الأعراف.

٧ ـ جزء الأنفال.

وذلك باعتبار أول كل جزء.. وروي أن مصحف علي كان ترتيب النزول، وتقديم المنسوخ على الناسخ[1].

---

(١) (الإمام علي أسد الإسلام وقديسه) روكس بن زائد العزيزي ص٥٩.

وقد سأل الإمام علي أصحابه مراراً وتكراراً، أن يسألوه عن الكتاب الكريم، بمواقف عدة، لأنه أعلمهم به، وبآياته..

.. أما مصادر القراءات والقراء، لو رجعنا لها وإليهم.. وجدنا أئمة القراء كلهم يرجعون إلى الإمام..

نحو أبي عمرو بن العلاء.. وعاصم بن أبي النجود.. وغيرهم.

وهؤلاء يرجعون إلى أبي عبد الرحمن السلمي... والسلمي كان تلميذاً للإمام، ومنه أخذ القراء..

لذا يعتبر هذا العلم، أو هذا الفن، إن صحت تسميته من العلوم أو الفنون التي ترجع له..

آثار الإمام علي (ع)..

أخذ (حبر الأمة) عبد الله بن عباس (رض) كل أحاديثه، وتفاسيره من أستاذه الإمام علي بن أبي طالب..

وعن عبد الله بن عباس، أخذ كل المفسرين.. فكُتب التفسير مرجعها ما فسره الإمام، وما وضعه من تفاسير..

لقد استطاع العلماء والباحثون جمع بعض ما خلفه علي بن أبي طالب من مبادىء ومفاهيم وحقائق في مؤلفات عديدة.. نورد منها:

١ ـ نهج البلاغة:

جمعه الشريف أبو الحسن الرضي بن الحسين الموسوي، المتوفي سنة ٤٠٦هـ ويشتمل الكتاب على ما اختاره الشريف من خطب الإمام، وكتبه، ورسائله، وحكمه، ومواعظه..

وقد اهتم بالكتاب المذكور جل العلماء والمفكرين، ورجال الأدب قراءة واستيعاباً وشرحاً، حتى بلغت شروحه أكثر من خمسين شرحاً.. ومن أشهر الشراح لنهج البلاغة:

أبو الحسن البيهقي.. والإمام فخر الدين الرازي.. والقطب الراوندي..

ومحمد ميثم البحراني.. وعز الدين بن أبي الحديد المدائني المعتزلي.. والشيخ محمد عبده..

ولقد انطوى (نهج البلاغة) على روائع في الفكر بشتى شعبه ومناحيه: في العقائد، والأخلاق، ونظام الحكم، وفي الحكم، وعن طبيعة المجتمع، وعلاقة الإنسان بالله تعالى، وعلاقته بأخيه الإنسان، وعلاقته مع نفسه.. إلى آخره من أبواب مختلفة في علوم المعرفة.. وغيرها من العلوم والمعارف.. وهو إلى جانب ذلك جاء آية في الأدب الإنساني الرفيع الذي عز نظيره في أدب اللغة العربية.. دقة وعمقاً وتصويراً.. وجزالة اللفظ..

وقد ورد فيه.. وهو من روائع قوله:

«فَرضَ اللهُ الإيمانَ، تَطهيراً من الشِّركِ.

والصلاةَ، تنزيهاً عن الكِبْرِ.

والزكاةَ، تَسْبيباً للرزقِ.

والصِّيامَ، إبتلاءً لإخلاصِ الخلقِ.

والحجَّ، تَقربةً للدِّينِ[1].

والجهادَ، عِزاً للإسلامِ.

والأَمرَ بالمعروفِ، مَصلحةً للعَوَامِّ.

والنَّهيَ عَنِ المُنكَرِ، رَدْعاً للسفهاءِ.

وصِلَةَ الرَّحمِ، مَنْمَاةً للعَدَدِ.

والقِصَاصَ، حقَناً للدِّماءِ.

وإقامَةَ الحدُودِ، إعظاماً للمحارِمِ.

(١) أي سبباً لتقرب أهل الدين بعضهم من بعض، إذ يجتمعون من جميع الأقطار في مقام واحد لغرض واحد، فإن تجديد الألفة بين المسلمين في كل عام بالاجتماع والتعارف مما يقوي الإسلام.

وتَركَ شُربِ الخمرِ، تَحصيناً للعَقْلِ.

ومُجانَبَةَ السَّرقَةِ، إِيجاباً للعِفَّةِ.

وتَركَ الزِّنا، تَحصيناً لِلنَّسَبِ.

وتَركَ اللِّواطِ، تكثيراً للنسلِ.

والشَّهادَةَ، إِستظهاراً على المُجاحَدَاتِ[1].

وتَرَكَ الكَذِبِ، تَشريفاً للصِّدقِ.

والسَّلامَ، أَمَاناً من المخاوِفِ.

والأَماناتِ، نِظاماً للأُمَّةِ[2].

والطَّاعَةَ، تَعظيماً للإِمامَةِ»[3].

٢ ـ مسنده: الذي جمعه أبو عبد الرحمن أحمد بن شعيب النسائي ـ المتوفي ٣٠٣هـ وأسماه (مسند علي). وقد ضمنه بعض ما أثر الإمام علي، من أحاديث وروايات عن رسول الله ﷺ.

٣ ـ غرر الحكم ودرر الكلم:

جمعه عبد الواحد محمد الآمدي.. وهو يشتمل على طائفة من حِكَمْ الإمام علي القصيرة، ويقارب في حجمه حجم (نهج البلاغة)..

٤ ـ مطلوب كل طالب من كلام علي بن أبي طالب:

جمعه أبو إسحاق الوطواط الأنصاري المتوفي ٥٧٨هـ.

---

(١) إنما فرضت الشهادة، وهي الموت في نصر الحق ليستعان بذلك على قهر الجاحدين له فيبطل جحوده.

(٢) لأنه إذا روعيت الأمانة في الأعمال، أدى كل عامل ما يجب عليه فتنتظم شؤون الأمة. أما لو كثرت الخيانات، فقد فسدت الأعمال، وكثر الإهمال فاختل النظام.

(٣) (نهج البلاغة) شرح الشيخ محمد عبده ج٣ ص١٩١.

ويحتوي على طائفة من حِكم الإمام علي. . وطبع هذا الكتاب في (بولاق) وترجم إلى اللغة الألمانية.

٥ ـ مائة كلمة جمعها (الجاحظ).

٦ ـ نثر اللالىء: جمع أبي الفضل بن الحسن الطبرسي، صاحب مجمع (البيان في تفسير القرآن)، وهذا الكتاب جمع حكمه مرتبة على حروف المعجم.

٧ ـ ما اشتمل عليه (كتاب صفين) لنصر بن مزاحم، من خطب الإمام وكتبه إلى معاوية وغيره.

٨ ـ جنة الأسماء:

شرحه الإمام أبو حامد محمد بن محمد الغزالي ـ المتوفي سنة ٥٠٥هـ.

٩ ـ قلائد الحِكَمْ وفرائد الكلم:

جمع القاضي الإمام أبو يوسف يعقوب بن سليمان. . . وهذا الكتاب جمع لكلام الإمام علي.

١٠ ـ مآثر عنه من الأدعية والمناجاة، وقد طبع تحت اسم **(الصحيفة العلوية)**[١] . . .

أقول، لولا الظروف السياسية الخاصة التي وضعت الإمام علي بين فكيها، لوصلنا منه أضعاف ما وصل إلينا. .

ولكن ما بالك ومعاوية بن أبي سفيان، منع كل ذكر حسن لآل البيت، وأولهم علي بن أبي طالب. . ولم يكتف بذلك، بل أمر بسبه على منابر المسلمين، والإمام هو رابع خلفاء المسلمين!!

فكيف به لا يمنع عن المسلمين فقهه. . وعلمه. . . وأقواله. . . وحكمه. . وتراثه!!

---

(١) (أمير المؤمنين علي بن أبي طالب) مؤسسة البلاغ ج٣ ص١٢٨.

وعلوم الطبيعة. . .

لم يقتصر علم ذلك العالم الرباني الجليل علي بن أبي طالب، على علوم الفقه، والتفسير، والفصاحة، واللغة، والحِكم، والمواعظ والإرشاد. . بل تجاوز ذلك إلى شتى أنواع العلوم والمعرفة. . منها علم الطبيعة بما فيها من أفلاك ومجرات وأوتاد ومنظومات. .

فهو بطرق السماء أعلم من طرق الأرض، كما قال:

«أيُها النّاسُ سَلُوني قَبلَ أن تفقدُوني، فَلأنّا بِطُرقِ السَّماءِ أعلَمُ مِنيِّ بِطُرقِ الأرضِ».

والقصد من ذلك أنه في العلوم الملكوتية، والمعارف الإلهية أوسع إحاطة منه بالعلوم الصناعية. .

وفي تلك تظهر مزية العقول العالية، والنفوس الرفيعة، وبها ينال الرشد ويستضيء الفكر[1].

في خطبته المشهورة بـ (الأشباح) التي أشار فيها إلى حركة الأرض. . وهو أول مَنْ أشار إلى حركتها. . قال الإمام:

«كَبَسَ[2] الأرض على مَوْر أمواجٍ مُسْتَفْحلَةٍ[3]، وَلُجَجِ بِحَارٍ زَاخرةٍ[4]، تَلتَطِمُ أواذِيُّ أمواجِها، وتَصْطَفِقُ مُتقاذِفاتُ أثباجِها[5]، وترغو زَبداً (كالفحول) عند هِياجِها، فَخَضَعَ جماحُ الماءِ المتلاطم لثقلِ حَملِها، وسَكَنَ هَيْجُ ارتِمائِهِ إذ وطئتهُ بِكَلْكَلِها[6]، وذَلَّ مُستَخْذِياً

(١) (شرح نهج البلاغة) للشيخ محمد عبده ج٢ ص١٣٠.

(٢) طمّ بالتراب.

(٣) ذات حركة شديدة.

(٤) كناية عن البحار والمحيطات عند هيجان الرياح.

(٥) جمع ثبج: ما بين الكاهل والظهر استعارة لأعلى الموج.

(٦) الكلكل: الصدر.

إذ تَمعَّكَتْ[1] عليه بكواهِلها، فأصبَحَ بَعْدَ أصطِخاب أمواجِهِ ساجياً[2]، مَقهوراً، وفي حَكَمَةِ[3] الذُلِّ مُنقاداً أسيراً. وَسكَنَتِ الأرضُ مَدحُوَّةً[4] في لُجَةِ تيَارِه، وَرَدَّتْ من نَخوةِ بأْوِهِ[5] واعتِلائِهِ وشُمُوخِ أنفِهِ وسُمُوِّ غُلوائِهِ وَكعمتُه[6] على كِظَّهِ[7] جَرْيَتِهِ. فَهَمَدَ بعد نَزَقاتِهِ، ولَبَدَ[8] بعد زَيَفانِ[9] وَثَباتِهِ الشُمَّخِ البُذَّخِ على أكتافِها، فَجَّر ينابيع العُيُونِ من عَرانِين[10]..

فلما سكنَ هيجُ الماءِ من تَحتِ أكنَافِها، وحَملِ شَواهِقِ الجبالِ أُنوفِهَا، وفَرّقها في سُهُوبِ بِيدِهَا وأَخادِيدِها، وعَدَّلَ حرَكاتِها بالرَّاسياتِ من جلاميدِها، وذَوَاتِ الشَّناخيبِ الشُّمِّ من صَيَاخيدِها[11] فَسكَنَتْ من الميدانِ لرسُوبِ الجبالِ في قِطَعِ أدِيمها وتَغَلغُلِهَا مُتَسَرِبةً في جَواباتِ[12] خياشِيمها ورُكُوبِها أَعنَاقَ سُهُولِ الأرضِينَ وَجَرَاثِيمِها[13]، وفَسَحَ بين الجوِّ وبينها، وأعدَّ الهواءَ مُتنَسَّماً لِسَاكِنِها، وأخرج إليها أهلَها، على تَمامِ مَرَافِقِها، ثم لم يَدَعْ جُرُزَ[14] الأَرضِ التي تَقصُرُ مِياهُ العُيُون من رَوَابِيها، ولا تجدُ جداولُ الأنهارِ

(١) أي سكن الموج بفعل الجاذبية وهدوء الهواء.
(٢) ساجياً: ساكتاً.
(٣) لجام.
(٤) مبسوطة.
(٥) بأوه: كبره وزهوه.
(٦) كعمته: كعم البعير: شد فاه لئلا يعض. ويراد بها هنا ما يشاهد من جري الماء من ثقل الاندفاع.
(٧) كظة: امتلاء البطن بالطعام.
(٨) لبد: قام ووثب.
(٩) التبختر في المشية.
(١٠) عظم الأنف: والمراد أعالي الجبال.
(١١) جمع صيخود: الصخرة الشديدة.
(١٢) الجوبات: جمع جوبة: حفرة.
(١٣) المراد هنا ما سفل عن السطوح من الطبقات الترابية.
(١٤) جُرز الأرض: التي تمر عليها مياه العيون فتنبت.

ذَريعةً إلى بُلُوغِها حتى أنشأَ لها نَاشِئَةَ سَحَابٍ تُحْيِي مَواتَهَا وَتَسْتخرِجُ نَبَاتَها».

وقال عليه السلام، وهو يصف المجموعة الشمسية، وما حولها من أفلاك وأجرام:

«. . . . وأقامَ رَصَداً مِنَ الشُهبِ الثواقِبِ على نِقابَها[1]، وأمسَكَها من أن تَمُورَ[2] في خَرقِ الهواءِ بأَيْدِهِ[3]، وأَمَرَها أن تَقِفَ مُستَسْلِمَةً لأمرهِ، وجَعَلَ شَمسَها آيَةً مُبصرةً لنهارِها، وقَمَرَها آيَةً مَمحُوَّةً من ليلِها. وأَجراهُما في مَنَاقِلِ[4] مَجراهُمَا وَقَدَّرَ سَيرَهُما في مدارجِ دَرجِهِمَا ليُميِّزَ بينَ الليلِ والنهارِ، ولِيُعلَمَ عَدَدُ السِّنينِ والحسابُ بمقاديرها، ثم عَلَّقَ في جَوِّهَا فَلَكَهَا وناطَ[5] بها زِينَتَها من خَفيَّاتِ دَرَارِيِّهَا ومَصَابيح كواكِبِها. ورَمى مُسْتَرِقي السَّمْعِ بثواقبِ شُهُبَها، وأجراها على أذلالِ تَسْخيرِهَا من ثَّابتِ ثَابِتَها، ومَسَيرِ سَائِرِهَا وَهُبُوطِها وصُعودِها وَنُحُوسِهَا وَسُعُودِهَا».

علم الجفر والجامعة . .

للإمام علي، إضافة لما تقدم من علوم، العلم في علم المخلوقات وأسرارها، من حيوان ونبات وغيرهما . . وكذلك علم الحساب والرياضيات . . . وعنده علم آخر انفرد بعلمه وحده في زمانه . . وهو علم (الجفر والجامعة).

وعلم (الجفر)، عبارة عن العلم الإجمالي بلوح القضاء والقدر، المحتوي على كل ما كان وما يكون، كلياً وجزئياً . .

---

(١) النقاب: جمع نقب: الحجاب.

(٢) تضطرب.

(٣) الأيد: القوة.

(٤) الأوضاع التي ينقلان فيها بمداريها.

(٥) عَلَّقَ.

وقد يقرن (بالجامعة). . . فيقال (الجفر والجامعة). .

فالجفر: عبارة عن لوح القضاء والقدر، الذي هو عقل الكل. .

والجامعة: لوح القدر، الذي هو نفس الكل. .

وقد ادعى طائفة أن الإمام علياً بن أبي طالب وضع الحروف الثمانية والعشرين على طريق البسط الأعظم في جلد جفر، وهو الذكر من المعزى. والشاء الذي يبلغ أربعة أشهر يستخرج منها بطريق مخصوصة وشرائط معينة ألفاظ مخصوصة يستخرج منها ما في لوح القضاء والقدر.

وهذا علم يتوارثه أهل البيت، ومَنْ ينتمي إليهم ويأخذ منهم من المشايخ الكاملين. وكانوا يكتمونه عن غيرهم كل الكتمان[(١)]. .

وقال ابن طلحة:

(الجفر والجامعة) كتابان جليلان أحدهما ذكره الإمام علي، وهو يخطب بالكوفة على المنبر، والآخر أسرَّ إليه به الرسول، وأمره بتدوينه فكتبه علي حروفاً متفرقة على طريقة سفر آدم في جفر، فاشتهر بين الناس به لأنه وجد فيه ما جرى للأولين والآخرين. .

وقال الجرجاني:

(الجفر والجامعة): كتابان لعلي ذكر فيهما على طريقة علم الحروف الحوادث التي تحدث إلى انقراض العالم، وكانت الأئمة المعروفون من أولاده يعرفونها ويحكمون بها. .

وقال ابن خلدون في مقدمته:

اعلم أن كتاب الجفر كان أصله أن هارون بن سعيد العجلي، وهو رأس الزيدية كان له كتاب يرويه عن جعفر الصادق، وفيه علم ما سيقع لأهل البيت على العموم ولبعض الأشخاص منهم على الخصوص. وقع ذلك لجعفر ونظائره على طريق الكرامة والكشف الذي يقع لمثلهم من الأولياء، وكان مكتوباً عند جعفر في

(١) (كشف الظنون عن أسامي الكتب والفنون) حاجي خليفة ج١ ص٥٩١.

جلد ثور صغير، فرواه عنه هارون العجلي، وكتبه وسماه (الجفر) باسم الجلد الذي كتب منه، لأن الجفر في اللغة، هو الصغير وصار هذا الاسم علماً على هذا الكتاب عندهم. وكان فيه تفسير القرآن، وما في باطنه من غرائب المعاني مروية عن جعفر الصادق[1]. .

علم الحيوان. .

وصف الإمام علي الطيور وبعض الحيوانات، منها الخفاش. . والطاووس، والنملة. . والجرادة.

وصفاً علمياً دقيقاً وبليغاً، يعجز العلماء في زمانه أن يجاروا ذلك الوصف، أو أن يصلوا إلى حدوده. .

ولا يسع المجال هنا أن نورد من أقواله في ذلك الوصف الشيق للحيوانات التي وصفها. . وللقارىء الكريم أن يرجع إلى كتاب (نهج البلاغة) يجد البلاغة في الوصف والتشبيه. .

علم الرياضيات. .

أما علمه في علوم الحساب والرياضيات التي كانت معرفته فيهما تفوق معرفة أقرانه ومعاصريه. . نعرض من معرفته الواسعة في هذا العلم، مسألة واحدة كمثال على ما كان يتمتع به من باع طويل في تلك المعرفة:

جاءه ثلاثة من الرجال ومعهم سبعة عشر جملاً. . وطلبوا منه تقسيم تلك الجمال بينهم بنسب مختلفة:

لأولهم النصف. . ولثانيهم الثلث. . ولثالثهم التسع. .

طلب منهم الإمام علي إضافة جمل آخر إلى الجمال السبعة عشر. .

أصبح عدد الجمال بعد الإضافة ثمانية عشر جملاً. .

(١) هذا الموضوع من كتاب (الإمام علي بن أبي طالب رابع الخلفاء الراشدين) الأستاذ محمد رضا ص٣٢٠.

قال الإمام:

أعطوا الأول نصف العدد = ٩ جمال.

وأعطوا الثاني ثُلث العدد = ٦ جمال.

وأعطى الثالث تُسع العدد = ٢ جملين.

وبذلك قسّم ذلك العدد إلى ما طلبوا منه تقسيمه:

٩ + ٦ + ٢ = ١٧ جملاً مجموع الجمال المطلوب تقسيمها بينهم!

فلسفته وحكمته..

لم يكن لعلم الإمام علي أية حدود، فعلمه، لم يقتصر على بعضٍ منه، بل عَلِمَ من كل عِلمٍ كل جوانبه، وأحاطه سعة، حتى غار في أعماقه فانتهل منه ما ظهر وما بطن..

ففي رحاب علم الحكمة، لم يصل إلى حكمته أي حكيم قبله ولا بعده.. وأما الفلاسفة، فلفلسفته ينتمون، كما الحكماء لحكمته مدينون.. وأهل المنطق من علم منطقه تعلموا وتنوروا.. وعلماء الاجتماع من أفكاره ومبادئه أخذوا..

فالفلاسفة النُّوبختيون (الفضل وإسماعيل وموسى وعلي) والرازي والفارابي وإخوان الصفا وغيرهم كثير، أخذوا من فلسفته، وتعلموا من مدرسته..

والشيخ (ابن سينا) الفيلسوف المعروف، ذكر الإمام بقوله:

(كان عليٌّ من العلوم في المحلِ الذي لا يحلّق إليه البشر)[1].

وقال المناوي في (فيض التقدير):

(وقد شهد لعلي كرم الله وجهه بالأعلمية الموافق والمخالف[2]، والمعادي، والمحالف) يقول الإمام علي (ع) لسائله، عن القضاء والقدر:

«وَيَحكَ لَعَلَّكَ ظَنَنْتَ قَضَاءَ لازِماً وقَدَراً حاتِماً. ولو كانَ كذلك لَبَطَلَ

---

(١) (ملامح من عبقرية الإمام) د. مهدي محبوبة ص١٤٤.

(٢) نفس المصدر.

الثَّوابُ والعِقَابُ، وسَقَطَ الوَعْدُ والوَعِيدُ.

إنَّ الله سُبحانهُ وتعالى أَمَرَ عِبَادَهُ تَخْيِيراً، ونَهَاهُمْ تَحذِيراً، وَكلَّفَ يَسيراً، ولم يُكلِّفْ عَسيراً، وأَعطى على القَليلِ كَثيراً.

ولَمْ يُعصَ مَغلُوباً، ولَمْ يُطَعْ مُكرهاً، ولم يُرسِلِ الأَنبياءَ لَعِباً، ولَمْ يُنزِلِ الكُتُبَ للعِبادِ عَبَثاً، ولا خَلَقَ السَّمواتِ والأَرضَ وما بَينَهُما باطِلاً. . .».

وقال عن كلام الحكماء:

«إنَّ كلامَ الحُكماءِ إذا كانَ صَواباً كان دَوَاءً، وإِذا كانَ خَطأً كان دَاءً».

وسأله رجل من المسلمين، فقال:

كيف يُحاسب الله الخلق على كثرتهم!

أجابه الإمام:

«كما يَرزُقُهُمْ على كَثْرتِهِم».

وسأله: كيف يحاسبهم ولا يرونه؟

أجابه:

«كما يَرزُقُهُمْ ولا يَرَونَهُ».

ومن روائع حكمه، قال:

«أَصدقاؤكَ ثلاثةٌ. . وأَعداؤكَ ثلاثةٌ:

فَأَصدِقاؤكَ: صَدِيقُكَ. . وصَدِيقُ صَديقكَ. . وعَدُوُّ عَدُوِّكَ.

وأَعْداؤكَ: عَدُوُّكَ. . وعَدُوُّ صَدِيقِكَ. . . وَصَدِيقُ عَدوِّكَ».

ونحن بصدد (الثلاثة) قالها الإمام في الظلم:

«أَلا وإِنَّ الظُّلْمَ ثلاثةٌ:

فَظُلمٌ لا يُغفَرُ. . . وظُلمٌ لا يُترَكُ. . وظُلمٌ مَغفُورٌ لا يُطلَبُ.

فأما الظُّلمُ الذي لا يُغفَرُ:

فَالشِّركُ بالله، قال الله تعالى: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَغۡفِرُ أَن يُشۡرَكَ بِهِۦ﴾ [سورة النساء، الآية: ٤٨]

وأَما الظُّلمُ الذي يُغفَرُ:

فَظُلمُ العَبدِ نَفسَهُ عِندَ بَعضِ الهَنَاتِ(١)

وأما الظُّلمُ الذي لا يُترَكُ:

فَظُلمُ العِبادِ بَعْضِهِمْ بَعضاً».

وسأله عمر بن الخطاب (رض) ذات يوم:

(يا أبا الحسن، أسألك عن شيء هل عندك منه علم؟).

قال: ما هو؟

قال: الرجل يحب الرجل ولم ير منه خيراً. . والرجل يبغض الرجل ولم ير منه شراً. .

أجابه الإمام: نعم قال رسول الله ﷺ:

«إن الأرواح جنود مجندة، فما تعارف منها ائتلف، وما تناكر منها اختلف»(٢).

وجاءوا بالصحابي (حذيفة) إلى الخليفة الثاني عمر بن الخطاب (رض) سأله جماعة من الناس.

ـ كيف أصبحت؟ فقال:

ـ أصبحت أحب الفتنة، وأكره الحق، وأصدق اليهود والنصارى، وأُومن بما

---

(١) الهنات: جمع هنه: الشيء اليسير والعمل الحقير، والمراد به: صغائر الذنوب.

(٢) (علي إمام المتقين) عبد الرحمن الشرقاوي ج١ ص١١٠.

لم أره، وأقر بما لم يُخلق وأصلي بغير وضوء، ولي في الأرض ما ليس لله في السماء!

فأشكل ذلك على عمر (رض) حتى جاء الإمام علي وأخبره بما قال له الرجل: أجابهم الإمام متبسماً:

صدق الرجل.. ثم قال:

الفتنة: ﴿ وَٱعْلَمُوٓاْ أَنَّمَآ أَمْوَٰلُكُمْ وَأَوْلَٰدُكُمْ فِتْنَةٌ ﴾ [سورة الأنفال، الآية: ٢٨] وهذا قول الله تعالى، لذا فإنه يحب المال والبنين..

والحق: هو الموت، وإنه يكره الحق، أي الموت.

ويصدق اليهود والنصارى: ﴿وَقَالَتِ ٱلْيَهُودُ لَيْسَتِ ٱلنَّصَٰرَىٰ عَلَىٰ شَىْءٍ وَقَالَتِ ٱلنَّصَٰرَىٰ لَيْسَتِ ٱلْيَهُودُ عَلَىٰ شَىْءٍ﴾ [سورة البقرة، الآية: ١١٣].

وما يؤمن به لم يره: أي يؤمن بالخالق سبحانه وتعالى.

وأما يقر بما لم يُخلق: ويعني الساعة التي لم تُخلق بعد..

ويصلي بغير وضوء: أي يقول اللهم صلى وسلم على سيدنا محمد..

وله في الأرض ما ليس لله: أي له زوجة وولدا! عندها أطلق عمر سراح الرجل، وقال قوله المشهور:

(لولا علي لهلك عمر)... و(بئس المقام بأرض ليس فيها أبو الحسن)(١).

وعلمه بعلم الحديث...

أما علم الإمام علي بعلم الحديث، فلا يُجاريه أحد من صحابة رسول الله ﷺ، لأنه رافقه ولازمه منذ بدأ الدعوة حتى الدقائق الأخيرة من حياة النبي ﷺ الطاهرة.

فسمع منه ما لم يسمع غيره.. وحفظ عنه ما لم يحفظه غيره..

لقد روى الإمام ما سمعه مباشرة من الرسول الأعظم ﷺ، دون أن يروي ما

---

(١) (عن جريدة العرب اللندنيه) من مراسلها في القاهرة السيد حسن فتحي.

نقله غيره عن النبي ﷺ. . . وامتنع عن رواية أي حديث منقول لم يسمعه هو. .

فكل ما رواه من أحاديث، وما ذكره من أقوال عن سيد الكائنات ﷺ لا شك فيها ولا حاجة لها إلى سند أو تدقيق.

فهي مسندة منه، لأنه خير سند لها. سمعها من مصدرها مباشرة وحفظها حالما سمعها. .

قيل له:

ما لك أكثر أصحاب رسول الله ﷺ حديثاً؟

فقال: **«إني كنت إذا سألته أنبأني. . وإذا سكتُ ابتدأني»**.

. . هنا يحق لي أن أستوقف قلمي ولو قليلاً، لكي أتساءل:

لِمَ لم يُنقل عنه (أعني الإمام علي) أحاديث ذلك الرجل الخالد عليه صلاة الله وسلامه، وهو المرافق الدائم له. . في بيته. . في جهاده وكفاحه. . في نشر دعوته. . وفي معاركه من أجل رفع راية الدين الحنيف!!

نعم المرافق له قبل الدعوة وبعدها. . حتى وسَّدَهُ تربته الطاهرة بيديه. . فمن هو أولى منه بنقل أحاديثه الكريمة!!

وهل في نقله لها حاجة إلى سند أو إسناد!!

وعَتَبي على أصحاب الصحاح. . والرواة الذين لم يأخذوا عنه الحديث. . ولم ينقلوا منه ما قاله رفيقه العظيم، إلا النزر اليسير!! لكنهم أخذوا الكثير من بعض الصحابة الذين لم يكن لهم تماس مع النبي ﷺ، كما كان علي ملتصقاً به ومعه بعض رفاق رسول الله ﷺ كأبي بكر وعمر وعمار وسلمان. .

بل إن بعضاً من أولئك الرواة من الصحابة لم يدركوا النبي ﷺ إلا آواخر حياته. . منهم أبو هريرة وغيره ممن صال وجال في نقل الأحاديث عن الرسول ﷺ حتى دون أن يسمعوا منه ما نقلوه عنه!!

فتقدموا بالنقل على ذلك الرفيق الذي وعيت أذنيه لكل حرف، أو كلمة قالها رفيقه. وتلك نتيجة من نتائج الأهواء السياسية. . والأجواء العدائية الحاقدة على آل البيت. .

ذلك النتاج الذي أنبته نبتة فاسدة الأمويون، وآل سفيان ضد البيت الهاشمي..

فمنعوا المسلمين من رواية أي حديث يُنقل عن الإمام علي.. ومنعوا ذكره.. وألغوا وجوده من بين أقرب الصحابة لرسول الله ﷺ.. بل أمروا بسبه على منابر المسلمين.. فحق عليهم قول النبي ﷺ:

«مَنْ سبَّ علياً فقد سبني» وقوله: **«.. مَنْ أبغض علياً فقد أبغضني»**.

لقد حاربوا كل مسلم ينتسب إليه، أو يأتي على ذكره، أو يورد فضائله.. حتى أن الرجل ليقال له زنديق، أو كافر أحب إليه من أن يقال له من مؤيدي أو من أنصار علي!!

وبلغ بالأمويين حب الانتقام من أنصار علي بن أبي طالب، أنهم كانوا يقتلون كل مَنْ دُعي علياً أو حسناً أو حسيناً.. حتى أن بعض ضعفاء النفوس من الفقراء، كانوا يأتون الأمير الأموي ليعتذروا له عن أسمائهم..

من ذلك أن رجلاً(١) وقف للحجاج، فقال له:

أيها الأمير إن أهلي عقوني فسموني علياً، وإني فقير بائس، وأنا إلى صلة الأمير أحوج(٢)!!

ذكر الأستاذ أحمد أمين:

(... ثم تتبع بنو أمية أهل البيت يستذلونهم ويقتلونهم، ويقطعون أيديهم وأرجلهم على الظنة.. وكل مَنْ عرف بالتشيع لهم سجنوه أو نهبوا ماله أو هدموا داره..

وأتي الحجاج فقتلهم كل قتلة وأخذهم بكل ظنة وتهمة..

ويقول المدائني:

إن زياد بن سميه كان يتتبع شيعة علي في الكوفة وهو بهم عارف، لأنه كان

---

(١) يقال إنه جد الأصمعي كما ذكر أحمد أمين في (فجر الإسلام).

(٢) (علي وعصره) جورج جرداق ص٩٠.

منهم أيام علي، فقتلهم تحت كل حجر ومدر، وأخافهم وقطع الأيدي والأرجل، وسمل العيون، وصلبهم على جذوع النخل، وطردهم وشردهم عن العراق. فلم يبقِ به معروف منهم...

وكتب معاوية إلى عماله في جميع الآفاق أن لا يجيزوا لأحد من شيعة علي وأهل بيته شهادة!!

وكتب إلى عماله أن: انظروا إلى مَنْ قامت عليه البينة أن يحب علياً وأهل بيته فامحوه من الديوان، وأسقطوا عطاءه ورزقه)[1].

قال يزيد بن معاوية بن أبي سفيان عندما جيءَ إليه برأس الحسين بعد واقعة كربلاء:

ليت أشياخي ببدر شهدوا   وقعة الخزرج من وقع الأسلْ
قد قتلنا القوم من ساداتهم   وعدلنا قتل بدرٍ فاعتدلْ
لعبت هاشم بالملك فلا   خبر جاء ولا وحي نزلْ
لست من خِنْدقٍ إن لم أنتقم   من بني أحمد ما كان فعلْ[2]

وقد روي أنه استدعى ابن زياد وقرَّبَ مجلسه، ورفع منزلته، وأدخله على نسائه فسكر معه، وأنشد ذلك!!

وذكر سبط بن الجوزي، أن هشاماً بن محمد روى عن أبيه، عن عبيد ابن عمير، قال: (كان رسول قيصر حاضراً عند يزيد عند وصول رأس الحسين، فقال ليزيد:

هذا رأس مَنْ؟ فقال: رأس الحسين.

قال: ومَنْ الحسين! قال: ابن فاطمة..

قال: ومَنْ فاطمة! قال: بنت محمد.

قال: نبيكم!!.. ومَنْ أبوه! قال: علي بن أبي طالب.

---

(١) (فجر الإسلام) أحمد أمين ص٢٧٤.

(٢) (جواهر العقدين في فضل الشرفين) علي بن عبد الله السمهودي ـ وزارة الأوقاف العراقية ج٢ ص٣٧٤.

قال: ومَن علي؟ قال: ابن عم نبينا.

قال: تباً لكم ولدينكم، ما أنتم وحقّ المسيح على شيء.. إن عندنا في بعض الجزائر في دير، حافر حمار ركبه عيسى المسيح، ونحن نحج إليه في كل عام من الأقطار.. وننذرُ له النذور ونُعظمه.. فأشهد أنكم على باطل.. ثم قام ولم يعد إليه)[1].

أما الحجاج بن يوسف الثقفي: فقد كان من أقسى القساة على آل بيت محمد وشيعة علي.. والذي يُعد من مشاهير جلاوزة التاريخ الذين تصدرت أسماؤهم أسماء كبار السفاحين والمجرمين السياسين الذين تحكموا برقاب الناس ومصائرهم، حتى صار واحداً من أشقى بني آدم وأكثرهم إيغالاً في القسوة والإجرام.

هذا الحجاج الذي ضُرب المثل بجوره وخطاياه، حتى قال عنه الإمام العادل (عمر بن عبد العزيز): **لو جاءت كل أمة بخطاياها، وجئنا نحن بالحجاج وحده لرجحناهم جميعاً!!!**[2].

لقد قتل مدة ولايته مائة وعشرين ألفاً.. وكان في سجونه عند موته خمسون ألف رجل.. وثلاثون ألف امرأة سجينة!!

كلهم كانوا من المشايعين، أو المحبين لآل البيت وللإمام علي!!

.. أذن كيف بعد ذاك الأرهاب، وتلك القسوة، أن يكون من الممكن أن يجرأ أحداً على نقل حديث من أحاديث رسول الله ﷺ عن الإمام علي الذي حُرّم اسمه، ورُقن ذكره.. وأُلغي دوره.. وتُنُكّرَ حتى لخلافته!!

نعم.. كان يذكره علناً من ضاقت به سُبل العيش، ويريد أن يضع نهايةً لحياته دون أن ينتحر بيده، فيخسر آخرته كما خسرَ دنياه!!

---

(١) (تذكرة خواص الأمة) لسبط بن الجوزي ص١٤٩.
(الصواعق المحرقة) ص١٢٢. (فضائل أهل البيت) علي بن عبد الله الحسيني ـ طبع وزارة الأوقاف العراقية ج٢ ص٣٧٦.

(٢) (رجال حول الرسول) خالد محمد خالد ص٥٩١.

والأحاديث الموضعة!!

وهنا لا يفوتنا المرور على واضعي الحديث، الذين كذبوا على رسول الله ﷺ وبالتالي فقد كذبوا على الله سبحانه وتعالى. . .

وذلك مجاراة للوضع السياسي الذي ساد في عهد معاوية بن أبي سفيان (زعيم الفئة الباغية) كما سماها النبي ﷺ عندما قال لعمار بن ياسر (رض): (تقتلك الفئة الباغية يا عمار. . .)[١].

تلك الفئة التي قال عنها الصحابي الجليل عبد الله بن عمر (رض) في أخريات أيامه:

(ما أجدُني آسى على شيء فاتني من الدنيا إلا أني لم أُقاتل مع علي الفئة الباغية. .)[٢].

. . . ومعاوية. . زعيم تلك الفئة، قال عنه الكاتب الكبير المرحوم عبد الرحمن الشرقاوي:

(. . . لو أن ابن أبي سفيان، وابن العاص مكنا علياً لارتفعت راية الإسلام على كل مكان من أرض البشر. . ودخل كل الناس. . كل بني آدم في دين الله أفواجاً!. .)[٣].

يقول الأستاذ محمود أبو ريه:

(. . . وقد علا موج هذا الوضع وطغا ماؤه في عهد معاوية الذي أعان عليه، وساعده بنفوذه وماله. .

فلم يقف وضاع الحديث عند بيان فضله، والإشادة بذكره. . بل أمعنوا في مناصرته، والتعصب له حتى رفعوا مقام الشام الذي يحكمه إلى درجة لم تبلغها مدينة الرسول ﷺ. . ولا البلد الحرام الذي ولد فيها. .

---

(١) (الإمامة والسياسة) لابن قتيبة ج١ ص١٤٦. وورد في (مسند) الإمام أحمد ج٢،٣،٤،٦في ص١٦١، ٥ ـ ٣١٩ ـ ٣١٥ وكذلك ذكر ذلك الحديث البخاري وغيره. .

(٢) (رجال حول الرسول) خالد محمد خالد ص١٢٠.

(٣) (علي إمام المتقين) عبد الرحمن الشرقاوي ج٢ ص٣٦٣.

وأسرفوا في ذلك إسرافاً كثيراً وأكثروا، حتى أُلفت في ذلك مصنفات خاصة.

ومعاوية كما هو معروف، أَسلم هو وأبوه يوم فتح مكة.. فهو بذلك من (الطلقاء).

وكان كذلك من المؤلفة قلوبهم الذين كانوا يأخذون ثمناً لإسلامهم.. وهو الذي هدم مبدأ الخلافة الرشيدة في الإسلام، فلم تقم لها من بعد ذلك اليوم قائمة..

معاوية هذا، وضعوا له أحاديث نبوية كذبوا فيها على النبي ﷺ..

منها، قول الرسول ﷺ فيه: اللهم علمه الكتاب والحساب وقه العذاب وأدخله الجنة.

وعلى كثرة ما جاء في فضائل معاوية من أحاديث لا أصل لها، فإن «إسحاق بن راهويه» وهو الإمام الكبير وشيخ البخاري، قد قال:

«إنه لم يصح في فضائل معاوية شيء»(١).

وأبو هريرة..

ونحن بصدد الحديث عن رواة الحديث الذين توسعوا بروايته، حتى وضع منهم ما رواه عن الرسول ﷺ من أحاديث!

لا بد لنا أن نذكر أكثر صحابي رواية لأحاديث رسول الله ﷺ.. هو أبو هريرة! الذي روى عن النبي ﷺ (٥٣٧٤) حديثاً.. والبخاري وحده في صحيحه روى منها (٤٤٦) حديثاً!!

بينما لم يروِ صحابة رسول الله ﷺ المقربون منه مثل أبي بكر، وعمر، وعثمان، وعلي، وسلمان، وعمار، وطلحة، وبلال، وعبد الله بن مسعود، والعباس، وابنه عبد الله والزبير، وأبو عبيدة، وعائشة، وبقية أمهات المؤمنين.. وغيرهم.

---

(١) (أضواء على السنة المحمدية) محمود أبو رية ص١٢٧.

لم يرو هؤلاء عُشر ما رواه أبو هريرة!! علماً أنه لم يصاحب النبي إلا سنة واحدة وتسعة أشهر. . وإنه كان من عامة الصحابة. . وكان بينهم لا في العير ولا في النفير(١)!

يقول د. طه حسين عن أبي هريرة:

(إنه لم يصاحب النبي إلا ثلاث سنين، وقد روى من الحديث أكثر مما روى المهاجرون الذين صحبوا النبي بمكة والمدينة. . وأكثر من الأنصار الذين صاحبوا النبي منذ هاجر إلى المدينة حتى آثره الله بجواره. . وهذا يكفي للتحفظ والاحتياط بإزاء ما يروى عنه من الحديث).

لقد أفزعت كثرة رواية أبي هريرة الخليفة عمر بن الخطاب (رض) فضربه بالدرة. . وقال له:

أكثرت يا أبا هريرة من الرواية، وأحر بك أن تكون كاذباً على رسول الله. . .).

ثم هدده وأوعده إن لم يترك الحديث عن رسول الله ﷺ، فإنه ينفيه إلى بلاده.

وقد أخرج ابن عساكر من حديث السائب بن يزيد:

(لتتركَنَّ الحديث عن رسول الله أو لألحِقَنَّك بأرض دَوْس)(٢) أي أرض قومه وأهله. ومن أجل ذلك كثرت أحاديثه بعد وفاة عمر (رض)، إذ أصبح لا يخشى أحداً بعده. .

وعن الزهري، عن أبي سلمى، قال: سمعت أبا هريرة، يقول:

(ما كنا نستطيع أن نقول، قال رسول الله حتى قُبض عمر!!).

وقال الفقيه المحدث رشيد رضا:

---

(١) (أضواء على السنة المحمدية) ص٢٢ و١٩٥.

(٢) (رجال حول الرسول) خالد محمد خالد ص٤٥٤.

(لو طال عُمر عمر حتى مات أبو هريرة، لما وصلت إلينا تلك الأحاديث الكثيرة)[1].

والخليفة الثاني عمر بن الخطاب (رض) صادر أمواله عندما كان عامله على البحرين سنة ٢١هـ حينما، استغل منصبه، فعزله وولى مكانه عثمان بن أبي العاص الثقفي..

وممن أتهم أبا هريرة بالكذب إضافة للخليفة عمر (رض).. عثمان (رض).. والإمام علي بن أبي طالب وغيرهم..

وكان الإمام علي سيء الرأي فيه، وقال عنه:

«ألا أن أكذب الناس على رسول الله لأبو هريرة»[2].

ولما سمعه يقول: حدثني خليلي!! قال له:

«متى كان النبي خليلك؟؟»[3].

وقال الكاتب الإسلامي الكبير مصطفى صادق الرافعي عنه:

(أول راوية أُتهم في الإسلام)..

والسيدة عائشة أم المؤمنين (رض) لما قالت له: إنك لتحدث حديثاً ما سمعته من النبي ﷺ... أجابها بجواب لا أدب فيه ولا وقار، إذ قال:

شغلك عنه ﷺ المرآة والمكحلة!! (وهذا كما رواه ابن سعد والبخاري وابن كثير وغيرهم)[4]

وقال عنه الإمام أبو حنيفة (رض):

(... وأما أبو هريرة فكان يروي كل ما سمع من غير أن يتأمل في المعنى، ومن غير أن يعرف الناسخ من المنسوخ) وهذا ما رواه محمد بن الحسن[5]..

---

(١) (أضواء على السنة المحمدية) ص٢٠١ عن مجلة المنار ج١٠ ص٨٥١.

(٢) روى ذلك ابن أبي الحديد في شرحه ج١ ص٤٦٩.

(٣) (أضواء على السنة المحمدية) محمود أبو رية ص٢٠٤.

(٤) نفس المصدر.

(٥) (المؤمل) لأبي شامة ص٣١.

وعند أبي حنيفة الصحابة كلهم عدول، ما عدا رجالاً.. عدَّ منهم أبا هريرة!

وقال أبو جعفر الإسكافي:

(وأبو هريرة مدخول عند شيوخنا غير مرضي الرواية.. ضربه عمر بن الخطاب (رض) وقال له: أكثرت من الحديث، وأحر بك أن تكون كاذباً على رسول الله)(١).

وقال ابن الأثير:

(أما رواية أبي هريرة فشك فيها قوم لكثرتها)(٢).

وقال ابن قتيبة في (التأويل):

(إنه لما أتى أبو هريرة من الرواية عنه ﷺ ما لم يأت بمثله مَنْ صحبه من جلة أصحابه والسابقين الأولين، أتهموه وأنكروا عليه، وقالوا: كيف سمعت هذا وحدك؟؟.. ومَنْ سمعه معك!!).

نعم.. لقد روى أبو هريرة عن النبي ﷺ ما لم يروه أقرب صحابته إليه..

فقد روى عن النبي ﷺ (٥٣٧٤) حديثاً، كما أسلفنا.. ولنرى عدد الأحاديث التي رويت من قبل صحابة رسول الله ﷺ الذين شاركوه وعاشوا معه منذ بداية الدعوة حتى اختاره الله إلى جواره:

أبو بكر الصديق (رض): روى عن النبي (١٤٢) حديثاً، أورد السيوطي منها في تاريخ الخلفاء (١٠٤) وله في البخاري (٢٢) حديثاً.

عمر بن الخطاب (رض): لم يصح عنه إلا حوالي (٥٠) حديثاً، كما أثبت ذلك ابن حزم.

عثمان بن عفان (رض): روى البخاري له (٩) أحاديث. ومسلم (٥).

علي بن أبي طالب (ع): روى له السيوطي (٥٨) حديثاً، وقال ابن حزم لم يصح منها إلا خمسون حديثاً، لم يرو البخاري ومسلم منها إلا نحواً من عشرين حديثاً!

---

(١) (شرح نهج البلاغة) ج١ ص٣٦٠.

(٢) (المثل السائر) ص٨١.

الزبير بن العوام: روى له البخاري تسعة أحاديث، ومسلم حديثاً واحداً.

طلحة بن عبيد الله: روى له البخاري أربعة أحاديث.

عبد الرحمن بن عوف: روى له البخاري تسعة أحاديث.

أُبي بن كعب: له في الكتب الستة ستون حديثاً ونيف.

زيد بن ثابت: روى له البخاري ثمانية أحاديث، واتفق الشيخان على خمسة.

سلمان الفارسي: أخرج له البخاري (٤) أحاديث ومسلم ثلاثة[١].

و. . . أبو هريرة وحده. . روى (٥٣٧٤) حديثاً!!

مَنْ هو أبو هريرة!!

قال ابن عبد البر:

اختلفوا في اسم أبي هريرة، واسم أبيه، اختلافاً كثيراً لا يحاط به ولا يضبط في الجاهلية والإسلام. . ومثل هذا الاختلاف والاضطراب لا يصح معه شيء يعتمد عليه. .

وقد غلبت عليه كنيته. . فهو كمن لا اسم له غيرها وأولى المواضع باسمه المكنى[٢]. .

قال ابن قتيبة في (المعارف):

إن الناس اختلفوا في اسم أبي هريرة. . وإنه من قبيلة باليمن يقال لها (دوس). . وقال أبو هريرة عن نفسه:

نشأت يتيماً وهاجرت مسكيناً. . وكنت أجيراً (لبسرة بنت غزوان) بطعام بطني وعقبة رجلي. . فكنت أخدم إذا نزلوا، وأحدو إذا ركبوا. . وكُنيتُ بأبي هريرة بهرة صغيرة كنت ألعب بها. .

---

(١) (أضواء على السنة المحمدية) محمود أبو رية ص٢٢٤.

(٢) (الاستيعاب) لابن عبد البر ص٧١٨.

كان إسلامه في سنة ٧هـ. . وأكثر أحاديثه لم يسمعها من النبي[١]. .

وسجل التاريخ أنه كان أكولاً نهماً، يطعم كل يوم في بيت أحد الصحابة، حتى كان بعضهم ينفر منه. . حتى قال له رسول الله ﷺ ذات يوم:

(زر غباً تزدد حباً).

وفي رواية لمسلم:

كنت رجلاً مسكيناً أخدم رسول الله ﷺ على ملء بطني. .

كان أبو هريرة مزاحاً مهذاراً، يتودد إلى الناس ويسليهم بكثرة الحديث. والإغراب في القول ليشتد ميلهم إليه، ويزداد إقبالهم عليه،حتى قالت عنه عائشة (رض):

(إنه كان رجلاً مهذاراً)[٢].

ولما وقع تمرد معاوية بن أبي سفيان على الخليفة الرابع علي بن أبي طالب. . وانسلخ الأمويون بقيادة معاوية عن جادة الحق بقيادة علي. .

كان من الطبيعي أن يلتحق أبو هريرة بمعسكر معاوية، حيث المال والطعام والترف والسلطان والرشوة!!

ومعكسر علي يفتقر إلى ذلك، لأنه على الخط الذي سار عليه رسول الله ﷺ ومن بعده الراشدون من الخلفاء. .

وقد احتضن بنو أمية هذا المحدث المتقول. . واستعملوه لبث الدعاية لهم، وتبرير عصيان معاوية لخط الإسلام باختلاقه أحاديث مختلفة. . منها قوله:

سمعت رسول الله يقول: إن الله ائتمن على وحيه ثلاثة: أنا وجبريل ومعاوية! أو الأمناء ثلاثة: جبريل وأنا ومعاوية!! وهذا ما ذكره ابن عساكر وابن عدي والخطيب البغدادي[٣].

وقال لعائشة بنت طلحة وهي المشهورة بالجمال والكمال:

---

(١) محمود أبو رية ص١٩٦ و٢١٨.

(٢) (أضواء على السنة المحمدية) محمود أبو رية ص١٩٧ ـ ٢٠٠.

(٣) (البداية والنهاية) لابن كثير ص١٢٠.

والله ما رأيت وجهاً أحسن منك، إلا وجه معاوية على منبر رسول الله[(١)]!!

وأبو هريرة استخدمه معاوية للطعن بالإمام علي ومعسكره شر استخدام.. حتى قال في البراءة منه!! والإشادة بفضائل معاوية!

ومن قوله في ذلك كما رواه الأعمش:

والله لقد سمعت رسول الله يقول:

لكل نبي حرماً وإن حرمي بالمدينة ما بين عير إلى ثور، فمن أحدث فيها حدثاً فعليه لعنة الله والملائكة والناس أجميعن.. وأشهد بالله أن علياً أحدث فيها!!

وكافأه معاوية على هذا الحديث بإعطائه إمارة المدينة حيث ولاه عليها!! وبنى له قصراً بالعقيق..

لكن أحد المسلمين تصدى لأبي هريرة يسأله:

أنشدك الله، أسمعت رسول الله يقول لعلي بن أبي طالب:

اللهم والِ من والاه، وعادِ من عاداه؟

فقال: اللهم نعم.. فقال:

فأشهد بالله لقد واليتَ عدوه، وعاديت وليه.. ثم قام عنه بعد أن لطمه هذه اللطمة الأليمة[(٢)]..

لقد زاد معاوية بن أبي سفيان في تكريم أبي هريرة حتى زوجه بسرة بنت غزوان أخت الأمير عتبة بن غزوان.. وهي التي كان يخدمها أيام فقره بطعام بطنه..

وذكر ابن سعد في (طبقاته) أنه قال:

أكريتُ نفسي من ابنة غزوان على طعام بطني وعقبة رجلي.. فكانت تكلفني أن أركب قائماً وأورد حافياً.. فلما كان بعد ذلك زوجنيها الله، فكلفتها أن تركب قائمة وأن تورد حافية!!

---

(١) (العقد الفريد) ج٦ ص١٠٩.

(٢) محمود أبو رية ص٢١٦.

مات أبو هريرة سنة ٥٩هـ عن ثمانين سنة بقصره بالعقيق، وحمل إلى المدينة ودُفن بالبقيع، وصلى عليه الوليد بن عتبة بن أبي سفيان، وكان يومئذ أميراً على المدينة تكريماً له. .

ولما كتب الوليد إلى عمه معاوية ينعى له أبا هريرة، أرسل إليه معاوية:

(انظر من ترك، وادفع إلى ورثته عشرة آلاف درهم وأحسن جوارهم وافعل إليه معروفاً).

وهكذا يترادف رفدهم له حتى بعد وفاته!![1]

أقل الناس قيمةً أقلهم علماً. .

كان الإمام علي يحض الناس على التعلم، ويقول في السوق، وفي الطريق، وفي المسجد، وحيثما تجمع له الناس:

«العلوم أربعة: الفقه للأديان. . . والطب للأبدان. . والنحو للسان. . والنجوم لمعرفة الأزمان».

وكان يقول:

«العلم خير من المال. . العلم يحرسك، وأنت تحرس المال»[2].

لقد أعطى الإمام علي العلم والمعرفة المكانة الهامة لدى الإنسان. . فكم خاطب المسلمين لحثهم على طلبها، حتى كان يحاول أن يوقظ في كيانهم غريزة التعرف على العلم والمعرفة، وتشويقهم لطلب العلم من خلال تبسيطه فهمه لهم. .

فكان يربط بين الإنسان وبين العلم، لأن العلم عنده من مستلزمات الإنسان بعد الهواء والطعام، وتقييمه له بما عنده من درجات العلم. . ويقول في ذلك:

«أقل الناس قيمةً أقلهم علماً». . . ويقول:

---

(١) المصدر السابق ص٢١٨.

(٢) (علي إمام المتقين) عبد الرحمن الشرقاوي ج٢ ص٣٠٠.

«إذا أَرذَلَ الله عَبداً أَخطَرَ عليه العِلمَ» . . . ويقول:

«لا شرف كالعلم، ولا فقر أشد من الجهل. . ولا كنز أنفع من العلم» . . .

ويقول:

«العلم وراثة كريمة» . . ويقول:

«ليس الخير أن يكثر مالك وولُدك. . ولكن الخير أن يكثر علمك».

«أعلم الناس مَنْ جمع علمَ الناس إلى علمه».

«والعالم حي وإن كان ميتاً. . والجاهل ميت وإن كان حياً» ويقول:

«إن طلب العلم أوجب عليك من طلب المال» . .

«كل وعاءٍ يضيق بما جُعل فيه إلا وعاء العلم فإنه يتسع».

«والفكرة تُورثُ نوراً، والغفلة تُورث ظلمة».

وقوله المعروف: **«الناس أعداء ما جهلوا»** ويقول:

«ما أخذ الله على أهل الجهل أن يتعلموا حتى أخذ على أهل العلم أن يعلموا. .» و **«مَنْ جهل شيئا عابه. .»** ويقول:

«. . . ولكن الخير أن يكثر علمك، وأن يعظم حلمك».

وأهمية العلم عنده كأهمية الدين. . بل هو دينٌ يدان به. . وفي ذلك يقول:

«العلم دينٌ يدان به. .».

العلم عنده دين وحياة. . نعم دين وحياة، وهما لا حياة للإنسان بدونهما. . وفي ذلك قال:

«العلم إحدى الحياتين».

وفي وصيته لابنه الحسن:

«.. واعلم أنه لا خير في علمٍ لا ينفعُ، ولا يُنتفعُ بعلم لا يحقُّ تعلُّمُهُ..».

ويقول:

«لا تجعلوا عِلمكم جهلاً، ويقينكم شكاً، إذا علمتُم فاعملوا، وإذا تَيَقّنتُمْ فأقدِمُوا».

وقال الإمام علي (ع):

«قَطَع العِلمُ عُذر المُتعلِّلينَ».

وقال لسائل سألهُ عن مُعضِلَةٍ:

«سل تَفَقُّهاً ولا تسألْ تَعَنُّتاً، فإن الجاهلَ المُتَعَلِّمَ شَبيهٌ بالعالِمِ.. وإنَّ العالمَ المُتعَسِّفَ شبيهٌ بالجاهل المُتَعنِّتِ».

ويقول عن العلم أيضاً:

«العلمُ علمان: مَطبوعٌ ومسمُوعٌ.. ولا ينفعُ المسموعُ إذا لم يكن المطبوعُ»(١).

ويقول:

«العلمُ مقرونٌ بالعمل فمن عَلِمَ عَمِلَ. والعلمُ يهتفُ بالعمل، فإن أجابه وإلا ارتحل عنه».

ويقول:

«أَوضَعُ العلمِ ما وقف على اللِّسانِ، وأَرفَعُهُ ما ظَهَرَ في الجوارح والأركان».

.. ولما كان العقل عند الإمام هو وعاء العلم.. والعلم عنده من

---

(١) مطبوع العلم: ما رسخ في النفس وظهر أثره في أعمالها. ومسموعه: منقوله ومحفوظه. والأول هو العلم حقاً.

موضوعات العقل، لذا فقد خصّ ذلك العالم العظيم، العقل بعضاً من أقواله، كما خصّ العلم ببعضها. .

وقد قال في العقل:

«العقل حسامٌ قاطع» و«العقل مرآة صافية»

ويقول: **«الشقي من حُرم ما أُوتي من العقل والتجربة»**

و **«كفاك من عقلك ما أوضح لك سُبلَ غيك من رشدك»**.

وقيل للإمام علي:

صف لنا العاقل. . قال:

«هو الذي يضع الأشياء موضعها». . فقيل له:

فصف لنا الجاهل. . قال: **(قد فعلت)**.

وعن عائشة (رض) قالت: قلت يا رسول الله. بمَ يتفاضل الناس في الدنيا؟. . .

قال: **بالعقل**. . . قلت: وفي الآخرة؟ قال: **بالعقل**. . قلت: أليس إنما يجزون بأعمالهم؟. .

قال ﷺ: **«وهل عملوا إلا بقدر ما أعطاهم الله من العقل، فبقدر ما أعطوا من العقل كانت أعمالهم. . وبقدر ما عملوا يجزون. .»**[1].

الهَمْ أشد جنود الله. .

اختلف بعض المسلمين حول أقوى مخلوقات الله. . فجاؤوا الإمام علي (ع) وقالوا: يا أبا الحسن، نريد أن نعرف أي خلق الله أقوى من الآخر؟ ولم يفاجأ علي بن أبي طالب، وبسط يديه في هدوء، وقال:

«أشد جنود الله عشرة:

(١) (من أدب القرآن) د. أحمد الشرباصي ص١٢ دار المعارف القاهرة.

الجبال الرواسي . .

والحديد يقطع الجبال . .

والنار تذيب الحديد . .

والماء يطفىء النار . .

والسحاب المسخر بين السماء والأرض يحمل الماء . .

والريح يقطع السحاب . .

وابن آدم يغلب الريح، لأنه يستتر بالثوب أو الشيء ويمضي لحاجته . .

والسكر يغلب ابن آدم . .

والنوم يغلب السكر . .

والهم يغلب النوم . . فأشد جنود الله الهم . . ».

وإذا نظرنا إلى هذا الترتيب المنطقي . . . فإننا نجد الهموم أشد الأحاسيس تدميراً للإنسان . . والهموم هي تيارات من المخاوف والمشاعر تستبد بالنفس الإنسانية فتبدد طاقتها، وتبدد ملكاتها، وتجعل المصيبة فيما فات . . وتؤكد الإحساس بالكارثة فيما هو آت . .

وإذا أراد الإنسان أن ينتصر على الهموم، فلا مخرج إلا الإيمان(١) .

ويقول الإمام في الهم:

«الهَمُّ نصفُ الهَرَمِ» . . .

قبس من آرائه العلمية:

وللإمام علي أراء علمية مختلفة . . شملت علم النفس وأسرارها . . وعلوم الطب وأغواره . . ومفاهيم من الحكمة بشتى ضروبها . . ففي الطب قال:

---

(١) حسن فتحي ـ مكتب جريدة العرب اللندنية في القاهرة ـ نقلاً عن الصحيفة المذكورة.

ـ «كم من أكلة منعت أكلات. .

ـ لا تجعلوا بطونكم مقابر الحيوان. .

ـ يضر الناس أنفسهم في ثلاثة أشياء:

الإفراط في الأكل اتكالاً على الصحة. .

وتكلف عمل ما لا يطاق اتكالاً على القوة. .

والتفريط في العمل اتكالاً على القدر. .

وسُئل: لماذا إذا أكل لا يشبع؟

قال:

«مَن شبع عوقب في الحال ثلاث عقوبات:

يلقى الغشاء على قلبه. . والنعاس في عينه. . والكسل على بدنه. وكثرة الطعام تميت القلب، كما تميت كثرة الماء الزرع.

فلا تطلب الحياة لتأكل. . بل أطلب الأكل لتحيا. . ولا تجلس إلى الطعام إلا وأنت جائع. . ولا تقم منه إلا وأنت تشتهيه. .

وجوِّد المضغ، واعرض نفسك على الخلاء إذا نمت. .

فإذا استعملت هذا استغنيت عن الطب. .».

وقال:

ـ امشي بدائِكَ ما مَشَى بِك.

ـ كلوا الرمان بشحمه، فإنه دباغ المعدة.

ـ ما أكلته راح، وما أطعمته فاح.

ـ توقَّوا البردَ في أوَّلِهِ، وتَلَقَّوهُ في آخِرِهِ. فإنه يَفعَلُ في الأبدانِ كَفِعلِهِ في الأَشجارِ. . أَولُهُ يُحرقُ، وآخرُهُ يُورقُ.

ـ صحّةُ الجَسَدِ من قِلّةِ الحَسَدِ.

ـ لذة الكرام في الإطعام، ولذة اللئام في الطعام.

وقال الإمام علي (ع):

ـ «من الفاقةِ مَرَضُ البَدَنَ، وأَشَدُّ من مَرَضِ البَدَنِ مَرَضُ القَلبِ. ألا وإنّ من صحّةِ البَدَنِ تقوىٰ القلْبِ».

ـ «الحِدَّةُ ضَربٌ من الجُنُونِ، لأنّ صاحِبَهَا يَندَمُ، فإنْ لم يَندَمْ فَجُنُونُه مُستحكمٌ».

أما أراء الإمام من وراء كلماته، الشاملة على مختلف المفاهيم.. نقتبس بعض الأقباس منها:

ـ «اعمل لدنياك كأنك تعيش أبداً.. واعمل لأخرتك كأنك تموت غداً..

ـ الحِكمةُ ضالّةُ المُؤمِنِ، فَخُذِ الحِكْمةَ ولو مِنْ أَهلِ النّفاقِ.

ـ الدهر يومان:

يوم لك، ويوم عليك.. فإذا كان لك فلا تبطر، وإذا كان عليك فاصبر.

ـ لسان العاقِلِ وراء قلبه، وقَلْبُ الأحمق وَرَاءَ لِسَانِهِ.

ـ تكلّمُوا تُعْرَفُوا، فإنّ المرأَ مَخْبوءٌ تَحتَ لِسانِهِ.

ـ ما أَضْمَرَ أَحَدٌ شَيئاً إلا ظَهَرَ في فَلَتَاتِ لِسَانِه، وَصَفَحَاتِ وَجْهِهِ.

ـ بكثرة الصمت تكون الهيبة.

ـ إذا تَمّ العَقلُ نَقَصَ الكَلامُ.

ـ أكبر العيب أن تُصيب ما فيك فيه.

ـ الحرث، حرثان:

فحرث الدنيا.. المال والتقوى.

وحرث الآخرة.. الباقيات الصالحات.. وقد يجمعها الله تعالى لأقوام.

ـ أعجز الناس مَنْ عجز عن اكتساب الإخوان.. وأعجز منه من ضيع مَنْ ظفر به منهم.

ـ الكذاب والميت سواء، لأن فضيلة الحي على الميت الثقةُ به.. فإذا لم يوثَقْ بكلامه فقد بطلت حياته.

ـ ما من يوم يمر على ابن آدم إلا قال له:

أنا يومٌ جديد، وأنا عليك شهيد. فُقل فيّ خيراً، واعمل خيراً، فإنك لن تراني بعد أبد.

ـ سُئل الإمام: كم المسافة بين المشرق والمغرب؟

أجاب: «مسيرة يوم للشمس».

وسُئل: كم بين السماء والأرض؟

أجاب: «دعوة مستجابة»..

ـ «العفاف زينة الفقر، والشكر زينة الغنى.

ـ ظلم الضعيف أفحش الظلم.

ـ أفضل الزهد إخفاء الزهد.

ـ مَنْ صَارَعَ الحَقَّ صَرَعَهُ.

ـ الغِنى في الغربَةِ وطَنٌ، والفقُر في الوَطَنِ غُربةٌ.

ـ كفى بالقناعةِ مُلكاً، وَبِحُسْن الخُلق نَعيماً.

كان الإمام يقول عن الحق، والباطل بينهما أربع أصابع. .

فلما سُئل في ذلك. . جمع أصابعه الأربعة ووضعها بين أذنه وعينه وقال:

«الباطل أن تقول، سمعتُ. . والحق أن تقول، رأيت».

ـ مَنْ لم يُنجه الصَّبرُ أهلكهُ الجَزَعْ.

ـ مَنْ وضَعَ نَفْسَهُ مَوَاضِعَ التُّهمةِ فلا يَلُومَنَّ مَنْ أَسَاءَ بِهِ.

ـ أَضاعة الفرصة غصة.

ـ احصد الشَّرَّ من صَدرِ غَيرِكَ بقلعِهِ عَنْ صَدْرِكَ.

ـ لا يكونُ الصَّديقُ صَديقاً حتى يَحفَظَ أَخَاهُ في ثَلاثٍ:

في نَكْبَتِهِ. . وَغَيبتِهِ. . وَوَفَاتِهِ. .

ـ النَّاسُ أَبناءُ الدُّنيا، وَلاَ يُلاَمُ الرَّجُلُ على حُبِّ أُمِّهِ.

ـ سُئل عن معنى قوله تعالى:

﴿إِنَّا لِلَّهِ وَإِنَّآ إِلَيْهِ رَٰجِعُونَ﴾ [سورة البقرة، الآية: ١٥٦] أجاب:

قولنا (إنا لله) إقرار على أنفسنا بالعبودية لله تعالى. .

وقولنا (إنا إليه راجعون) إقرار على أنفسنا بالهلاك.

ـ إِستَنزِلوا الرِزقَ بالصَّدقةِ.

ـ لا تَقُلْ ما لا تعلَمُ، بَلْ لا تَقُلْ كُلَّ ما تَعْلَمُ، فإِنَّ الله فَرضَ على جَوَارِحِكَ فَرائِضَ

يَحتَجُّ بها عَليكَ يومَ القيامةِ.

ـ خَالِطُوا النَاسَ مُخالطَةً، إِنْ مُتُّمْ مَعَها بَكوا عليكُمْ، وإِن عِشْتُمْ حَنُّوا إِليكُمْ.

ـ إذا غضب الله على أمة، غلت أسعارها، وغلبها أشرارها.

ـ سأل (ذِعْلَب اليماني) الإمام علياً (ع):

هل رأيت ربك يا أمير المؤمنين؟

قال له: «أفأعبُدُ ما لا أرى»!

فقال: وكيف تراه يا أمير المؤمنين!

فقال الإمام (ع):

«لا تراه العُيُونُ بِمُشاهدةِ العِيانِ، ولكن تُدركهُ القُلُوبُ بِحقائِقِ الإيمانِ.. قَرِيبٌ من الأشياءِ غيرُ مُلامسٍ.. بَعيدٌ منها غيرُ مُباينٍ. مُتَكلمٌ لا برَويةٍ، مُريدٌ لا بِهمّةٍ، صانعٌ لا بجارحةٍ.. لطيفٌ لا يُوصَفُ بالخفاءِ.. كبيرٌ لا يوصفُ بالجفاءِ[1].. بَصيرٌ لا يوصفُ بالحاسةِ.. رحيمٌ لا يُوصفُ بالرقةِ. تَعنوُ[2] الوجُوهُ لعظمتهِ، وتجِبُ[3] القلوبُ من مَخافَتهِ[4]».

وقال الإمام من روائع قوله:

«لا مَالَ أعودُ[5] مِنَ العَقْلِ.. ولا وَحْدَةَ أوحَشُ من العُجْبِ. ولا عَقْلَ كالتَّدبيرُ. ولا كَرَمَ كالتقوى. ولا قَرينَ كَحُسنِ الخُلُقِ. ولا ميراث كالأَدَبِ ولا قائِدَ كالتوفيقِ. ولا تِجارَة كالعمل الصالحِ. ولا ربحَ كالثوابِ. ولا ورع كالوقُوُفِ عند الشُّبهةِ. ولا زُهدَ كالزُّهدِ في الحرامِ. ولا علم كالتفكر. ولا عِبادةَ كأَدَاءِ الفرائِضِ. ولا إيمَانَ كالحياءِ والصَّبرِ. ولا حَسَبَ كالتَّواضُعِ. ولا شرفَ كالعِلمِ. ولا مُظاهرَةَ أوثَقُ مِنَ المشاوَرَةِ».

---

(١) الغلظ والخشونة.

(٢) تذل.

(٣) تخفق وتضطرب.

(٤) (نهج البلاغة) شرح الشيخ محمد عبده ج٢ ص٩٩.

(٥) أنفع.

كان ذلك جزءاً يسيراً من العلم والحكم والمعرفة، الذي يتفجر من جوانب الإمام علي (ع)... أوردنا بعضاً منها لنسند ما ذهبنا إليه من أنه (أعلمهم) من خلال تلك المأثر والأقوال التي يعجز عن ذكرها أي بليغ أو أديب مهما رُفعت درجاته، وعَلت ثقافته، ووسع علمه..

.. لقد أكثر الإمام من النظر الفلسفي في شؤون الحياة والكون والمجتمع البشري، وفي أمور التوحيد والألوهة والتطلع إلى ما وراء الطبيعة.. فكان مؤسس علم الكلام، وفلسفة الآلهيات في الإسلام.

وكان استاذاً اعترف برشده وأصالته كل من لحق به من أصحاب الآراء والمقولات وهم أتباع وشارحون..

وفي كتابه العظيم (نهج البلاغة) فيضٌ من فرائد الحكمة التي يجلس بها في الصف الأول بين حكماء الأمم..

وحين قال النبي: **«علماء أمتي كأنبياء بني إسرائيل»**.. ألم يكن يقصد علياً بالذات[١]؟؟

... الإمام علي (ع) لا أحد ينكر عليه تفوقه المعرفي والفلسفي.. وهو يختلف كل الاختلاف عن أهل زمانه من حيث الإدراك بكل صنوفه. والمعروف عنه أنه ما تعاطى الفلسفة على أساس البديهيات، ولا على أساس القواعد المنطقية فقط..

ولو قيس عقله الفلسفي مع عقول الفلاسفة عبر الزمن، لرأينا فارقاً كبيراً..

ويمكننا القول أنه لا يقاس بينه وبين المتقدمين عليه، أو المتأخرين من الفلاسفة..

وما يرشدنا إلى هذا القول، هو الإعلان النبوي على لسان الرسول ﷺ:

«يا علي ما عرفك إلا الله وأنا»[٢].

(١) (علي حقوق الإنسان) جورج جرداق ص١٠٢.

(٢) (الإمام علي والفلسفة الزمنية) فرح موسى ص٥٩.

وصفوة القول كان علي (ع) موسوعة واسعة في شتى ضروب العلم والمعرفة في زمانه، يتقدم جيله بعدة أجيال..

... أحاط عليٌّ بالمعرفة دون أن تحيطه بسبب إعلامي. وأدركها دون أن تدركه بنشر ثقافي..

عاش عليٌّ في وسط لم يهضم المعرفة، ولم يحط بالقلم..

عاش علي في مجتمع لم يدركه، وفي حقبة من الزمن لم تصل إلى شأوه.. سبق زمنه وأراد أن يواكبه بقوة العزم والإرادة، وبعزّة الإخلاص والعقيدة. فلم يكتب للزمن أن يواكبه، فتكالبت عليه الخطوب..

عرفه الخاصة من ذوي العلم والأدب فاستلهموا منه بمقدار ما أوصلهم السبق. وجهله العامة حيث أخذ بهم روّاد التسلط والاستغلال إلى حيث يجهلون. والإنسان لا يعتدُّ بما يجهل..

كم تهب الطبيعة، وتعطي الحياة أفذاذاً كراماً، لا تدركهم أُممهم ولا تهضمهم مجتمعاتهم، حتى إذا أفل منهم نجم اشرأبّت إليه الأعناق.. وتاقت إليه النفوس، تأخذ وجهة تعاليمه ومعالم حكمه تستنطقها وتستلهمها معرفة وحياة..

نشأ علي وكله علم ومعرفة، فقه وحكمة.. فصاحة وبلاغة.

نشأ علي وقد طغى عليه حب العلم حتى أخذ بمجامع قلبه وحركات لسانه واستنباط هواجسه.

يدرك ما يحيط به، ويحيط بما يدرك.. يدرك إدراك العالم المتطلع، العامل بعلمه، المعتقد بما يلزمه أن يعمل لإصلاح مجتمعه ورفع مستواه.. وهذا ما جعله لا يحجم عن درء خطأ، ولا يقف دون مشورة.. ولا يتلكأ في إبداء نصح[١]..

---

(١) (ملامح من عبقرية الإمام) الدكتور مهدي محبوبة.

١٣ اتقاهم وأقضاهم.. وأزهدهم

قال الإمام علي كرم الله وجهه، وهو يدعو المسلمين إلى الورع والتقوى:

«اتقوا الله تقية ذي لب شغل التفكير قلبه، وانصب الخوف بدنه، وأسهر التهجد غرار نومه، وأرجف الذكر بلسانه..» ويقول:

«اتقوا تقية مَنْ سمع فخشع، واقترف فاعترف، ووجل فعمل، ورجع فتاب، واقتدى فاحتذى..» وقال:

«التقي مَنْ ألزم نفسه العدل، فكان أول عدته نفي الهوى عن نفسه»..

بدأ الإمام صباه مع بداية بدء الرسالة السماوية، وهبوط الوحي على نبي الرحمة ﷺ فشهد بدايتها.. وعاش تحت ظلالها.. ولمس نورها فتنور به.. والتمس مبادئها فتفتح فكره عليها..

لم يعرف غير الإسلام مبدأ، ولم يسجد لصنم، ولم يؤمن بغير واحد أحد فكرم الله وجهه من دنس الشرك والإشراك.. وكان أول الرجال إسلاماً، وأقدمهم إيماناً، وأولهم صلاة من المسلمين بعد رسول الله ﷺ..

شب على الإسلام وشاب عليه وعاش له وضحى دونه ودرأ عنه المخاطر.. حتى نذر نفسه له، واستغرق كل تعاليمه، وتفقه بفقهه.. وجاهد في سبيل نشر رايته وبث رسالته.. حتى صار للإسلام أول مرجع، وأول فقيه بعد الرسول ﷺ..

وهو أول مَنْ حفظ القرآن في عهد النبي ﷺ وجمعه، وتدارسه، وفهمه فهماً عميقاً.. حتى تعمق في تنفيذ تعاليمه من أحكام وعبادات.

لم يرد لنا الرواة والمحدثون والمؤرخون، مَنْ هو أتقى منه.. تقوى عالم كل العلم بعلوم الأرض وعلوم السماء، كما علمه النبي ﷺ..

كان عليه السلام متمسكاً بتعاليم الدين، لا يعمل بما يخالفها، وإنما التزم بتنفيذ أحكام الشريعة السمحاء حتى لو كانت تلك الأحكام على حساب منفعته الدنيوية، وقد قال في ذلك:

«لولا الدينُ والتقى لكنتُ أدهى العرب»...

سبق الإمام علي كافة المسلمين إلى الهدى والتوحيد.. فعبد الله عبادة عبدٍ عرفَ المعبودَ حق معرفة.. حتى أيقنَ أنه للعبادة أهلاً..

فكان لا يعبد الله خوفاً من عذابه.. ولا طمعاً في جنته... لكنه سما بعبادته، حتى كانت علاقته بالخالق سبحانه تعالى، أرفع علاقة بين الخالق والمخلوق.. وقد قال في ذلك:

«الهي ما عبدتك خوفاً من عقابك ولا طمعاً في ثوابك.. ولكن وجدتك أهلاً للعبادة فعبدتك»..

إن مَنْ تبصّر في عبادة الإمام تبين له أن علياً متمرد في عبادته وتقواه، كما هو متمرد في أسلوبه في السياسة والحكم..

ففي عبادته افتتان الشاعر يقف في هيكل الوجود الرحب، صافي النفس، ممتلىء القلب.. حتى إذا انكشفت له جمالات هذا الكون تجاوبت وما في كيانه من أصداء وأظلال وموازين..

فأطلق هذه الآية الرائعة التي نرى فيها دستوراً كاملاً لتقوى الأحرار وعبادة عظماء النفوس:

«إن قوماً عبدوا رغبة الله، فتلك عبادة التجار.. وإن قوماً عبدوا الله رهبة، فتلك عبادة العبيد.. وإن قوماً عبدوا الله شكراً، فتلك عبادة الأحرار»[1].

---

(١) (علي وحقوق الإنسان) جورج جرداق المجلد الأول ص٧٤.

كان الإمام أعبدهم، وأكثرهم صلاة وصوماً.. ومنه تعلم المسلمون صلاة الليل وقيام النافلة.. وفي ذلك قال ابن أبي الحديد المعتزلي في (شرح النهج):

(... وأما العبادة فكان أعبد الناس، وأكثرهم صلاة وصوماً، ومنه تعلم الناس صلاة الليل، وملازمة الأوراد وقيام النافلة.. وما ضنك برجلٍ كانت جبهته كثَفِنَة بعير لطول سجوده..

وكان يصلي في اليوم والليلة ألف ركعة.. وكان ملازماً لتلاوة القرآن ويتهجّد به..).

وسُئل عن الإيمان، فقال:

«الإيمان معرفة بالقلب، وإقرار باللسان، وعمل بالأركان. وأفضل الإيمان». كما قال رسول الله ﷺ: **«إن أفضل الإيمان أن تعلم أن الله معك حيث كنت»**.

وسأله سائل آخر:

يا أمير المؤمنين، مَنْ هم أولياء الله؟.. قال الإمام علي (ع):

«إن أولياء الله هم الذين نظروا إلى باطن الدنيا إذا نظر الناس إلى ظاهرها.. واشتغلوا بآجلها إذا اشتغل الناس بعاجلها، فأماتوا ما خشو أن يميتهم. وتركوا منها ما علموه أن سيتركهم.. لا يرون مَرْجُوّاً فوق ما يرجون.. ولا مخوفاً فوق ما يخافون..»[1].

ذكر عروة بن الزبير، عن أبي الدرداء، قال:

شهدت علياً بن أبي طالب بشويحطات (بشجر) النجار، وقد اعتزل عن مواليه، واختفى ممن يليه، واستتر بمغيلات النخل (النخل الوارف الظلال).. فافتقدته، وبَعُدَ عن مكانه..

فقلت ألحَقَ بمنزله.. فإذا أنا بصوت حزين، ونغم شجي، وهو يقول:

---

(١) (علي إمام المتقين) عبد الرحمن الشرقاوي ج٢ ص٢١٨.

«الهي كم من موبقة حلمت عن مقابلتها بنقمتك.. وكم من جريرة تكرمت عن كشفها بكرمك..

الهي إن طال في عصيانك عمري، وعظم في الصحف ذنبي.. فما أنا مؤمل غير غفرانك، ولا أنا براجٍ غير رضوانك».

فشغلني الصوت، واقتفيتُ الأثر.. فإذا هو علي بن أبي طالب بعينه، فاستترت له، فركع ركعات في جوف الليل الغامر..

ثم فرغ إلى الدعاء والبكاء، والبث والشكوى.. فكان مما ناجىٰ به الله تعالى:

«الهي أفكر في عفوك، فتهون علي خطيئتي، ثم أذكر العظيم من أخذك، فتعظم علي بليتي..».

ثم استمر يدعو الله سبحانه وتعالى، حتى أمعن في البكاء.. وبعدها لم أسمع له حساً ولا حركة..

فقلت: غلب عليه النوم لطول السهر. فأتيته، فإذا كالخشبة الملقاة! فحركته، فلم يتحرك..

فقلت: إنا لله وإنا إليه راجعون.. مات والله علي بن أبي طالب.. فأتيت منزله مبادراً أنعاه إليهم..

فقالت فاطمة بنت محمد: يا أبا الدرداء ما كان من شأنه، ومن قصته؟

فأخبرتها الخبر.. فقالت:

(هي والله يا أبا الدرداء الغشية التي تأخذه من خشية الله).

ثم أتوه بماء فنضحوه على وجهه، فأفاق..

ونظر إلي وأنا أبكي، فقال:

مما بكاؤك يا أبا الدرداء؟ فقلت: مما أراه تنزله بنفسك! فقال:

«يا أبا الدرداء فكيف لو رأيتني ودعي بي إلى الحساب، وأيقن أهل الجرائم بالعذاب، واحتوشتني ملائكة غلاظ، وزبانية فظاظ. فوقفت بين يدي الملك الجبار، قد أسلمني الأحباء، ورفضني أهل الدنيا..

لكنتُ أشد رحمة لي بين يدي مَنْ لا تخفى عليه خافية..؟.

فقال أبو الدرداء: فوالله ما رأيت ذلك لأحد من أصحاب رسول الله ﷺ[(1)]..

.. نعم كان الإمام علي (ع) كذلك في عبادته بصلاته، وتضرعه إلى خالقه.. حتى قيل لعلي بن الحسين بن علي بن أبي طالب (وهو من المعروفين في الزهد والعبادة): أين عبادتك من عبادة جدك؟ قال:

عبادتي عند عبادة جدي.. كعبادة جدي عند عبادة رسول الله ﷺ..

الإمام علي يعتبر ترجمة صادقة لعبادة نبي هذه الأمة وقائدها، وفي شدة تعلقه بخالق العباد عز شأنه، وبالنهج بمنهج معلمه العظيم..

وقد سماه النبي ﷺ (إمام المتقين)..

وهذا يعني ليس في المسلمين مَنْ يسبقه، أو يتقدمه بالتقوى سوى رسول الله ﷺ وبناء على ذلك يكون الإمام أكرمهم عند الله، لأنه أتقاهم.. تطبيقاً لقوله تعالى: ﴿إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِندَ ٱللَّهِ أَتْقَىٰكُمْ﴾ [سورة الحجرات، الآية: ١٣].

كما أطلق عليه رسول الله ﷺ (يعسوب المؤمنين)... واليعسوب أمير النحل الذي تنقاد إليه، ويقوم بمصالحها، ويرجع إليه في أمورها..

وهذا يعني إنه (إمام المؤمنين) أيضاً، لكونه يعسوبهم كما سماه الرسول ﷺ..

يتقدم المؤمنين وهم يتبعوه. فهو لهذا الوصف أحقهم وأجدرهم.. ومَنْ لإمامة المؤمنين غيره بعد أن أنعم سيد العظماء ﷺ عليه ذلك!

وهو أيضاً للمؤمنين (أميرهم) ووحده الذي له الصدارة بين (أمراء المؤمنين)، أو كل مَنْ سُميَ بحقٍ (أمير المؤمنين) غيره!

فلا يقارن الإمام علي.. أمير المؤمنين بمن ادعى لنفسه، أو دُعيَ بأمير المؤمنين، ومنهم الفاسق، والجاهل، والعاصي، والمعطل لأحكام السنة.. أمثال

(١) (أمير المؤمنين علي بن أبي طالب) مؤسسة البلاغ ج٣ ص٢٨.

يزيد بن معاوية بن أبي سفيان الذي كان يُدعى بأمير المؤمنين باطلاً!!

ومن غير العدل أن يكون علي يحمل تلك الصفة.. ومثله (يزيد) يحمل ذات الصفة!!

بعد مصرع الإمام علي، قال معاوية لضرار ابن ضمرة الضبائي، وهو من أصحاب علي:

صف لي علياً.. فقال له ضرار:

أعفني.. قال له معاوية: لتَصِفَنّهُ!

قال: أما إذ لا بد من وصفه.. فكان والله بعيد المدى، شديد القوى... يقول فضلاً، ويحكم عدلاً.. يتفجر العلم من جوانبه، وتنطلق الحكمة من نواحيه.. يستوحش من الدنيا وزهرتها، ويستأنس بالليل ووحشته..

وكان غزير العبرة، طويل الفكرة. يقلب كفه ويخاطب نفسه.. يعجبه من اللباس ما خشن، ومن الطعام ما جشب..

وكان فينا كأحدنا، يجيبنا إذا سألناه، وينبئنا إذا استنبأناه. ونحن والله مع تقريبه إيانا وقربه منا.. لا نكاد نكلمه هيبة له، ولا نبتديه لعظمته.. يعظِّم أهل الدين، ويقرب المساكين.. لا يطمع القوي في باطله، ولا ييئس الضعيف من عدله. فأشهد بالله لقد رأيته في بعض مواقفه ليلة وقد أرخى الليل سدوله، وغارت نجومه.. وقد مثل قائماً في محرابه قابضاً على لحيته يتململ تململ السليم(١)، ويبكي بكاء الحزين، وكأني أسمعه، وهو يقول:

«يا دنيا يا دنيا إليك عني.. أبي ـ تعرضت، أم إلي ـ تشوقت! لا حان حينك(٢).. هيهات غري غيري، لا حاجة لي فيك، قد طلقتك ثلاثاً لا رجعة فيها.. فعيشك قصير، وخطرك يسير، وأملك حقير.. آه من قلة الزاد وطول الطريق، وبعد السفر، وعظيم المورد»(٣).

---

(١) الملدوغ من حية ونحوها.

(٢) لا جاء وقت وصولك لقلبي.

(٣) يوم الحساب.

.. فبكى معاوية، وقال:

(رحم الله أبا الحسن، كان والله كذلك، فكيف حزنك عليه يا ضرار)؟

قال: حُزن مَنْ ذُبِحَ وحيدها في حجرها..

ولا بد لنا ونحن بصدد تقوى الإمام علي (ع)، من ذكر ذلك الرجل العابد الذي يُقال له (همام) حين سأل الإمام أن يصف له (المتقين) حتى وكأنه ينظر إليهم..

فتثاقل عليه السلام عن جوابه، ثم قال له:

«يا همام اتق الله وأحسن، فإن الله مع الذين اتقوا والذين هم محسنون».

فلم يقتنع همام بهذا القول حتى عَزَمَ عليه.. فحمد الله وأثنى عليه، وصلى على النبي ﷺ ثم قال:

«أما بعد، فإن الله سبحانه وتعالى خلق الخلق حين خلقهم غنياً عن طاعتهم، آمناً من معصيتهم، لأنه لا تضره معصية مَنْ عصاه، ولا تنفعه طاعة من أطاعه.. فقسَّمَ بينهم معيشتهم، ووضعهم من الدنيا مواضعهم. فالمتقون فيها هم أهل الفضائل.. منطقهم الصواب، وملبسهم الاقتصاد، ومشيتهم التواضع.

غضوا أبصارهم عما حرم الله عليهم، ووقفوا أسماعهم على العلم النافع لهم. نزلت أنفسهم منهم في البلاء كالتي نزلت في الرخاء.. ولولا الأجل الذي كتب لهم لم تستقر أرواحهم في أجسادهم طرفة عين شوقاً إلى الثواب وخوفاً من العقاب..

عظم الخالق في أنفسهم فصغر ما دونه في أعينهم، فهم والجنة كمن قد رآها فهم فيها منعمون، وهم والنار كمن قد رآها منهم فيها معذبون..

قلوبهم محزونة، وشرورهم مأمونة، وأجسادهم نحيفة، وحاجاتهم خفيفة، وأنفسهم عفيفة . .

صبروا أياماً قصيرة أعقبتهم راحة طويلة . . تجارة مربحة يسرها لهم ربهم . . أرادتهم الدنيا فلم يريدوها، وأسرتهم ففدوا أنفسهم منها . .

أما الليل فصافون أقدامهم تالين لأجزاء القرآن يرتلونه ترتيلا. يحزنون به أنفسهم ويستثيرون به دواء دائهم[1]. فإذا مروا بآيةٍ فيها تشويقٌ ركنوا إليها طمعاً، وتطلعت نفوسهم إليها شوقاً، وظنوا إنها نُصبُ أعينهم. وإذا مروا بآية فيها تخويفٌ أصغوا إليها مسامع قلوبهم وظنوا أن زفير جهنم وشهيقها في أصول آذانهم، فهم حانون على أوساطهم[2]، مفترشون لجبابهم وأكفهم ورُكَبِهِمْ وأطراف أقدامهم، يطلبون إلى الله تعالى في فكاك رقابهم . . .

وأما النهار فحلماء علماء، أبرار أتقياء قد بَرَاهُمُ الخوف برى القِدَاحِ ينظر إليهم الناظر فيحسبهم مرضى وما بالقوم من مرضٍ ويقول قد خُولطوا[3].

ولقد خالطهم أمرٌ عظيم. لا يرضون من أعمالهم القليل، ولا يستكثرون الكثير. فهم لأنفسهم متهمون، ومن أعمالهم مشفقون[4]. إذا زُكّيَ[5] أحدهم خاف مما يقال له فيقول: أنا أعلم بنفسي من غيري، وربي أعلم بي من نفسي، اللهم لا تؤاخذني بما يقولون، واجعلني أفضل مما يظنون، واغفرلي ما لا يعلمون. فمن علامة

---

(١) استثار الساكن: هيجه، وقارىء القرآن يستثير به الفكر الماحي للجهل فهو دواءه.

(٢) هم من شدة الخوف قد حنو ظهورهم وسلطوا الانحناء على أوساطهم.

(٣) خولط في عقله، أي مازجه خلل فيه، والأمر العظيم الذي خالط عقولهم هو الخوف الشديد من الله.

(٤) خائفون من التقصير فيها.

(٥) مدحه أحد.

أحدهم أنك ترى له قوة في الدين، وحزماً في لين، وإيماناً في يقين، وحرصاً في علم، وعلماً في حلم، وقصداً[١] في غنى، وخشوعاً في عبادة، وتجملا في فاقة[٢]، وصبراً في شدة، وطلباً في حلال، ونشاطاً في هدى، وتحرجاً عن طمع[٣]. يعمل الأعمال الصالحة وهو على وجل. يُمسي وهمه الشكر، ويصبح وهمه الذكر.. يبيت حذراً ويصبح فرحاً، حذراً لما حُذِرَ من الغفلة، وفرحاً بما أصاب من الفضل والرحمة..

إن استصعبت عليه نفسه فيما تركه لم يعطها سؤالها فيما تحب[٤]. قرة عينه فيما لا يزول، وزهادته فيما لا يبقى[٥]. يمزج الحلم بالعلم، والقول بالعمل. تراه قريباً أمله، قليلاً زلله، خاشعاً قلبه، قانعة نفسه، منزوراً أكله[٦]، سهلاً أمره، حريزاً دينه[٧]، ميتة شهوته، مكظوماً غيضه.

الخير منه مأمول، والشر منه مأمون. إن كان في الغافلين كُتِبَ في الذاكرين، وإن كان في الذاكرين لم يكتب من الغافلين[٨]..

يعفو عَمَّنْ ظَلَمهُ، ويعطي مَنْ حرمه، ويصل مَنْ قطعه.. بعيداً فُحشه، ليناً قوله، غائباً منكره، حاضراً معروفه، مقبلاً خيره، مدبراً شره..

---

(١) اقتصاد.

(٢) التظاهر باليسر عند الفقر.

(٣) تباعد عن طمع.

(٤) إذا لم تطاوعه نفسه فيما يشق عليها من الطاعة، عاقبها بعدم إعطائها ما ترغبه من الشهوة.

(٥) ما لا يزول (الآخرة) وما لا يبقى (الدنيا).

(٦) منزوراً: قليلاً.

(٧) حصيناً.

(٨) أي إن كان بين الساكتين عن ذكر الله فهو ذاكراً له بقلبه، وإن كان بين الذاكرين بلسانهم لم يكن مقتصراً على تحريك اللسان مع غفلة القلب.

في الزلازل وقور[1]، وفي المكاره صبور، وفي الرخاء شكور. لا يحيفُ على مَنْ يبغض ولا يأثم فيمن يحب. يعترف بالحق قبل أن يشهد عليه.

لا يضيع ما استحفظ، ولا ينسى ما ذكر، ولا ينابز بالألقاب[2]، ولا يضار بالجار، ولا يشمت بالمصائب، ولا يدخل في الباطل، ولا يخرج من الحق.

إن صمت لم يغمه صمته، وإن ضحك لم يَعْلُ صوته، وإن بُغيَ عليه صبر حتى يكون الله هو الذي ينتقم له.

نفسه منه في عناء، والناس منه في راحة. أتعب نفسه لآخرته، وأراح الناس من نفسه.

بُعدُهُ عَمَّنْ تَباعَدَ عنهُ زُهدٌ ونزاهةٌ. ودنوه ممن دنا منه لينٌ ورحمةٌ.

ليس تباعده بكبر وعظمة، ولا دنوه بمكر وخديعة».

وعندما أكمل الإمام علي ذلك، صعق همام صعقة (غشي عليه) كانت نفسه فيها. فقال أمير المؤمنين (ع):

أما والله لقد كنت أخافها عليه. ثم قال:

«هكذا تصنع المواعظ البالغة بأهلها»[3].

لقد وصف الإمام علي، في وصفه (للمتقين) نفسه.. فهو في تقواه كما وصفهم، وهو في عبادته كما ذكرهم، ولو استعرضنا التُقاة والمتقين من صحابة رسول الله ﷺ جميعاً، لوجدنا أن علياً هو أتقاهم وأخصهم بالتقوى والإيمان، وهو القائل:

«إنَّ خيرَ الزَّادِ التقوى»...

---

(١) الزلازل: الشدائد المرعدة. والوقور الذي لا يضطرب.

(٢) أي لا يدعو غيره باللقب الذي يكره ويشمئز منه.

(٣) (نهج البلاغة) شرح الشيخ محمد عبده ج٢ ص١٦٤.

وتقوى الله عنده:

«.. فإنَّ تقوى الله دواء داء قلوبكم، وبصر عمىً أفئدتكم، وشفاء مرض أجسادكم، وصلاح فساد صدوركم، وطهور دنس أنفسكم، وجلاء عشا أبصاركم، وأمن فزع جأشكم[1]، وضياء سواد ظلمتكم..».

ومنها:

«فمن أخذ بالتقوى عزبت[2] عنه الشدائد بعد دنوها، واحلولت له الأمور بعد مرارتها، وانفرجت عنه الأمواج بعد تراكمها، وأسهلت له الصعاب بعد إنصابها[3]، وهطلت عليه الكرامة بعد قحوطها، وتحدبت عليه الرحمة بعد نفورها، وتفجرت عليه النعم بعد نضوبها، ووبلت عليه البركة بعد إرذاذِها»[4].

ويقول الإمام في تقوى الله في قول آخر:

«فإن تقوى الله مفتاح سداد، وذخيرة معاد. وعتق من كل ملكة[5]، ونجاة من كل هلكة[6]... بها ينجح الطالبُ، وينجو الهارب، وتنال الرغائبُ..

فاعملوا والعمل يرفع، والتوبة تنفع، والدعاء يُسْمَعُ..»[7].

وقال الإمام ناصحاً:

«لا تضعوا مَنْ رفعته التقوى.. ولا ترفعوا منْ وضعته الدنيا».

---

(١) ما يضطرب في القلب عند الفزع أو توقع المكروه.
(٢) غابت وبعدت.
(٣) إتعابها.
(٤) المصدر السابق ج٢ ص١٧٤.
(٥) الملكه (بالتحريك): الرق، أي عتق من رق الشهوات والأهواء.
(٦) الهلكة (بالتحريك) الهلاك.
(٧) المصد السابق ج٢ ص٢٢٣.

الإمام الزاهد..

أما زهد الإمام، فقد لخص محمد ﷺ في بعض من كلماته الرائعة، زهده فوصفها أروع وصف، وعبّر عنها أدق تعبير، فكانت وساماً للإمام من الأوسمة التي بها مسحة من النفح الإلهي والنبوي التي لم ينل منها غيره..

فقد قال له رسول الله ﷺ:

«يا علي إن الله قد زينك بزينة لم يُزين العباد بزينة أحب إليه منها، هي زينة الأبرار عند الله.. الزهد في الدنيا...

فجعلك لا ترزأ[1] من الدنيا، ولا ترزأ الدنيا منك شيئاً.. ووهب لك حب المساكين، ورضوا بك إماماً، ورضيت بهم أتباعاً..

فطوبى لمن أحبك وصدق فيك، وويل لمن أبغضك وكذب عليك..

فأما الذين أحبوك وصدقوا فيك فهم:

جيرانك في دارك، ورفقاؤك في قصرك في الجنة.

وأما الذين أبغضوك وكذبوا عليك:

فحق على الله أن يوقفهم موقف الكذابين يوم القيامة..».

رواه الصحابي الجليل عمار بن ياسر (رض)[2].

والزهد عند الإمام، كما وصفه:

(الزهد كله بين كلمتين من القرآن.. قال الله سبحانه: ﴿لِّكَيْلَا تَأْسَوْا عَلَىٰ مَا فَاتَكُمْ وَلَا تَفْرَحُوا بِمَا آتَاكُمْ﴾ ومَنْ لم يأس على الماضي، ولم يفرح

---

(١) لا تنال.

(٢) (علي إمام المتقين) عبد الرحمن الشرقاوي ج٢ ص١٩..(حلية الأولياء) لأبي نعيم ج١ ص٧١.. (أسد الغابة) لابن الأثير ج٤ ص٢٣.. (شواهد التنزيل) للحسكاني.. (شرح نهج البلاغة) لابن أبي الحديد.. (ينابيع المودة) للقندوزي.. (كنزل العمال) للهندي.. (كفاية الطالب) للكنجي وغيرهم.

بالآتي، فقد أخذ الزهد بطرفيه. . والزهاد اقتدوا بزهد الإمام علي، إلا أنهم لم يستطيعوا مجاهدة أنفسهم عن الهوى كما كان يفعل هو. . . فزهده جعله يتعامل مع الحياة من أصعب أبوابها وأخشنها. . وليس له منها سوى أن يحيا فيها على أدنى ما بها من شظف العيش، والابتعاد عن ملذاتها وإغراءاتها وترويض نفسه على معصية نفسه وحرمانها كنفس بشرية عن ما يطيب لها ما تطيب للنفوس من الدنيا والتمتع بمحاسنها وأهوائها. . وهو القائل:

«أَفْضَلُ الأَعمالِ ما أكرهْتَ نَفْسَكَ عَلَيهِ. .».

كان يقوت نفسه بأقل قوت يقتات به أقل الفقراء من المسلمين. . ويلبس من اللباس أخشنه، ويفترش من المنام ما يفترشه المعدمون، تطبيقاً لما كان يقوله:

«مَرارَةُ الدُنيا حَلاَوَةُ الآخِرَةِ، وحَلاوةُ الدنيا مرارةُ الآخرة». .

روى (علقمه) وهو أحد أصحابه، قال:

دخلنا على علي وبين يديه طبق من خوص عليه قرص أو قرصان من خبز شعير، نخالته واضحة في الخبز، وهو يكسره على ركبتيه ويأكل. .

فقلت لجاريته (فضة) ألا نخلتِ هذا الدقيق!!

فقالت: هو يأكله المهنأ، ويكون الوزر في عنقي!!. فتبسم علي، وقال:

«أنا أمرتها أن لا تنخله، ذلك أحرى أن يذل النفس، ويقتدي بي المؤمنون. . ثم قال: كان رسول الله ﷺ يأكل أيبس من هذا».

وقد قال في موضع آخر، يستدل من قوله إنه كان في موضع من قمة الزهد الذي لم يصل إلى ذلك الموضع أزهد الزهاد غيره. .

نعم هو خليفة رسول الله ﷺ، وبيده ما أنعم الله على المسلمين في بيت المال، وتحت ولايته دولة امتدت أطرافها شرقاًوغرباً. .

ولكن. . لا يزال كما هو ذاك علي بن أبي طالب يحيا حياة الشظف، ويجاري أفقر رعيته العيش. . تماماً كما كان يقوم فقير المسلمين بخصف نعله، وترقيع ردائه. . وفي ذلك يقول:

«والله لَقَدْ رَقَعْتُ مِدْرَعَتي[1] هذه، حتى أسْتَحيَيْتُ من رَاقِعِها. . ولقد قال لي قائل ألا تَنبِذُها؟

فَقُلْتُ أغرُبْ عَنيِّ[2] فَعِنْدَ الصَّبَاحِ يَحْمَدُ القَوْمَ السُّرَى[3]»[4].

روى النضر بن منصور، عن عقبة بن علقمة، قال:

دخلت على علي، فإذا بين يديه لبن حامض، وكسر يابسة، فقلت: يا أمير المؤمنين، أتأكل مثل هذا!!

فقال لي: **«يا أبا الجنوب كان رسول الله ﷺ يأكل أيبس من هذا، ويلبس أخشن من هذا ـ وأشار إلى ثيابه ـ فإن أنا لم آخذ بما أخذ، خفتُ أن لا ألحق به. .»**.

كان الإمام علي (ع) يأتدم بخل أو بملح، فإن ترقى عن ذلك فبعض نبات الأرض، فإن ارتفع عن ذلك فبقليل من ألبان الإبل. . ولا يأكل اللحم إلا قليلاً[5].

. . . كان الإمام يسمي الزهد (ثروة). . ثروة لآخرته تكون معه متاعاً له يوم الحساب. على أن زهد الإمام، لم يكن بسبب من التشائم من الحياة. . ولا بسبب من حاجة اضطرته إليه ظروفه المعيشية، أو موارده المحدودة. .

بل كان زهده نابعاً من صدقه مع نفسه، ومن عمق تقواه، وسعة إيمانه. .

كان يصرح أنه لا يأنف الطعام الشهي، والملبس الناعم، والمسكن الغني. . ولكنه يأنفها وفي الأرض قومٌ فقراء لا يحظون بما يحظى به هو إن فعل. .

وفي هذا التصريح دليلٌ على أنه يرغب أول ما يرغب في أن يوفر للناس نصيباً كافياً من آلة العيش. . .

---

(١) (المدرعة) بالكسر: ثوب من صوف.

(٢) أغرب عني: ابعد واذهب عني.

(٣) السرى: السير ليلاً. والمثل معناه: إذا أصبح النائمون، وقد رأوا السارين واصلين إلى مقاصدهم حمدوا سراهم وندموا على نوم أنفسهم. أو إذا أصبح السارون وقد وصلوا إلى ما ساروا إليه حمدوا سراهم وإن كان شاقاً حيث أبلغهم إلى ما قصدوا.

(٤) (نهج البلاغة) الشيخ محمد عبده ج٢ ص٦٠.

(٥) (شرح نهج البلاغة) لابن أبي الحديد.

وإنه ما دام في الناس مَنْ لا عهدَ له بالشبع، ولا مطمع له بالقُرص، فعلى قائد هؤلاء أن يحمل ما يحملون، ويُعاني ما يعانون.. حتى إذا زال شبحُ الفقر عنهم زال عنه، وإلا فما معنى القيادة، وما معنى الولاية؟

يقول الإمام علي (ع): **«أأقنع من نفسي بأن يقال أمير المؤمنين، ولا أشاركهم مكاره الدهر»** وعنده مكاره الدهر تعني: مساوىء الفقر(١).

كان بوسع الإمام علي (ع) أن ينال من الدنيا ما نال منها بعض الصحابة، خصوصاً بعد أن أصبح خليفة وبيده أموال المسلمين..

لكنه على عكس ذلك، قد زاد زهده وتقشفه بعد أن تولى أمور المسلمين، حتى يكون قدوة لغيره من الرعية.. وقال في ذلك:

«ألا وإن لكل مأموم إماماً يقتدي به، ويستضيء بنور علمه.. ألا وإن أمامكم قد اكتفى من دنياه بطمريه(٢). ومن طعمه بقرصيه. ألا وإنكم لا تقدرون على ذلك ولكن أعينوني بورع واجتهاد، وعفة وسداد. فوالله ما كنزت من دنياكم تبراً(٣)، ولا ادخرت من غنائهما وفراً(٤)، ولا أعددت لبالي ثوبي طمراً»(٥).

ثم يقول:

«ولو شئت لاهتديت الطريق إلى مصفى هذا العسل ولباب هذا القمح، ونسائج هذا القز.. ولكن هيهات أن يغلبني هواي ويقودني جشعي(٦) إلى تخير الأطعمة..»(٧).

---

(١) (الإمام علي صوت العدالة الإنسانية) جورج جرداق المجلد الأول ص١٣٣.
(٢) الثوب العتيق.
(٣) فتات الذهب والفضة قبل أن يُصاغ.
(٤) المال.
(٥) أي ما كان يهيىء لنفسه طمراً آخر بدل الثوب الذي يبلى.
(٦) شدة الحرص.
(٧) (نهج البلاغة) ج٣ ص٧١.

على أنه لم يكن يوصي أصحابه بمجاراة زهده، والطلب إليهم أن يعيشوا بما كان هو يعيش عليه.. فكان يريد لهم التمتع بمطيبات الحياة التي خلقها سبحانه وتعالى:

قال الإمام لعاصم بن زياد الحارثي، بعد أن علم أنه لبس العباءة وتخلى عن الدنيا:

«يا عُديّ[1] نَفْسِهِ لقد استهامَ بِكَ الخبيثُ[2]، أما رَحِمْتَ أَهْلَكَ وولَدَكَ.. أترى الله أحلَّ لكَ الطّيّباتِ وهو يكرهُ أنْ تأخُذَها؟

أنتَ أهوَنُ على الله من ذلك».

قال: يا أمير المؤمنين، هذا أنت في خشونةِ ملبسك وجَشُوبَةِ ما أكلكَ! قال:

«ويحكَ إنِي لستُ كأنتَ، إنَ الله فَرضَ على أئمةِ العدلِ أنْ يُقَدّرُوا[3] أنفسهم بِضَعَفَةِ الناسِ كيلاً يَتَبَيَّغَ[4] بالفقيرِ فقرُهُ».

... نعم كان الإمام علي (ع) بزهده يجاري أفقر الفقراء في مأكله وملبسه ومعيشته وعيشه، مواساة منه لهم على ما هم عليه، وإذلالاً منه للنفس، وتصغيراً لدنياه، وتعظيماً لآخرته، وسموا لمبادئه..

عاش الإمام في مسكن متواضع كما كان يسكن فقراء المسلمين.. ويأكل الشعير تطحنه زوجه أو هو يطحنه بيديه..

وكان يلبس أبسط أنواع الملابس، وينام على ما كان ينام عليه الفقراء..

كان يقتاد من كسبه، ومن كسبه هذا كان يتصدق ويعتق العبيد، ويطعم الضعيف ويعين المحتاج والمسكين وابن السبيل والفقراء...

عن الإمام جعفر الصادق، قال:

---

(١) تصغير عدو.

(٢) الشيطان.

(٣) يقيسوا أنفسهم بالفقراء.

(٤) أي يهيج به ألم الفقر.

(كان أمير المؤمنين أشبه الناس طعمه برسول الله، يأكل الخبز والخل والزيت، ويُطعم الناس الخبزواللحم).

وعن عمر بن عبد العزيز (رض)، قال:

(ما علمنا أن أحداً كان في هذه الأمة بعد رسول الله ﷺ أزهد من علي بن أبي طالب، ما وضع لبنة على لبنة، ولا قصبة على قصبة).

روى الأحنف بن قيس، قال:

دخلت على معاوية، فقدم إلي من الحلو والحامض ما كثر تعجبي منه.. ثم قال: قدموا لوناً لا أدري ما هو!!

وبعدها علمت بعد أن سألت عنه، إنه مصارين البط محشوة بالمخ ودهن الفستق قد ذُر عليه السكر..

قال: فبكيت! فسأله معاوية عن سبب ذلك، فقال له:

لله در ابن أبي طالب، لقد جاد من نفسه بما لم تسمع به أنت ولا غيرك.. قال معاوية: وكيف؟

قال: دخلت عليه ليلة عند إفطاره، فقال لي: قم فتعشَّ مع الحسن والحسين. ثم قام إلى الصلاة.. فلما فرغ منها دعا بجراب مختوم بخاتمه، فأخرج منه شعيراً مطحوناً..

فقلت: يا أمير المؤمنين لم أعهدك بخيلاً، فكيف ختمت على هذا الشعير.. فقال:

«لم أختمه بخلاً، ولكن خفت أن يبسّهُ[1] الحسن والحسين بسمن أو إهالة[2]»!

فقلت: أحرام هو؟ قال:

«لا، ولكن على أئمة الحق أن يتأسوا بأضعف رعيتهم في الأكل

---

(١) يبسه: يضع عليه السمن.

(٢) الإهالة: الشحم أو ماأذيب منه.

واللباس ولا يتميزون عليهم بشيء لا يقدرون عليه، ليراهم الفقير فيرضى عن الله تعالى بما هو فيه، ويراهم الغني فيزداد شكراً وتواضعاً».

لاحظ أحد أصحاب الإمام أنه يلبس قميصاً جديداً، ولكنه يضع عليه رداءً قديماً، فسأله في ذلك..

فقال الإمام ضاحكاً:

«إنما لبس هذا الرداء ليكون أبعد لي عن الزهو والكبر».

وكان على الرغم من خشونة ملبسه نظيف الثوب، طيب الرائحة... فقد كان يحب الرائحة الطيبة، ويرغب فيها.. وكان إذا رأى رجلاً يدخل المسجد في ثياب قذرة، أو له رائحة منكرة.. زجره، فليس هذا من النسك فالنظافة من الإيمان(١).. وقد قال تعالى:

﴿يَٰبَنِيٓ ءَادَمَ خُذُواْ زِينَتَكُمۡ عِندَ كُلِّ مَسۡجِدٖ﴾ [سورة الأعراف، الآية: ٣١].

أمات الشهوات في نفسه، ولم يمت نفسه في الشهوات..

على أن تلك الحالات من الزهد، والتي تعني ضُعْفَ القلب والجسد، ورقة ولين في القلب والعواطف والطباع..

تقابلها الشجاعة وهي حالة من الشدة والقسوة والفتك والجلادة عند الحرب والدفاع عن الدين.. وهذه صفة المحاربين الأشداء الذين يقاتلون عن المبادىء التي آمنوا بها..

إذاً فهاتان حالتان مختلفتان متضادتان، تجمع بين الرقة والقسوة في القلب معاً.

والإمام علي يجمع بينهما.. الزهد، والتواضع، والتعامل الإنساني مع الإنسان في حالة السلم، وفي فترة نشر التعاليم الإسلامية..

---

(١) (علي إمام المتقين) عبد الرحمن الشرقاوي ج٢ ص٣٠٥.

وفي حالة الحرب، لا من أجل الحرب، وإنما دفاعاً عن دين الله عز وجل.. يكون الإمام وهو في حالة الدفاع أشد الأشداء، وأقوى المقاتلين الأقوياء.. أكثرهم إقداماً، وأوسعهم مغامرةً وجرأة، وأقساهم قلباً، وأكثرهم بأساً.. وتلك من الخصائص العجيبة في شخصيته..

يقول الشريف الرضي (رض) عن ذلك:

(مَنْ يتغمس في الحرب مصلتاً سيفه، فيقطع الرقاب ويجدِّل الأبطال[1]، ويعود به ينظفُ دماً[2]، ويقطر مُهجاً، وهو مع تلك الحال زاهد الزُهاد وبدل الأبدال[3].. وهذه من فضائله العجيبة، وخصائصه اللطيفة التي جمع بها بين الأضداد، وألف بين الأشتات..)[4].

ذكر الإمام الشيخ محمد عبده في تفسيره لنهج البلاغة:

(إن أهل الشجاعة والإقدام والمغامرة والجرأة يكونون في العادة قساة فتاكين متمردين جبارين.. والغالب على أهل الزهد وأعداء الدنيا، وهاجري ملاذها المشتغلين بالوعظ والنصيحة والتذكير أن يكونوا ذوي رقة ولين وضعف قلوب وخور طباع...

وهاتان حالتان متضادتان، فاجتماعهما في أمير المؤمنين كرم الله وجهه مما يوجب العجب، فكان كرم الله وجهه أشجع الناس، وأعظمهم إراقة للدم، وأزهدهم وأبعدهم عن ملاذ الدنيا، وأكثرهم وعظاً وتذكيراً، وأشدهم اجتهاداً في العبادة. وكان أكرم الناس أخلاقاً وأسفرهم وجهاً وأوفاهم هشاشة وبشاشة حتى عيب بالدعابة..)[5].

.. لقد أمات الإمام علي الشهوات في نفسه، ولم يمت نفسه في الشهوات،

---

(١) يجدل الأبطال: يلقيهم على الجدالة وهي وجه الأرض.

(٢) يسيل دماً.

(٣) الإبدال: قوم صالحون لا تخلو الأرض منهم، إذا مات منهم واحد أبدل الله مكانه آخر.

(٤) (نهج البلاغة) مقدمة الشريف الرضي ص١٢ شرح الشيخ محمد عبده.

(٥) نفس المصدر.

بل إن نفسه ما كانت حقلاً خصباً للشهوات، لأنه نفسه نشأت وترعرت على العفة والطهر وعلى غذاء الروح . .

فاستحال على الشهوات أن تتوغل فيها أو تدنو منها وإن هي توغلت، أو دنت، عجزت عن الحياة معها، فمصيرها الموت لأنها لم تألف مناخات القيم . .

كان علي بن أبي طالب بطلاً، ولكن بطولته لم تكن بطولة زند فحسب، إنما كانت بطولة قلب . . بطولة انقضاض الإنسان على نفسه لينتصر عليها، ومن هنا قوله المأثور:

«إن أغلب الناس مَنْ تغلب على هواه»[1].

كان الإمام يردد قول معلمه، وأستاذه الكبير رسول الله ﷺ، ويمتثل بذلك القول:

«إنَّ الجنةَ حُفَّتْ بالمكارِهِ، وإنَّ النَّارَ حُفَّتْ بِالشَّهَواتِ».

كان علي يحذر نفسه أن يأكل خبزاً فيشبع في مواطن يكثر فيها مَنْ لا عهد لهم بشبع. وإن يلبس ثوباً ناعماً وفي أبناء الشعب مَنْ يرتدي خشن اللباس، وأن يقتني درهماً وفي الناس فقرٌ وحاجة، ويوصي أبناءه وأنصاره ألا يسيروا مع نفوسهم غير هذه السيرة . .

ثم يقاضي أخاه من أجل دينار طلبه من مال الشعب من غير بلاء . . ويقاضي أعوانه ومبايعيه وولاته من أجل رغيف يأكلونه رشوةً من غني[2] . . .

وتـواضـعـه . .

أما تواضعه، فمن يحمل تلك الصفات الواسعة من الزهد والإيمان . . يكون التواضع عنده نتيجة لذلك الزهد وذاك الإيمان اللذين لا حدود لهما . .

فتواضع الإمام علي صورة صادقة لتواضع رسول الله ﷺ، كما هو ذلك في كل خلقه الإسلامي الرفيع . .

(١) (الإمام علي رسالة وعدالة) الشيخ خليل ياسين ص١١٠.

(٢) (الإمام علي صوت العدالة الإنسانية) جورج جرداق ج١ ص٤١.

كان مثلاً أعلا للمسلمين في تواضعه، وقدوة لهم فيه. .

فهو بنفسه الذي يتبضع حاجات أهله من السوق وهو أمير للمؤمنين، وخليفة المسلمين. . يحمل تلك الحاجات، كما يحمل حاجاته أي فقير من فقراء عامة الناس. . ويرفض طلب مَنْ كان يريد مد يد العون له بحمل ما كان يحمله. . . ويجيبهم:

«رب العيال أحق بحمله. .».

خرج يوماً، وهو راكب، فمشوا خلفه أصحابه. . فالتفت إليهم قائلاً: ألكم حاجة؟ قالوا:

لا يا أمير المؤمنين، ولكنا نحب أن نمشي خلفك. . فقال لهم:

«انصرفوا، فإن مشي الماشي مع الراكب مفسدة للراكب ومذلة للماشي».

وفي رواية أخرى. .

مشى (حرب بن شُرحبيل الشّبامي) خلف ركب علي بن أبي طالب، الذي كان راكباً. . فقال له الإمام: ارجع. . . ووقف. . ثم قال له:

«ارجع. . . فإن مشي مثلك مع مثلي، فتنة للوالي، ومذلة للمؤمن. .»[(١)].

كان الإمام يسير في الأسواق وحده دون حراسة أو موكب أو مرافقين من جند أو خدم أو حراس. .

ففي الأسواق والطرقات، كان يرشد المسلمين، ويأمرهم بالمعروف، وينهاهم عن المنكر، ويعين الضعيف منهم. . وينصح التجار والكسبة، بحسن المعاملة، والابتعاد عن الجشع والاستغلال. . ويأمرهم بالتواضع والزهد. . ويذكرهم بقوله تعالى:

---

(١) (حياة الإمام علي) محمود شلبي ص٥٥٢.

﴿تِلْكَ ٱلدَّارُ ٱلْآخِرَةُ نَجْعَلُهَا لِلَّذِينَ لَا يُرِيدُونَ عُلُوًّا فِى ٱلْأَرْضِ وَلَا فَسَادًا وَٱلْعَٰقِبَةُ لِلْمُتَّقِينَ﴾ [سورة القصص، الآية: ٨٣]

ومن تواضعه الجم.. وقوفه بين يدي القاضي مع رجل من عامة الشعب الذي يضطلع الإمام علي بقيادته(١).

وكذلك تعامله مع الأمة كواحد منها، يعايش مشاكل أفرادها، ويتودد لفقرائهم ويُقرب مساكينهم، ويسدي العون لضعفائهم..

ومن طريف ما يروي عن تواضعه.. أن الإمام علياً نزل عنده ضيفان.. أحدهما أب والثاني ابن.. فأمر لهما بالطعام.

ولما أكلا، أمر بإحضار إبريق وطست ومنديل، حتى يغسلا أيديهما.. وبتواضع عظيم، جلس الإمام بين يدي ضيفه الأب رافعاً الإبريق والطست إليه حتى يغسل فيه يده..

عندها نهض الضيف من مكانه، وهو ينتفض قائلاً:

يا أمير المؤمنين، الله يراني وأنت تصب الماء على يدي!!

لكن الإمام أمسك بثوبه يجره إلى الأرض، قائلاً:

اجلس واغسل، فإن الله عز وجل يراك وأخاك الذي لا يتميز عليك، ولا ينفصل عنك يخدمك..

جلس الرجل تحت ضغط إصرار الإمام، وغسل يديه قليلاً، ثم نهض متظاهراً بأنه قد أتم الغسل..

ولكن الإمام لم يتركه... جره مرة ثانية من ثوبه قائلاً:

أقسمت بعظيم حقي الذي عرفته ونحلته، وتواضعك لله لما غسلت مطمئناً..

وجلس الرجل مرة أخرى، وبدأ يغسل يده بشكل مطمئن، كما طلب منه الإمام..

---

(١) (علي وحقوق الإنسان) جورج جرداق ص٨٧.

ولما فرغ من ذلك، دفع الإمام الإبريق والطست إلى ولده محمد بن الحنفية ليتولى صب الماء على يد الضيف الابن. . وقال لمحمد:

«يا بني، لو كان هذا الابن حضر دون أبيه لصببتُ على يده، ولكن الله عز وجل يأبى أن يسوى بين الابن وأبيه إذا جمعهما مكان. . ولكن قد صب الأب على يد الأب. . فليصب الابن على يد الابن. .»[1].

وصفوة القول كان علي فيهم، في تواضعه كواحد منهم، قبل أن يكون خليفة للمسلمين، وبعد أن صار خليفة لهم. .

كان يكرر قوله للمسلمين:

«. . فلا تُكَلِّموني بما تُكَلَّمُ بهِ الجَبَابِرةُ. . ولا تَتحفَظُوا مني بما يُتَحَفظُ به عندَ أهلِ البادِرَةِ. . ولا تُخالِطوني بالمُصانَعَةِ. .».

لقد تواضع لتواضع الإمام المتواضعون والمتجبرون معاً. . حتى صار تواضعه لهم مثلاً يُقتدى به، ونمطاً كاملاً لأنواع التواضع الحق بصوره المختلفة. .

هو خليفة المسلمين، ينهاهم عن مخاطبتهم إياه بألقاب العظمة، كما يلقبون الجبابرة والطغاة. كما كان ينهاهم عن التحفظ منه بالتزام الذلة والموافقة على رأيه صواباً كان أو خطأ، وينهاهم أيضاً عن مخالطتهم بالمدارة والمجاملة. .

قال لرجل أفرط في الثناء على الإمام، وكان له مُتَّهِماً:

«أنا دُونَ ما تقولُ، وفَوْقَ ما في نَفسِكَ». .

أقضى أمتي علي. .

أما كونه أقضاهم، فقد ذكرت كتب التاريخ من خلال رواة الحديث أن رسول الله ﷺ قال عنه:

«أقضى أمتي علي» رواه أنس بن مالك (رض).

---

(١) (كيف تصبح سعيداً) محمد الكاتب ج٢ ص١٢٢.

وفي رواية أخرى، قال النبي ﷺ عنه:

«أقضاكم علي»[1]..

وقال الخليفة عمر بن الخطاب (رض): (أقضانا علي بن أي طالب)[2].

وذكر ابن سعد في (طبقاته) بسنده عن أبي هريرة، قال:

قال عمر بن الخطاب: (علي أقضانا)..

وعن ابن مسعود، قال:

كنا نتحدث أن أقضى أهل المدينة علي بن أبي طالب[3]..

كان علي عوناً للخلفاء الذين سبقوه بالخلافة، في قضائه للمسائل المستعصية لديهم.. فهو الذي كان يحكم أو يقضي بما كانوا يعجزون عنه. ومن هنا كان عمر بن الخطاب (رض) يكرر قوله وبأوجه مختلفة:

لولا علي لهلك عمر..

وهنا لا نريد الإطالة في الحديث عن قضائه، حتى لا يطول بنا البحث، بل نستشهد بشواهد من ذلك القضاء، وتلك الفتاوي:

١ ـ بينما كان الإمام جالساً في حضرة رسول الله ﷺ مع بعض الصحابة، إذ جاء خصمان، قال أحدهما:

(يا رسول الله إن لي حماراً، وإن لهذا الرجل بقرة، وإن بقرته قتلت حماري..).

فقال رجل من الحاضرين: لا ضمان على البهائم!

---

(١) (شرح نهج البلاغة) لابن أبي الحديد ج٢ ص٢٣٥.. (الاستيعاب) لابن عبد البر ج٣ ص٣٨.

(٢) (الفتنة الكبرى) د. طه حسين ج٢ ص١٥.. ابن عساكر في تاريخه ج٢ ص٣٢ (الاستيعاب) ج٣ ص٤١.. كما ورد في صحيح البخاري في كتاب التفسير عن سعيد بن جبير عن ابن عباس.. (المستدرك) للحاكم ج٣ ص٣٠٥.. رواه الإمام أحمد بن حنبل في (مسنده) ج٥ ص١١٣ بطرق ثلاثة.. (حلية الأولياء) لأبي نعيم ج١ ص٦٥.. وورد هذا الحديث في (الرياض النضره) ج٢ ص١٩٨. وفي(ذخائر العقبى) للطبري.. وكذلك في (الصواعق المحرقة) لابن حجر العسقلاني.. وفي (شرح نهج البلاغة) لابن أبي الحديد.. وغيرهم.

(٣) (الإمام علي بن أبي طالب) محمد رضا ص١٨.

فقال النبي ﷺ: أقضي بينهما يا علي..

فقال علي لهما: أكانا مرسلين، أم مشدودين.. أم كان أحدهما مشدوداً والثاني مرسلاً!

وقال المدعي: كان الحمار مشدوداً، والبقرة مرسلة، وصاحبها معها.. فقضى الإمام: على صاحب البقرة ضمان الحمار[1].

٢ ـ أرسل خالد بن الوليد إلى الخليفة أبي بكر (رض)، أنه وجد في المكان الذي عسكر به، عندما قاد جيوش المسلمين للفتح.. وجد رجلاً يُنكح كما تُنكح المرأة، فما عقاب ذلك الرجل؟

لم يجد أبو بكر (رض) جواباً لذلك في النصوص القرآنية، ولا في السنة النبوية، ولا سابقة مشابهة لها حتى يقرر جزاء ذلك..

فأرسل في طلب الإمام علي.. وعرض عليه ما جاءه من خالد بن الوليد..

فقال الإمام (ع):

(إن هذا ذنب لم تعصِ به أمة من قبل، إلا قوم لوط، فأحرقهم الله تعالى، وأحرق ديارهم.. لذا أرى أن تحرقوه بالنار).

فكتب الخليفة الأول (رض) إلى خالد أن يفعل ذلك..

٣ ـ ومن طرائف ما قضى به.. جاءه رجل برجل، فقال له:

يا أمير المؤمنين، زعم هذا أنه احتلم بأمي، فما جزاؤه؟

فقال له: إذهب به، فأقمه بالشمس، واضرب ظله..[2].

٤ ـ روى أحمد البرقي، أن الإمام قضى في رجل وامرأة ماتا في الطاعون، وعلى فراش واحد، ويد الرجل ورجله على المرأة..

فجعل الميراث للرجل.. وقال: إنه مات بعدها..

---

(١) ضمان الحمار: تعويض الحمار.

(٢) (تاريخ الخلفاء) الإمام الحافظ السيوطي ص٢١٣.

٥ ـ وقضى في دية امرأة قُتلت، فسقط جنينها، ولا يُعرف أذكر هو أم أنثى! وهل كان موت الجنين بعد موت أمه، أم قبل موتها!

وقال: إن دية الجنين نصفان:

نصف دية الذكر مضافاً إليها نصف دية الأنثى.. أما دية الأم فكاملة.

٦ ـ وقضى الإمام عندما كان في اليمن، بقضية تلك الحفرة التي حُفرت لاصطياد أسد.. فوقع ذلك الأسد فيها..

ثم حضر الناس ينظرون إليه، وهو ساقط في الحفرة.. فوقف بعضهم على شفيرها، فزلت قدم أحدهم، فتعلق بآخر.. وتعلق الآخر بثالث.. وتعلق هذا برابع.. فسقطوا بالحفرة جميعهم حيث أهلكهم الأسد.. وكان قضاء الإمام علي:

إن الأول فريسة الأسد، وعليه ثلث الدية للثاني.. وعلى الثاني ثلثا الدية للثالث.. وعلى الثالث الدية كاملة للرابع..

وقد وصل هذا القضاء إلى النبي ﷺ، فقال:

«لقد قضى أبو الحسن فيهم بقضاء الله تعالى فوق عرشه»[1].

٧ ـ اعترفت امرأة حامل، بالفجور أمام الخليفة عمر بن الخطاب (رض)، فأمر بها أن تُرجم، وأخذوها لتنفيذ الحكم..

وفي طريقهم إلى ذلك، مرّ الإمام علي، فسألهم عما اقترفته تلك المرأة، وأخبروه عن أمرها..

فقال لهم: ردوها إلى عمر.. فردوها إليه..

وقال لعمر: أمرت بها أن ترجم؟

فقال عمر: نعم اعترفت عندي بالفجور.

فقال له الإمام: هذا سلطانك عليها، فما سلطانك على ما في بطنها! فأخلى سبيلها لحين ولادتها..

٨ ـ أمر الخليفة عمر أن يقام الحد على خمسة رجال اقترفواجريمة الزنا

---

(١) الإمام أحمد بن حنبل في (مسنده) ج١ ص٧٧.

بعقوبة متساوية على كل منهم. . وكان الإمام حاضراً مجلس عمر (رض) فقال له:

يا عمر ليس هذا حكمهم. .

قال: فأقم أنت عليهم الحد. .

فأمر الإمام بضرب عنق أحدهم. . ورجم الثاني. . والثالث ضربه الحد. . وضرب الرابع نصف الحد. . أما الخامس فقد أطلق سراحه.

ودُهش الحاضرون من حكم علي، فسأله عمر عن ذلك، قائلاً:

يا أبا الحسن خمسة نفر في قضية واحدة، أقمت عليهم خمسة حدود، وليس شيء يشبه الآخر!!

أجاب الإمام: أما الأول فكان ذمياً خرج عن ذمته، ولم يكن له حكم إلا السيف. والثاني رجل مُحصن كان حده الرجم. . والثالث فغير مُحصن حده الجلد. . والرابع فهو عبدٌ ضربناه نصف الحد. . أما الخامس فمجنون مغلوب على عقله. .

٩ ـ ومن طرائف، ونوادر قضائه. .

جاء غلام إلى الخليفة عمر بن الخطاب (رض)، قائلاً له:

يا أمير المؤمنين أحكم بيني وبين أمي. .

فقال له عمر: ما بينكما؟

أجاب: إنها حملتني في بطنها تسعة أشهر. . وأرضعتني حولين. . فلما ترعرعتُ وعرفتُ الخير من الشر طردتني وزعمت إنها لا تعرفني!

فقال لها الخليفة: ماذا تقولين؟

قالت: لا أعرفه. . ولا أدري مَنْ هوا فهو غلام يريد أن يفضحني في عشيرتي. . وإني امرأة من قريش لم أتزوج بعد. .

فقال عمر: هل لكِ شهود. . . قالت: نعم هؤلاء إخوتي. .

فقدمت له أربعين شاهداً من عشيرتها، أيدوا ادعاءها

فقال عمر: خذوه إلى السجن، حتى نسأل عن الشهود، فإن صحت شهادتهم جلدناه حد المفتري. .

وبينما هم في طريقهم إلى السجن، مرّ أمامهم الإمام علي كرم الله وجهه.. فاستنجد الغلام به، وقَصّ عليه ما جرى..

فقال الإمام ردوه إلى الخليفة... فردوه إليه... وحضر الإمام مجلس الخليفة، وقال له: أتأذن لي أن أقضي بينهما؟

قال له الخليفة (رض):

كيف لا! وقد سمعتُ رسول الله ﷺ يقول: **«أقضاكم علي بن أبي طالب»**..

توجه الإمام نحو المرأة طالباً منها تقديم ما يؤيد أقوالها في إنكار بنوة الغلام لها.. فقدمت شهودها، حيث شهدوا بما شهدوا به أمام الخليفة..

فقال لهم الإمام: قضائي فيكم، وفي أختكم جائز!! قالوا: نعم يا ابن عم رسول الله ﷺ..

فأصدر الإمام قضاءه بتلك القضية، قائلاً:

(أَشهد الله، وأشهد من حضر من المسلمين.. إني قد زوجت هذا الغلام من هذه المرأة بأربعمائة درهم.. ومهرها عندي).

فاغتاظت تلك المرأة، وارتبكت حتى صاحت بأعلى صوتها: (يا أبا الحسن، تريد أن تزوجني من ولدي هذا.. إنه والله ولدي، زوجني إخوتي هجيناً[1]... فولدت منه هذا الغلام...

فلما نشأ وشب أمروني أن أبرأ منه وأطرده)..

ثم أخذت ولدها وانصرفت بين تكبير الحاضرين، وإعجابهم بالكيفية التي استدرج الإمام أم الغلام للاعتراف به وتغيير أقوالها..

١٠ ـ وفي زمن خلافة الخليفة الثاني عمر بن الخطاب (رض).. جاؤوا بامرأة زانية، ثبت عليها ذلك بشهادة أربعة شهود. فأمر الخليفة برجمها..

---

(١) الهجين: مَنْ أحد أبويه من قبيلة عريقة، والآخر من قبيلة وضيعة.

وعلم الإمام علي بما أصدره الخليفة من قضاء.. إلا أنه استفسر عن أسباب ما اقترفته، فأخبروه. إنها مجنونة!

فأمرهم بردها إلى عمر، وتبعهم حتى دخل على الخليفة، قائلاً:

(أما سمعت قول رسول الله ﷺ رفع القلم عن ثلاثة:

المجنون حتى يبرأ.. النائم حتى يستيقظ.. والصبي حتى يعقل، فما بال هذه تُرجم!!) فأُطلق سراحها وعمر يكرر قوله لولا علي لهلك عمر!

١١ ـ جاؤوا عمر بامرأة كاد أن يهلكها العطش، حتى مرت على راعٍ، فطلبت منه أن يسقيها، فوافق بشرط أن تمكنه من نفسها، فاستسلمت له إنقاذاً منها لنفسها.

أشار أصحاب عمر عليه برجمها.. فاعترض الإمام علي قائلاً: هذه مضطرة فخلوا سبيلها.. لكنه أشار برجم الراعي وحده..

١٢ ـ عُرضت عليه قضية امرأة تزوجت.. وقد أَدخلت ليلة زواجها عشيقها لمخدعها.. وعند دخول الزوج عليها، وجد ذلك العشيق، فاقتتلا.. وقتل الزوج الرجل.. ثم قتلت الزوجة زوجها..

فقضى الإمام بقتل الزوجة لقتلها زوجها.. وبدية العشيق المقتول عليها أيضاً، لأنها هي التي كانت مسببة في قتله.

أما زوجها فقد قَتلَ الرجل دفاعاً عن عرضه وشرفه، فهو قتل مشروع لا عليه عقوبة ولا دية..

١٣ ـ رفعت إلى عمر قضية امرأة ولدت لستة أشهر، فأمر برجمها فجاءت أختها إلى علي تستصرخه... فذهب إلى عمر، وقال:

(إن الله عز وجل يقول: ﴿وَٱلْوَٰلِدَٰتُ يُرْضِعْنَ أَوْلَٰدَهُنَّ حَوْلَيْنِ كَامِلَيْنِ﴾ [سورة البقرة، الآية: ٢٣٣]. وقال تعالى: ﴿وَحَمْلُهُۥ وَفِصَٰلُهُۥ ثَلَٰثُونَ شَهْرًا﴾ [سورة الأحقاف، الآية: ١٥]، فالفصال أربعة وعشرون شهراً، والحمل ستة أشهر، تلك ثلاثون شهراً).

فخلى عمر سبيلها.. وقال: (أعوذ بالله من معضلة ليس لها أبو الحسن)[1]

---

(١) (علي إمام المتقين) عبد الرحمن الشرقاوي ج١ ص١٠٤.

قال ابن كثير في تفسيره: إن علياً أول من استنبط من القرآن أن أقل مدة للحمل ستة أشهر..

١٤ ـ عن الإمام جعفر الصادق، عن جده قال:

أتي عمر بن الخطاب (رض) بامرأة تعلقت بشاب من الأنصار، وكانت تهواه، فلما لم يساعدها على تحقيق غرضها، احتالت عليه.. فأخذت بيضة وألقت صفرتها.. وصبت البياض على ثوبها وبين فخذيها. ثم جاءت بالشاب إلى عمر صارخة.. فقالت له: هذا الرجل غلبني على نفسي وفضحني في أهلي.. وهذا أثر فعاله..

فسأل عمر النساء، فقلن له: إن ببدنها وثوبها أثر للمني. فهمَّ عمر بعقوبة الشاب، فجعل الشاب يستغيث، ويقول: يا أمير المؤمين تثبَّتْ في أمرِي، فوالله ما أتيت بفاحشة، ولا هممتُ بها فلقد راودتني عن نفسي فاعتصمت..

فقال عمر (رض) لعلي كرم الله وجهه: يا أبا الحسن ما ترى في أمرهما؟

فنظر علي إلى المرأة يقرأ صفحة وجهها، ونظر إلى ما على الثوب، ثم دعا بماء حار شديد الغليان، فصبه على الثوب فجمد ذلك البياض، ثم أخذه وشمه وذاقه، فعرف رائحة وطعم البيض، وزجر المرأة فاعترفت.. ثم أطلق الشاب البرىء، وأقيم عليها حد القذف(١)...

١٥ ـ فرّ رجل من رجل يريد قتله، فأمسك به له رجل ثالث، وأدركه فقتله. وبالقرب منهم رجل رابع واقف وهو ينظر لما وقع، وكان بإمكانه أن يمنع وقوع القتل إلا أنه لم يفعل...

وقضى الإمام علي (ع) بتلك القضية التي عُرضت عليه:

أن يقتل القاتل، ويحبس الرجل الثالث الذي أمسك بالمقتول حبساً مؤبداً.. أما المتفرج على الحادثة دون التدخل لمنع وقوع الجريمة وهو قادر على منعها دون حرج، أمر أن تفقأ عينه..

١٦ ـ أرسل أمراء جيوش المسلمين، أمثال سعد بن أبي وقاص، وأبي

---

(١) المصدر السابق ج١ ص١٠٧.

عبيدة بن الجراح إلى الخليفة الثاني (رض) يشكونه أمر بعض القواد من تلك الجيوش الذين يحتفلون بانتصاراتهم بشرب الخمر.. ويدعون أنهم لم يجدوا في النص والسنة عقوبة لشاربه!!

واحتار عمر بأمرهم، حتى سأل علياً عن قوله في ذلك. فقال الإمام:

(المرء إذا شرب سكر، وإذا سكر هذى، وإذا هذى افترى. وعقوبة المفتري ثمانون جلدة).

المبادىء التي سار عليها الإمام علي (ع) في قضائه..

لقد انتشرت أحكام الإمام علي كرم الله وجهه بين المسلمين في مشارق الأرض ومغاربها، حتى شاع قضاؤه، وعُممت فتاواه.. وأصبح فقههُ وأحكامه حجة يحتج بهما الناس كلهم حتى من غير المسلمين..

وكان رسول الله ﷺ في زمنه يقر حكمه، ويسند قضاءه حتى إنه كان يأمر صحابته بالأخذ بما كان يقضي به علي بن أبي طالب..

والإمام كان ينهج في إصدار أحكامه بمبادىء ثابتة سار عليها، وبدأها هو دون وجود سابقة لها.. نورد منها بعض الشواهد:

١ - هو أول مَنْ فَرّقَ بين الشهود عند الاستماع إلى شهادة كل واحد منهم بعيداً عن الشاهد الآخر، حتى يتأكد من صحة أقوالهم، ومطابقة شهاداتهم. وبالتالي يُفرق فيهم ما اتفقوا عليه كيداً، إن اتفقوا على ذلك مسبقاً..

وكذلك حتى لا يكون للشهود تأثير بعضهم على بعض في شهاداتهم.. ومنه أخذ المحققون ذلك..

ومن شواهد تفريق الشهود.. جاءت امرأة وادعت على يتيمة رباها زوجها، إن تلك البنت زنت في غيابه.. فسألها الإمام عن شهود لديها، فأتت بأربعة من جاراتها..

فطلب أولهن، وقال لها: إن لم تصدقي القول والشهادة فستنالين عقوبة شهادة الزور وهي الجلد في الدنيا، وعقوبة من الله في الآخرة. فخافت ذلك، وقالت:

والله ما فعلت تلك الفتاة فاحشة، إلا أن زوجة الرجل لمست فيها جمالاً فخافت أن يتزوجها زوجها.. فدعتنا فأمسكنا بالفتاة حتى افتضتها بإصبعها.

ثم استمع الإمام إلى شهادة بقية الشهود.. حيث أقررن ما اعترفت به أول شاهدة، بعد أن استعمل معهن ذات الطريقة التي بدأها مع الأولى. فقضى على المرأة حد القذف.. وألزم الرجل أن يطلقها... وزوجه الفتاة اليتيمة.

٢ ـ كان الإمام علي بقضائه لا يقر حبس المدين في الدين، وذلك بعد أن يتثبت من عجزه، وعدم قدرته في تسديد ما بذمته من دين.. أما في حالة مقدرة المدين رد ما للغير عنده وهو ممتنع عن ذلك.. عندها يتحقق عن أسباب الامتناع عن الوفاء للدين، فيقضي قضاءه حسب موضوع القضية وحالتها.

٣ ـ هو أول مَنْ منع بيع أدواة المدين المهنية لتسديد ما بذمة المدين من دين عليه لبيت المال.. لأن تلك الأدواة تديم له الاستمرارية في الكسب والحفاظ له بالعيش..

٤ ـ كما إنه كان يهتم كل الاهتمام بسماع أكبر عدد من الشهود تفصيلاً على مَنْ يُتهم، فلم يأخذ بظواهر الأمور بالرغم من ظهورها أمامه، حتى لا يوقع الحد أو العقوبة إلا بعد التحقق والاستقصاء بما ظهر من القضية التي ينظرها، وما بطن منها.. علماً كان الإمام يملك ذكاء خارقاً يمكنه من استقراء القلوب والأفكار وفراسة الوجوه، وتقصي فلتات اللسان وزلاته..

٥ ـ اهتم بالاستماع إلى شهود الدفاع، وكان يهيء للمتهم إحضار شهوده، وهو بريء أمامه حتى يثبت عليه جرمه..

وفي الوقت الحاضر هناك قاعدة قانونية تعمل بها المحاكم الجزائية وهي (المتهم بريء حتى تثبت إدانته).

استشار عمر علياً في رجل وامرأة مرَّ بهما عمر وهو يتفقد رعيته في دجى الليل، فوجد بينهما ما بين الرجل وزوجته..

وفي الصباح علم أنهما ليسا زوجين.. فأمر بأن يحدا، ولكن علياً قاله له: أجئت عليهما بأربعة شهود؟

فقال عمر: إنه هو الذي شهدهما وحده، فأفتاه علي كرم الله وجهه بأنه لا

يحق له أن يحكم بعلمه هو وحده، فعسى أن يكون قد شبه له، أو أخطأ. . فلا بد من الشهداء كما نص القرآن وجرت السُنة[1].

٦ ـ القوانين الوضعية الحديثة تقر بمسلمة قانونية تقول: (الجهل بالقانون ليس معذرة شرعية). . أي إنه مَنْ قام بعمل يحرمه القانون وهو جاهل بذلك التحريم، لا يُعفى من العقوبة. .

أما الإمام علي (ع)، فقد أفتى بدرءِ الحد أو العقوبة عمنْ لا يعلم بما عمله أنه حرام، بعد أن يتأكد من ذلك، لا سيما أن تعاليم الدين الإسلامي الحنيف كانت حديثة العهد، ومحدودة الانتشار نسبياً. .

سأل الإمام امرأة قيل عنها إنها زنت، فقالت بيسر: نعم يا أمير المؤمنين ثم أعادها عليها ثلاثاً، فأجابت بالإيجاب!

فقال الإمام: إنها لتستهل به استهلال مَنْ لا يعلم أنه حرام. . فأعلمها بحرمة الزنى في الدين. . ودرأ عنها عقوبة الزنا. .

٧ ـ كما كان الإمام لا يقر استكراه المتهم أو تعذيبه، وحتى أحياناً تهديده لكي يعترف بما أُتهم به. . ويعدُ الإقرار بالاستكراه باطلاً. كما اعتبر الاستكراه على عمل معصية، أو اقتراف ذنب ما، يجعل المُستكره على ذلك معفياً من الحد أو الجزاء. . بل أكثر من ذلك أقر بعقوبة مَنْ أكرهه. . فهذا الأخير يستحق العقوبة، ويُعفى منها الأول. .

٨ ـ والإمام أول من سجل شهادات الشهود، حتى لا تتبدل شهادة بإغراء من رشوة، أو تدليس من طمع، أو ميل من عاطفة. .

فكان بذلك مبتكراً من أعظم المبتكرين، لأن صيانة حقوق الناس من العبث والغش أثمن من حياة الناس نفسها. .

فجاءت الأجيال والأمم والحكومات والدول تسير على الأسلوب الذي رسمه الإمام[2].

---

(١) (علي إمام المتقين) عبد الرحمن الشرقاوي ج١ ص١٠٢.

(٢) (الإمام علي أسد الإسلام وقديسه) روكس العزيزي ص١٤٤.

٩ ـ واجتهد الإمام علي (ع)، بأن يبدأ الشهود برجم الزاني الذي شهدوا عليه بالزنا، فإن امتنعوا عن الرجم كانوا كاذبين في شهاداتهم، لأنهم لم يستطيعوا القيام بمهمة تنفيذ العقوبة في مَنْ شهدوا عليه. .

وذلك زيادة في التحقق من القضية التي تعرض أمامه، وتوسعاً منه في التحقيق حتى لا يقيم الحد على أحد إلا بعد أن يكون مقتنعاً بكون المتهم أمامه يستحق الجزاء دون أدنى شك أو تردد.

إن الله سيهدي لسانك. .

قال الإمام علي كرم الله وجهه:

«بعثني رسول الله ﷺ إلى اليمن قاضياً وأنا حديث السن. . فقلت: يا رسول الله تبعثني إلى قوم يكون بينهم أحداث ولا علم لي بالقضاء!».

فقال النبي ﷺ له:

«إن الله سيهدي لسانك، ويثبت قلبك» ثم وضع يده الشريفة على صدره. .

قال الإمام: **«بعدها ما شككت في قضاء بين اثنين»**[(١)].

جاء بعض العلماء من اليهود إلى الإمام علي في عهد الخليفة الثاني عمر بن الخطاب (رض) وقالوا له:

أخبرنا:

١ ـ عن إقفال السموات السبع ومفاتيحها. .

---

(١) رواه الحاكم في (مستدرك الصحيحين) ج٣ ص١٣٥.. النسائي في (خصائصه) ص١١. الإمام أحمد بن حنبل في (مسنده) ج١ ص٨٣ ـ ٨٨.. البيهقي في (سننه) ج١٠ ص٨٦ أبو نعيم في (حليته) ج٤ ص٣٨١.. ابن سعد في (طبقاته) ج٢ القسم الثاني ص١٠٠. ابن الأثير في (أسد الغابة) ج٤ ص٢٢.. المتقي في (كنز العمال) ج٦ ص١٥٨.. ابن ماجه في (صحيحه) باب القضاء ص١٦٨.. أبو داود في (صحيحه). . . الخطيب البغدادي في (تاريخ بغداد) ج١٢ ص٤٤٣.

٢ ـ وعن قبر سار بصاحبه . .

٣ ـ وعمن أنذر قومه ليس من الجن، ولا من الإنس . . .

٤ ـ وعن أرض طلعت عليها الشمس، ولم تعد إليها . .

٥ ـ وعن خمسة لم يخلقوا في الأرحام . .

٦ ـ وعن الواحد، الاثنين ، الثلاثة، الأربعة، الخمسة، الستة، السبعة، الثمانية، التسعة، العشرة، الحادي عشر، الثاني عشر . .

فكان جواب الإمام علي (ع) لهم هو:

١ ـ إقفال السموات: الشرك بالله . . ومفاتحيها: قول لا إله إلا الله.

٢ ـ القبر الذي سار بصاحبه: الحوت سار بالنبي يونس (ع) في بطنه.

٣ ـ الذي أنذر قومه ليس من الجن ولا من الإنس: نملة النبي سليمان بن داود (ع).

٤ ـ الأرض التي طلعت عليها الشمس ولم تعد إليها: هي أرض البحر التي طلعت عليها الشمس عندما فلق البحر موسى بعصاه، وغرق فرعون وأصحابه.

٥ ـ الخمسة الذين لم يخلقوا في الأرحام: فهم آدم . . حواء . . عصا موسى . . ناقة صالح . . وكبش إبراهيم.

٦ ـ الأعداد:

الواحد: الله واحد لا شريك له.

الاثنان: آدم وحواء.

الثلاثة: جبرائيل، ميكائيل، إسرافيل.

الأربعة: التوراة، الإنجيل، الزبور، القرآن.

الخمسة: الصلوت الخمس المفروضة على المسلمين.

الستة: قوله تعالى: ﴿وَلَقَدْ خَلَقْنَا ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا فِى سِتَّةِ أَيَّامٍ﴾ [سورة ق، الآية: ٣٨].

السبعة: قوله تعالى: ﴿وَبَنَيْنَا فَوْقَكُمْ سَبْعًا شِدَادًا﴾ [سورة النبأ، الآية: ١٢].

الثمانية: قوله تعالى: ﴿وَيَحْمِلُ عَرْشَ رَبِّكَ فَوْقَهُمْ يَوْمَئِذٍ ثَمَانِيَةٌ﴾ [سورة الحاقة، الآية: ١٧].

التسعة: الآيات المنزلات على النبي موسى (ع).

العشرة: قوله تعالى: ﴿وَوَاعَدْنَا مُوسَىٰ ثَلَاثِينَ لَيْلَةً وَأَتْمَمْنَاهَا بِعَشْرٍ﴾ [سورة الأعراف، الآية: ١٤٢].

الحادي عشر: قوله تعالى بلسان يوسف (ع) ﴿إِنِّي رَأَيْتُ أَحَدَ عَشَرَ كَوْكَبًا﴾ [سورة يوسف، الآية: ٤].

الثاني عشر: قوله تعالى:

﴿فَقُلْنَا اضْرِب بِّعَصَاكَ الْحَجَرَ فَانفَجَرَتْ مِنْهُ اثْنَتَا عَشْرَةَ عَيْنًا﴾ [سورة البقرة، الآية: ٦٠].

.. ورد في مناقب آل أبي طالب، إن ابن الكواء سأل الإمام بعض الأسئلة المحددة المختصرة. أجابه الإمام عنها بنفس الصيغة: سأله.

ـ ما طعم الماء؟ أجابه: طعم الحياة.

ـ كم بين المشرق والمغرب؟ ـ مسيرة يوم للشمس.

ـ إنسان يأكل ولا يتغوط؟ ـ الجنين.

ـ شيء شرب وهو حي، وأكل وهو ميت؟ ـ عصا موسى لأنها شربت من شجرتها وهي غضة، وأكلت حبال وعصي السحرة وهي عصا.

ـ عن بقعة علت على الماء في أيام طوفان نوح؟

أجابه: موضع الكعبة لأنها كانت ربوة.

ـ وعن مكذوب عليه ليس من الجن ولا من الإنس؟

أجابه: الذئب الذي ورد في (سورة يوسف) إذ كذب عليه أخوة يوسف حينما أخبروا والدهم بأنه أكل الذئب.

- عمن أوصي إليه ليس من الإنس، ولا من الجن؟

أجابه: قوله تعالى: ﴿وَأَوْحَىٰ رَبُّكَ إِلَى ٱلنَّحْلِ﴾ [سورة النحل، الآية: ٦٨].

- وعن أطهر بقعة لا تجوز الصلاة عليها؟ أجابه: سطح الكعبة.

- عن نفس في نفس ليس بينهما علاقة ولا رحم؟

أجابه: يونس في بطن الحوت.

١٤ رأى وسمع ما لم يرَ وما لم يسمع غيره

من روائع خطب الإمام علي (ع) خطبة تسمى (القاصعة).. يصف في بعض جوانبها موضعه من رسول الله ﷺ.. قال فيها:

«... وقد كان يُجَاوِرُ في كُلِّ سَنَةٍ بِحَراءَ فَأَراهُ ولا يَرَاهُ غَيري. ولم يَجْمعْ بيتٌ واحدٌ يومئذٍ في الإسلامِ غيرَ رسُولِ الله ﷺ وخَديجَة وأنا ثَالِثُهُما.

أرى نُورَ الوَحيِ والرِّسالةِ، وأَشُمُّ رِيحَ النُّبوّةِ.. ولقد سَمِعتُ رَنَّةَ الشَّيطانِ حينَ نَزَلَ الوَحيُ عليهِ صلى الله عليه وآلهِ.

فقلتُ يا رسول الله ما هذهِ الرنَّةُ؟

فقال هذا الشيطانُ أَيِسَ من عِبادتِهِ. إنكَ تَسْمعُ ما أَسمَعُ، وترى ما أرىٰ إلا أنّكَ لستَ بِنَبيٍ، ولكِنّكَ وَزِيرٌ، وإنَّكَ لَعلَىٰ خيرٍ»[1].

روى الإمام أبو عبد الله أحمد بن حنبل في مسنده عن علي بن أبي طالب (ع) قال: كنت مع رسول الله ﷺ صبيحة الليلة التي أسريَ به فيها، وهو بالحجر يصلي، فلما قضى صلاته وقضيت صلاتي، سمعت رنة شديدة، فقلت: يا رسول الله ما هذه الرنة؟

قال: ألا تعلم! هذه رنة الشيطان، علم إني أسري بي الليلة إلى السماء، فأيس من أن يُعبدَ في هذه الأرض[2].

---

(١) (نهج البلاغة) شرح الشيخ محمد عبده ج٢ ص١٥٧.

(٢) (حجيج النهج) د. سعيد السامرائي ص٢٤٣.

وروى عن جعفر بن محمد الصادق، قال:

(كان علي (ع) يرى مع رسول الله ﷺ قبل الرسالة الضوء، ويسمع الصوت، وقال له ﷺ:

«لولا إني خاتم الأنبياء لكنت شريكاً في النبوة.. فإن لا تكن نبياً فإنك وصي نبي ووارثه، بل أنت سيد الأوصياء وإمام الأتقياء»[1].

ذكر الأستاذ محمد رضا:

إن علياً رُبِّيَ في بيت النبوة، وكان أسبق الناس إلى الإسلام ونشأ وقد أُشربت روحه بتعاليمه، وشب على الصلاح، «ورأى الوحي ينزل على رسول الله»...

فكان من كُتابه، لكن لم يبلغنا متى وكيف وممن تعلم القراءة والكتابة، وهو الذي كتب بخطه ما أملاه عليه رسول الله ﷺ من صلح الحديبية[2]..

قال الإمام علي (ع) عن تجهيزه لجثمان النبي ﷺ الطاهر، عندما فاضت روحه الشريفة، قال:

«... ولقد وَليتُ غَسلَهُ ﷺ والملائِكةُ أعواني، فَضَجَّتِ الدارُ والأفنيةُ، مَلأٌ يهبطُ وَمَلأٌ يعرُجُ وما فارقَتْ سَمعي هَينَمَةٌ. منهم يُصلونَ عليه. حتى واريناهُ في ضَريحِهِ..».

وقوله هذا شاهد آخر من شواهد رؤيته لما لم يستطع غيره من مشاهدة وسماع ما شهده وسَمعهُ، في الوقت الذي كان عدد من الصحابة حاضراً عند قيامه بغسل جثمان رسول الله ﷺ الشريف...

لم يذكر المؤرخون في كتب التاريخ، ولا رواة السيرة النبوية غير الإمام علي بن أبي طالب كرم الله وجهه مَنْ رأى نزول الوحي على رسول الله ﷺ أو سمع ضجيج الشيطان وصوته.. أو رأى الملائكة تهبط وتصلي على رسول الله ﷺ وهو مسجى..

وقد نزل الوحي على النبي ﷺ في بعض الحالات والمواقف، وكان معه

---

(١) (حجيج النهج) د. سعيد السامرائي.

(٢) (الإمام علي بن أبي طالب رابع الخلفاء الراشدين) ص٣٠.

بعض صحابته.. إلا أنه لم ير، أو يسمع أي واحد منهم، كما لم يشهد النزول أو التبليغ لما أراد الله سبحانه وتعالى تبليغ رسوله به..

لكن الإمام هو وحده الذي سمع ورأى بعد رسول الله ﷺ دون غيره، وهذا يعني أنه نال شرف الاطلاع على بعض المعجزات والخوارق الإلهية التي خص بها الخالق سبحانه وتعالى أنبياءه ورسله دون غيرهم من المخلوقين..

وذلك استناداً لما تقدم ذكره.. ونحن نرى أن لا نتوسع كثيراً في الموضوع الشائك التفاصيل ذاته، المختلف فيه بمختلف وجهات النظر والتصور!!

لذا مررنا عليه مرَّ الكرام، ومن خلال زاوية محصورة بما ورد عن الإمام من خطب وأقوال، حتى لا نُحيد عن الواقعية التي يعيشها الإنسان السوي ضمن ما يراه ملموساً، ودون الابتعاد عن مدى رؤيته إلى ما وراء التصور، ومن ثم الوصول به إلى حدود المعجزات والخوارق!!

وهنا تترى التساؤلات:

لماذا اختصه الله سبحانه وتعالى وحده لسماع ورؤية ذلك بعد نبيه ﷺ!!!

والجواب في الآية الكريمة التالية:

﴿إِنَّمَا وَلِيُّكُمُ ٱللَّهُ وَرَسُولُهُۥ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ٱلَّذِينَ يُقِيمُونَ ٱلصَّلَوٰةَ وَيُؤْتُونَ ٱلزَّكَوٰةَ وَهُمْ رَٰكِعُونَ﴾ [سورة المائدة، الآية: ٥٥].

كما أن الله ليس على مشيئته قيود أو حدود.. وهو يفعل ما يشاء ويختار..

ومن هنا فإنه قد يختار عبداً من عباده يؤتيه علماً لم يؤته لأحد من رسله..

وهذا فضل الله سبحانه وتعالى يؤتيه من يشاء.. ومشيئة الله ليس عليها قيود.. وليس لها حدود(١)..

.. تلك هي لعمري من أبرز ما برز من فضائله.. ومن أجلّ جليل خصائصه. فهو (رباني هذه الأمة) كما قالها الإمام المعتزلي الحسن البصري..

وهو (ربيب الوحي) كما ذكر الأستاذ خالد محمد خالد.. وهو (سابق المسلمين)..

---

(١) (من فيض الرحمن في معجزة القرآن) الشيخ محمد متولي الشعراوي ص٧.

١٥ أقواله في ذكر الوصية بمواقف مختلفة

ورد عن الإمام علي (ع) في نهج البلاغة، خطب وأقوال ذكر فيها مكانته من الخلافة، وموقعه منها.. وذلك بمواقف ومناسبات مختلفة ومتباعدة.. وسنورد منها ما تيسر لنا نقله من النهج كما ورد فيه.

ومن أهمها وأروعها خطبته المشهورة، المعروفة بـ (الشقشقية) لقوله فيها إنها شقشقة هدرت ثم قرت!

ولأهميتها سنذكرها كلها، ولو أنه ذكر فيها محله منها ابتداء من أول الخلافة إلى أول خلافته..

(مما يعني استباق لتسلسل مواضيعنا، لأننا لا زلنا معه في أول الخلافة، ولم نصل بعد إلى خلافته).

يقول الإمام:

«أما والله لَقَدْ تَقَمَّصها[(١)] ابن أبي قحافة، وإِنَّهُ لَيَعْلَمُ أَنَّ مَحَلِّي مِنها مَحَلُّ القُطْبِ مِنَ الرَّحَىٰ، يَنْحدِرُ عَنِّي السَّيْلُ، ولا يَرْقَىٰ إليَّ الطَّيْرُ[(٢)]، فَسَدَلْتُ دُونَها ثَوباً[(٣)]، وطويتُ عنها كَشْحاً[(٤)]. وطَفِقْتُ[(٥)] أَرْتَإِي بَينَ

(١) الضمير يرجع إلى الخلافة جعلها كالقميص.

(٢) تمثيل لسمو قدره وقربه من مهبط الوحي، وإن ما يصل إلى غيره من فيض الفضل، فإنما يتدفق من حوضه ثم ينحدر عن مقامه العالي فيصيب منه من شاء الله.. وقوله لا يرقى، أبلغ من الأولى في الدلالة على الرفعة.

(٣) سدل الثوب: أرخاه، أي إنه غض نظره عنها.

(٤) مال عنها.

(٥) بيان لعلة وسبب الأغضاء.

أَصُولَ بِيَدٍ جَذَّاءَ[١]، أَو أَصْبِرَ على طِخْيَةٍ[٢] عَمْيَاءَ[٣]، يَهْرَمُ فِيها الكَبِيرُ، وَيَشِيبُ فيها الصَّغيرُ، وَيَكدَحُ فيها مُؤمِنٌ حَتىٰ يَلقىٰ رَبَّهُ. فَرأَيتُ أَنَّ الصَّبرَ على هَاتا أَحجَىٰ[٤]، فَصَبَرتُ وفي العَينِ قَذًى، وفي الحلقِ شَجاً[٥] أرىٰ تُراثي نَهباً[٦]..

حتى مضىٰ الأول لِسَبيلِهِ، فأدلىٰ بها إلى فُلانٍ بَعدهُ[٧]، فَيا عَجَباً بَيْنَا هو يَستقيلُها في حياتِهِ[٨] إذ عَقَدهَا لآخَرَ بعدَ وَفاتِهِ لشَدَّ ما تَشَطَّرَا[٩] ضَرعَيها فَصَيَّرهَا في حَوزَةٍ خَشناءَ يَغلُظُ كُلامُهَا وَيخشُنُ مَسُّهَا[١٠]، وَيَكثُرُ العِثَارُ فيها، والاعتِذارُ منها. فَصَاحِبُها كراكِبِ الصَّعبَةِ إِنْ أَشنَقَ لها خَرَمَ وإِنْ أَسْلَسَ لها تَقَحَّمَ[١١] فَمُنِيَ النَّاسُ لَعَمْرُ الله بِخَبْطٍ وَشِمَاسٍ[١٢] وتلونٍ[١٣] واعتراضٍ[١٤].

---

(١) جذاء: مقطوعة، أي إنه تفكر بالأمر فوجد الصبر أولى حيث قال: (فسدلت دونها ثوباً وطويت عناه كشحاً).

(٢) ظلمة.

(٣) العمى هنا مجاز عقلي، وإنما يعمى القائمون فيها، إذ لا يهتدون إلى الحق وهو تأكيد لظلام الحال واسودادها.

(٤) أقرب إلى العقل أي رأى الصبر على هذه الحالة أولى بالعقل.

(٥) ما اعترض في الحلق من عظم ونحوه

(٦) تراثي: ميراثي.

(٧) ألقى بها إليها.

(٨) في رواية أن أبا بكر قال بعد البيعة (أقيلوني فلست بخيركم).

(٩) يقال لناقة في ضرعها شطرين، والشطر أي إن تحلب الناقة شطراً وتترك شطراً، وتشطرا أي أخذ كل منهما شطراً، أي إن مَنْ ولى الخلافة لا ينال الأمر إلا تاماً ولا يجوز أن يترك منه لغيره سهماً، وكأن أحدهما ترك شيئاً للآخر، وأطلق على كل شطر اسم الضرع نظرا لحقيقة ما نال كل منهما.

(١٠) الكُلام: الأرض الغليظة، وفي نسخة كلمها بمعنى الجرح، أي خشونتها تجرح جرحاً غليظاً.

(١١) الصعبة من الأبل ما لسيت بذلول. وراكب الصعبة إما أن يشنقها فيخرم أنفسها وأما أن يسلس لها فترمي به في مهواة تكون فيه هلكته.

(١٢) منى الناس: ابتلوا وأصيبوا. والشماس: إباء ظهر الفرس عن الركوب والنفار. والخبط: السير على غير جادة.

(١٣) التلون: التبدل.

(١٤) السير على غير خط مستقيم.

فَصبرتُ على طُولِ المُدَّةِ وشِدَّةِ المِحنَةِ. حتى إذا مضى لِسبيلِه، جَعَلَها في جَماعةٍ زَعَمَ أنّي أحَدُهُمْ، فَيَاللهِ ولِلشُّورَىٰ متى اعترَضَ الرَّيْبُ فِيَّ مع الأولِ منهم حتى صرتُ أُقْرَنُ إلى هذه النَّظائرِ[1] لكني أَسْفَفْتُ إذ أَسَفّوا[2] وطرتُ إذ طَارُوا فَصَغَىٰ[3] رَجُلٌ منهم لِضِغْنِهِ[4]، ومَالَ الآخرُ لِصِهرِهِ[5] مع هِنٍ وهَنٍ[6] إلى أنْ قَامَ ثالثُ[7] القومِ نافِجاً حِضنيهِ[8] بين نَثِيلِهِ ومُعْتَلَفِهِ[9].

وقامَ معه بنو أبيهِ يَخْضِمُونَ[10] مالَ الله خَضمةَ الإبلِ نِبْتَةَ الرَّبيعِ إلى أن أنْتَكَثَ فَتلُهُ، وأجهَزَ عليهِ عملُهُ[11]، وكَبَتْ[12] بهِ بِطنَتُهُ[13].

فما راعني إلا والناسُ كَعُرفِ الضَّبعِ إليَّ يَنثالُونَ[14] عليَّ من كلِّ جانبٍ حتى لقد وُطِىءَ الحَسَنَانِ[15] وَشُقَّ عِطفايَ[16] مُجتمعينَ حَولي كَرَبِيضَةِ الغَنَمِ[17].

---

(١) المشابه بعضهم بعضاً دونه.
(٢) أسف الطائر: دنا من الأرض يريد أن يخالفهم في شيء.
(٣) صغى: مالَ.
(٤) الضغن: الضغينة يشير إلى سعد بن أبي وقاص.
(٥) يشير إلى عبد الرحمن بن عوف.
(٦) يشير إلى أغراض أخرى يكره ذكرها.
(٧) يشير إلى عثمان بن عفان وكان ثالثاً بعد انضمام كل من طلحة والزبير وسعد إلى صاحبه.
(٨) نافجاً: رافعاً. والحضن: ما بين الإبط والكشح، ويقال للمتكبر أو لمن امتلأ بطنه طعاماً.
(٩) النثيل: الروث. المعتلف: من مادة علف موضع العلف وهو معروف، أي لا هم له إلا ما ذكر.
(١٠) الخضم: الأكل بأقسى الأضراس أو ملىء الفم بالمأكول.
(١١) أجهز عليه عمله. تقول أجهزت على الجريح.
(١٢) كبت به من كبا الجواد إذا سقط لوجهه.
(١٣) البطر والتخمة والإسراف بالشبع.
(١٤) عرف الضبع: ما كثر على عنقها من الشعر وهو ثخين. ويضرب به المثل في الكثرة والازدحام ينثالون: يتتابعون مزدحمين.
(١٥) ولداه الحسن والحسين.
(١٦) العطاف: الرداء. وكان هذا الازدحام لأجل البيعة على الخلافة.
(١٧) الطائفة الرابضة من الغنم، يصف ازدحامهم حوله وجثومهم بين يديه.

فلما نَهضتُ بالأمرِ نَكثتْ[١] طائفةٌ ومَرَقتْ[٢] أُخرىٰ وقَسَطَ[٣] آخرونَ، كأنّهمْ لَمْ يَسمَعُوا كَلامَ الله حيثُ يقولُ:

﴿تِلْكَ ٱلدَّارُ ٱلْآخِرَةُ نَجْعَلُهَا لِلَّذِينَ لَا يُرِيدُونَ عُلُوًّا فِى ٱلْأَرْضِ وَلَا فَسَادًا وَٱلْعَٰقِبَةُ لِلْمُتَّقِينَ﴾ [سورة القصص، الآية: ٨٣].

بلى والله لقد سَمِعُوها وَوَعَوْها. ولكنهم حَلِيَتِ الدُنيا في أَعيُنِهم[٤] وراقَهم زِبرِجُها[٥]. أما والذي فَلَقَ الحبّة، وبَرَأَ[٦] النَسَمَةَ[٧] لولا حُضُورُ الحاضِرِ[٨] وقيام الحُجّةِ بِوُجُودِ الناصِرِ[٩]. وما أَخَذَ الله على العُلماء أَنْ لا يُقارُوا على كِظَّةِ[١٠] ظالِم ولا سَغبِ مَظْلُوم. لاَلقَيتُ حَبْلَها على غَارِبِهَا[١١]، ولَسَقَيتُ آخِرَها بِكأسِ أولها. ولأَلْفَيْتُمْ دُنياكُمْ هذه أَزْهَدَ عندي من عَفْطَةِ عَنزٍ[١٢]. . .».

وهنا قام إليه رجل من أهل السواد[١٣] عند بلوغه إلى هذا الموضع من خطبته، فناوله كتاباً فأقبل ينظر فيه. .

---

(١) أصحاب الجمل.
(٢) أصحاب النهروان.
(٣) الجائرون أصحاب صفين.
(٤) حليت الدنيا من حليت المرأة إذاتزينت بحليها.
(٥) الزينة من وشى أو جوهر.
(٦) خلق.
(٧) النسمة: محركة الروح.
(٨) من حضر لبيعته ولزوم البيعة لذمة الإمام بحضوره.
(٩) الناصر: الجيش الذي يستعين به على إلزام الخارجين بالدخول في البيعة الصحيحة.
(١٠) الكظة: ما يعتري الآكل من امتلاء البطن. والمراد استئثار الظالم بالحقوق. والسغب: شدة الجوع، والمراد منه هضم حقوقه.
(١١) الغارب: الكاهل، والكلام تمثيل للترك وإرسال الأمر.
(١٢) ما تنثره من أنفها. غير أن أكثر ما يستعمل ذلك في النعجة والأشهر في العنز. يقال: ما له عافط ولا نافط، أي نعجة ولا عنز.
(١٣) السواد: العراق، وسمي سواداًلخضرته بالزرع والأشجار. والعرب تسمى الأخضر أسود.

قال له ابن عباس (رض):

يا أمير المؤمنين لو أطردت خطبتك من حيث أفضيت..

فقال:

«هيهاتَ يا ابن عباسٍ تلكَ شِقْشِقَةٌ[1] هَدَرت ثُمّ قَرّتْ»!!

قال ابن عباس: فوالله ما أسفتُ على كلامٍ قط كأَسَفي على هذا الكلام..

كما نقتبس من خطبة للإمام عند عودته من صفين، يقول فيها كرم الله وجهه:

«.. لا يُقاسُ بآلِ مُحمدٍ ﷺ من هذه الأُمّةِ أَحَدٌ ولا يُسَوّى بهم مَنْ جَرَتْ نِعمتُهُمْ عليه أبداً. هم أَسَاسُ الدينِ، وعمادُ اليقينِ. إليهمْ يَفيءُ الغَالي وبهم يُلحَقُ التّالي. ولهم خَصَائِصُ حَقِّ الولايةِ، وفيهم الوَصِّيةُ والوِراثةُ. الآن إذْ رجعَ الحقُّ إلى أَهلِهِ وَنُقِلَ إلى مُنتَقَلِهِ».

كما قال الإمام علي (ع):

«إنّ أولىٰ النّاسِ بالأَنبياءِ أَعلَمُهُم بما جَاؤُوا بِهِ..».

وقال:

«إنّ الأَئمة من قريش غرسوا في هذا البطن من هاشم لا تصلح على سواهم، ولا تصلح الولاة في غيرهم..».

كما قال:

«.. فَوَالله ما زِلتُ مَدفوعاً عن حَقّي مُستَأْثَراً عليّ مُنْذُ قَبَضَ الله نَبِيّهُ ﷺ حتى يَومِ النّاسِ هذا».

وقال (ع) من خطبة له ذكرها جعفر بن محمد عن آبائه، ونقلها عنه أبو عبيدة ورواها أبو عثمان:

---

(١) الشقشقة: شيء كالرئة يخرجه البعير من فيه إذا هاج، وصوت البعير بها عند إخراجها هدير، ونسبة الهدير إليها نسبة الآلة، قال في القاموس: والخطبة الشقشقة العلوية، وهي هذه.

«إلا أن أبرار عترتي، وأطايب أرومتي، أحلم الناس صغاراً، وأعلم الناس كباراً. ألا وإنا أهل بيت من علم الله علمنا وبحكم الله حَكَمْنا، ومن قولٍ صادق سَمِعْنَا، فإن تتبعوا آثارنا تهتدوا ببصائرنا، وإن لم تفعلوا يُهلككُم الله بأيدينا. ومعنا رايةُ الحق، مَنْ تبعها لَحِق، ومَنْ تأخر عنها غَرِق.

إلا وبنا يُدركُ تِرَةُ كل مؤمن، وبنا تخلع رِبقة الذل عن أعناقكم، وبنا فُتح لا بكم، ومنا يختم لا بِكُم»[1].

رُوي عن نوفِ البكاليّ، قال:

خطبنا هذه الخطبة بالكوفة أمير المؤمنين عليه السلام، وهو قائم على حجارة نصبها له (جَعْدَةُ بن هُبيرةَ)[2]، وعليه مدرعةٌ من صوف[3]، وحمائل سيفه ليفٌ، وفي رجليه نعلان من ليفٍ، وكأن جبينهُ ثَفِنَةُ[4] بعيرٍ، فقال عليه السلام: (منها)..

«أيها الناس إني قد بثثتُ لكم المواعِظَ التي وَعَظَ الأنبياءُ بها أُمَمَهُمْ وأَدَّيتُ إليكُمْ ما أدَّتِ الأوصياءُ إلى مَنْ بَعْدَهُمْ..».

وفي خطبته عليه السلام تسمى (القاصعة)، ذكر فيها أن رسول الله ﷺ قال له:

«.. إنَّكَ تَسْمَعُ ما أَسْمَعُ وترى ما أرى إلا أنَّكَ لَسْتَ بِنَبِيّ. ولكنَّكَ وزيرٌ وإنَّكَ لَعلىٰ خيرٍ..» وقد مر علينا ذكر هذا القول في الموضوع السابق..

وقال الإمام بعد أن تولى خلافة المسلمين:

«.. ولقد مات رسول الله ﷺ، وما أرى أحداً أحق بهذا الأمر

---

(١) (حجج النهج) د. سعيد السامرائي ص٩٧.

(٢) هو ابن أخت أمير المؤمنين، وأمه أم هانيء بنت أبي طالب، كان فارساً مقداماً وفقيهاً.

(٣) المدرعة: ثوب يُعرف عند بعض العامة بالدراعية. وهو قميص ضيق الأكمام صنع من صوف.

(٤) الثفنة: ما يمس الأرض من البعير عند البروك، ويكون فيه غلظ من ملامسته للأرض. وكذلك كان في جبين الإمام من كثرة السجود.

مني. . فبايع الناس أبا بكر الصديق فبايعته. .

ثم إن أبا بكر انتقل إلى رحمة الله، وما أرى أحداً أحق بهذا الأمر مني. . فبايع الناس عمر فبايعته. .

ثم إن عمر انتقل إلى رحمة الله، وما أرى أحداً أحق بهذا الأمر مني. . فجعلني سهماً من ستة أسهم. .

فبايع الناسُ عثمان فبايعته. . ثم سار الناس إلى عثمان فقتلوه. . وبايعوني طائعين غير مكرهين.»[1].

كان ذلك سرداً موجزاً لما ورد للوصية أو الولاية في أقواله، وسنأتي إلى غيرها من خطب وأقوال ذكر فيها حقه في الوصاية والولاية في المواضيع القادمة الأخرى إن شاء الله. .

(١) (حياة الإمام علي) محمود شلبي ص٤١٣.

١٦ الوصاية في الشعر

الشعر في صدر الدولة الإسلامية خصَّ الوصاية حيزاً لا يستهان به.. وكثيراً ما قاله الشعراء المسلمون لاسيما بعد وفاة قائدهم الأعظم ﷺ قولاً سطروه في أبيات شعرهم مدحوا فيه الإمام علياً، وأقروا له بالولاية والوصاية..

وبالرغم من ذكرهم المدح لبقية الخلفاء والصحابة ولجل آل بيت رسول الله ﷺ، إلا أنه لم يرد في شعر أحدهم مَنْ ينسب أو يقر بالوصاية لهم، وأعني لغير علي بن أبي طالب الذي كان شعر الوصاية له فقط دون غيره من الصحابة والقرابة. وهذا ما يستدل منه وجود الوصاية له، بالرغم من الاختلاف فيها..

أي هناك وصية له، ومن تلك الوصية جعل الشعراء من أشعارهم مادة لها.. فإن لم تكن لم يكن ذلك الشعر.. شعر الوصاية، إن صحت التسمية. وإن كانت لغيره، لقال الشعراء في غيره ذلك النوع من الشعر.. وهذا ما لم نجد له أي أثر ولا سابقة..

ونحن نُورد ما ورد في الوصاية للإمام علي من شعر الشعراء على اختلاف مواقعهم من الموالاة له أو عدمها.. أو من محبتهم له أو كرههم له وحقدهم عليه.. وأولهم أحد قادة الفئة الباغية... عمرو بن العاص الذي قال في قصيده التي أرسلهاإلى معاوية بن أبي سفيان:

وكم قد سمعنا من المصطفى ... وصايا مخصصة في علي
وفي يوم (خم) رقى منبراً ... يبلغ والركب لم يرحلِ
وفي كفهِ كفهُ مُعلناً ... ينادي بأمر العزيز العلي
ألست بكم منكم في النفوس ... بأولى؟ فقالوا بلى فافعل

فانحله أمره المؤمنين من الله مستخلف المنحلِ
وقال: فمن كنت مولى له فهذا له اليوم نعم الولي
فوال مواليه يا ذا الجلال وعاد معادي أخ المرسلِ[1]

وقال يوم الجمل شاعر من معسكر أعداء الإمام علي:

نحن بنو ضبة أعداء علي ذاك الذي يعرف قدماً بالوصي
وفارس الخيل على عهد النبي ما أنا عن فضل علي بالعمي
لكنني أنعي ابن عفان التقي

وأنشد رجل من الأزد يوم الجمل:

هذا علي وهو الوصي أخاه يوم النجوة النبي
وقال هذا بعدي الولي وعاه واعٍ ونسى الشقي

وفي يوم الجمل أيضاً قال سعيد بن قيس الهمداني:

أية حرب أضرمت نيرانها وكسرت يوم الوغى مرانها
قل للوصي أقبلت قحطانها فادع بها تكفيكها همدانها
هم بنوها وهم أخوانها

وفي ذلك اليوم، قال زياد بن لبيد الإنصاري:

كيف ترى الأنصار في يوم الكلب إنا أناس لا نبالي من عطب
ولا نبالي في الوصي من غضب وإنما الأنصار جد لا لعب
هذا علي وابن عبد المطلب ننصره اليوم على مَنْ قد كذب
مَنْ يكسب البغي فبئس ما اكتسب

وقال زجر بن قيس الجعفي يوم الجمل أيضاً:

أضربكم حتى تقروا لعلي خير قريش كلها بعد النبي
مَنْ زانه الله وسماه الوصي

أما حجر بن عدي الكندي، فقد قال:

يا ربنا سلم لنا عليا سلم لنا المبارك المضيا

---

(١) (قلائد الخرائد في أصول العقائد) معز الدين القزويني ص١٠٠.

المؤمن الموحد التقيا	لا خطل الرأي ولا غويا
بل هادياً موفقاً مهديا	واحفظه ربي واحفظ النبيا
فيه فقد كان له وليا	ثم ارتضاه بعده وصيا

وقال أبو الطيب المتنبي في الوصي:

وتركت مدحي للوصي تعمدا	إذ كان نوراً مستطيلاً شاملاً
وإذا استطال الشيء قام بنفسه	وصفات ضوء الشمس تذهب باطلا

وقال المتنبي في مدح الحسن بن الإمام علي:

هو ابن رسول الله وابن وصيه	وشبههما شبهت بعد التجارب

وقال أبو تمام واصفاً الإمام:

ومن قبله أحلفتم لوصيه	بداهية دهياء ليس لها قدر
فجئتم بها بكراً عواناً ولم يكن	لها قبلها مثلاً عوان ولا بكر
أخوه إذا عد الفخار وصهره	فلا مثله أخ ولا مثله صهر
وشد به أزر النبي محمد	كما شد من موسى بها رونه الأزر

وقال عبد الله بن أبي سفيان بن الحارث بن عبد المطلب:

ومنا علي ذاك صاحب خيبر	وصاحب بدر يوم سالت كتائبه
وصي النبي المصطفى وابن عمه	فمن ذا يدانيه ومن ذا يقاربه

وقال أيضاً:

إن ولي الأمر بعد محمد	علي وفي كل المواطن صاحبه
وصي رسول الله حقاً وصنوه	وأول مَنْ صلى ومَنْ لان جانبه

وقال عبد الرحمن بن جعيل، إذ بايع الناس الإمام علي:

لعمري لقد بايعتم ذا حفيظة	على الدين معروف العفاف موفقا
علياً وصي المصطفى وابن عمه	وأول مَنْ صلى أخا الدين والتقى

وقال جرير بن عبد الله البجلي:

وصي رسول الله من دون أهله	وفارسه الحامي به يضرب المثل

وقال الأشعث بن قيس الكندي:

أتانا الرسول رسول الإمام	فسر بمقدمه المسلمونا

رسول الوصي وصي النبي   له السبق والفضل في المؤمنينا

وقال أبو الأسود الدؤلي:

أحب محمداً حباً شديداً   وعباساً وحمزةَ والوصيا

أما حسان بن ثابت، شاعر الإسلام، فقد قال:

حفظت رسول الله فينا وعهده   إليك ومن أولى به منك مَنْ ومَنْ
ألست أخاه في الهدى ووصيه   وأعلم منهم بالكتاب وبالسنن؟

وقال النعمان بن العجلان، وهو أحد سادة الأنصار:

وكان هواناً في علي وإنه   لأهل لها من حيث تدري ولا تدري
فذاك بعون الله يدعو إلى الهدى   وينهى عن الفحشاء والبغي والنكرِ
وصي النبي المصطفى وابن عمه   وقاتل فرسان الضلالة والكفرِ

وقال الإمام البوصيري في همزيته العصماء:

وزير ابن عمه في المعالي   ومن الأهل تسعد الوزراء
لم يزده كشف الغطاء يقيناً   بل هو الشمس ما عليه غطاء

وقال الفضل بن العباس:

ألا أن خير الناس بعد نبيهم   وصي النبي المصطفى عند ذي ذكر
وأول من صلى وصنو نبيه   وأول من أردى الغواة لدى بدر

وقالت أم سنان بنت خيثمة بن خرشة المذحجية من أبيات تخاطب فيها الإمام:

قد كنت بعد محمد خلفاً لنا   أوصى إليك بنا فكنت وفيا

وقال زجر بن قيس يوم صفين:

فصلى الإله على أحمد   رسول المليك تمام النعم
رسول المليك ومن بعده   خليفتنا القائم المدعم
علياً عنيت وصي النبي   يجالد عنه غواة الأمم

وقال بن قيس:

نحن منا النبي أحمد والصد   يق منا التقي والحكماء
وعلي وجعفر ذو الجنا   حين هناك الوصي والشهداء

وقال النعمان بن العجلان الزرقي الأنصاري في صفين أيضاً:

كيف التفرق والوصي إمامنا ... لا كيف إلا حيرة وتخاذلا
فذروا معاوية الغوي وتابعوا ... دين الوصي لتحمدوه آجلاً

وقال زفر بن حذيفة الأسدي:

فحوطوا علياً وانصروه فإنه ... وصي في الإسلام أول أول

وقال سعيد بن قيس الهمداني يرتجز بصفين:

هذا عليٌ وابن عم المصطفى ... أول مَنْ أجابه فيما روى
هو الإمام لا يبالي مَنْ غوى

وقال أبو نصر بن نباته:

وأبوك الوصي من شا ... د منار الهدى وصام وصلى
نشرت حبله قريش فأعطته ... إلى صُبحة القيامة فتلا

وقال كثير عزة (كثير بن عبد الرحمن بن الأسود بن عامر الخزاعي):

وصي النبي المصطفى وابن عمه ... وفكاك أعناق وقاضي مغارم

وقال حبر الأمة عبد الله بن عباس بن عبد المطلب:

وصي رسول الله من دون أهله ... وفارسه إن قيل هل من مُنازلِ
فدونكه إن كنت تبغي مهاجراً ... أشمّ كنصل السيف غَيْرَ حَلاحِلِ

وقال أبو الهيثم بن التيهان (وكان بدرياً):

وصي رسول الله من دون أهله ... وفارسه مذ كان في سالف الزمن

وقال أيضاً:

كنا شعار نبينا ودثاره ... يفديه منا الروح والأبصارُ
إن الوصي إمامنا ولينا ... بَرَحَ الخفاءُ وباحت الأسرارُ

وقال خزيمة بن ثابت الأنصاري (ذو الشهادتين) وكان بدرياً:

ليس بين الأنصار في جحمةِ الحر ... ب وبين العُداة إلا الطعانُ
وقراع الكُماةِ بالقُضُبِ البيـ ... ـضِ إذا ما تحطم المُرانُ
فادعها تستجب فليس من الخز ... رج والأوس يا علي جبانُ
يا وصي النبي قد أجّجت الحر ... بُ الأعادي وسارت الأضعانُ

وقال من أبيات أنشأها يوم الجمل:

أعائش خلي عن علي وعيبه ... بما ليس فيه إنما أنت والده

وصي رسول الله من دون أهله ... وأنت على ما كان من ذاك شاهده

وقال المغيرة بن الحارث بن عبد المطلب:

هذا وصي رسول الله قائدكم ... وصهره وكتاب الله قد نشرا

وقال عبد الرحمن بن ذؤيب الأسلمي من أبيات يهدد فيها معاوية بجنود العراق:

يقودهم الوصي إليك حتى ... يردك عن ظلال وارتياب

وقال الكميت بن زيد:

والوصي الولي والفارس المعـ ... ـلم تحت العجاج غير الكهام

ووصي الوصي ذي الخطة الفصـ ... ـل ومردي الخصوم يوم الخصام

وقال عبد الرحمن بن حنبل:

أبا حسن فارضو به وتبايعوا ... فليس كمن فيه يرى العيب منطقا

علي وصي المصطفى ووزيره ... وأول مَنْ صلى لذي العرش واتقى

... ونكتفي بهذا القدر من بعض ما قيل شعراً في أمر الوصاية للإمام علي (ع).. لأننا لو أرسلنا القلم ناقلاً لكل ما قيل لجف واستكان.. وعندها تكون الإطالة والتطويل..

الفصل السادس

لماذا سكت الإمام علي عليه السلام عن حقه في الخلافة؟!

١ ـ الإمام امام ثلاث حالات...

٢ ـ سنده في حقه..

٣ ـ السقيفة مرة اخرى..

٤ ـ العوامل التي ساعدت الخليفة الأول أن يكون أول خليفة..

٥ ـ الشورى الخالية من مشورة المسلمين..

٦ ـ الشورى وعنصر المفاجاة.

٧ ـ تحول الخلفاء عن الشورى..

٨ ـ سر سكوت الإمام عن حقه!!..

١ الإمام أمام ثلاث حالات...

قال الإمام علي (ع) من خطبة له:

«لقد عَلمتُمْ أنّي أحَقُّ الناسَ بها مِنْ غَيري، والله لأُسْلِمَنَّ ما سَلِمَتْ أُمورُ المُسْلمينَ، ولم يكن فيها جَورٌ إلاّ عَلَيَّ خَاصّةً، التِماساً لِأَجْرِ ذَلكَ وَفَضْلِهِ، وَزُهداً فيما تَنَافَسْتُمُوهُ من زُخْرُفِهِ(١) وَزِبْرِجِهِ(٢)..»(٣).

يؤكد الإمام علي كرم الله وجهه في مواقف مختلفة، حقه في الخلافة.. وهو أحق من غيره بها.. وإنه مدفوع عن حقه.. ومستأثر عليه في ذلك الحق..

هنا لا بد لنا من مناقشة حقه في الخلافة..

حقه الذي طالما تعّرض له تصريحاً وتلميحاً.. وذكره مؤكداً عليه، حتى بعد ما عاد الحق إليه وأصبح رابع الخلفاء..

ذلك الحق الذي كان سبباً للطروحات والمناقشات والخلافات بين المسلمين...

وفي حقه فيها، ثلاث حالات لا رابع لها، ولكل حالة منظور خاص يُنظر لها من زاوية معينة..

فنظرة حاقدة له ولمكانته من الله ورسوله..

وأخرى متأتية من الاعتراف بفضله، ومن ثم تفضيله لعلمه وإيمانه وموقعه من الإسلام..

---

(١) الزخرف: الذهب.

(٢) الزبرج: الزينة والجواهر والذهب.

(٣) نهج البلاغة: شرح الشيخ محمد عبده ج١ ص١٢٤.

والثالثة من خلال الإيمان المطلق بوجود الوصية له من قبل القائد العظيم رسول الله ﷺ ولنأتِ على كل حالة بإيجاز:

الحالة الأولى:

أن يُعتبر الإمام علي بن أبي طالب طامعاً في الخلافة كأي طامع بها، يريد الإثرة لنفسه على الآخرين، بدافع من حبه للدنيا وإمارتها.. وبعد أن فاتته (الخلافة) قال عنها الإمام ما قال!!

هذا القول، قاله أعداؤه وحساده وبعض منافسيه، نظراً لما في نفوسهم من حقد عليه، لمكانته من رسول الله ﷺ وما قاله عنه في مختلف المواقف المُكرمة له في دنياه وفي آخرته، ولما عليه من علم وإيمان ومواقع جليلة في الإسلام وبين المسلمين..

وكذلك لما في نفوس البعض من ثارات قديمة منه بعد أن وترهم، وقتل من أبائهم وأعمامهم في فترة الجهاد والدفاع عن الإسلام في صدر الدعوة..

لم يتجرأ أي أحد من الصحابة.. صحابة رسول الله ﷺ في وصف الإمام علي كطامع في الخلافة، لا في زمن النبي ﷺ، ولا في خلافة الخلفاء أبي بكر، وعمر، وعثمان رضي الله تعالى عنهم جميعاً.. ذلك لأنهم أعلم ما في أغواره من صفاء، من كل المسلمين.. وأعلم من غيرهم بمكانته من الله ورسوله، ودوره في نشر الدين والدفاع عنه والاندفاع لمبادئه القيمة الجليلة..

إن أصحاب هذا الرأي في هذه الحالة، وأعني من اعتبر الإمام من الطامعين بالخلافة هم المنشقون عنه من القاسطين والحاقدين على آل بيت محمد ﷺ، والطامعون في الخلافة في أواخر خلافته، وبعد وفاته، حتى أمروا بسببه على منابر المسلمين..

وهؤلاء يعلمون حق العلم، إن الإمام علياً بن أبي طالب، هو أبعد ما يكون عن طلاب الدنيا وزبرجها، وهو الزاهد في ضروراتها.

ولم يذكر التاريخ من هو أزهد منه في دنياه غير رسول الله ﷺ

والزاهد في ضروراتها لا يطمع في عطائها مهما كان ذلك العطاء[1]..

بعد اغتيال الخليفة الثالث عثمان بن عفان (رض) تدفق على بيت الإمام علي (ع) أمواج هائلة من المسلمين ليبايعوه خليفة عليهم دون أن يوصي له عثمان بالخلافة، ودون أن ينعقد مجلس خاص للشورى حتى يقرر مَنْ سيكون الخليفة..

إلا أنه رفض الخلافة، وقال لهم: «**دعوني والتمسوا غيري**»..

ثم جاءته حشود المسلمين في اليوم الثاني، فرفض أيضاً.. حتى حملوه عليها، وقبلها اتقاءاً للفتنة..

وكان أول خليفة من الخلفاء الأربعة الراشدين، يُنتخب انتخاباً مباشراً من كل المسلمين بإجماع المسلمين..

وكان أول مَنْ رَفضَ أن يكون خليفة وأجبرته جماهير وعامة المسلمين على قبولها.. فلو كان طامعاً بالخلافة كأي طامع بها، لهرول لها بعد أدنى إشارة له بها، وكما هي هرولت إليه!!

وقبل ذلك عندما جعله الخليفة الثاني عمر بن الخطاب (رض) من بين الستة الذين أوصى لهم بعده..

وبعده اختاره عبد الرحمن بن عوف (رض) أن يكون خليفة للمسلمين، وليحكم بكتاب الله، وسنة رسوله، وبما سار عليه أبو بكر وعمر (رض)..

إلا أنه قال له: «**.. نعم بكتاب الله، وسنة رسوله، وبما يُمليه علي اجتهادي**» أي أنه رفض الخلافة مشروطة بالسير بما سار عليه الخليفتان قبله..

وعندها خسر الخلافة بسبب ذلك، وهو عالم بإنها ستفوته إنْ لم يمتثل لذلك الشرط!!

فلو كان يريدها (الخلافة) لقبل بما أُشترط عليه.. أو على الأقل يتجاوزه بعد حين، أي بعد أن يوافق عليه!!

نرى من خلال هذين المثالين السابقين، إن الإمام لم يكن في عداد الطامعين

(١) لا نتوسع في هذا المجال بموضوع زهده بعد أن استعرضنا جوانباً منه في المواضيع السابقة، ونكتفي بهذا القدر عن ذلك.

بالخلافة، لأنه لم يطمع بضرورات الحياة، وكان من المُحقرين لشأن الدنيا، زاهداً بما فيها من مغريات..

لذا فنحن أمام حالة يستحيل علينا تطبيقها على طبيعة موقف الإمام علي من أزمة الخلافة.. ولا وجود لها في فكر أي مسلم لا يجافي الحق ولا يبتعد عن الحقيقة..

الحالة الثانية:

أن يكون الإمام علي كرم الله وجهه أحق مَنْ يستحق أن يكون خليفة للمسلمين بعد رسول الله ﷺ... وذلك لفضله ومكانته المتميزة في الإسلام وبين المسلمين، ولعلمه وإيمانه اللذين لا يجاريهما علم ولا إيمان لأي صحابي من صحابة النبي ﷺ...

فهو إذن للخلافة أهل بما له من تلك الخصائص.. ولكن دون الاعتراف بوجود وصية له من الرسول ﷺ قبل وفاته ليخلفه بعدها..

(وحتى لو لم يقع عليه نص بالخلافة، لكانت صفاته الطاهرة، ومناقبه الباهرة، وأخلاقه الفاخرة، ونعوته الزاهرة، نصوصاً صريحة وبراهين صحيحة بخلافته..)[1].

ولهذه الحالة التي نحن بصددها رأيان:

١ ـ الرأي الأول، يقر بتفضيل الأفضل ولا يُفضّل عليه.. فالإمام علي (ع) أفضلهم مكانة عند الله ورسوله، وأقدمهم إيماناً، وأولهم إسلاماً، وأعمقهم علماً وأكثرهم زهداً..

فلا يصح أن يسبقه بأي سبق غيره من المسلمين، أو يتقدم عليه بسبب ما عنده من قدرات جاوزت البعض منها حدود البشر، نحو شجاعته، وعلمه ومعرفته وحتى إيمانه، وغير ذلك..

إلا أن الإمام بما فيه من زهد وتواضع، لم يذكر في خطبه وأقواله (إنه أفضل من غيره، أو أنه يمتاز على أحد من المسلمين...) حتى كان لا يقبل مدحاً من

---

(١) (الإمام علي رسالة وعدالة) الشيخ خليل ياسين ص٦٤.

مادح له، بل يرد من يحاول ذلك بالرغم من علمه عن ما هو فيه من معرفة لأسرار الكون والحياة التي تعلمها من رسول الرحمة ﷺ. . وكذلك غور معرفته بعمقٍ لمبادىء الدين الحنيف. .

كل ذلك لم يكن مفاخراً أو مزهواً بتلك الصفات. . نعم كان مفاخراً بصلته وقربه من النبي ﷺ، وتلمذته على يديه، وأخذ العلم منه حتى صار بما هو عليه. .

إذن، أصحاب الرأي الأول من الحالة الثانية، لا يقرون إلا بتفضيل الأفضل. . كما لا يقرون وجود وصية أوصى بها النبي ﷺ لمن يخلفه. .

وهذا يعني أن الخلافة للإمام علي لما له من صفات، لا لما له من وصية. .

٢ ـ الرأي الثاني، فيعتمد الرأي الأول من حيث مكانة علي بن أبي طالب وخصاله المعروفة. .

فهو الأفضل بدون شك على مَنْ سواه من المسلمين. . ولكن عند أصحاب هذا الرأي يجوز تفضيل المفضول على الأفضل. .

وهذا ما حصل فعلاً وقبل هو بخلافة من سبقه من الخلفاء للخلافة، وبايعه بعد أن نازعه. . فلو امتنع عن المبايعة لامتنعوا. . لكن مبايعته أضافت صفة شرعية لخلافة أول خليفة سبقه إليها. . وقد مرّ ذلك في ما سبق. .

الحالة الثالثة:

وفيها إقرار ثابت بوجود وصية أوصى بها النبي ﷺ في حياته للإمام علي أن يكون خليفة له من بعده. .

وذلك بعد أن أعده لخلافته، ووجده أهلاً لذلك لما يملك من سجايا وخصال وقد استعرضنا بعضاً منها في المواضيع السابقة. .

لذا وجب علينا بسبب وجود الوصية أن نُنفذَ ما أمرنا به الرسول ﷺ من خلالها ونقر للوصي دون غيره بالولاية والخلافة، ولا تصح الخلافة لغيره. . .

٢ سنده في حقه..

لقد ذكر الإمام علي (ع) حقه بمواقف شتى، وبَيّنَ أن له حقاً في الخلافة من خلال وصية الرسول ﷺ له، حتى قال:

«.. فوالله ما زلت مدفوعاً عن حقي، مُستأثراً علي منذ قبض الله نبيه...» كما قال عندمارجعت الخلافة إليه:

«... الآن إذ رجع الحق إلى أهله» وقال:

«لقد علمتم إني أحق بها من غيري».

كما ذكّر المسلمين يوم الرحبة، بيوم الغدير ووصية النبي ﷺ له فيه....

كرر الإمام ما ردده.. (حقي.. وأحق بها..) في خطب وكلمات عديدة..

فهل يا ترى زاعم، أو مدعٍ لذلك الحق الذي أراده لنفسه كبشر يطمع في الخلافة والإمارة والدنيا ومباهجها، كما ورد في الحالة الأولى من الحالات الثلاث التي ذكرناها!!..

الوقائع تثبت لنا خلاف ذلك، لأنه إمام الزاهدين الذي طلق الدنيا ثلاثاً، ولم يَنل منها ما ناله غيره منها..

فحقه إذاً لم يكن مصدره الطمع في الخلافة المتأتي من حب الدنيا، والتعلق بها..

أم أنه جعل من نفسه مكانة خاصة ومُفضّلة على أقرانه من المسلمين لما هو عليه من علم ومعرفة وإيمان، وموقع متميز من رسول الله ﷺ.. كما جاء في الحالة الثانية!!

هنا لا يحق للإمام أن يضع نفسه بنفسه في موضع التقديم بالرغم مما هو عليه من كل السجايا والخصال التي لا مثيل لها بين أقرانه.. بل عليه أن يترك ذلك التقييم لغيره من المسلمين.. وهنا تجدر الإشارة أن مصادر التاريخ لم تذكر مطلقاً أنه ادعى بهذا الحق مستنداً على فضائله وخصاله وسجاياه، بل كان يسند حقه في الخلافة إلى ما أوصى به له رسول الله ﷺ بصورة مباشرة أو غير مباشرة.. وكان آخرها خطبة النبي ﷺ عند غدير خم[1]، وهي من خطب الرسول ﷺ الصريحة باستخلاف علي بن أبي طالب وموالاته، حتى قال ﷺ: «.. **اللهم والِ من والاه، وعاد من عاداه**».

وقد استشهد الإمام علي بها عندما أصبح خليفة.

اذن نحن أمام حق للإمام مصدره الوصية، كما ورد في الحالة الثالثة من الحالات الثلاث..

... ولكن لِمَ سكت عن حقه؟؟

نعم لماذا سكت الإمام عن ذلك الحق!!

قبل الإجابة عن هذا السؤال، نعود إلى موضوع الشورى التي بها تم استخلاف الخليفة الأول، ونمر على ذلك الموضوع مر الكرام، بعد أن خضنا جانباً منه في الفصل الرابع[2]..

(١) لقد مر ذكر الغدير في موضوع (وصية الغدير وآية الولاية) فلا حاجة للتكرار.

(٢) راجع موضوع (آل البيت خارج السقيفة) وما بعده.. وفي هذا الموضوع إضافة أو تكملة للأول.

٣ السقيفة.. مرة أخرى

لنلقي نظرة على السقيفة وما تحتها.. حيث اجتمع نفر من الأنصار الذين ينتمون إلى قبيلة الخزرج بقيادة سعد بن عبادة الخزرجي.. وهو من أهل بيعة العقبة، ومن أهل بدر، وسيد الخزرج..

هؤلاء المجتمعون على محدودية عددهم، هم أول مَنْ دعوا أنفسهم إلى سقيفة بني ساعدة دون أن يدعوا أحداً غيرهم، حتى تكون لهم الخلافة، ويكون سعد بن عبادة خليفة للمسلمين، وهو الذي دعا أنصاره من الأنصار ليجتمعوا تحت سقف السقيفة دون أن يحسبوا لبقية المسلمين أي حساب!!

نعم حركت هؤلاء النفر من الأنصار النوازع القبلية التي كانت قبل الإسلام والتي قضى عليها الإسلام، حتى تكون الخلافة بين الخزرج من الأنصار فقط.. ومع تلك النوازع القبلية، كان طمعهم بالخلافة والأثرة بها، وليسبقوا غيرهم من الصحابة، ومَنْ هم أحق بها!!

والحق أقول كان سعد بن عبادة أول من تآمر على الخلافة بدعوته للخزرج من الأنصار بصورة خاصة، دون أن يدعو كافة المسلمين أو كبار الصحابة للسقيفة.. وأراد بذلك الالتفاف حول أقدم الصحابة قِدماً، ومكانة في الإسلام ومن رسول الله ﷺ ومن ثم التأمر عليهم جميعاً، حتى قال في ذلك الإمام علي:

«أول مَنْ جَرّأ الناسَ علينا سعدُ بن عبادة، فتح باباً ولَجهُ غيرهُ، وأَضرمَ ناراً كان لَهُبها عليه، وضوؤها لأعدائه».

ونحن نعتقد لولا سقيفة سعد لما صارت الخلافة إلى غير الإمام، ولأن تلك السقيفة هي التي جذبت أبا بكر وعمر إليها بحجة خشيتهم للفتنة، كما كان عذرهم فيها بعدها..

وكما قال الإمام، فتح باباً لغيره الذي استفاد من ذلك الباب، وأشعل ناراً حرقته هو ليستضيء بها غيره، ويعني في ذلك الخليفة الأول (رض). .

نعم أراد سعد بن عبادة أن يسبق من كان أكثر منه لها أهلاً، وأكفأ منه علماً، وأعظم منه إيماناً!

فأين هو من علي بن أبي طالب حافظ علم النبي!! وأين هو من أبي بكر رفيق رسول الله ﷺ وصديقه ومصدقه وصاحبه!!

وأين هو من عمر بن الخطاب، ذلك الفاروق الذي باع نفسه للإسلام!!

وأين هو من العباس بن عبد المطلب عم النبي ﷺ.. وأين هو من عمار بن ياسر الذي فدى الإسلام بأهله ورأى من صنوف العذاب ما لم ير غيره!! وأين هو من غير هؤلاء الصحابة الأجلاء الذين لم يُدعَونَ إلى سقيفته!! . . .

لم يعلم بالسقيفة كل هؤلاء الصحابة، ولم يساهموا في انعقادها، أو حتى الإعلان لها!

ولكن علم وقت انعقادها البقية الأخرى من الأنصار وهم (الأوس) خصوم قبيلة (الخزرج) التقليديون في الجاهلية، فهرعوا إلى مكان الاجتماع تحت تلك السقيفة المحدودة المساحة حتى يكون تواجدهم عثرة في سبيل الخزرج للخلافة، بسبب تلك الجذور التي كانت تمتد بينهما قبل الإسلام. .

إنها العصبيات القبلية، والأثرة الشخصية التي لم يستطع الإسلام القضاء عليها قضاء مبرماً. .

لكن الضربة الموجعة التي نالت من سعد بن عبادة الخزرجي وهو تحت سقيفته حضور كل من أبي بكر وعمر بن الخطاب وأبي عبيدة الجراح (رض) ذلك الاجتماع بعد أن علموا بما يدور وراء ظهر المسلمين، ولشعورهم بأحقيتهم في الخلافة من ذلك النفر المحدود من المسلمين. . فزاد هؤلاء الثلاثة ذلك النفر المحدود ثلاثة. .

ثم دار ما دار بين الحضور من نقاشات ومفاخرات ومساجلات وحجج، كل منهم يريدها له!! حتى احتدم الخلاف وكاد أن يصل إلى السيوف، لولا مبادرة عمر بن الخطاب (رض) الجريئة في الإقدام على مبايعة أبي بكر (رض) أمام

المجتمعين والتي قضى بها على تلك التي كادت أن تكون فتنة.. حيث قال عنها هو: (كانت فلتة وقى الله المسلمين شرها)[1].

وبويع بعد ذلك أبو بكر (رض) أول خليفة للمسلمين يخلف رسول الله ﷺ.. وخسر الخلافة أول مَنْ تَطلَّعَ إليها وعمل على الحصول عليها.. وأول من أراد شق صفوف المسلمين (سعد بن عبادة) الذي أُصيب بخيبة أمل كبيرة حتى خاصم الخليفة الأول ولم يبايعه طيلة فترة حياته..

فكان أول وآخر مَنْ لم يبايع بعد أن بايع الخليفة كل المسلمين، ومنهم آل بيت رسول الله ﷺ.. وهذا ما يستدل على طمعه في الخلافة من أجل الخلافة نفسها لا غير!!

(١) راجع موضوع (آل البيت خارج السقيفة) من هذا الكتاب.

٤ العوامل التي ساعدت الخليفة الأول أن يكون أول خليفة

أما العوامل التي ساعدت الخليفة الأول أن يكون أول خلفاء المسلمين هي:

أولاً: غياب آل بيت محمد وبني هاشم، وبني عبد مناف.. وكان في مقدمة مَنْ لم يحضر السقيفة الإمام علي بن أبي طالب، وعمه العباس بن عبد المطلب، وكثير من صحابة محمد ﷺ الذين كانوا منشغلين في نكبة المسلمين بوفاة نبيهم ﷺ، وتهيئة رفاته الطاهر وتجهيزه لملاقاة ربه..

فلم يخطر في خواطرهم أن ينشغل المسلمون بالخلافة، ويتركوا جثمان رسول الله ﷺ مسجى ينتظرهم بعد أن يفرغوا من مشكلة الخلافة ليعودوا بعدها له!!

فلو كان حضورهم حاضراً وبينهم علي بن أبي طالب لتغيرت الموازيين بدرجة كبيرة، ولما تصير الخلافة لغيرهم وفيهم الإمام علي ابن عم النبي وربيبه وحامل رسالاته والمؤتمن عليها..

وكذلك العباس عم رسول الله ﷺ... وعلى وجه التخصيص الإمام علي، لأن العباس يعرف مقامه، ويعلم بما أوصى له النبي ﷺ.. ودليلنا على ذلك قول العباس (رض) لعلي (ع)، عند وفاة الرسول ﷺ مباشرة:

(أمدد يدك أُبايعك، فيقول الناس إن عم رسول الله بايع ابن عم رسول الله، فلا يختلف عليك اثنان..).

نعم لو كان الإمام علي ومعه العباس حاضرين في السقيفة.. وقام العباس (رض) بمبايعة ابن أخيه علي بن أبي طالب لبايعه كل مَنْ كان حاضراً من المسلمين دونما أي تردد أو تأخير..

فآل البيت وبنو هاشم والصحابة التي كانت مصاحبة للنبي ﷺ في حياته، والمهاجرون وكذلك آل حرب الذين يرتبطون بوشائج القربى ببني عبد مناف..

كل هؤلاء لو تفيأوا بظل السقيفة، لما بايعوا غير علي بن أبي طالب خاصة إذا بدأ العباس عمه بمبايعته!

أما لو كان الإمام علي قد قبل بمبادرة العباس (رض) في مبايعته عندما قال له: (أمدد يدك..) لبايعه كل المسلمين بلا تردد ولا اختلاف لاسيما في مقدمتهم كبار الصحابة وأجلهم الذين كانوا عند جثمان رسول الله ﷺ، ولما جرؤ أحد من المسلمين أن يتسقف بأية سقيفة.. ولا غير علي بن أبي طالب أن يكون مرشحاً للخلافة..

لكنه رفض ذلك، وأعطى الأولوية والأفضلية لتجهيز ذلك الجثمان الطاهر الذي نعته السماء قبل أن تنعاه الأرض..

ذلك لأن الإمام كان موقناً أن خلافة رسول الله ﷺ لا تتعداه، ولا يمكن لأي صحابي أن يرشح للخلافة أو ينافسه عليها أحد.. حتى رد على عمه العباس قائلاً:

«أو يطمعُ يا عم فيها طامع غيري! ثم إني لا أريد أن أُبايع من وراء رتاج»!

وذلك يعني وجود وصية له من قبل النبي ﷺ أوصى له بحياته لما بعدها.. واستناداً لذلك يكون من المستحيل أن يطمع في الخلافة أي مسلم آخر، وفاته أن ذلك المنصب أو الوظيفة الدنيوية التي يسيل لها لعاب الطامعون، ويطمع فيها بعض المسلمين، تُنسيهم وصية الله ورسوله.. ويُقدِّم لها أنواع المبررات وشتى الحجج!

... إذن فالإمام أمام تقدير موقف غير موفق، نتج عنه قراره برد مبادرة عمه العباس بن عبد المطلب (رض) عندما طلب منه مد يده لمبايعته..

أو يكون أمام حالة وضعته في موقف دقيق جداً وحرج للغاية.. فتصرف تصرف الحكماء، ووقف موقف العلماء البعيد عن العاطفة، والمجافي للمصلحة الشخصية.. مؤثراً مصلحة المسلمين عامة والإسلام خاصة، وتجنب ما كان قد

يقع بين صفوف المسلمين من فرقة لم يحسب لها حساب غيره!!

لذلك رفض الإمام تلك المبادرة.. فخسر الخلافة بعد أن كان موقناً أنها له.. وخسر المسلمون وحدتهم بعد أن انقسموا عليها منذ ذلك الوقت حتى يومنا هذا، لأنهم اتفقوا عليه، واختلفوا على غيره!!

وكما قال أبو ذر الغفاري (رض):

(أصبتم قِناعه وتركتم قرابه..

... لو جعلتم هذا الأمر في أهل بيت نبيكم لما اختلف عليكم اثنان).

ثانياً: وجود عمر بن الخطاب (رض) مع أبي بكر (رض) تحت سقف السقيفة ومبادرته في حسم النزاع، وإنهاء الخلافات التي نشأت بين كل الأطراف بسبب الخلافة..

والمعروف أن عمر (رض) كان شديداً قوياً، لا يهاب أحداً.. بل هو كان المُهاب أبداً.. نافذ الشخصية، يقطع القرارات ويتخذها بإقدام..

وهو دائماً يملك المبادرة ويتلازم التفكير والعمل عنده كأنهما يولدان في لحظة واحدة..

عندما نشب النزاع بين مَنْ حضر السقيفة على اختيار مَنْ سيكون خليفة، حتى كاد أن يصل ذلك النزاع إلى سل السيوف كما ذكرنا..

وكادت أن تفلت الخلافة من جماعة المهاجرين ممن حضروا السقيفة..

هنا بادر عمر بن الخطاب (رض) بجرأة وقوة وإقدام ليتخذ قراراً يقطع به كل القرارات، حيث قال لأبي بكر (رض).

(ابسط يدك نبايعك..) وامتثل أبو بكر (رض) له، ولم يرفض ذلك كما رفض علي بن أبي طالب طلب عمه العباس (رض)!

ويسط أبو بكر (رض) يده لعمر وبايعه، فكان أول من بايع أول خليفة للمسلمين.. ثم بعده بايع أبو عبيدة أبا بكر (رض)..

وعن ذلك قال الإمام علي (ع):

«... حتى مضى الأول لسبيله فأدلى بها إلى فلان بعده، فيا عجبا بينا

هو يستقيها في حياته إذ عقدها لآخر بعد وفاته.. الخ».

وهذا يعني واستناداً لقول الإمام أن عمر بن الخطاب (رض) جعل من أبي بكر (رض) سبيله للخلافة حتى يصل إليها من خلاله، لأنه يعلم أن أبا بكر زاهد فيها وهو بالغ من العمر ما بلغ!! ولا بد أن يوصي له بها بعده..

عندما كان الخليفة الأول (رض) على فراش المرض الذي به فارق الدنيا، أمر عثمان بن عفان (رض) أن يكتب له كتاباً فيه استخلف عمر بن الخطاب (رض) من بعده لتولي شؤون المسلمين.. وأبقى ذلك الكتاب عنده حتى أتاه عمر، فأعطاه إياه وأمره أن يخرج به للناس، ويخبرهم ما فيه من عهد..

فخرج عمر بالكتاب فلقيه أحد الأنصار، وقال له مستفسراً عن ذلك الكتاب:

- ما في الكتاب يا أبا حفص؟ قال عمر:

- لا أدري، ولكني أول مَنْ سمع وأطاع.. فقال الرجل:

- والله إني لأدري ما في هذا الكتاب! أمرّتَهُ عام أول وأمّرَكَ هذا العام(١).

ثالثاً: انقسام الأنصار (الأوس والخزرج) وما بينهما من تنافس وعداء قبل الإسلام، وبقاء تلك الرواسب بعده..

بعد أن بايع عمر بن الخطاب أبا بكر (رض) اندفع زعيم الأوس من الأنصار إلى أبي بكر ليبايعه حتى يُفوت الفرصة على سعد بن عبادة الخزرجي زعيم الخزرج من الأنصار.. وقال لقومه:

(يا معشر الأوس، والله لئن وليتها الخزرج عليكم مرة، لا زالت لهم بذلك عليكم الفضيلة.. فقوموا وبايعوا أبا بكر..).

من ذلك الانقسام استفاد الخليفة الأول أن يكون أول خليفة للمسلمين..

---

(١) (علي إمام المتقين) عبد الرحمن الشرقاوي ج١ ص٨٧. (الإمامة والسياسة) لابن قتيبه ج١ ص٢٥.

٥ الشورى الخالية من مشورة المسلمين

الواقع أن ما حدث تحت السقيفة، والذي سُمي بعد ذلك (بالشورى). . والشورى تعني في المفهوم السياسي الحديث (الانتخاب). .

إذن يمكن القول أن للشورى والانتخاب مفهوماً واحداً، وهو باختصار اتفاق الأمة على اختيار واحد منها بصورة مباشرة لموضع القيادة بكل أشكالها. .

أو اختيار مجموعة منها لتمثيلها أو تمثيل الناخبين الذين اختاروا تلك المجموعة، ولتختار بدورها مَنْ هو أهل لقيادة الأمة. .

ففي **(الحالة الأولى)**، وأعني الانتخاب المباشر من قبل غالبية الأمة لواحد منها ليتولى القيادة، وممن له الخصائص والصفات التي تؤهله لقيادة الإمة. . وفي موضوعنا هذا يشغل هذا المنتخب خلافة رسول الله ﷺ بقيادة الأمة الإسلامية بعده. .

هنا في هذه الحالة لم يتحقق من خلالها انتخاب الخليفة الأول خليفةً للمسلمين. . ولم يأتِ لها عن طريق الانتخاب المباشر، أو لنَقُل بواسطة الشورى الواسعة لغالبية المسلمين، بل جاء إلى الخلافة من خلال الشورى المصغرة المحدودة الكم التي لا يتجاوز عددها المائة وفي غياب الغالبية العظمى للناخبين المسلمين!

والخليفة الوحيد من الخلفاء الراشدين الذي جاءت به إلى الخلافة الغالبية الواسعة من عامة المسلمين بكمها الهائل، هو الخليفة الرابع الإمام علي بن أبي طالب (ع). .

أما **(الحالة الثانية)** وهي اختيار مجموعة من الأمة لتمثلها في اختيار أو انتخاب مَنْ هو أهلٌ لقيادتها حتى يكون خليفة للأمة الإسلامية يخلف ذلك القائد

العظيم ﷺ حيث تقوم تلك الفئة المنتخبة بتحديد الشروط اللازمة، ومراعاة الخصائص المهمة لذلك المنصب الديني والسياسي المهم، مع مراعاة العدد والغالبية من الأصوات والصفات، إضافة للمعايير الأخرى التي نحن في غير صددها.

.. في تلك الحالتين من الشورى أو الانتخاب... المباشر وغير المباشر، كان المفروض على أصحاب هذا المبدأ، وأعني الشورى وقبل البدء بالخطوات الأولى منها أن يقوم هؤلاء بتوعية المسلمين، وتعريفهم بنظام الشورى، وكيفية استعمال حق كل مسلم في أداء واجبه بالإدلاء بصوته واختيار من يريد له أن يكون خليفة عليه، مع تعريفه بأسماء المرشحين للخلافة وشرح مواقفه من الإسلام وفضائله وما قدمه لذلك الدين الحنيف، ومدى علاقته أو قربه من رسول الرحمة ﷺ.. وغير ذلك من الصفات والخصائص..

كما كان من الواجب تعريف المسلمين بمصدر نظام الشورى وسنده الديني مع إعطاء المسلمين الوقت الكافي لاستيعاب تلك التوعية بالشورى، حتى يتسنى للمسلم من مبايعة مَنْ يقتنع اقتناعاً تاماً بأهلية وتقوى وإيمان وشخصية الذي سيكون خليفة على كل المسلمين، ليشغل ذلك الموقع الهام الذي من خلاله يباشر قيادة المسلمين خلفاً لذلك القائد الراحل الجليل ﷺ..

وهنا تجدر الإشارة بنا أن نعود إلى حياة الرسول ﷺ لنستعرض أحاديثه الشريفة، خاصة وصاياه، نجدها خالية من أي ذكر لموضوع الشورى بالرغم من أنه كان يشاور أصحابه في بعض المواضيع المتعلقة بالخطط العسكرية وغيرها..

فإن كان للشورى حديث لشاور أصحابه ولأشار عليهم بها تصريحاً أو تلميحاً، ولرشح بعض الأسماء من الصحابة الذين هم عنده من المؤهلين لها..

أو على أقل تقدير نستطيع القول إن كان في سياسة الرسول القائد ﷺ مبدأ الشورى لانتخاب خليفة من بعده، لقام هو عليه الصلاة والسلام بتعليم وتوعية المسلمين ليعرفهم بذلك المبدأ، مع إعدادهم إعداداً فكرياً ونفسياً لتقبله، حتى لا تعم الفوضى بالمسلمين من بعده، وحتى لا يختلفوا فيما بينهم بعد أن آلف قلوبهم الإسلام!!

يقول العلامة الصدر: لو كان النبي ﷺ يستهدف وضع نظام الشورى موضع التطبيق بعد وفاته مباشرة، وإسناد زعامة الدعوة إلى القيادة التي تنبثق عن هذا النظام، لكان من أبْدَهِ الأشياء التي يتطلبها هذا الموقف الإيجابي، أن يقوم الرسول القائد بعملية توعية للأمة والدعاة على نظام الشورى وحدوده وتفاصيله، وإعطائه طابعاً دينياً مقدساً، وإعداد المجتمع الإسلامي إعداداً فكرياً وروحياً لتقبل هذا النظام، وهو مجتمع نشأ من مجموعة من العشائر، لم تكن قد عاشت قبل الإسلام وضعاً سياسياً على أساس الشورى، وإنما كانت تعيش في الغالب وضع زعامات قبلية وعشائرية تتحكم فيها القوة والثروة وعامل الوراثة إلى حد كبير..

ونستطيع بسهولة أن ندرك أن النبي ﷺ لم يمارس عملية التوعية على نظام الشورى، وتفاصيله التشريعية، ومفاهيمه الفكرية، لأن هذه العملية لو كانت قد أنجزت، لكان من الطبيعي أن تنعكس وتتجسد في الأحاديث المأثورة عن النبي ﷺ وفي ذهنية الأمة..

ولا نجد في الأحاديث عن النبي ﷺ أي صورةٍ تشريعية محددة لنظام الشورى..

ثم يقول:

ونلاحظ بهذا الصدد للتأكد من ذلك، أن أبا بكر حينما اشتدت به العله عهد إلى عمر بن الخطاب، فأمر عثمان أن يكتب عهده..

وواضح من هذا الاستخلاف أن الخليفة لم يكن يفكر بعقلية نظام الشورى، وإنه كان يرى من حقه تعيين الخليفة، وإن هذا التعيين يفرض على المسلمين الطاعة، ولهذا أمرهم بالسمع والطاعة..

ونلاحظ أيضاً أن عمر رأى هو الآخر، أيضاً، إن من حقه فرض الخليفة على المسلمين ففرضه في نطاق ستة أشخاص، وأوكل أمر التعيين إلى الستة أنفسهم دون أن يجعل لسائر المسلمين أيَّ دور حقيقي في الانتخاب..

وهذا يعني أيضاً، إن عقلية نظام الشورى لم تتمثل في طريقة الاستخلاف التي انتهجها عمر، كما لم تتمثل من قبل، في الطريقة التي سلكها الخليفة الأول (رض)..

كل ذلك يوضح بدرجة لا تقبل الشك، إن هذا الجيل الطليعي من الأمة الإسلامية بما فيه القطاع الذي تسلم الحكم بعد وفاة النبي ﷺ لم يكن يفكر بذهنية الشورى، ولم يكن يملك فكرة محددة عن هذا النظام. . فكيف يمكن أن نتصور أن النبي ﷺ قد مارس عملية توعية على نظام الشورى تشريعياً وفكرياً، وأعد جيل المهاجرين والأنصار لتسلم قيادة الدعوة بعده على أساس هذا النظام، ثم لا نجد لدى الجيل تطبيقاً واعياً لهذا النظام أو مفهوماً محدداً عنه!

كما أننا لا يمكن أن نتصور من ناحية أخرى أن الرسول القائد يضع هذا النظام ويحدده تشريعياً ومفهومياً، ثم لا يقوم بتوعية المسلمين عليه وتثقيفهم به!

أو لم يكن من الضروري إذا كان يمهد لفكرة الشورى حقاً أن يحدد للشورى دستورها ويضبط سنته لكي تسير الشورى على منهاج ثابت محدد لا تتلاعب به الأهواء[1]!

والمجتمع الإسلامي كان في بداية نشأته، وأوائل تكوينه. . . لم يألف طريقة انتخاب قائد يقود جيشه، ولم يقرر هو تعيين مَنْ يتعين بقاؤه في مدينة الرسول ﷺ ليخلفه عندما كان يغادرها لأي سبب من الأسباب. . بل اعتاد أن يُقر ما كان يقرره النبي ﷺ بتسمية مَنْ يخلفه فيها، ومَنْ يختار لجيشه قائداً. .

لقد اعتاد المسلمون تنفيذ أوامر رسول الله ﷺ، لأن أوامره هي أوامرٌ مصدرها الخالق عز وجل. . فلا مناقشة. . ولا نقاش، ولا معارضة. . ولا احتجاج. .

كما أن الناس في تلك الحقبة لم يألفوا ما يمكن تسميته في الوقت الحاضر (بالرأي العام) حتى يتمكنوا من خلاله اتخاذ القرارات الخطيرة والمهمة بعد أن فقدوا قائدهم العظيم (رض). .

فقبل الإسلام كان العربي يخضع لتقاليد وأعراف القبيلة التي تقع تحت سطوة زعيمها أو رئيسها الذي جاء لزعامتها عن طريق الوراثة، أو بواسطة القوة. .

وعلىٰ أفراد القبيلة أن يدينوا بالطاعة له، والذود عن مكانته وكرامته. .

(١) (نشأة الشيعة والتشيع) العلامة محمد باقر الصدر ص٣٢ ـ ٣٤ ـ ٣٨ ـ ٤٨.

وعليهم الاعتناق بمبادئه والالتزام بأوامره، والمحافظة على تقاليد أسرته..

فلا رأي لهم إلا ببعض المواقف والحالات.. والذي يهمنا هنا، إنه لا صوت لهم، ولا حرية لهم باختيار زعيم مطلق لقبيلتهم..

ودخلوا الإسلام عندما لبوا نداء الإسلام.. ومعهم رواسب عاداتهم وتقاليدهم، ومنها ما ذكرناه من انعدام صوتهم بالانتخاب أو الاختيار والتعيين.

فوجدوا في الإسلام ما اعتادوا عليه قبله.. النبي ﷺ يقرر، ويُعين، ويختار ولم يتول غيره تلك المهمة سواه حتى أقرب الصحابة له لم يستعمل ذلك الحق.. لأنه لا ينطق عن الهوى، بل ينفذ تعاليم السماء السمحاء..

وبالطبع كان رسول الله ﷺ هو الأجدر تماماً لتلك المهمة التي يعلم حق العلم لو استعملها غيره لسادت الخلافات والتحزبات والعصبيات.. وتعود عصبية القبيلة.. وإثرة العشيرة..

من كلما تقدم نستطيع القول أن الولاء تحول من ولاء القبيلة إلى ولاء الدين والطاعة للنبي ﷺ بدلاً من الطاعة إلى زعيم القبيلة..

وبقيت قيادة المسلمين للرسول القائد ﷺ.. فهو زعيمهم، ورئيسهم، ومعلمهم وإمامهم دون نقاش أو احتجاج أو اعتراض على أوامره الجليلة..

وحرص ذلك القائد العظيم على توحيد كلمة المسلمين وصهرهم في بودقة الإسلام.. حيث أعطى لذلك الأولوية المطلقة بعد كلمة التوحيد، ولم يسمح لأية عصبية، أو تحزب، أو رواسب من الماضي أن يدخلها من دخل الإسلام في صفوف المسلمين بعد أن يَسلم.

ومن ذلك المبدأ حصر حق الاستخلاف على المدينة من بعده فيه، وكذلك تعيين الولاة على الأمصار.. أو تولية القادة على الجيش..

نعم جعل ذلك الحق لوحده دون غيره، تجنباً لشق صفوف المسلمين، كما ذكرنا..

هذا في حياته الشريفة ﷺ، وتلك أمور أدنى في مستواها الوظيفي، أو في وزنها من خلافته من بعده!!

إذن هل يترك حقه في اختيار خليفته من بعده!!

هل النبي ﷺ نسيَ وحاشاه أن ينسى الرواسب القبلية التي جاء بها المسلمون قبل إسلامهم..

هل تجاهل (وحاشاه) العصبيات والعصب.. العشيرة والقرابة.. الصحابة والتحزب.. الطمع والاستئثار..!!

أما آن له أن يقطع دابرها لهم لما بعد وفاته في حياته وقبل أن ينتقل إلى الرفيق الأعلى..

ألم يكن قائد المسلمين يخشى على المسلمين الفرقة والتفرق وهو أعرف من غيره بنفوسهم وأهوائهم، ودواخلهم وسرائرهم!!

ألم يكن ذلك القائد العظيم رجل دولة يقود دولة يُحسب لها ألف ألف حساب!

ألم يشرع دينه أدق، وأعظم تشريع ينظم علاقة المسلم بالمسلم.. وعلاقة المسلم بالمجتمع.. وقبل كل شيء علاقته بربه.. وعلاقته بدنياه.. وعلاقته بآخرته، وهو أول تشريع واسع عام وشامل للحياتين لم يترك صغيرة ولا كبيرة إلا وجد لها ما يحل مشاكلها..

فالخلافة.. إن كانت دنيوية فالنبي جعلها من مسائل الإسلام الدنيوية الهامة.. وإن كانت من مسائل الإسلام الدينية فأهميتها أجل وأعظم.. وإن كانت الخلافة من المسائل الصغيرة في الإسلام، فالإسلام نظم مواضيع أقل منها شأناً..

وإن كانت الخلافة من المواضيع الكبيرة في الإسلام، فالإسلام جعلها بحجمها الكبير..

وعندنا الخلافة شغلت في سعتها الدين والدنيا.. ووسع حجمها، وعظم شأنها، لذا فلا تقل أهميتها عن أي ركن من أركان الدين، وبالتالي لا يقبل المنطق والعقل أن يترك النبي ﷺ الدنيا، ويترك معها المسلمين دون أن يختار لهم من يخلفه بعده، بعد أن عودهم أن يختار لهم في حياته مَنْ كان يختاره!!

وحتى على فراش مرضه، وقد اشتد به الوجع، كان ﷺ يتابع تنفيذ أوامره

خاصة تجهيز جيش أسامة وتوجيهه بوجهته، وكم أمر وهو على ذلك الفراش قائلاً ومكرراً بين صحواته وغيبوبته:

«جهزوا جيش أسامة.. أرسلوا بعث أسامة.. أنفذوا جيش أسامة».

كما ذكر ذلك ابن سعد في طبقاته، وابن الأثير في كامله.

فإن كان النبي ﷺ كذلك وهو ينازع الحياة يتابع إرسالية صغيرة من الجيش لا أثر لها في نتائجها على ما كان عليه الإسلام والمسلمين ذلك الوقت..

فكيف لنا أن نتصور أنه يترك مصير دولة الإسلام ومستقبلها دون أن يحدد لها القيادة التي ستخلفه وهو خير مَنْ يعلم بما كان يحيط بتلك الدولة الفتية من أخطار، وبما كان يحيطها من خارجها من أعداء، وبما كان يتواجد بداخلها من المنافقين الذين يتربصون لها، وما يضمرون لها من حقد وكراهية لاسيما من دخل الإسلام كارهاً أو مكرهاً خاصة من أسلم بعد الفتح وفي مقدمتهم (الطلقاء)..

وكذلك مَنْ دخل الإسلام طمعاً في مال أو جاه ليحرص على بقاء ما كان يحرص عليه قبل أن يكون مسلماً! وكذلك مَنْ دخل الإسلام مستسلماً لا مسلماً!

كل ذلك كان القائد الأعظم ﷺ من المدركين له.. بل هو خير من يعلم بسريرة مجتمعه.. ذلك المجتمع الذي استطاع نقله من حالة الفساد إلى حالة الفضيلة بعد أن دفع عليه الصلاة والسلام ثمنه العظيم من إيذاء له في نفسه وجسده وصعوبات اعترضته، حتى قال:

(ما أوذي نبي كما أُذيت..).

ومن ذلك الإدراك الواسع، وإدراكه بضرورة التخطيط والعمل المستقبلي لتحصين الأمة الإسلامية من الانحراف والأخطار، وحمايتها من التفرقة والانهيار..

نستطيع القول أن النبي ﷺ لا يمكن له أن يقف موقفاً سلبياً لمستقبل أمته ودعوة الإسلام وحرصه على المسلمين والاهتمام بهم بعده كما ربى الأمة الإسلامية على ذلك، حتى كان يكرر قوله:

(مَنْ أصبح ولم يهتم بأمور المسلمين فليس منهم..).

فهل من الممكن أن لا يهتم هو بأمور المسلمين قبل رحيله!!

وهل من المعقول أن يأمر بتعيين قائد لبعض جيشه، ولا يوصي أو لا يتدخل في تعيين أو ترشيح مَنْ يخلفه ليكون قائداً لكل المسلمين وكل جيوش المسلمين!

يتدخل وهو على فراش الموت بتعيين أسامة قائداً لبعض من كتائب جيشه، ويتابع تنفيذ ذلك.. ولا يهتم في التوصية أو الأمر بتسمية مَنْ سيخلفه!!

والحق، أن من بديهيات الأمور التي تجاري العقل والمنطق تجعلنا نؤمن أن الرسول الأعظم ﷺ قد تدخل فعلاً واختار خليفته من بعده قبل أن ينتقل إلى الرفيق الأعلى، ولم يترك المسلمين في تخبط وحيرة من أمرهم في حالة قد تؤدي إلى الفوضى والتفرقة.. وبالتالي تواجه الأمة مواقف محفوفة بالأخطار والمخاطر!!

وفي الوقت الحاضر يحرص رؤساء الدول وملوكها بتعين نوابٍ عنهم، تنتقل إليهم السلطات الدستورية في حالة غياب الرؤساء أو وفاتهم. كما تحرص الدساتير الحديثة في تبيان كيفية انتقال السلطة للخلف في تلك الحالات..

وتعاليم الإسلام الأساسية وردت في كتاب الله العزيز.. أو من خلال ما يوحى للنبي ﷺ من أحاديث قدسية تكون في منزلة الأحكام المُنزلة في الكتاب.. أو من اجتهادات ذلك العظيم القائد الذي يعتبر رجل دين ودولة لا مثيل له ولا نظير..

فهل يا ترى فات ذلك القائد الفذ ما لم تغفل عنه تلك الدساتير!!

هل غاب ذلك (وأعني تسمية من يخلفه) عن فكر النبي ﷺ.. ولم يغب عن فكر مَنْ جاء من بعده من خلفاء عندما قاموا بتسمية من يخلفهم!!

دعني أيها القارىء الكريم من قول مَنْ قال أن النبي ﷺ قد اختار علياً ليخلفه من بعده.. ولنترك جانباً هذا القول ابتداء!!

لكن علينا أن نؤمن أن رسول الله ﷺ قد تدخل واختار خليفته قبل أن يرحل من هذه الحياة وذلك للأسباب المختصرة التي قدمناها..

وعندما نؤمن بذلك.. نؤمن بواقعة الاختيار.. عندها نؤمن أنه اختار

وأوصى.. وعندها يقودنا هذا الإيمان إلى الإيمان بأنه عليه الصلاة والسلام اختار علياً له خليفة دون غيره.. لأن غيره لم يكن به ما بعلي من خصائص تؤهله أن يتولاها فهو لها دون منازع أو منافس، يتصف بما اتصف به من مزايا.. وقد مررنا على بعض من صفاته فيما مر ذكره..

إذن علينا أولاً أن نستوعب مبدأ الاستخلاف لأهميته.. وبعدها نقارن بين صحابة رسول الله ﷺ مَنْ منهم للخلافة والذي لا يعدوه النبي ﷺ عن اختياره!!

٦ الشورى وعنصر المفاجأة

نعود إلى ما تحت السقيفة.. إلى مَنْ اجتمع تحت ظلالها وسموا أنفسهم، أو بالأحرى سموا اجتماعهم (بالشورى)!.

وتلك الشورى التي كانت خالية من مضمونها، وبعيدة عن مفهومها الدقيق فيما يعرف كل امرىء أصول وطريقة انتخاب رئيس دولة أو خليفة يخلف مَنْ كان يرأسها أو يقودها.. كما مر ذكره..

ونحن هنا نتساءل مَنْ خوّلَ المتسقفين بالسقيفة حق اختيار خليفة لرسول الله ﷺ!!

هل حصل استفتاء عام للمسلمين واختاروا (سعد بن عبادة) وأنصاره، وكذلك أبا بكر وعمر وأبا عبيدة (رض)، وبالتالي خولوهم حق اختيار أو انتخاب أو ترشيح خليفة للمسلمين!!

والجواب، واضح وضوح الشمس في وضح النهار.. لم يحدث ذلك مطلقاً..ولو فرضنا جدلاً، أن المسلمين خولوا المجتمعين، وأعطوهم ذلك الحق..

عندها عليهم اتباع كافة الوسائل، والطرق السليمة لإنجاز مهمتهم الصعبة والدقيقة المخولون بها من قبل المسلمين.

ومنها: إتاحة الفرصة لترشيح أجلّ الصحابة ممن فيهم الخصائص اللازمة وممن يستحقون أن يخلفوا ذلك الراحل العظيم، محمداً ﷺ الذي جاهد في سبيل الله، وجعل من ذلك الشتات دول عظيمة، تدين بمبادىء الأخلاق والقيم كما ذكرنا...

فهل أُتيحت الفرصة للترشيح من قبل علي بن أبي طالب.. أو عمه العباس أو عثمان بن عفان.. وعمار بن ياسر.. والزبير.. وطلحة.. وسلمان.. وأبي ذر الغفاري.. وغيرهم من المؤهلين للترشيح، أو بقية العشرة المبشرة الذين بشرهم رسول الله ﷺ بالجنة..!!

كلا.. لم تتح لأيٍ من هؤلاء الفرصة للترشيح، وكأنه لا حق لهم في ذلك! أو لا يوجد بينهم من له بعض الخصائص التي تؤهلهم لها..

والأهم من ذلك، لم يستعملوا أبسط حق من حقوقهم.. هو حق التصويت أو الانتخاب..

نعم حرموا من انتخاب الخليفة.. بعد أن حُرموا من الترشيح للخلافة!!...

الواقع الذي حدث تحت ظل السقيفة كان سِباقاً لكسب الفرص، والاستحواذ على الخلافة من وراء ظهور كافة المسلمين وفي مقدمتهم صحابة رسول الله ﷺ الذين كانوا منشغلين بتهيئة وتشييع جثمان النبي ﷺ ودفن رفاته الطاهر..

أو مَنْ كان منهم ضمن معسكر جيش أسامة بعيدين عن السقيفة!!

غالبية المسلمين:

إذن لم يشاركوا بالشورى، إلا مَنْ حضر السقيفة بدعوة محددة ومحدودة.

لم يشاركوا بالترشيح ولا بالانتخاب.. والانتخاب هو أبسط حق من حقوق أي مسلم...

وفي مقدمة ممن لم يشاركوا في ذلك الحق آل بيت رسول الله ﷺ الذي أوصى النبي ﷺ بهم في مجالات عدة، وبمواقف كثيرة ومختلفة..

فلو أُتيحت الفرصة لهم بالمشاركة لاختلفت المعايير، وتغيرت النتائج والموازين كما ذكرنا...

وفي ذلك رُويَ للإمام علي (ع) شعر، يندرج في ما عرضناه، يقول:

فإنْ كُنتَ بالشُّورى مَلَكْتَ أُمورَهُم فَكيفَ بِهذا والمُشيرونَ غُيَّبُ[1]

---

(١) جمع غائب، يريد بالمشير من أصحاب الرأي في الأمر، وهم الإمام علي وأصحابه من بني هاشم.

وإنْ كُنتَ بالقُربىٰ حَجَجْتَ خَصِيمُهمْ[1]   فَـغَـيـرُكَ أولَـى بـالـنـبـيِّ وأقْـرَبُ[2]

.. أجل، لم يحضر السقيفة أي من المشيرين لانشغالهم بتجهيز رُفاة الرسول ﷺ... وفيهم العباس، وعلي بن أبي طالب، وسلمان الفارسي.. وأبو ذر الغفاري.. والمقداد.. وعمار.. والزبير... وخزيمة بن ثابت.. وأُبي بن كعب.. وفروة بن عمرو بن ودقة الأنصاري.. والبراء بن العازب.. وخالد بن سعيد بن العاص الأموي... وغيرهم من الصحابة، ومن آل بيت محمد كافة..

ونحن نتساءل إذا كان المهاجرون أولى بميراث النبي ﷺ من غيرهم، ولكونهم عشيرة النبي ﷺ على حد قول أبي بكر (رض) أفلا يصبح الهواشم أولى من قريش!! وعلي أولى من الجميع!!

لأن مقياس الفضل الذي وضعه أبو بكر في كلمته[3] كان ينحصر في السابقة إلى الإسلام.. وفي القرابة من النبي ﷺ.. ولماذا رشح أبو بكر صاحبيه للخلافة دون سائر المهاجرين!![4].

وما حقه في ذلك الترشيح.. ولماذا اقتصر ترشيحه عليهما!!

لماذا استبعد من ترشيحه علي بن أبي طالب، وآل بيت رسول الله ﷺ!! ألم يكونوا من المهاجرين!!

ألم يكونوا من أصحاب رسول الله ﷺ الذين أوصى بهم، ورضي عنهم!!

ثم.. لماذا استبعاد الإنصار!!

ألم يكن من بينهم مَنْ هو أهلٌ للترشيح.. أو على الأقل أَهل لانتخاب المُرَشح!!!

نحن هنا لا نشكك بشخصية الخليفة أبي بكر (رض) وأهليته لإشغال

---

(١) يريد احتجاج أبي بكر على الأنصار بأن المهاجرين شجرة النبي ﷺ.

(٢) (نهج البلاغة) شرح الشيخ محمد عبده ج٤ ص١٧٩.

(٣) سبق لنا وإن أوردناها في موضوع (أبو بكر أول الخلفاء).

(٤) (علي ومناوئوه) د. نوري جعفر ص٤٨.

المنصب الخلافي لما فيه من خصائص تؤهله لذلك دون أدنى شك، وقد قال في ذلك الإمام علي نفسه..

فأبو بكر أرفع من أن يشكك به، وبمقامه الجليل بين صفوف المسلمين..

لكن نقدنا ينصب على طريقة اختيار الخليفة، التي يتحمل وزرها، أو مسئوليتها ابن عبادة الخزرجي..

ونحن على طعننا بذاك الأسلوب حتى لو شغل الخلافة بتلك الطريقة علي بن أبي طالب نفسه، أو غيره!!

لأنها لم تستكمل الشروط اللازمة في حدها الأدنى للشورى، وما تعنيه هذه التسمية من معنى وأسلوب..

إذاً لم يكن هناك إجماع بانتخاب الخليفة الأول.. وإنما كان عدد محدود من المسلمين، قاموا بمبايعة أبي بكر (رض).. مبايعة قابلة لشتى أنواع الطعون والنقد..

وهي بيعة لم تكن عن مشورة.. وإنما قام بها الخليفة الثاني، وأبو عبيدة ونفر معهما، ثم فاجأوا بها المسلمين.. وساعدتهم تلك الظروف على ما أرادوا..

وأبو بكر يُصرح بأن بيعته لم تكن عن مشورة، ولا عن روية، وذلك حيث خطب الناس في أوائل خلافته معتذراً إليهم[1]..

ولو أنصف الناس حق الإنصاف، لأرجأوا البيعة حتى يتم لهم مواراة جثمان الرسول.. كان ذلك أدنى إلى الصواب (إن لم يكن هو الصواب) أن يترك القوم من المهاجرين والأنصار ليتنازعوا سلطان محمد بينهم، ومحمد ما زال مسجى على فراشه[2]..

أما مَنْ يقول.. إن المسلمين بعد السقيفة بايعوا الخليفة الأول على ما صار إليه، حيث أعطوا الصبغة الشرعية، والقانونية العرفية لذلك الاختيار..

---

(١) (المراجعات) السيد شرف الدين ص٣١٩.. أخرج ذلك أبو بكر أحمد بن عبد العزيز الجوهري في كتاب السقيفة، ونقلها ابن أبي الحديد المعتزلي في شرحه لنهج البلاغة.

(٢) (الإمام علي بن أبي طالب) عبد الفتاح عبد المقصود ج١ ص١٨٤.

فالرد على ذلك، هو أن المسلمين، طُبقت عليهم سياسة الأمر الواقع وعنصر المفاجأة، بعد أن فَلتَ زمام حقهم منهم. .

لذا كان قول عمر بن الخطاب (رض): (كانت فلته. .) قولاً صادقاً لما قد وقع

وقد ذكر بعض المؤرخين، أن أصحاب الشورى الذين آلت إليهم الخلافة، استعملوا القوة أحياناً بإجبار المسلمين على البيعة. . منهم (ابن قتيبة) في كتابه (الإمامة والسياسة) المعروف بتاريخ الخلفاء. .

ننقل من كتابه بعض ما كتبه عن ذلك. . فقال:

(. . . وأن أبا بكر (رض) تفقد قوماً تخلفوا عن بيعته عند علي كرم الله وجهه فبعث إليهم عمر، فجاء فناداهم وهم في دار علي، فأبوا أن يخرجوا فدعا بالحطب وقال:

والذي نفس عمر بيده لتخرجن أو لاحرقنها على مَنْ فيها، فقيل له:

يا أبا حفص، إن فيها فاطمة! فقال: وإنْ. .

فخرجوا فبايعوا إلا علياً. . . فقال حلفتُ أن لا أخرج ولا أضع ثوبي على عاتقي حتى أجمع القرآن. .

ويقول:

ثم إن علياً كرم الله وجهه أُتي أبا بكر إلى أبي بكر وهو يقول:

«أنا عبد الله وأخو رسوله».

فقيل له بايع أبا بكر، فقال:

«أنا أحق بهذا الأمر منكم، ولا أبايعكم وأنتم أولى بالبيعة لي، أخذتم هذا الأمر من الأنصار، واحتججتم عليهم بالقرابة من النبي ﷺ، وتأخذونه منا أهل البيت غصباً؟

ألستم زعمتم للأنصار أنكم أولى بهذا الأمر منهم لما كان محمد منكم فأعطوكم المقادة، وسلموا إليكم الإمارة. .

وأنا أحتج عليكم بمثل ما احتججتم به، وإلا فبؤوا بالظلم وأنتم تعلمون. .».

فقال له عمر: إنك لست متروكاً حتى تبايع. . فقال له علي:

«أحلب حلباً لك شطره، وأشدد له اليوم أمره يردد عليك غداً». ثم قال: **«والله يا عمر لا أقبل قولك ولا أبايعه»**.

فقال له أبو بكر: فإن لم تبايع فلا أكرهك. .

وبعدها قال علي كرم الله وجهه:

«الله. . الله. . يا معشر المهاجرين، لنحن أحق الناس به، لأنا أهل البيت، ونحن أحق بهذا الأمر منكم ما كان فينا القارىء لكتاب الله الفقيه في دين الله، العالم بسنن رسوله، المضطلع بأمر الرعية، المدافع عنهم الأمور السيئة، القاسم بينهم بالسوية. . والله إنه لفينا، فلا تتبعوا الهوى فتضلوا على سبيل الله، فتزدادوا من الحق بُعداً. .»

فقال بشير بن سعد الأنصاري:

لو كان هذا الكلام سمعته الأنصار منك يا علي قبل بيعتها لأبي بكر، ما اختلف عليك اثنان. .

ثم يقول ابن قتيبة:

قال الأنصار بعدها لفاطمة:

يا بنت رسول الله قد مضت بيعتنا لهذا الرجل، ولو أن زوجك وابن عمك سبق إلينا قبل أبي بكر ما عدلنا به. .

فيقول علي كرم الله وجهه:

«أفكنتُ أدع رسول الله ﷺ في بيته لم أدفنه، وأخرج أُنازع الناس سلطانه».

فقالت فاطمة:

(ما صنع أبو الحسن إلا ما كان ينبغي له، ولقد صنعوا ما الله حسيبهم وطالبهم..)[1].

وهنا لا بأس من ذكر ما يتيسر لنا من أبيات قصيدة شاعر النيل حافظ إبراهيم:

وقوله لعلي قالها عمر   أكرم بسامعها أعظم بملقيها
حرقت دارك لا بقي عليك بها   إن لم تبايع وبنت المصطفى فيها
ما كان غير أبي حفص بقائلها   أمام فارس عدنان وحاميها

... نعم كثير من الكتاب والمؤرخين ذكروا أن أصحاب الشورى استعملوا القوة أحياناً بإجبار المسلمين على البيعة...

وهذا القول عندنا مردود أو ضعيف!!

لأن المسلمين لم يعتادوا على ذلك، ولم ينصاعوا لغير نبيهم ﷺ لأن أمره لهم بتنفيذ ما يأمرهم به هو أمرٌ من أوامر السماء الجليلة الواجبة التنفيذ..

كذلك أن أصحاب البيعة لم تكن لهم تلك القوة والسطوة بعد.. فلا جيش تحت إمرتهم ولا شرطة، حتى يستطيعوا استعمال القوة من خلالهما في بسط نفوذهم، كما لم يلتف حولهم في بادىء الأمر مَنْ بايعهم، حتى يشكلوا منهم قوة يُحسب لها حساب. بل نستطيع القول أن مَنْ كان مع البيت الهاشمي هم أعظم قوة.. لكن الإمام لم يستعمل تلك القوة حفاظاً على وحدة الكلمة ووحدة المسلمين..

ونستطيع القول أن أصحاب الشورى كانت بيعتهم مفاجئة للمسلمين.. فاستغلوا عنصر المفاجأة.. ثم سياسة الأمر والواقع.. وبعدها استخدموا عنصري الترغيب والترهيب مع المسلمين ليحصلوا على قدر يقارب الإجماع لبيعتهم!!

---

(١) (الإمام والسياسة) ج١ ص٢٩.. وذكر ذلك الإمام الطبري في (تاريخه) وابن عبد ربه المالكي في (حديث السقيفة) وأبو بكر بن عبد العزيز الجوهري في كتاب (السقيفة). والمسعودي في (مروج الذهب)... والشهرستاني في كتابه (الملل والنحل) وغيرهم.

٧ تحول الخلفاء عن الشورى

على أن تلك التي سُميت (بالشورى) لم تصبح نهجاً لمبايعة الخلفاء من بعد أبي بكر (رض).. حيث تحول الخليفة الأول عنها إلى تعين الخليفة الذي بعده ... وكذلك فعل الذي بعده..!

وهذا مما يستدل على أن تلك الشورى هي غير شورى (كما يجب أن تكون مكتملة المفاهيم)، وإنما جاء وصفها بتلك التسمية حتى يضيفوا عليها الطابع التشريعي المبرر لانعقادها ونتائجها..

لذا انصرف الخليفة الأول (رض) عنها بتعين الخليفة الثاني (رض) قبل وفاته!

وكان الخليفة الأول أول مَنْ هدم ذلك المبدأ الذي منه بدأ خلافته!

وهذا ما يجعلنا نستدل أيضاً، إنه كان غير مؤمن بالشورى، ولا مقتنع بها، ولا سند له في تقييمها... وإلا لِمَ لا يترك الخليفة الذي بعده أن يأتيها عن طريق الشورى التي برر بها خلافته!!

ولماذا أوصى واستخلف بعده ولم يترك المسلمين أن يختاروا خليفة لهم!!

وبناء على تلك الوقائع، يمكننا القول أن أصحاب الشورى هم الذين اغتالوا الشورى ولم يسيروا على ما سار عليه قائدهم العظيم ﷺ في واحد من الاحتمالات الثلاثة التالية:

١ ـ إن أمرَ ﷺ بالشورى.. فقد خالفوا الشورى في حالتين أولمرتين:

إحداهما: طريقة استعمالهم لحق الشورى كما قدمنا..

والثانية: إلغاء مبدأ الشورى بعد إقرارهم لها..

٢ ـ وإن لم تكن هناك شورى، فهناك وصية رسول الله باستخلاف خليفة له من بعده. .

فإن كانت هناك وصية، فأصحاب الشورى لم يلتزموا بتلك الوصية أيضاً. .

٣ ـ في حالة سكوته ﷺ وترك الاختيار للمسلمين ليختاروا لهم خليفة له. . فيما إذا لم يتطرق للخلافة لا عن طريق الوصية. . ولا بواسطة الشورى. .

فإن سكت وجب على المسلمين الاقتداء به، لأن من واجب المسلم أن يقتدي بأقوال النبي ﷺ، وأفعاله، وأعماله، وحتى سكوته. .

وبما أنه سكت عن الخلافة (في هذا الاحتمال) ولم يشر لها بأية إشارة. . فكان على مَن يخلفه أن يقتدي بسكوته، ولا يوصي لمن يخلفه مطلقاً. .

وبما أننا بصدد هذا الاحتمال (السكوت)، نذكر أن بعض رواة الحديث ذكروا: أن نبي الرحمة ﷺ ترك المسلمين دون أن يوصيهم أية وصية تتعلق بمن سيخلفه ليكون إماماً للمسلمين بعده. . . ولم يذكر النبي ﷺ الطريقة التي يصل بها خليفته إلى الخلافة. .

وهذا القول مردود يجافي الوقائع التي وقعت في حياة رسول الله ﷺ الذي كان حريصاً أن يخلف أحدهم في مدينته الصغيرة عندما يشد رحاله عنها لأي سبب كان (وقد مر ذكر هذا في المواضيع السابقة). .

ونكرر ما ذكرناه أن النبي ﷺ وهو على فراش مرض الموت كان يتابع حملة جيش أسامة الذي أمر بتجهيزه وعين أسامة له قائداً. . ونكرر تساؤلاتنا ونتسائل مرة أخرى:

هل من الممكن أن يقف ذلك العظيم رسول الإنسانية والسياسي القدير، موقفاً سلبياً من حال المسلمين بعده!!

وهل يا ترى كان اهتمام الرسول ﷺ بأمور المسلمين تندرج في حياته فقط، ولا تهمه أمورهم بعدها!!

وهل الخلافة بعده لا تستحق اهتماماته بعد أن اهتم بما يهم المسلمين صغيرة وكبيرة!!

علماً أن الخلافة من الأمور التي تعتبر غاية في الأهمية.. فالخليفة بعد الرسول ﷺ يستطيع أن يستمر بحمل الراية التي حملها النبي ﷺ في حياته الكريمة، لتنتشر مبادىء الإسلام...

أو من الممكن أن يتولى أمور المسلمين غير ذلك، ويهدم بقصد أو بدون قصد ما بناه ذلك الرجل العظيم ﷺ!!

وحاشا (كما ذكرنا) لذلك القائد المحنك أن يترك أمته دون أن يرسم لها طريق من سيخلفه.. ومن الذي سيخلفه..

كما لا يمكن أن يكون الخليفتان أبو بكر وعمر (رض) أكثر منه دراية في ذلك وأكثر منه حرصاً حتى يقوم كل واحد منهما بتسمية مَنْ سيخلفه!!

لذا نستطيع أن نذكر وبكل ثقة استناداً لما مَرّ من وقائع:

إن رسول الله ﷺ قد أوصى لمن يخلف.. وذكر اسم مَنْ يريد أن يخلفه، وأوصى به، وأوصى له..

ولم يكن أحد في حياة النبي ﷺ كان يذكره ويقربه ويعلمه ويهيئه سوى ذلك الرجل الذي قال له:

«أنت مني بمنزلة هارون من موسى..».

والذي قال للمسلمين عنه:

«من كنت مولاه فعلي مولاه..».

وأعظم من قول رسول الله ﷺ قول خالقه العظيم في كتابه الكريم:

﴿إِنَّمَا وَلِيُّكُمُ اللَّهُ وَرَسُولُهُ وَالَّذِينَ آمَنُوا الَّذِينَ يُقِيمُونَ الصَّلَاةَ وَيُؤْتُونَ الزَّكَاةَ وَهُمْ رَاكِعُونَ﴾ [سورة المائدة، الآية: ٥٥].

الإمام علي (ع) كان دون شك أولى وأحق بأمر الوصية والخلافة من غيره.. إن لم يكن بسبب الوصية والنص كما قدمنا في بداية الفصل الخامس..

فهو أولى بها على وجه الأفضلية والمكانة والخصائص، وما عليه من علم وفقه وتقوى، ولا يمكن مقارنة خصال أحد من المسلمين بخصاله المشهودة

والمشهورة والمتفق عليها بين سائر المؤرخين وكتاب السير.. بل وقالها رسول الله ﷺ له:

«.. أنت وزيري وخير من أترك بعدي..».

وصف الدكتور طه حسين الإمام علي، فقال:

(إنه أجدر الناس بأن يملأ قلوب المسلمين طمأنينة وضمائرهم رضى ونفوسهم أملاً. فهو ابن عم النبي وأسبق الناس إلى الإسلام بعد خديجة، وأول من صلى مع النبي من الرجال، وهو ربيب النبي قبل أن يُظهر دعوته ويصدع بأمر الله..

وقام النبي على تنشئته وتربيته..

فلما آثره الله بالنبوة كان علي في كنفه لم يجاوز العاشرة من عمره إلا قليلاً. فنستطيع أن نقول إنه نشأ مع الإسلام.

وكان النبي يحبه أشد الحب ويؤثره أعظم الإيثار.

استخلفه حين هاجر على ما كان عنده من ودائع حتى ردها إلى أصحابها.

وأمره فنام في مضجعه ليلة ائتمرت قريش بقتله، ثم هاجر حتى لحق بالنبي في المدينة. فآخى النبي بينه وبين نفسه ثم زوجه ابنته فاطمة.

ثم شهد مع النبي مشاهده كلها.. وكان صاحب رايته في أيام البأس. وقال النبي يوم خيبر:

«لأعطين الراية غداً رجلاً يحب الله ورسوله ويُحبه الله ورسوله». فلما أصبح دفع الراية إلى علي.

وقال النبي له حين استخلفه على المدينة يوم سار إلى غزوة تبوك:

- **«أنت مني بمنزلة هارون من موسى إلا أنه لا نبي بعدي..»**.

وقال للمسلمين في طريقه إلى حجة الوداع:

«مَنْ كنت مولاه فعلي مولاه، اللهم وال مَنْ والاه وعاد مَنْ عاداه».

وكان عمر رحمه الله يعرف لعلي علمه وفقهه ويقول:

إن علياً أقضانا.. وكان يفزع إليه في كل ما يعرض له من مشكلات الحكم..)[1].

كما ذكر د. طه حسين في موضع آخر:

(... فهم (آل البيت) إذاً أولى الناس بالنبي، وأحقهم بالأمر بعده...)[2]

نعم إن آل البيت وفي مقدمتهم الإمام علي كانوا أحقهم بالخلافة والولاية من كل الصحابة.. بل ومن كل المسلمين..

ذلك إن الإمام كان المرجع الوحيد لهم، ولمن تولى الخلافة قبله بعد رحيل ذلك القائد العظيم ﷺ، لحل كافة المشاكل المستعصية على كل المسلمين عامة، وعلى الخلفاء خاصة..

ولم يرجع الإمام إلى غيره من الصحابة في أي مشكل طوال حياته بعد حياة النبي ﷺ بل إن الخلفاء الذين سبقوه بالخلافة كانوا يحفظون له مرجعيته الفكرية، وموقعه المتميز في الفقه والعلم والدين، وأخص منهم الخليفة عمر بن الخطاب (رض)..

نعم كان الإمام مرجعاً لما كان يعترض الخلفاء من إشكالات إدارية أو علمية أو فقهية وقضائية بسبب ما كان عليه من علم وفقه..

وقد أخرج في ذلك أبو نعيم في (حليته) عن ابن مسعود، فقال:

(إن القرآن أُنزل على سبعة أحرف، ما منها حرفٌ إلا وله ظهرٌ وبطن، وإنَّ علياً بن أبي طالب عنده الظاهر والباطن.)[3].

إضافة لما تقدم كان رسول الله ﷺ الذي ربى الإمام وعلمه، كان يعدُه إعداداً فكرياً وعلمياً، ويهيئه لتولي مكانته من بعده وإسناد زعامة الإمة الإسلامية له..

---

(١) (الفتنة الكبرى) ج٢ ص١٥.

(٢) نفس المصدر ج٢ ص٦٩.

(٣) (الاتقان) للسيوطي ج٤ ص٢٣٣.

(لقد تولى رسول الله ﷺ بنفسه، وبأمر إلهي مهمة الإعداد الفكري والعلمي لعليّ، وتزويده دون سواه بالمعرفة القرآنية الشاملة، وبأصول العلوم وينابيعها، وبالحكمة وآدابها، وبتفيهم أحكام الشريعة حلالها وحرامها)[1]..

كما أن النبي ﷺ كان يعد الأمة الإسلامية إعداداً فكرياً لترسيخ ولاية علي بن أبي طالب من بعده ليتولى قيادة المسلمين، إلى جانب إعداده لها كما ذكرنا...

وشواهدنا على ذلك كثيرة قدمنا لها فيما سبق من مواضيع.. منها:

حديث الدار.. حديث المنزلة.. حديث الثقلين.. حديث الطير.. رد الودائع في مكة، أداؤه عن النبي سورة براءة.. ثم أهمها وأوضحها، حديث الغدير.. وغيرها.. بل وقول الرسول ﷺ له:

«إنه لا ينبغي أن أذهب إلا وأنتَ خليفتي..»[2].

وصفوة القول كان الإمام علي في مقدمة مَنْ كان مؤهلاً للخلافة والولاية، وبالتالي فهو أحقهم لها من كل الصحابة ومن كافة المسلمين..

لكنه سكت عن ذلك الحق!!.. سكت لأسباب سنوجز بحثها في الموضوع التالي..

---

(١) د. عبد الجبار شرارة في (ملحق الأعداد التربوي والفكري لولاية علي).

(٢) راجع أقوال عبد الله بن عباس عن الإمام في الفصل السابع وسند هذا الحديث الشريف.

٨ سر سكوت الإمام عن حقه...!!

نعم وكما قدمنا كان للإمام حق في الخلافة، أعد ذلك الحق له النبي ﷺ طوال الدعوة الإسلامية.

لكن الإمام سكت عن ذلك الحق لأسباب دعته إلى ذلك السكوت مضطراً إليه.. وسنوجز تلك الأسباب التي حصرناها بخمسة أسباب رئيسة، ولا نأتي على أسباب فرعية أو ثانوية أدت إلى سكوته..

١ ـ لتبقى راية الإسلام مرفوعة

مر أبو سفيان بن حرب بالبيت الذي فيه علي بن أبي طالب، فوقف وأنشد:

بني هاشم لا تطمِعُوا النّاس فيكمُ ... ولا سيما تَيم بن مرة أَو عدي

فما الأمرُ إلا فيكمُ وإليكمُ ... وليس لها إلا أبو حسن علي

أبا حَسَنٍ فاشدُدْ بها كف حازم ... فإنك بالأمر الذي يُرتجى ملي

وأي امرىءٍ يرمي قصياً ورأيها ... منيعُ الحِمىٰ والناس من غالب قصي

فقال علي لأبي سفيان:

«إنك تريد أمراً لسنا من أصحابه، وقد عهد إلي رسول الله ﷺ عهداً فأنا عليه»..

وكان الإمام قبل ذلك أبى مبايعة عمه له مخافة الفتنة..

فتركه أبو سفيان وعدل إلى العباس بن عبد المطلب في منزله، فقال: يا أبا الفضل، أنت أحق بميراث ابن أخيك..

فضحك العباس، وقال:

يا أبا سفيان.. يدفعها علي ويطلبها العباس!

فرجع أبو سفيان خائباً[1].. وقد عرجنا على هذا فيما مر ذكره.

وذكر الدكتور طه حسين في كتابه (الفتنة الكبرى) فقال:

(وكان أبو سفيان يريد مبايعة علي لا حباً له ولا رضى به ولا اعترافاً بمكانته الخاصة من النبي ﷺ، بل عصبية لبني عبد مناف، وهو الذي لم يسلم إلا كارهاً حين رأى جيوش المسلمين مطبقة على مكة فأدخله العباس على النبي فأسلم كرهاً لا طوعاً. لم يتردد في الاعتراف بأن لا إله إلا الله، لأنه لم ير بهذا الاعتراف بأساً. ولكنه حين طُلب إليه أن يشهد أن محمداً رسول الله، قال:

أما هذه فإن في نفسي منها شيئاً. ولولا حث العباس له وتخويفه القتل لما اعترف بهذه الشهادة التي كان في نفسه منها شيء..

فهو إذاً أحد هؤلاء (الطلقاء) الذين عفا النبي عنهم حين دخل مكة فاتحاً منتصراً..

رأى النبي من بني أبيه عبد مناف، ورأى علياً أحق الناس بوراثة سلطانه، ورأى الخلافة تساق إلى رجل من بني تيم هو أبو بكر، وقدّر إنها ستساق بعد أبي بكر إلى رجل من بني عدي هو عمر.

فآثر بني أبيه الأدنين على بني عمه، وقال لعلي:

ابسط يدك أبايعك.. ولكن علياً أبى أن يستجيب له، كما أبى أن يستجيب لعمه العباس.

ولو كان استجاب لهذين الشيخين، لأثار بين المسلمين فتنة لم يكونوا في حاجة إليها، ولعلهم لم يكونوا قادرين على احتمالها فضلاً عن مقاومتها والخروج منها ظافرين..

فقد علمت ما كان من خلاف الأنصار في أمر البيعة حين قُبض النبي، فكيف لو اختلفت قريش نفسها، وقد علمتَ ما كان من ارتداد العرب في أول خلافة أبي بكر، فكيف لو اختلف الذين وفوا للإسلام من قريش والأنصار..

---

(١) (حجج النهج) الدكتور سعيد السامرائي ص١٥١.

كان علي موفقاً إذاً كل التوفيق ناصحاً لله وللإسلام كل النصح حين امتنع على هذين الشيخين، فلم ينصب نفسه للخلافة ولم ينازعها أبا بكر، وإنما بايعه كما بايعه الناس وصبر نفسه على ما كانت تكره، وطابت نفسه للمسلمين بما كان يراه حقاً. .)[1].

هذا ما ذكره د. طه حسين. . ثم يواصل عرضه لمواقف الإمام علي من الخلافة، فيقول:

(. . وقد بايع علي ثاني الخلفاء كما بايع أولهم كراهية الفتنة، وإيثاراً للعافية، ونصحاً للمسلمين. ولم يُظهر مطالبة بما كان يراه حقاً له، بل لم يُجمجم به، وإنما صبر نفسه على مكروهها ونصح لعمر كما نصح لأبي بكر. .

وقد بايع علي عثمان كما بايع الشيخين وهو يرى أنه مغلوب على حقه، ولكنه على ذلك لم يتردد في البيعة ولم يقصّر في النصح للخليفة الثالث، كما لم يقصّر في النصح للشيخين من قبله. . .)[2].

أرسل الإمام علي كتاباً إلى أهل مصر مع مالك الاشتر لما ولاه إمارتها، قال فيه:

«أما بَعْدُ فإِنَّ الله سُبحانَهُ بَعَثَ مُحمداً ﷺ نَذيراً للعالمينَ وَمُهيمناً على المُرسلينَ[3]، فلما مَضَىٰ عليه السلام تنَازَعَ المُسلمونَ الأمرَ مِنْ بَعْدِهِ. فوالله ما كانَ يُلقي في روُعي، ولا يَخطُرُ بِبالي أَنَّ العَرَبَ تُزْعِجُ هذا الأَمْرَ مِنْ بَعْدِهِ ﷺ عَنْ أَهلِ بَيْتِه، ولا أَنَّهُمْ مُنَحوُهُ عَنّي من بعدِهِ[4]. فما رَاعَني إلا انثيالُ النّاسِ[5] على فُلانٍ يُبايعُونَهُ، فأَمسكتُ يَدِي حتى رأَيتُ راجعةَ الناسَ قَد رَجَعَتْ عن الإسلامِ يَدْعُونَ إلى مَحْقِ دينِ

(١) (الفتنة الكبرى) ج٢ ص١٧.
(٢) المصدر السابق ص١٩.
(٣) المهيمن: الشاهد، والنبي شاهد برسالة المسلمين.
(٤) أي ما كان يقذف في قلبي هذا الخاطر وهو أن العرب تزعج أي تنقل هذا الأمر أي الخلافة عن آل البيت عموماً، ولا أنّهُمْ ينحونه، أي يبعدونه عني خصوصاً.
(٥) راعني: أفزعني. وانثيال الناس: انصبابهم.

مُحمد ﷺ[1]، فَخَشيتُ إنْ لم أنصُرِ الإسلامَ وأهلَهُ أنْ أرى فيه ثَلْماً أوْ هَدْماً تكونُ المُصيبةُ بِهِ عَليّ أعْظَمَ من فَوْتِ ولايتكُمْ التي إنما هي مَتَاعُ أيام قَلائِلَ يَزُولُ منها ما كان كما يَزُولُ السَّرابُ أو كما يَتَقَشّعُ السَّحَابُ»[2].

ومن خطبة للإمام علي (ع) منها[3]:

«. . . قال قائل: إنَّكَ على هذا الأمرِ يا ابنَ أبي طالبٍ لَحَريصٌ، فَقُلْتُ بَلْ أنتُمْ والله لأحْرَصُ وأبْعَدُ، وأنا أخَصُّ وأقْرَبُ.

وإنَّما طَلَبْتُ حقاً لي وأنْتُم تحولونَ بيني وبينهُ، وتَضرِبُونَ وجَهي دُونَهُ.

فلما قرعتُهُ بالحُجَّةِ في المِلإِ الحاضرينَ هَبَّ لا يدري ما يُجيبُني به. . اللّهمّ إنّي أستعينُكَ على قُريشٍ ومَنْ أعانَهمْ فإنهمْ قَطَعُوا رَحِمي، وصَغَّروا عَظِيم مَنزِلَتي، وأجمعوا على مُنازعَتي أمراً هُوَ لي، ثم قالوا إلاّ أنّ في الحق أنْ تأخُذَهُ وفي الحقّ أنْ تَترُكَهُ. . »[4].

وقال (ع):

«. . . لقد علمتمُ أني أحَقُّ الناس مِنْ غيري، ووالله لأُسلمنّ ما سَلِمَتْ أمورُ المُسلمينَ. . »[5].

سأل الإمام أحد أصحابه[6]:

---

(١) كففتها عن العمل وتركت الناس وشأنهم حتى رأيت الراجعين من الناس قد رجعوا عن دين محمد بارتكابهم خلاف ما أمر الله وإهمالهم حدوده وعدولهم عن شريعته. ومحق الدين: محوه وإزالته.

(٢) (نهج البلاغة) شرح محمد عبده ج٣ ص١١٨.

(٣) المصدر السابق ج٢ ص٨٤.

(٤) أي إنهم اعترفوا بفضله وإنه أجدرهم بالقيام به، ففي الحق أن يأخذه ثم لما اختاروا المقدم في الشورى غيره عقدوا له الأمر، وقالوا للإمام في الحق أن تتركه، فتناقض حكمهم بالحقية في القضيتين، ولا يكون الحق في الأخذ إلا لمن توفرت فيه شروطه.

(٥) لاحظ بداية هذا الفصل.

(٦) نهج البلاغة ج٢ ص٦٣.

كيف دفعكم قومكم عن هذا المقام، وأنتم أحق به!!

أجابه الإمام قائلاً:

«يا أخا بَني أَسَدٍ إنَّكَ لَقَلِقُ الوَضِينِ[1] ترسِلُ[2] في غَيرِ سَدَدٍ[3]، ولَكَ بَعْدَ ذِمامَةُ[4] الصِّهرِ[5] وحَقّ المَسْأَلةِ، وقد اسْتَعْلَمْتَ فاعْلَمْ. أما الاستبدادُ علينا بهذا المَقَامِ ونَحْنُ الأَعْلَونَ نَسَباً، والأَشَدُّونَ برسولِ الله ﷺ نَوْطاً[6]، فإنَّها كانتْ أَثَرَةً[7] شَحَّتْ عليها نفوسُ قَوْمٍ، وسَخَتْ عنها نُفُوسُ آخرين..».

وقال الإمام علي (ع):

«أنا من رسول الله ﷺ كالعضدمن المنكب، وكالذراع من العضدِ، وكالكف من الذراع، رباني صغيراً، وآخاني كبيراً.

ولقد علمتم أني كان لي منه مجلسٌ سِرٍ لا يطلع عليه غيري، وإنه أوصى إليَّ دون أصحابه وأهل بيته..».

وذكر أبو الحسن علي بن محمد الدائني عن عبد الله بن جُناده، قال:

قدِمتُ من الحجاز أريد العراق في أول إمارة علي بن أبي طالب، فمررت بمكة، فاعتمرتُ، ثم قدمِتُ المدينة، فدخلت مسجد رسول الله ﷺ إذ نودي: الصلاة جامعة، فاجتمع الناس، وخرج علي (ع) متقلداً سيفه، فشخصت

---

(١) الوضين: بطان يشد به الرحل على البعير كالحزام للسرج، فإذا قلق واضطرب اضطرب الرحل فكثر تململ الجمل وقلّ ثباته في سيره.

(٢) الإرسال: الإطلاق والأهمال.

(٣) السدد: الاستقامة، أي تطلق لسانك بالكلام في غير موضعه كحركة الجمل المضطرب في مشيته.

(٤) الذمامة: الحماية والكفاية.

(٥) الصهر: الصلة بين أقارب الزوجة وأقارب الزوج. وإنما كان للأسدي حماية الصهر، لأن زينب بنت جحش زوجة رسول الله ﷺ كانت أسديه.

(٦) النوط: التعلق.

(٧) الأثرة: الاختصاص بالشيء دون مستحقه.

الأبصار نحوه، فحمَدَ الله وصلى على رسوله ﷺ ثم قال:

«أما بعد فإنه لما قبض الله نبيه ﷺ، قلنا: نحن أهله وورثته وعترته وأولياؤه دون الناس، لا ينازعنا سلطانه أحد، ولا يطمع في حقنا طامع إذ انبرى لنا قومنا فغصبونا سلطان نبينا، فصارت الإمرة لغيرنا.. ثم يقول (ع):

وأيمُ الله لولا مخافة الفُرقة بين المسلمين، وإن يعود الكفر، ويبور الدين لكنا على غير ما كنا لهم عليه»[١].

وقال الإمام علي (ع) لما أراد المسير إلى البصرة:

«.. إن الله لما قبض نبيه، استأثرت علينا قريش بالأمر، ودفعتنا عن حق نحن أَحقُّ به من الناس كافة، فرأيت أن الصبر على ذلك أفضل من تفريق كلمة المسلمين وسفك دمائهم والناس حديثو عهد بالإسلام»[٢].

وروى الزبير بن بكار، قال:

روى محمد بن إسحاق، أن أبا بكر لما بُويع افتخرت تيم بن مرة، قال:

وكان عامة المهاجرين وجل الأنصار لا يشكون أن علياً هو صاحب الأمر بعد رسول الله ﷺ، فقال الفضل بن العباس:

يا معشر قريش، وخصوصاً يا بني تيم، إنكم إنما أخذتم الخلافة بالنبوة، ونحن أهلها دونكم، ولو طلبنا هذا الإمر الذي نحن أهله لكانت كراهة الناس لنا أعظم من كراهتهم لغيرنا، حسداً منهم لنا، وحقداً علينا، وإنا لنعلم أن عند صاحبنا (الإمام علي) عهداً هو ينتهي إليه.

وقال بعض ولد أبي لهب بن عبد المطب بن هاشم شعراً:

---

(١) (حجج النهج) د. سعيد السامراني ص٣٢٥.

(٢) نفس المصدر ص٣٢٦.

ما كنتُ أحسِبُ أنَّ الأمر منصرفٌ عن هاشم ثم منها عن أبي حسنِ
أليس أول مَنْ صلى لقبلتكم وأعلم النّاس بالقرآن والسننِ
وأقرب الناس عهداً بالنبي ومَنْ جبريل عونٌ له في الغسل والكفنِ
ما فيه ما فيهم لا يمترونَ به وليس في القوم ما فيه من الحسن
ماذا الذي ردهم عنه فنعلمه ها إن ذا غبناً من أعظم الغبن

قال الزبير: فبعث إليه الإمام علي فنهاه، وأمره أن لا يعود..

وقال (ع): **«سلامة الدين أحب إلينا من غيره»**[1].

ذكر أبو بكر أحمد بن عبد العزيز، عن أبو زيد عمر بن شبه بإسناد رفعه إلى عبد الله بن عباس، قال:

إني لأماشي عمر في سكة من سكك المدينة، يده في يدي.. فقال:

يا ابن عباس، ما أظن صاحبك إلا مظلوماً.. فقلت في نفسي، والله لا يسبقني بها فقلت:

يا أمير المؤمنين، فارْدُدْ إليه ظلامته.. فانتزع يده من يدي، ثم مرَّ يهمهم ساعة ثم وقف، فلحقته، فقال لي:

يا ابن عباس، ما أظن القوم منعهم من صاحبك إلا أنهم استصغروه.. فقلت في نفسي هذه شر من الأولى.. فقلت:

والله ما استصغره الله حين أمره أن يأخذ سورة براءة من أبي بكر!![2].

.. بعد أن استعرضنا وبإيجاز ما كان يكرره الإمام علي في مواضع مختلفة، معللاً لما صبر عليه، ومسبباً لسكوته عن حقه..

نجد أن من أول الأسباب وأهمها، حرصه على سلامة الدين، والحفاظ على مبادىء الإسلام وتوحيد كلمة المسلمين ودفع الفرقة عنهم.. والابتعاد عن الأسباب التي تؤدي إلى سفك دمائهم، وبالتالي يعود الكفر ويبور الدين، ويهجر الناس الرسالة المحمدية، لاسيما وإنهم حديثو العهد بالإسلام..

---

(١) (حجج النهج) د. سعيد السامرائي ص١٥٣.

(٢) نفس المصدر ص١٦١.

سألت السيدة فاطمة الزهراء زوجها الإمام علياً. عن أسباب عدم مطالبته لحقه في الخلافة. . . وبينما كانت كذلك، إذ قام المؤذن بالأذان مردداً. . أشهد أن لا إله إلا الله. . أشهد أن محمداً رسول الله. .

أجابها الإمام قائلاً:

«سكت عن المطالبة، حتى يبقى هذا النداء قائماً، وراية الإسلام مرفوعة.»

والحق يقال، لو أن الإمام أراد أن يُطالب بما له من حق أُخذ منه، ذلك يعني الثورة والعصيان على الخليفة الأول. . ولكل ثورة ثوار، ينشقون عمن ثاروا عليه وبالتالي ينقسم المجتمع الإسلامي إلى صفين، إن لم ينقسم إلى صفوف وشيع وأحزاب، وبالتالي ترجع راجعة الناس عن الدين إلى ما كانوا عليه من المجتمعات القبلية. .

وبعدها يكون الإسلام ومبادئه ضحية تلك الثورة التي فطن الإمام إلى نتائجها إن حدثت!!

فسكت ذلك الرجل المؤتمن على تلك المبادىء. . وتحمل ما كان يعتقده جوراً عليه ليحفظ للدين سلامته، ويرد أعداء الدين الذين كانوا يتربصون به من كل جانب، كمسيلمة الكذاب. . وسجاح بنت الحرث الدجالة. . وطليحة بن خويد الأفاك. وليفوت عليهم فرصة الاستفادة من شق صفوف المسلمين، والنفاذ إليهم من خلال الانقسامات التي كانت ستحصل نتيجة لمطالبة الإمام علي عن موقعه في الخلافة. .

إلا أنه تحمل الضير وقبله لنفسه، فكان ذلك الموقف الذي وقفه الإمام من أزمة الخلافة، موقفاً صائباً وحكيماً يدل على حكمته وعبقريته الفذة، ومواقفه المشهورة له من أجل مبادىء دين الله التي عاش لها، واستشهد من أجلها. .

إلا أن علياً (ع) بقي في بيته ستة أشهر دون أن يبايع الخليفة الأول، احتفاظاً منه لحقه الذي كان يرى أنه أُزيح عنه. . وإنه مغلوب على حقه. . وكذلك احتجاجاً منه على مَنْ كان سبباً لذلك الغبن الذي وقع عليه. .

ذكر العلامة السيد عبد الحسين شرف الدين:

(..إنه «الإمام» قعد في بيته ولم يبايع احتفاظاً بحقه، واحتجاجاً على مَنْ عدل عنه ولو أسرع إلى البيعة ما تمت له حجة ولا سطع له برهان، لكنه جمع فيما فعل بين حفظ الدين، والاحتفاظ بحقه من إمرة المؤمنين..

فدلَّ هذا على أصالة رأيه ورجاحة حلمه، وسعة صدره، وإيثاره المصلحة العامة)(1).

لذا كان موقف الإمام جامعاً بين حرصه على سلامة الإسلام، والحفاظ على كلمة التوحيد وبين الاحتفاظ بحقه في خلافة رسول الله ﷺ..

وبذلك الموقف يعتبر سكوته عن المطالبة بحقه، سكوتاً إيجابياً.. طالب بحقه، واحتج، وثار، واستصرخ من خلال ذلك السكوت الذي به حفظ للإسلام رايته.. وللمسلمين وحدتهم.. وكان يكرر قوله:

«لا يعاب المرء بتأخير حقه.. إنما يعاب مَنْ أخذ ما ليس له..».

٢ ـ زهده بالخلافة بسبب زهده في دنياه:

ذلك أن الإمام لم يكن طامعاً في الخلافة، لأنه كان زاهداً بكل ما يتعلق بأمور الدنيا، ومنها الخلافة لأنها من تلك الأمور..

بل كان يجهز نفسه فيها لآخرته.. وهو الذي يعتبر الدنيا جسراً يمر به الإنسان حتى يصل إلى عالم البقاء والديمومة..

وقد قال له.. الرسول الكريم ﷺ عبارته المشهورة، والتي أتينا على ذكرها وهي:

«يا علي إن الله قد زينك بزينة لم يزين العباد بزينة أحب إليه منها، هي زينة الأبرار عند الله: الزهد في الدنيا.. فجعلك لا ترزأ من الدنيا، ولا ترزأ الدنيا منك شيئاً».

وعلي (ع) نفسه كان دائم الذم لها.. بل كاد يكون أقساهم عليها، وأكثر الرجال ذماً لها... حتى وصفها بقوله:

---

(١) (المراجعات) ص٣٣٠.

«ما أَصِفُ مِنْ دَارٍ أَوَّلُها عَنَاءٌ، وآخِرُها فَنَاءٌ، في حَلاَلِها حِسَابٌ، وفي حَرَامِها عِقَابٌ. .

مَنْ استغنى فيها فُتِنَ، وَمَنْ افتقر فيها حَزِنَ، ومَنْ سَاعاها فاتَتْهُ[1]، وَمَنْ قَعَدَ عَنِها واتَتْهُ[2]، وَمَنْ أَبْصَرَ بها بَصَّرتْهُ[3]، وَمَنْ أَبصَرَ إِليها أَعْمَتْهُ»[4].

يقول المرحوم الشيخ محمد عبده:

. . . وإذا تأمَّل المتأمل قوله عليه السلام: «مَنْ أَبصر بها بصرَّتْهُ» وجد تحته من المعنى العجيب والغرض البعيد ما لا تبلغ غايته، ولا يدرك غوره ولاسيما إذا قرن إليه قوله: «وَمَنْ أَبْصَرَ إليها أعْمَتْهُ» فإنه يجد الفرق بين (أَبْصَرَ بها) و(أَبصَرَ إليها) واضحاً نيراً وعجيباً باهراً[5]. .

. . كما أن الإمام (ع) أوصى بالرفض لهذه الدنيا، حيث قال:

«عِبادَ الله أوصيكُم بالرَّفضِ لِهذِهِ الدُّنيا التاركَةِ لكم وإِنْ لم تُحِبُّوا تركَهَا والمُبلِيةِ لأَجْسَامِكُمْ وإِنْ كُنْتُمْ تُحبُّونَ تَجدِيدَهَا. .

فإنما مَثلُكُمْ وَمَثَلُها كَسَفرٍ سَلَكُوا سَبيلاً فكأنهم قد قَطَعُوهُ[6]، وأَمُّوا[7]

(١) من جرى معها في مطالبها، والقصد اهتم بها وجدَّ في طلبها، وقوله فاتته: أي سبقته. فإنه كلما نال شيئاً فتحت له أبواب الآمال فيها، فلا يكاد يقضي مطلوباً واحداً حتى يهتف به ألف مطلوب.

(٢) يريد بذلك: أن من قوم اللذائذ الفانية بقيمتها الحقيقية وعلم أن الوصول إليها إنما يكون بالعناء وفواتها يعقب الحسرة عليها، والتمتع بها لا يكاد يخلو من شوب الألم، فقد وافقته هذه الحياة وأراحته فإنه لا يأسف على فائت منها ولا يبطر لحاضر ولا يعاني ألم الانتظام لمقتبل.

(٣) أي جعلها مرآة عبرة تجلو لقلبه آثار الجد في عظائم الأعمال وتمثل له هياكل المجد الباقية مما رفعته أيدي الكاملين وتكشف له عواقب أهل الجهالة من المترفين، فقد صارت الدنيا له بصراً وحوادثها عبراً.

(٤) أعمته عن كل خير فيها ويلهو عن الباقيات بالزائلات.

(٥) (نهج البلاغة) شرح الشيخ محمد عبده. ج١ ص١٣٠.

(٦) أي إنكم في مسافة العمر كالمسافرين في مسافة الطريق فلا يلبثون أن يأتوا على نهايتها لأنها محدودة.

(٧) قصدوا.

هَلَماً فكأنهم قد بَلَغُوهُ. وكم عَسَىٰ المُجْرِي إلى الغايةِ أنْ يَجرِيَ إليها حتى يَبلُغَها[(١)]. وما عسى أنْ يكُونَ بَقَاءُ مَنْ لَهُ يَومٌ لا يَعدُوهُ، وَطَالِبٌ حَثِيثٌ يَحدُوهُ[(٢)] في الدنيا حتى يُفارِقَهَا.. فلا تَنَافَسُوا في عزِّ الدُّنيا وفَخْرِها، ولا تُعجَبُوا بِزِينَتِها وَنعيمِها، ولا تَجزعوا مِن ضَرَّائها وبُؤسِها..

فإنَّ عِزَّها وَفَخرها إلى انقطاعٍ.. وإنَّ زِينَتَها وَنعِيمها إلى زَوَالٍ وَضراءَها وَبُؤسَهَا إلى نَفَادٍ[(٣)]، وكلُّ مُدَّةٍ فيها إلى إنتهاءٍ، وكُلُّ حَيٍّ فيها إلى فَنَاءٍ..

أَوَلَيسَ لكم في آثارِ الأَولينَ مُزْدَجَرٌ[(٤)].. وفي آبائكُمُ الماضِينَ تبْصِرَةٌ وَمُعتَبَرٌ إنْ كنتم تعقِلُونَ.

أَوَلَمْ تَروا إلى الماضينَ مِنكُمْ لا يَرْجِعُون. وإلى الخلفِ الباقِينَ لا يبقُونَ. أَوَلستُمْ تَرونَ أهلَ الدُّنيا يُصْبِحُونَ وَيُمسوُونَ على أحوالٍ شتى، فَمَيِّتٌ يُبكى وآخرُ يُعَزَّىٰ وصريعٌ مُبتلى. وعائدٌ يعودُ وآخرٍ بِنفسِهِ يجُودُ[(٥)].

وطالِبٌ للدنيا والموتُ يَطلُبُهُ، وغَافِلٌ وليسَ بِمغفولٍ عَنْهُ. وعلى أثرِ الماضي ما يمضي الباقي.

ألا فاذكروا هَادِمَ اللَّذَّاتِ، ومُنَغِّصَ الشَّهَواتِ، وَقَاطِعَ الأمنيات...».

.. ولننظر إلى الدنيا من خلال ما ينظر إليها، وهو يقول:

---

(١) الذي يجري فرسه إلى غاية معلومة، أي مقدار من الجري يلزمه حتى يصل لغايته.
(٢) يتبعه ويسوقه.
(٣) فناء.
(٤) الارتداع.
(٥) قارب أن يقضي نحبه ويسلمها إلى خالقها.

(انظروا إلى الدنيا نَظَرَ الزاهدين فيها، الصَّادِفِينَ[1] عنها، فإنها والله عمَّا قليلٍ تُزيلُ الثَّاويَ[2] السَّاكنَ، وتَفْجَعُ المُترفَ الآمِنَ.

لا يَرجعُ ما تَوَلَّى مِنها فَأدبرَ، ولا يُدري ما هو آتٍ منها فَيُنتَظَرَ. سُرُورُهَا مَشُوبٌ بِالحُزنِ. وَجَلَدُ الرِّجَالِ فيها إلى الضَّعفِ والوهَنِ فلا يَغُرنَّكُمْ كَثرةُ ما يُعجِبُكُمْ فيها، لِقِلَةِ ما يَصحَبُكُمْ مِنها.

رَحِمَ الله امرَأً تَفَكَّر فاعتَبَرَ. واعتَبَر فَأَبصَرَ.

فكأنَّ ما هو كائِنٌ من الدُّنيا عن قليلٍ لم يكُن، وكأنَّ ما هو كائِنٌ مِنَ الآخِرةِ عما قَليلٍ لم يَزَلْ[3].

وكُلُّ معدُودٍ مُنقضٍ، وكُلُّ مُتوقَّعٍ آتٍ، وكُلُّ آتٍ قَرِيبٌ دَانٍ..».

... أما عن غدر الدنيا وبلائها، قال الإمام علي (ع):

«دارٌ بالبلاءِ مَحفُوفَةٌ، وبالغدرِ معرُوفَةٌ، لا تَدُومُ أحوالُها، ولا تَسْلَمُ نُزّالُها، أَحوالٌ مُختلفةٌ، وتَاراتٌ متصَرِّفَةٌ.

العيشُ فيها ملمُومٌ، والأَمانُ فيها مَعدُومٌ. وإنَّما أَهلُها فيها أَغرَاضٌ مُستَهدِفَةٌ تَرميهمْ بِسِهامِها، وتُغنيهِمْ بحِمامِها[4].

واعلموا عِبادَ الله أنكُمْ وما أنتُمْ فيه من هذه الدنيا على سَبيلِ مَنْ قد مضى قَبلُكمْ مِمَّنْ كانَ أطولَ مِنكُمْ أعماراً، وأَعمَرَ دِياراً وأَبعَدَ آثاراً. أَصبحتْ أَصواتُهُم هامِدةً، ورياحُهُمْ راكِدَةً، وأَجسادُهُمْ باليةً، ودِيارُهُمْ خاليةً، وآثارهُمْ عَافِيَةً.

---

(١) المعرضين.

(٢) المقيم.

(٣) فإن الذي هو موجود في الدنيا بعد قليل كأنه لم يكن، وإن الذي هو كائن في الآخرة بعد قليل كأنه كان لم يزل، فكأنه وهو في الدنيا من سكان الآخرة.

(٤) الموت.

فاستَبدَلُوا بالقُصورِ المُشيّدةِ والنّمارِقِ المُمَهّدةِ[١] الصُخورَ والأحجارَ المسنّدة، والقُبورَ اللاطِئَةَ[٢] المُلحَدَةَ[٣] التي قد بُنى بالخراب فِناؤها[٤]، وشيدَ بالتُرابِ بناؤها»[٥].

وللإمام تشبيه رائع للدنيا من خلال ما كتبه إلى الصحابي الجليل سلمان الفارسي (رض) قبل خلافته:

«أما بَعْدُ فإنّما مَثَلُ الدُّنيا مَثَلُ الحيّةِ لَيّنٌ مَسُّها، قاتِلٌ سُمُّها، فَأَعرِضْ عما يُعجِبُكَ فيها لِقِلّةِ ما يَصحَبُكَ منها، وضَعْ عنكَ هُمُومَها لما أَيقَنْتَ مِنْ فِراقِها..»[٦].

وقال عن الدنيا كذلك:

«الدنيا خلقت لغيرها ولم تخلق لنفسها»[٧].

«أما بعد فإنّ الذي في يَدِكَ من الدُّنيا قد كانَ له أَهلٌ قَبلكَ وهو صائرٌ إلى أهلٍ بعدكَ..».

ومن روائع أقواله في وصف الدنيا ومتاعها:

«يا أيها الناسُ مَتاعُ الدُّنيا حُطامٌ مُوبِىءٌ فَتجنَّبوا مَرْعَاهُ[٨]. قُلْعَتُها[٩] أَحظى مِنْ طُمأنينتها، وَبُلْغَتُها أزكى مِنْ ثَرَوتِها.

---

(١) النمارق: جمع نمرقة، وتطلق على الوسادة الصغيرة وعلى الطفنسة أي البساط. والممهدة: المفروشة.

(٢) اللاطئة: اللاصقة.

(٣) من اللحد: القبر.

(٤) ساحتها وما اتسع أمامها. وبناء الفناء بالخراب لما يتخيله الفكر في ديار الموتى من الفناء الدائم إلى نهاية العالم.

(٥) نهج البلاغة ج٢ ص٢٢٠.

(٦) لقد مر ذكر هذا القول في ما سبق هذا الموضوع.

(٧) خلقت الدنيا سبيلاً للآخرة، ولو خُلقت لنفسها لكانت دار خلد.

(٨) الحطام: ما تكسر من يبيس النبات. موبئ: أي ذو وباء مهلك. مرعاه: محل رعيه والتناول منه.

(٩) القُلعة: عدم سكونك للتوطن.

حُكِمَ على مُكثِرٍ بها بِالفَاقَةِ[١]، وأُعِينَ مَنْ غَنِيَ عنها بالراحةِ[٢]. ومَنْ راقهُ زِبْرِجُها أعقبتْ ناظِريهِ كمَهاً[٣]. ومَنِ استَشعَرَ الشَّغَفَ[٤] بها ملاءتْ ضَمِيرَهُ أشجاناً[٥] لهُنَّ رَقْصٌ على سويداءِ قلبِهِ[٦] هَمٌّ يَشغَلُهُ وَهَمٌّ يَحْزُنُهُ، كذلك حتى يُؤخَذَ بكَظَمِهِ فيُلقَى بالقضاءِ. .[٧]».

ويُبدي نصحه للمسلمين، فيحثهم على الانصراف بقلوبهم عن الدنيا، برائعة أخرى من روائع كلمه، فيقول:

«. . . ألاَ وإنَّ هذهِ الدنيا التي أصبَحْتم تَتَمنَّونَها وَتَرغبونَ فيها، وأَصبَحتْ تُغضِبُكُمْ وتُرضيكُمْ ليستْ بِدارِكُمْ، ولا منزلكُمُ الذي خُلِقتم له ولا الذي دُعيتُمْ إليه.

ألا وإنها ليستْ بباقيةٍ لكمُ ولا تَبقونَ عليها. وهي وإنْ غَرَّتكُمْ منها فقد حَذَّرتكُمْ شَرَّها. فَدعُوا غُرُورها لتحذيرها، وإطماعَها لتخويفها. وسابِقُوا فيها إلى الدَّارِ التي دُعيتُمْ إليها، وانصرِفوا بِقُلُوبِكُمْ عَنها.

ولا يَخْنِنْ أحدُكُمْ خَنِينَ[٨] الأَمَةِ على ما زُوِيَ[٩] عَنْهُ منها. واستَتِمُّوا نِعمةَ الله عليكمُ بالصَّبرِ على طاعةِ الله والمحافظةِ على ما أستحفظكم من كتابهِ.

---

(١) البُلغة: مقدار ما يتبلغ به من القوت. المكثر بالدنيا حكم الله عليه بالفقر، لأنه كلما أكثر زاد طمعه فهو في فقر دائم.
(٢) استغنى.
(٣) العمى.
(٤) الولوع وشدة التعلق.
(٥) أحزاناً.
(٦) أي الأحزان تلعب بقلبه.
(٧) أي حتى يخنقه الموت فيطرح بالقضاء.
(٨) الخنين: ضرب من البكاء يردد به الصوت بالأنف.
(٩) ما قُبض.

أَلا وإِنهُ لا يَضرُكُمْ تَضييعُ شَيءٍ من دُنياكُمْ بَعدَ حِفظِكُمْ قائِمَةَ دِينكُمْ. أَلا وإِنَّهُ لا يَنفعكُمْ بعد تضييعِ دِينكُمْ شَيءٌ حافظتُمْ عليه من أَمرِ دُنياكُمْ...»[1].

والدنيا عند الإمام دار مجاز، أي ممر للآخرة، ويقول:

«أيها الناسُ إِنما الدُّنيا دَارُ مَجَازٍ والآخِرةُ دارُ قرارٍ، فَخُذُوا من مَمرِّكُمْ لِمقرِّكُمْ. ولا تَهتِكُوا أَستارَكُمْ عندَ مَنْ يعلمُ أَسرارَكُمْ. وأَخرجُوا مِنَ الدُّنيا قُلُوبكُمْ مِنْ قَبْلِ أَنْ تَخرُجَ منها أَبدانُكُمْ. فَفيها أُخْتُبِرتُمْ، ولغيرِها خُلِقْتُمْ.

إِنَّ المَرْءَ إذا هَلكَ قال الناسُ ما تَرَكَ، وقالتِ الملائِكَةُ ما قَدَّمَ.

لِلّهِ آباؤكُمْ فَقَدِّمُوا بَعضاً يَكُنْ لكُمْ قَرضاً، ولا تُخلِّفُوا كُلاً فَيكُونَ عليكُمْ»[2].

وقال الإمام كذلك عن الدنيا:

«إِنَّ الدُّنيا والآخِرَةَ عَدُوَّانِ مُتَفَاوِتَانِ وسبيلانِ مُختلفانِ فَمَنْ أَحَبَّ الدُّنيا وَتَولاها أَبغضَ الآخِرَةَ وعَاداها.

وهُما بِمَنزلةِ المشرقِ والمغربِ ومَاشٍ بَينُهما، كُلَما قَرُبَ مِنْ واحدٍ بَعُدَ مِنَ الآخرِ، وَهُما بَعْدُ ضَرَّتَانِ».

وقال في بعض الوصف فيها:

«.. تَغُرُّ وَتَضُرُّ وتَمُرُّ. إِنَّ الله تعالى لم يَرْضَها ثَواباً لأَوليائِهِ، ولا عِقاباً لأَعدائِه. وإِنَّ أَهلَ الدُّنيا كَرَكْبٍ بَيناهُمْ حَلُّوا إِذْ صاحَ بهم سائِقُهُمْ فَارتَحلُوا»[3].

(١) (نهج البلاغة) شرح الشيخ محمد عبده ج٢ ص٨٧.

(٢) المصدر السابق ج٢ ص١٨٣.

(٣) أي بينما هم قد حلوا يفاجئهم صائح الأجل، وهو سائقهم بالرحيل فارتحلوا.

ومن خطبة للإمام (ع) عن الدنيا:

«أيها الناس إنما أنتمُ في هذِ الدُنيا غَرَضٌ تَنتَضِلُ[1] فِيهِ المَنَايا، مع كُلِّ جَرْعَةٍ شَرَقٌ، وفي كُلِّ أكلَةٍ غَصَصٌ.

لا تَنَالُونَ منها نِعمةً إلا بِفراقِ أُخرى، ولا يُعَمَّرُ مُعَمَّرٌ منكُمْ يوماً من عُمرِهِ إلا بِهدمِ آخرَ من أجلِهِ، ولا تُجدَّدُ لهُ زيادةٌ في أكلِهِ إلا بِنَفاد ما قبلها من رِزقِهِ.

ولا يُحْيَى له أثرٌ إلا ماتَ له أثرٌ. ولا يَتَجدَّدُ لهُ جَديدٌ إلا بَعدَ أَنْ يَخْلَقَ[2] لهُ جَديدٌ. ولا تُقومُ لهُ نابِتةٌ إلا وَتَسْقُطُ مِنْهُ مَحْصُودَةٌ.

وَقَدْ مَضَتْ أُصُولُ نَحنُ فُرُوعُها فما بَقَاءُ فَرْعٍ بعد ذَهَابِ أَصلِهِ..»[3].

والدنيا عند الإمام علي (ع) مشغلةٌ عن غيرها، كما جاء في كتابه إلى معاوية:

«أما بعد فإن الدنيا مشغلة عن غيرها، ولم يصب صاحبها منها شيئاً إلا فتحت له حرصاً عليها ولهجاً[4] بها.

ولن يستغني صاحبها بما نال فيها عما لم يبلغه منها.

ومن وراء ذلك فراق ما جمع ونقض ما أبرم. ولو اعتبرت بما مضى حفظت ما بقي»[5].

... ومن روائع أقواله.. في الدنيا:

«ازهدْ في الدنيا يُبصِّركَ الله عَورَاتِها، ولا تَغفُلْ فَلَسْتَ بمَغفُولٍ عَنكَ».

---

(١) تترامى إليه المنايا.

(٢) يبلى.

(٣) المصدرا لسابق ج٢ ص٢٨.

(٤) ولوعاً وشدة حرص.

(٥) نفس المصدر ج٣ ص٧٨.

«خُذْ من الدُّنيا ما أتاكَ، وتَوَلَّ عما تَوَلَّى عَنك. فإنْ أنتَ لم تَفعلْ فأَجمِلْ في الطَّلَبِ».

. . . ويخاطب الإمام الدنيا، قائلاً لها:

«أعزُبي عَني فوالله لا أذلُ لك فَتَستذلِّيني: إليكِ عَني[١] يا دنيا فحبلكِ على غاربِكِ[٢]، قد انسَللتُ من مَخالِبِكِ[٣] وأفلَتُّ من حَبائِلِكِ، واجتَنبْتُ الذَّهابَ في مداحِضِكِ[٤].

أينَ القرونُ الذينَ غَرَرْتِهمْ بمداعِبِكِ، أينَ الأُمَمُ الذينَ فَتَنْتِهِمْ بزَخارفِكِ. هَا هُمْ رهائنُ القُبُورِ ومضامينُ اللُّحُودِ.

والله لو كُنْتِ شَخصاً مَرئياً، وقَالباً حِسّياً لأَقَمْتُ علَيكِ حُدُودَ الله في عبادٍ غَرَرتِهِمْ بالأَماني، وأُمَمٍ أَلقَيتِهمْ في المهاوي، ومُلُوكٍ أَسلَمِتِهِمْ إلى التَّلَفِ وأَوردتِهِمْ مواردَ البَلاءِ إِذْ لا وردَ ولا صَدَرَ[٥].

هَيهاتَ مَنْ وَطِيءَ دَحْضَكِ زَلِقَ[٦]، وَمَنْ رَكبَ لُجَجَكِ غَرِقَ، وَمَنْ أَزْوَرَ[٧] عَنْ حَبائِلِك وُفِّقْ.

والسَّالمُ مِنكِ لا يُبالي إِنْ ضَاقَ به مُنَاخُهُ، والدُّنيا عندهُ كَيَومٍ حَانَ انسِلاخُهُ[٨] اعزُبي[٩] عَنّي، فوالله لا أَذِلُّ لك فَتَستذلِّيني، ولا

---

(١) اذهبي عني.

(٢) الغارب: الكاهل وما بين السنام والعنق.

(٣) لم يعلق به شيء من شهواتها.

(٤) مساقطك.

(٥) الورد: ورود الماء. الصدر: الصدور عنه بعد الشرب.

(٦) أي زلق لا تثبت به الأرجل.

(٧) مال وتنكب.

(٨) زواله.

(٩) ابعدي عني.

أَسْلَسُ[1] لكِ فَتَقُودينِي »[2].

.. وعن الدنيا يقول الإمام علي بن أبي طالب (ع) في واحدة من فصيح خطبه:

« .. وكُونُوا عن الدُنيا نُزَّاهاً، وإلى الآخِرةِ ولاَّهاً. ولا تَضَعُوا مَنْ رَفَعَتْهُ التَّقوى، ولا تَرفَعُوا مَنْ رَفَعَتْهُ الدُنيا.

ولا تَشِيمُوا بَارِقَها[3]، ولا تَسْتَمِعُوا نَاطِقَها، ولا تُجيبُوا نَاعِقَها، ولا تَسْتَضِيئُوا بإشْراقِها، ولا تُفْتَنُوا بأَعْلاَقِها[4]، فإنَ بَرْقَهَا خَالِبٌ[5]، وَنُطقَها كَاذِبٌ، وأَمْوالَها مَحْروبَةٌ[6]، وأَعلاقَهَا مَسْلُوبَةٌ.

أَلا وهيَ المُتَصدِّيَةُ العَنُونُ[7]، والجَامِحَةُ[8] الحَرُونُ[9]، والمائِنَةُ[10] الخَؤُونُ[11]. والجَحُودُ[12] الكَنُودُ[13]، والعَنُودُ[14] الصَّدُودُ[15]، والحَيُودُ[16] المَيُودُ[17].

---

(1) لا أنقاد. (2) نفس المصدر ج٣ ص٧٤.

(3) شام البرق: نظر إليه أين يمطر. البارق: السحاب. ومعنى ذلك، لا تنظروا لما يغركم من مطامعها.

(4) الإعلاق: جمع علق: النفسي.

(5) خالبٌ: خادعٌ. (6) منهوبة.

(7) المتصدية: المرأة التي تتعرض للرجال تميلهم إليها، ومن الدواب ما تمشي معترضة خابطة. العنون: مبالغة من (عن) إذا ظهر، ومن الدواب المتقدمة في السير. شبه الدنيا بالمرأة المتبرجة المستحيلة. أو بالراية تسبق الدواب وإن لم يدم تقدمها.

(8) الصعبة على راكبها.

(9) التي إذا طلب بها السير وقفت.

(10) الكاذبة.

(11) مبالغة في (الخائنة).

(12) الناكر للحق وهو عالم به.

(13) كفر النعمة.

(14) شديد العناد.

(15) كثيرة الصد والهجر.

(16) مبالغة في (الحيد) بمعنى الميل.

(17) من مادَ: إذا اضطرب.. ومعنى ذلك: إن الدنيا في طبيعتها لؤم فمن سالمها حاربته، ومن حاربها سالمته.

حَالُها انتقالٌ، وَوطأتُها زِلزالٌ، وَعِزُّهَا ذُلٌّ، وَجِدُّهَا هَزْلٌ، وَعُلُوُّهَا سُفْلٌ. دَارُ حَرَبٍ[1] وَسَلبٍ[2]، ونَهبٍ وعَطَبٍ..

أهْلُها على سَاقٍ وَسِياقٍ، وَلحَاقٍ وَفِرَاقٍ[3]. قَدْ تَحيّرتْ مذاهِبُها[4]، وأَعجَزتْ مَهَارِبُها[5]، وخَابَتْ مَطالِبُها. فَأَسْلَمتُهُمُ المَعَاقِلُ، وَلَفَظتْهُمُ المَنَازِلُ، وأَعيتهُمُ المَحاوِلُ[6].

فَمِنْ ناجٍ مَعْقُورٍ[7]، وَلَحمٍ مَجزُورٍ، وَشِلْوٍ مَذبُوحٍ، وَدَمٍ مَسفُوحٍ، وعاضٍّ يديه، وصافِقٍ بِكفيْهِ، وَمُرْتَفِقٍ بِخَدّيْهِ، وَزَارٍ على رأيهِ[8]، وراجعٍ عن عزائِمِهِ.

وقد أَدْبَرَتْ الحِيلةُ، وأَقبلَتِ الغِيلَةُ[9]، ولاَتَ حينَ مَنَاصٍ. وَهَيْهاتَ هيهاتَ قد فاتَ ما فاتَ، وذهبَ ما ذهبَ، ومضَتْ الدُّنيا لِحالِ بَالِها[10] ﴿فَمَا بَكَتْ عَلَيْهِمُ ٱلسَّمَآءُ وَٱلْأَرْضُ وَمَا كَانُوا۟ مُنظَرِينَ﴾ [سورة الدخان، الآية: ٢٩]»[11].

.. ومن عظيم قوله في الدنيا:

---

(١) سلب المال.

(٢) الهلاك.

(٣) أي قائمون على ساق استعداداً لما ينتظرون من آجالهم. والسياق مصدر ساق فلاناً إذا أصاب ساقه. أي ولا يلبثون أن يضربوا على سوقهم فينكبوا للموت على وجوههم. أو هو السياق بمعنى الشروع في نزع الروح من ساق المريض سياقاً. واللحاق للماضين والفراق عن الباقين.

(٤) حيرة الناس فيها.

(٥) أعجزت الناس عن الهروب.

(٦) أي لم يفدهم ذلك خلاصاً.

(٧) أي فمنهم ناجٍ من الموت معقور، أي مجروح.

(٨) المقبح له اللائم لنفسه عليه.

(٩) الشر الذي أضمرته الدنيا في خداعها.

(١٠) ذهبت على ما تهواه لا على ما يريد أهلها.

(١١) نفس المصدر ج٢ ص١٣٥.

«إذا أقبلت الدنيا على أحد أعارته محاسن غيره، وإذا أدبرت عنه سلبته محاسن نفسه».

كما أن الدنيا عنده دار شخوص، وسفينة تقصفها العواصف، فيقول:

«.. أُوصيكُمْ عِبادَ الله بتقوى الله، وأُحَذِّرُكُمْ الدُّنيا فإنَّها دَارُ شُخُوصٍ[1] وَمَحلَّةُ تَنْغيصٍ.

سَاكِنَها ظاعِنٌ، وقاطِنُها بائِنٌ[2]. تَمِيدُ[3] بأَهْلِها مَيَدانَ السَّفينَةِ تَقْصِفُها[4] العَواصِفُ في لُجَجِ البِحار.

فمنهُمُ الغَرِقُ الوَبِقُ[5]، ومنهُمُ النَّاجِي على بُطُونِ الأَمواجِ تَحْفِزُهُ الرِّياحُ بِأَذيالِها، وَتَحمِلُهُ على أَهوالِها.

فَما غَرِقَ مِنها فَلَيْسَ بِمُسْتَدْرَكٍ، وما نَجَا مِنها فإلى مهلِكٍ.»[6].

.. ثم ... ثم قال الإمام (ع) عنها أخيراً:

«الدنيا دار صدق لمن صدقها، ودار نجاةٍ لمن فهم عنها، ودار غنىً وزاد لمن تزود منها».

.. تلك كانت نماذج من بعض أقواله في وصف الدنيا بكل جوانبها، وهو وصفٌ بالغ الدقة لمكنونها.. وبليغ القول في تشبيهها.. ودقيق الكلام في تمثيلها..

إذن هذه الدنيا عنده عاش فيها كما عرفها «دار بالبلاء محفوفة، وبالغدر

---

(١) الذهاب والانتقال إلى بعيد.
(٢) بائن: مبتعد، منفصل.
(٣) تضطرب.
(٤) تكسرها الرياح الشديدة.
(٥) الهالك، أي منهم مَنْ هلك عند تكسر السفينة، ومنهم مَنْ بقيت فيه الحياة محمولاً على بطون الأمواج.
(٦) المصدر السابق ج٢ ص١٧٠.

معروفة..» لم يتعايش معها أبداً.. بل قسى عليها من خلال قسوته على نفسه من اللباس والطعام، بل بكل أنماط العيش المتواضع الذي عاش حياته فيها.. وقد مر ذكر ذلك في صدر هذا الكتاب..

ولكن في كل ما مرّ وفات ما هو إلا تأكيد وتعريف بفلسفة الإمام بدنياه التي لا أطماع له فيها.. وبالتالي لا أطماع له في زبرجها ولا في محاسنها..

ومنها الخلافة التي اختلف الناس عليها!!

وفي ذلك يقول، وهو يقسم بالله سبحانه وتعالى، وهو الذي لا يقسم به إلا لضرورة شديدة:

«والله ما كانت لي في الخلافةِ رَغبَةٌ، ولا في الولايةِ أَربَةٌ..»[1].

فعدم رغبته في الخلافة، وانعدام طمعه فيها بسببٍ من هوان الدنيا عنده وهو الذي قال عنها ما قسي من القول.. هو السبب الثاني من أسباب سكوته عن موقعه من الخلافة أو فيها!

٣ ـ العصبية.. والضغائن:

لا يخفى على كل متتبع لتاريخ العرب الجاهلي .... يجد ذلك التاريخ قبل الإسلام إنهم كانوا ينتمون إلى قبائلهم انتماء مطلقاً، حيث تتحكم كل قبيلة بأفرادها تحكماً مطلقاً أيضاً، ابتداء من أول يوم يرى الفرد فيها النور إلى نهاية حياته..

فهي لها كل المؤثرات عليه وعلى عائلته، بل وحتى على أمواله.. تُلزمه بقوانينها وأعرافها ويلتزم هو بتلك العادات والأعراف، حتى تصبح جزءاً منه، ويكون لها حافظاً ووعاء فلا مناص له من خرقها، أو الخروج عليها، لأن ذلك يعني الخروج من تلك القبيلة وبالتالي يُمسي دون انتماء..

وهذا معناه بصفوة القول لا يمكن له من العيش بين تلك المجتمعات المتحالفة المفترسة التي فيها يأكل قويها ضعيفها..

---

(١) الغرض والطلبة.

لذا كان العربي يتفاخر بانتمائه القبلي ويذكره مفاخراً به، ولا يذكر انتماءه القومي إلا أحياناً . .

وجاءت رسالة سيد المخلوقات ﷺ . . الرسالة السماوية السمحاء التي مسخت تلك المفاهيم الجاهلية المتخلفة، وأحالتها إلى مبادىء سامية مبنية على القيم والمُثل . .

فَجعلتْ انتماء المسلم للإسلام دون القبيلة . . وربطت بين المسلمين رباط الإخوة في الدين، والتضحية من أجل رفعة رايته ونشر دعوته . .

حتى أصبح الانتماء إلى القبيلة كأن لم يكن . . وتجلى شعار الإسلام بالمساواة بين كل المسلمين . . لا فرق بين سيد أو زعيم أو رئيس كان يحتل موقعاً في قبيلته . . وبين عبد أو مسود . . لا فرق بين أبيض وبين أسود . .

ولا فرق بين عربي أو أعجمي . . أو بين غني أو فقير . .

فكانت (التقوى) هي الدالة الوحيدة على إيجاد الفَرق الجديد بين المسلمين في مجتمع إسلامي جديد لا يعرف التفرقة والفُرقة إلا بها . . فالأكرم بين صفوفهم أكثرهم تقي وأحسنهم تعمقاً في مبادىء ذلك الدين الحنفي . . ﴿إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِندَ ٱللَّهِ أَتْقَىٰكُمْ﴾ [سورة الحجرات، الآية: ١٣].

جاء الرسول العظيم ﷺ ليبشر وينشر دين الله . . فكان أمامه في ذلك الواقع تلك المجتمعات المتخلفة التي رأت في تلك الدعوة مساً من إعلان الحرب على كياناتها ، وخروجاً على عاداتها، وهتكاً لتقاليدها ومعتقداتها المتوارثة عبر أجيالها!

لذا شُهرت أمام ذلك العظيم حامل الرسالة سيوف الشر لمقاومة دعوته العظيمة لمهاجمته وأصحابه في عقر دارهم عند بداية الدعوة . .

عندها جاءه الأمر الرباني برفع السيوف الإسلامية أمام تلك السيوف الجاهلية، دفاعاً عن مبادىء الإسلام، وعن أصحاب تلك المبادىء وحملتها . .

فَشُهرت سيوف المسلمين جميعاً وفي مقدمة تلك السيوف، سيوف أبطالهم وصناديدهم وعلى رأسهم علي بن أبي طالب بسيفه المشهور (ذي الفقار) الذي

حَزَّ به رقاب المشركين من الرؤوساء والزعماء والوجوه والشجعان.. حتى لم تسلم أية قبيلة من سيفه إلا من أسلم منها..

ووصل سيفه إلى كل بطن من بطون العشائر.. فأثكل وأَيتم ووتر، لا حباً منه في ذلك، ولا لهواية له فيها..

ولكن كان ما كان دفاعاً عن مبادىء الإسلام وحماية للمسلمين وحفاظاً للدعوة.. وتضحية منه لتلك المبادىء السامية السمحاء، وجهاداً في سبيلها.. وتنفيذاً منه لأمر الله ورسوله بعد أن أذنا بالجهاد والدفاع عن النفس وعن الرسالة..

وبعد أن استقام الأمر للمسلمين، وانتصرت مبادىء الخير على كوامن الشر..

أسلم مَنْ أسلم إيماناً منه بالإسلام.. أو أسلم منهم لطمع في نواياه، أو نفاقاً لضرورة..

فدخل الإسلام بعد انتصاره أفواجاً أفواجاً من الناس.. ودخلتْ معهم بعضٌ من النفوس التي تحمل معها تلك المشاعر والرواسب القبلية من ضغائن وثأر وإيثار!

... ثم انتقل المصطفى ﷺ إلى الملأ الأعلى.. وعندها ظهرت تلك الرواسب والعصبيات القبلية الكامنة.. أو ظهر بعض منها إن نتفاءل بالقول!

فتجسدت روح العصبية التي أنهاها الإسلام ونهى عنها، من قِبل مَنْ كان يضمر لعلي بن أبي طالب الحقد والحسد والضغينة بسبب سيفه الذي عضعض أَجساد أبائهم عند صدر الدعوة..

نعم تجسد كل ذلك عند تجربة الخلافة التي بسببها كاد أن يَدُبَّ الخلاف بين المسلمين وتُشَق صفوفهم لولا عبقرية وحكمة الإمام وسعة أُفقه..

فكان الثأر منه، إبعاده عن الخلافة ومحاولة تهميش دوره فيها وطمس مكانته أو موقعه في قيادة المسلمين بعد قائدهم الأول رسول السماء ﷺ..

واستغل القوم نتائج السقيفة لينالوا منه بسبب ما كان كامناً في نفوسهم، وهذا عندهم أكثر ما استطاعوا أن ينالوا منه.. وعنده أقلّ ما نالوه منه!

. . . كانت قريش في مقدمة القبائل التي تزعمت أخذ الثأر منه ومن آل بيت النبي ﷺ عن طريق خذلان آل محمد وفي مقدمتهم تلميذه وربيبه علي بن أبي طالب بواسطة الخلافة التي ليس لهم سواها بالانتقام من سيوف آل هاشم أمثال علي والحمزة وجعفر وغيرهم . .

حتى إن الإمام (ع) قال عن ذلك :

«اللهمّ إنّي أَستعينُكَ على قُريشٍ ومَنْ أَعَانهُمْ، فإِنَّهُمْ قَطعُوا رَحِمِي، وصَغَّرُوا عَظيمَ مَنَزِلتي، وأجمعوا على مُنازَعَتي أمراً هو لي».

كما قال عن بعض القبائل الأخرى :

«أنا وَضَعتُ في الصِّغَرِ بِكَلاَكِلِ[1] العَرَبِ، وكَسَرْتُ نَوَاجِمَ[2] قُرُونِ رَبِيعَةَ وَمُضَرَ . .».

ذكر الإمام علي حقد قريش على رسول الله ﷺ الذي تحوّل إليه، فقال :

«كلُّ حقدٍ حَقَدتْهُ قُريشٌ على رَسُولِ الله ﷺ أظهرتْهُ فيّ وسَتُظْهِرُهُ في ولدي من بعدي، ماليَ ولقريشٍ! إِنَّما وَتَرْتُهُمْ بأَمرِ الله وأَمرِ رسولِهِ، أفهذا جزاء مَنْ أَطاعَ الله ورسُولَهُ».

ذكر الجاحظ :

(إن الإمام في حروبه مع النبي ضد قريش كان قد وترها وسفك دماءها، وكشف عن منابذها . .

وليس الإسلام بمانع من بقاء الأحقاد في النفوس . .

هب أنك كنت سنتين أو ثلاثاً جاهلياً، وقد قتل واحد من المسلمين ابنك أو أخاك ثم أسلمت . . أكان إسلامك يذهب عنك ما تجده من بغض ذلك القاتل وشنآنه؟

---

(١) الكلاكل : الصدور، وعبر بها عن الأكابر .

(٢) النواجم من القرون : الظاهرة الرفيعة، يريد بها أشراف القبائل . وقرون مضاف، وربيعة مضاف إليه .

هذا إذا كان الإسلام صحيحاً.. لا كإسلام كثير من العرب..

فبعضهم أسلم تقليداً، وبعضهم للطمع والكسب.. وبعضهم خوفاً من السيف.. وبعضهم عن طريق الحمية والانتصار لعداوة قوم آخرين من أضداد الإسلام وأعدائه..

واعلم أن كل دم أراقه رسول الله بسيف علي وبسيف غيره، فإن العرب بعد وفاته عصبت تلك الدماء بعلي وحده لأنه لم يكن في رهطه من يستحق في شرعتهم وعادتهم أن يعصب به تلك الدماء إلا (علي) وحده)[1].

... كذلك كان العرب عامة، وقريش خاصة يحملون في أعماقهم شر الحسد للإمام على كل الخصائص التي أعطاه الله سبحانه وتعالى وما تفضّل عليه من نِعَمْ..

فعلمه المتناهي الأطراف الذي لا حدود له.. وتقواه وإيمانه لم يبلغه أي ما بلغ من المسلمين بعد نبيهم ﷺ.. ودعك عن شجاعته وقوته الخارقة التي أدخلت الرعب في قلوب الشجعان.. فضلاً عن ذلك مكانته التي كان يحظى بها لدى الرسول العظيم ﷺ.

وكم من الأقوال الكثيرة وبحالات مختلفة، قال عنه محمد ﷺ قولاً كريماً لم يطل ذلك القول غيره، ولم يخص أكرمه سواه..

وكم أوصى به كأخص وأحسن ما يوصي به.. حتى إنه عليه أفضل الصلاة والسلام أوصى له بمختلف المواقف، وبشتى الأحداث والمناسبات..

وزوجه أعز ذريته التي جعلها الله سبحانه وتعالى سيدة نساء العالمين.. وقد قال الإمام في ذلك:

«كُنتُ في أيّامِ رسُولِ الله ﷺ كجزء مِنْ رَسُولِ الله ﷺ.. ينظُرُ إليّ الناس كما يُنظَرُ إلى الكواكبِ في أُفق السماءِ.. ثم غضّ الدَهرُ منيّ..».

---

(١) (علي ومناوئوه) د. نوري جعفر ص٥٠.

لقد مررنا على خصائص علي بن أبي طالب في مواضيع مرت من هذا الكتاب، منها ما قال رسول الله ﷺ فيه من أحاديث، وما ورد فيه من آيات في الذكر الكريم عدها حبر الأمة عبد الله بن عباس بثلاثمئة آية..

فهل يا ترى، كل ذلك لم يكن كافياً في أن يكون الإمام علي (ع) موضع حسد الحاسدين، وحقد الحاقدين من قريش، وبقية القبائل العربية الأخرى، ومن المنافقين الذين لم يدخل قلوبهم دين الله كما دخل قلوب المؤمنين!!!

... وجاءت الخلافة، فظهر ذلك الحسد، وطفت الغيرة، واستعرت نيران الحقد!

وكذلك خشى القوم عدله ومساواته بين المسلمين، وهو الذي عنده القوي ضعيف حتى يأخذ منه الحق، والضعيف عنده قوي حتى يأخذ له حقه..

وخافوا منه أمره المتناهي بالمعروف، وتشدده بالنهي عن المنكر، وتقواه الواسع الذي لا يخشى في الله لومة لائم.. وخشوا منه نهجاً إجتماعياً ثورياً ومتقدماً.. ثم موقفه من دنياهم التي غرت بعضهم، وأغوت البعض الآخر..

ولا ننسى ما أراده العرب وفي مقدمتهم قريش في حظّهم من الخلافة وحصتهم فيها، طمعاً للنفوذ والجاه والرئاسة..

حتى أن قريشاً كرهت أن تجتمع النبوة والخلافة في بني هاشم، كما ذكر ذلك الخليفة عمر بن الخطاب (رض) إلى عبد الله بن عباس ابن عم محمد وعلي[١].. حيث قال الخليفة له عندما حدثه أن قريشاً قد قررت أن لا تعطي السلطة للهاشميين بعد وفاة الرسول ﷺ.. فكفى الهاشمين شرف النبوة الروحي والمعنوي..

أما السلطان السياسي، والمادي، والدنيوي فلقد آثرت به قريش من كانوا يتولونه قبل الإسلام!!

فقد قال عمر (رض) لعبد الله بن عباس (رض):

---

(١) (نهج البلاغة) شرح ابن أبي الحديد ص١٠٧ من المجلد الثالث. وذكر ذلك ابن الأثير في أواخر أحوال عمر ص٢٤ ج٣ من (كامله).

(إن الناس قد كرهوا أن يجمعوا لكم النبوة والخلافة، وإن قريشاً اختارت لنفسها فأصابت..)[1].

وفي رواية أخرى، قال عمر (رض).

(كرهت قريش أن تجتمع لكم النبوة والخلافة فيجخفوا جخفاً[2]، فنظرت قريش لنفسها فاختارت ووُفقت، فأصابت).

فقال له ابن عباس:

أيميط أمير المؤمنين عني غضبه فيسمع!

قال: قل ما تشاء.

قال: أما قول أمير المؤمنين، إن قريشاً كرهتْ، فإن الله تعالى قال:

﴿ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمْ كَرِهُوا۟ مَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ فَأَحْبَطَ أَعْمَٰلَهُمْ﴾ [سورة محمد، الآية: ٩].

وأما قولك، (إنا كنا نجخف)... فلو جخفنا بالخلافة جخفنا بالقرابة ولكنا قوم أخلاقنا مشتقة من خُلق رسول الله ﷺ، الذي قال فيه تعالى: ﴿وَإِنَّكَ لَعَلَىٰ خُلُقٍ عَظِيمٍ﴾ [سورة القلم، الآية: ٤]، كما قال له: ﴿وَٱخْفِضْ جَنَاحَكَ لِمَنِ ٱتَّبَعَكَ مِنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ﴾ [سورة الشعراء، الآية: ٢١٥].

وأما قولك، (فإن قريشاً اختارت).. فإن الله تعالى يقول: ﴿وَرَبُّكَ يَخْلُقُ مَا يَشَآءُ وَيَخْتَارُ ۗ مَا كَانَ لَهُمُ ٱلْخِيَرَةُ ۚ﴾ [سورة القصص، الآية: ٦٨]. وقد علمت يا أمير المؤمنين إن الله اختار من خلقه لذلك مَن اختار، فلو نظرت قريش من حيث نظر الله لها لوُفِقَت، وأَصابت قريش[3]..

وقد قال الإمام علي (ع) عن قريش في محاربتهم له، ومنافسته على ماله من حق:

---

(١) (الفاروق عمر) د. محمد حسين هيكل ج٢ ص٢١٢ طبعة القاهرة.

(٢) جخف: تكبر.

(٣) (حجج النهج) د. سعيد السامرائي ص٣٣٣.

«.. فدع عنك قُرَيْشاً وتركاضهم[1] في الضلال... وتجوالهم في الشقاق[2].. وجماحهم[3] في التيه[4].

فإنهم قد أجمعوا على حربي كإجماعهم على حرب رسول الله ﷺ قبلي...

فجزت قريشاً عني الجوازي[5]، فقد قطعوا رحمي، وسلبوني سلطان ابن أمّي»[6].

نستنتج مما سلف أن تلك الأسباب قد وضعت الإمام في موضع لا يحسد عليه..

حيث بقي في دائرة صغيرة، محيطها أهل بيته، والمتقون من المسلمين الأوائل ونفرٌ من الأنصار والمهاجرين..

ولم يُفرط بهم حفظاً على مبادىء الإسلام، وحفاظاً على المسلمين..

وقد قال في ذلك:

«... فَنَظَرتُ فإذا ليسَ لي رَافِدٌ[7] ولا ذَابٌ[8] ولا مُسَاعِدٌ إلاَّ أَهل بَيتي. فَضَنِنْتُ[9] بهِمْ عَنِ المَنِيَّةِ فَأَغضَيتُ على القَذَىٰ[10]، وَجَرَعْتُ رِيقي على الشَّجىٰ[11]، وَصَبَرتُ مِنْ كَظمِ الغَيظِ على أَمَرَّ مِنَ

---

(١) مبالغة في الركض.

(٢) الخلاف.

(٣) استعصاؤهم على سابق الحق.

(٤) الضلالة والغواية.

(٥) الجوازي: جمع جازية، بمعنى المكافأة، دعاء عليهم بالجزاء على أعمالهم.

(٦) ابن أمي: يعني الرسول ﷺ فاطمة بنت أسد أم الإمام التي ربت النبي ﷺ في حجرها، فقال النبي ﷺ في شأنها (فاطمة أمي بعد أمي).

(٧) رافد: المعين.

(٨) الذاب: المدافع.

(٩) ضننت بهم: بخلت بهم.

(١٠) القذى: ما يقع في العين.

(١١) ما اعترض في الحلق من عظم ونحوه، يريد به غصة الحُزن.

العَلْقَمِ، وَآلَمَ لِلقلبِ مِنْ حَزِّ الشِّفَارِ[1]»[2].

وقال:

«.. فرأيت أن الصبر على هاتا أحجى، فصبرت وفي العين قذى، وفي الحلق شجا».

.. لذا كان هذا وذاك سبباً آخر يضاف إلى أسباب سكوته عن حقه في الخلافة..

٤ ـ اصبر حتى تلقاني مظلوماً..

وثمة سبب آخر وجب ذكره، ونحن بصدد هذا الموضوع، وذلك لأهميته عند الإمام علي كرم الله وجهه.. وصية، خاتم المرسلين ﷺ له والذي أوصاه بالصبر على كل الأحداث وأصعب الأمور التي ستجابهه بعد انتقاله إلى الرفيق الأعلى..

فقبل وفاته ﷺ عانق النبي ﷺ ربيبه علياً بن أبي طالب.. علي الذي أوصى به محمد ﷺ وأوصى له... فقال له رسول الله ﷺ:

«يا علي إني أعلم أن لك ضغائن في صدور قوم سوف يظهرونها لك بعدي، فإن بايعوك فاقبل، وإلا فاصبر حتى تلقاني مظلوماً..»[3].

وقال الإمام علي عن ذلك:

«قال لي رَسُولُ الله ﷺ: إن اجتمعوا عليكَ فاصنعْ ما أَمرتُك، وإلاَّ فألصِقْ كَلْكَلَكَ بالأَرضِ. فلما تَفرّقوا عَنّي جررْتُ على المكروهِ ذيلي، وأَغضيتُ على القَذى جفني، وأَلصقتُ بالأرضِ كَلْكَلي»[4].

(١) جمع شفره: حد السيف ونحوه.

(٢) (نهج البلاغة) شرح محمد عبده ج٢ ص٢٠٢.

(٣) (الرياض النضرة في مناقب العشرة) للعلامة الطبري ـ باب فضائل علي بن أبي طالب.

(٤) (حججج النهج) د. سعيد السامرائي ص٢٩٨.

كما قال، وهو يقسم بذات الله سبحانه وتعالى:

«أما والَّذي فلق الحبَّة، وَبَرأَ النَسَمَةَ، إِنَّه لَعَهْدُ النَّبِيِّ الأُميِّ إِليَّ أَنَّ الأمةَ ستغدِرُ بِكَ مِنْ بعدي»[1].

وهذا ما ذكره أبو بكر أحمد بن عبد العزيز، عن علي بن جرير الطائي، عن ابن الفضل، عن الأجلح، عن حبيب بن ثعلبة بن يزيد..

وورد في (مستدرك الصحيحين)[2] للحاكم .. روى بسنده عن أبي إدريس الأودي.. عن علي (ع) قال:

«إن ما عهد إلي النبي ﷺ إن الأمة ستغدر بي بعده..».

وهذا الحديث رواه الخطيب البغدادي في (تاريخه)[3].. وقال فيه:

«إن الأمة ستغدر بك من بعدي..».

وكذلك ذكره المتقي في (كنز العمال)[4].. كما أخرجه ابن أبي شيبة.. والحارث.. والبزار.. والعقيلي.. والبيهقي في (الدلائل)..

وعن الهيثمي في (مجمعه)[5].. قال: عن ثعلبة، أن علياً قال على المنبر:

«والله إنه لعهد النبي ﷺ إلي أن الأمة ستغدر بي..».

ورواه البزار أيضاً.. كما رواه المناويَ في (كنوز الحقائق)[6] عن طريق آخر.. وروى يونس بن حباب.. عن أنس بن مالك، قال:

كنا مع رسول الله ﷺ وعلي بن أبي طالب معنا... ثم إن رسول الله ﷺ وقف فوقفنا.. فوضع رأسه على رأس علي وبكى.. فقال علي:

(١) المصدر السابق ص٢٩٧.
(٢) ج٣ ص١٤٠.
(٣) ج١١ ص٢١٦.
(٤) ج٦ ص٧٣.
(٥) ج٩ ص١٣٧.
(٦) ص١٨٨.

ما يبكيك يا رسول الله!!

قال ﷺ:

«ضغائن في صدور قوم لا يُبدُونها لك حتى يفقدوني».

فقال: يا رسول الله، أفلا أضع سيفي على عاتقي فأبيد خضراءهم!

قال ﷺ: بل تصبر.

قال: فإن صبرت!

قال ﷺ: تلاقي جهداً.

قال: أفي سلامةٍ من ديني؟

قال ﷺ: نعم.

قال: إذن فلا أبالي(١).

.. لذا فالإمام علي (ع) صبر تنفيذاً لأوامر رسول الله ﷺ.. والإمام خير المسلمين في تنفيذ أوامر الله ورسوله..

فصبره وسكوته كانا حكمة وتدبيراً.. لأنهما أمران أَمَرَ بهما معلمه العظيم من أجل وحدة المسلمين، والحفاظ على دينهم القويم..

... نعم أمره النبي ﷺ ذلك.. كما أمر المسلمين جميعاً، طاعة مَنْ يتولى أمورهم..

ذكر العلامة عبد الحسين شرف الدين في (مراجعاته):

(... وجبت على الأمة مؤازرة الخليفة في كل أمر يتوقف عليه عز الإسلام ومنعته، وحماية ثغوره وحفظ بيضته، ولا يجوز شق عصا المسلمين، وتفريق جماعتهم بمقاومته، بل يجب على الأمة أن تعامله معاملة الخلفاء بالحق..

وقد قال رسول الله ﷺ:

«ستكون بعدي أثرة وأمور تنكرونها».

---

(١) (حجج النهج) د. سعيد السامرائي ص٣٣٠.

قالوا: يا رسول الله، كيف تأمر مَنْ أدرك منا ذلك!

قال ﷺ: **«تؤدون الحق الذي عليكم، وتسألون الله الذي لكم»**[1].

وكان أبو ذر الغفاري (رض) يقول:

إن خليلي رسول الله ﷺ أوصاني أن أسمع وأطيع، وإن كان عبداً مجدع الأطراف.. وأخرج الإمام مسلم.. عن مسلمة الجعفي، قال:

يا نبي الله أرأيت إن قامت علينا أمراء يسألوننا حقهم، ويمنعونا حقنا، فما تأمرنا!

فقال ﷺ: «اسمعوا وأطيعوا، فإنما عليهم ما حملوا، وعليكم ما حملتم»..

لذا صبر الإمام علي (ع) وفي العين قذى، وفي الحلق شجى. عملاً بهذه الأوامر المقدسة، وغيرها مما عهد النبي ﷺ إليه[2]..).

ثم يقول (... وكان من الطبيعي للإمام أن يقدم حقه قرباناً لحياة الإسلام، وإيثاراً للصالح العام، فانقطاع ذلك النزاع، وارتفاع الخلاف بينه وبين أبي بكر لم يكن إلا فَرقاً على بيضة الدين، وإشفاقاً على حوزة المسلمين..)[3].

٥ ـ ممَن تولى الخلافة صحابي جليل:

أخيراً.. ومن الأسباب التي سكت الإمام بسببها عن حقه في ما أوصى له النبي ﷺ...

ذلك أن مَنْ تولى الخلافة هو صحابي جليل، من أوائل صحابة رسول الله ﷺ وأول مَنْ هاجر معه إلى يثرب، وصحبه بعد إسلامه حتى وفاته..

---

(١) أخرجه مسلم في ص١١٨ من ج٢ من (صحيحه) في حديث عبد الله بن مسعود.. وغيره من أصحاب الصحاح والسنن.

(٢) (المراجعات) ص٣٢٣.

(٣) نفس المصدر ص٣٢٥.

وهو من المسلمين القلائل الذين أورد الله سبحانه وتعالى لهم ذكراً في ذكره المجيد، حيث قال عز من قائل:

﴿ثَانِيَ ٱثْنَيْنِ إِذْ هُمَا فِي ٱلْغَارِ إِذْ يَقُولُ لِصَـٰحِبِهِۦ لَا تَحْزَنْ إِنَّ ٱللَّهَ مَعَنَا﴾ [سورة التوبة، الآية: ٤٠]..

وهو أحد حافظي القرآن الكريم كله.. ونصر الإسلام والمسلمين، وثبت مع رسول الله ﷺ يوم أُحد، ويوم حنين. إذ فرَّ أكثر المسلمين في تلك المعركتين.. ذلك هو أبو بكر بن أبي قحافة الصديق رضي الله عنه وأرضاه..

أبو بكر الذي بادر إلى تصديق صاحبه رسول الرحمة، النبي الكريم ﷺ.. وقد قال عنه الإمام علي كرم الله وجهه، مخاطباً جثمانه عند وفاته:

«.. كنت والله للإسلام حصناً، وعلى الكافرين عذاباً..».

.. نعم تولى الخلافة رجل من المسلمين التقاة إشرأبت نفسه بمبادىء الإسلام، حتى دخلت أعماقه، واستقرت تلك المبادىء السامية في وجدانه، فقدم لها ما استطاع من قرابين دفع أثمانها الباهظة.. حتى أصبح **(قوياً في أمر الله، متواضعاً في نفسه، عظيماً عند الله.. جليلاً في الأرض.. كبيراً عند المؤمنين..)** كما قال عنه خاتم المرسلين ﷺ..

ومما قاله ﷺ عنه:

«ما لأحدٍ عندنا يد، إلا وقد كافأناه بها، ما خلا أبا بكر، فإن له عندنا يداً يكافئه الله بها يوم القيامة..».

كما قال عليه الصلاة والسلام عن صاحبه:

«ما نفعني مال أحد قط، مثلما نفعني مال أبي بكر..».

وقال رسول الله ﷺ:

«ما عرضتُ الإسلام على أحد إلا كانت له كبوةٌ عدا أبي بكر، فإنه لم يتلعثم»[١].

---

(١) (خلفاء الرسول) خالد محمد خالد ص٥٠.

والحديث يطول في ذكر هذا الصحابي الجليل، وفيما قدمه للإسلام والمسلمين، وتضحياته الكبيرة من أجل صاحب الدعوة ﷺ:

ففي الأيام الأولى للدعوة لم يكن يسمع أن الرسول في أذىً، إلا ويهرول مسرعاً، فيخلص الرسول من الأذى. .

ويوم الهجرة، تمتلىء نفسه غبطة بصحبة رسول الله ﷺ، وهو على يقين بأن قريشاً سَتُجنّد لمطاردتهما كل بَأسِها وقواها. .

ويوم بدر. . يلازم الرسول في خيمته وهو يعلم أن الخطر كله إنما يُحْدِق بهذه الخيمة. .

ويوم أحد. . حين خالف الرُماة نبيهم، ظانّين أن المعركة قد انتهت بهزيمة قريش، فتركوا موقعهم أعلى الجبل، حيث عاد جيش قريش فَدمَدم على المسلمين وأصلاهم هزيمة أليمة. .

يومئذ بصُرَ الرسول بأبي بكر، يجري وحده إلى المشركين شاهراً سيفه. . فيناديه. . :

«اغمد سيفك يا أبا بكر، لا تفجعنا بنفسك»[١].

لقد قال عنه رسول الله ﷺ أمام جمع من المسلمين ومعهم عمر بن الخطاب (رض):

«أبو بكر صدقني حين كذبتموني. . وواساني بنفسه وماله. . فهل أنتم تاركون لي صاحبي. .»[٢].

إذن مَنْ تولى الخلافة، هو أهلٌ للخلافة. . حريصٌ على الإسلام ومبادئه. . ولا يُخشى على الإسلام من خلافته. . ولا على المسلمين من إمامته. . بل إن مواقفه الباهرة، قبل الخلافة وبعدها لتشكل نموذجاً واحداً من القوة، والأمانة، وسلامة التقدير. .

---

(١) المصدر السابق ص٨٠.

(٢) (محمد رسول الحرية) عبد الرحمن الشرقاوي ص١٤٤.

ذلك إن الله أنعم عليه بطبيعة قويمة، وإيمان مكين..

إيمان رجل أسلم وجهه لله، وهو مُحْسِن..

وأعطى حياته لإيمانه وهو مغتبط..

وحمل مسؤوليات دَوره في تُقى، وأمانه، وبصيرة..[1].

... لذا نعتقد أن ما في الخليفة الأول أبي بكر الصديق (رض)، من خصائص تؤهله لها.. كان سبباً من أسباب سكوت الإمام علي (ع).. فلو تولاها غير الصديق (رض)..

وليس عنده ما عند الصديق من الإيمان والحرص.. والعدل.. والوفاء لمبادىء الإسلام..

لما سكت الإمام وغيره من الصحابة على خلافته.. لاسيما يكون الخليفة الأول، قد حلَّ محل رسول الله ﷺ.. وخلفه مباشرة بعد وفاته..

ودليلنا على ذلك مبايعة الإمام علي، وآل بيته وأصحابه جميعاً له.. ولو بعد حين..

كما أن رد الإمام علي على أبي سفيان.. عندما جاءه معترضاً على مبايعة الخليفة الأول.. دليل آخر على أن مَنْ تولى الخلافة هو أهل لها..

رد الإمام على أبي سفيان، قائلاً:

«لا والله! لا أريد أن تملأها عليه خيلاً ورجالاً.. ولولا أننا رأينا أبا بكر لذلك أهلاً ما خليناه وإياها»..

... تلك عندنا أسباب خمسة رئيسة لها أهميتها فيما مرَّ ذكره.. ولم نأت على ذكر أسباب أخرى تعتبر ثانوية..

والله أعلم بما كان وبما سيكون..

ولكن.. نرى من المناسب أن نُورد ما ذكره ابن أبي الحديد المعتزلي في

(١) (خلفاء الرسول) خالد محمد ص٨٢.

شرحه لنهج البلاغة[1]، والذي أوجز جانباً من حياة الإمام علي (ع)، والمحيط الذي عاش فيه. . حيث قال:

(عاش الإمام في محيط يسوده الجهل والحسد، كان بين أقوام غمطوا حقه، وسلبوا منزلته التي نص عليها الرسول ﷺ. . حتى أجلسوه في داره عقدين من الزمان. .

وبهذا أقصوه عن قيادة الأمة مما أثر ذلك الأثر البالغ، فنتجت الويلات والمصائب التي لم تزل يئن منها المجتمع الإسلامي طيلة مسيرته، وعندما يكون المجتمع جاهلاً تتحكم فيه العصبية والأنانية. .

فكيف يستفيد من العالم الذي نذر نفسه لخدمته؟

وهكذا كان شأن الإمام علي بن أبي طالب. .

فما عرفوا قدره، وما استفادوا منه. . فجهلوا ما كان يعلم وعلموا أن الذي يحملهم عليه هو الحق. .

إلا أن عصبيتهم أقصت الإمام عن مكانه، وإن أحقادهم الدفينة من يوم بدر. . وأُحد. . وخيبر. . . والخندق. . . وغيرها (حيث وُتِرُوا فيها) هي التي كانت سداً منيعاً أمام الإمام علي ابن أبي طالب، حتى أوقفت ذلك السيل من العلم والمعرفة. . وحجبت الأمة من الانتفاع به إلى أن قضى نحبه شهيداً في محرابه. .

وقد شهد كبار الصحابة على أنه أعلم الناس بعد الرسول ﷺ. . وإنه أفقه الصحابة. .).

---

(١) ج٢ ص١٧٨.

الفصل السابع

خير الأنام من بعد طه

١ ـ ختام البحث

٢ ـ وصية الإمام لابنه الحسن.. وللأجيال من بعده.

١ ختام البحث

في ختام هذا البحث الذي تناول بعض الجوانب المضيئة والمشرقة، والمواقف الحكيمة للإمام علي بن أبي طالب (ع) من الدعوة ونشر مبادىء دين الله.. ومن ثم من الخلافة خلال كل فتراتها.. ابتداء وانتهاء.

... نرى من المناسب جداً أن ننقل للقارىء الكريم بعض الأبيات من قصيدة الشاعر الأستاذ (بولس سلامة) التي رسم فيها شيئاً من مشاعره تجاه ذلك الإنسان الخالد في وجدان التاريخ.. الخالد في وجدان كل مسلم.. وجدان الإنسانية، وفي مبادىء الحرية والعدل والمساواة...

يقول الأستاذ بولس سلامة في قصيدته:

يا أمير الإسلام حسبي فخراً	إنني منك مالىء أصغريا
جلجل الحب في المسيحي حتى	عد من فرط حبه علويا
أنا مَنْ يعشق البطولة وا	لألهام والعدل والخلاق الرضيا
لا تقل شيعة هواة علي	إن في كل مُنصف شيعيا
سفير خير الأنام من بعد طه	ما أرى الكون مثله آدميا
يا سماء اشهدي ويا أرض قُري	واخشعي أنني ذكرت عليا

ويخاطب الأستاذ بولس، الإمام فيقول:

(يا أبا الحسن ماذا أقول فيك وقد قال الناس في المتنبي أنه شاغل الناس ومالىء الدنيا، ومالمتنبي إلا شاعر له حفنة من الدر إزاء تلال من الحجر.. وما شخصيته حيال عظمتك إلا مدرة على شاطىء النيل خجلى من عظمة الأهرام...).

.. ولا بدع ولا غرابة فابن أبي طالب فوق ما يصفه الواصفون.. فالله الذي

جعل محمداً نبياً ورسولاً. . فقد جعل علياً في آن معاً سيفاً في يد الرسول، سله ضد الباطل. . . وكلمة في فم الرسول أطلقها من أجل الحق، ومنارة رفعها الرسول ﷺ لهدي البشر إلى طريق السماء. .

وفكرة تمردت على الشر والمنكر. . وجزءاً لا يتجزأ من رسول الله وخاتم رسله. . فكأنهما واحد في اثنين. . كبيرهما محمد. . وصغيرهما علي.

ذاك رسول الله إلى البشر، ذاك نور الله. . وهذا قبس من ذاك النور. .

ما كان لمحمد أن يحب بشراً في الدنيا أكثر من علي. .

وما كان لعلي أن يحب بشراً في الدنيا أكثر من محمد. .

في ابن عبد الله ﷺ تجمعت الرسالة كلها، وتجسدت المثل والقيم جميعها. . عمقاً، وصعداً حجماً، وكبراً حرفاً وروحاً. . كان نبياً ورسولاً يوحى إليه، وكان لقومه والناس بشيراً ونذيرا. .

وفي ابن أبي طالب كان بعض من رسالة. . كان شعاع نزل في علي منها قطرات لا تجف مدى الدهر. . فبقيت روحه حية. . بل بقي هو حياً في ضمائر الناس. . في خواطرهم، شغلهم وشغل جزءاً من الدنيا غير يسير. .

فكما أن الله عز وجل اختار محمد للرسالة فأوحى إليه وأمره أن يبلغ ما أنزل. . .

ما أنزل إليه من ربه. . فكان القرآن. . وكان الأسلام. .

هكذا فإن الله عز وجل اختار علياً ليكون للرسول عوناً على أعداء الإسلام. . فكانت له تلك الجولات الخالدات في ميادين القتال. . وفي ضمائر الناس وقلوبهم. .

إذ ليس بعد النبي ﷺ وفي عهده مَنْ جاهد في سبيل الله جهاد علي (ع). . وكان وجوده استمراراً للرسول ﷺ. . . والرسالة. . والأسلام. . فهل عرفنا من الخلق عظيماً بعد الرسول ﷺ يلتقي مع المفكرين بسمو فكرهم. . ومع الباحثين بتنقيبهم. . ومع الخيرين بحبهم العميق للخير. . ومع ذوي المودات بمودتهم. . ومع العلماء بعلمهم. . ومع الزهاد بزهدهم. . ومع المصلحين بإصلاحهم. . ومع

المتألمين بالآمهم.. ومع الأدباء بأدبهم.. ومع المظلومين بمشاعرهم.. ومع الأبطال ببطولاتهم.. ومع الشهداء بشهادتهم.. ومع كل الإنسانية بما يشرفها، ويرفع من شأنها[1]..

والتاريخ والحقيقة يشهدان على أنه الضمير الحي في أعماق أي وجدان.. من وجدان التاريخ والإنسانية.. من المبادىء والمثل.. من الإيمان والفقه.. من العلم والمعرفة.. من الشجاعة والبطولات.. من الزهد والتصوف.. وغير ذلك مما يعجز اليراع من تسطيره وتعجز السطور من احتوائه وتفسيره..

فهو صوت بالغ العلو من أصوات العدالة الإنسانية.. والبحر الزاخر بالإيمان والعلم والتقوى..

إنه الإمام علي بن أبي طالب..

التلميذ الأول للقرآن.. تلميذ الرسول الأول والأمثل.. وظله في الإسلام.. ربيب الوحي... وسابق المسلمين في كل سبق..

كان هذا.. وذاك.. هو عليّ في علوه وشموخه.. ولم يكن هناك عليّ بعده!!

.. وقد قال فيه الشاعر الكبير(عبد الباقي العمري) في قصيدته العينية:

أنت العلي الذي فوق العلا رفعا	ببطن مكة وسط البيت إذا وضعا
وأنت أنت الذي حطت له قدم	في موضع يده الرحمن قد وضعا
وأنت ذاك الهزبر الأنزع البطل الـ	ذي بمخلبه للشرك قد نزعا
وأنت يعسوب نحل المؤمنين إلىٰ	أي الجهات انتحى يلقاهم تبعا
وأنت من حمت الإسلام وفرته	ودرعت لبدتاه الدين فادرعا
وأنت من فجع الدين المبين به	ومن بأولاده الإسلام قد فجعا
لله در فتى الفتيان منك فتىً	ضرع الفواطم في مهد الهدى رضعا
نهج البلاغة نهج عنك بلغنا	رشدا به اجتث عرق الغي فانقمعا
ما فرق الله شيئاً في خليقته	من الفضائل إلا عندك اجتمعا

---

(١) (الإمام علي رسالة وعدالة) الشيخ خليل ياسين ص٧٢ و١١٨.

أبا الحسين أنا حسان مدحك لا   أنفك أظهر في إنشائه البدعا

قال الأديب الكبير «جبران خليل جبران» عن الإمام علي:

(في عقيدتي أن ابن أبي طالب أول عربي لازم الروح الكلية وجاورها وسامرها... وهو أول عربي تناولت شفتاه صدى أغانيها على مسمع قوم لم يسمعوا بها من ذي قبل، فتاهوا بين مناهج بلاغته وظلمات ماضيهم، فمن أعجب بها كان إعجابه موثوقاً بالفطرة، ومن خاصمه كان من أبناء الجاهلية...

مات ابن أبي طالب شهيد عظمته، مات وفي قلبه الشوق إلى ربه..

مات والصلاة بين شفتيه، مات قبل أن يبلغ العالم رسالته كاملة وافية...

مات شأن جميع الأنبياء الباصرين الذين يأتيون إلى قوم ليسوا بقومهم في بلد ليس ببلدهم، ولكن لربك شأن في ذلك وهو أعلم...).

وعن عمرو بن ميمون، قال:

إني لجالس إلى ابن عباس، إذ أتاه تسعة رهط، فقالوا:

يا ابن عباس! أما أن تقوم معنا، وأما أن تخلونا هؤلاء..

فقال ابن عباس: بل أقوم معكم.. (وهو يومئذ صحيح قبل أن يعمى).

فابتدأوا فتحدثوا، فلا ندري ما قالوا.. فجاء ابن عباس، وهو ينفض ثوبه ويقول:

أفٍ وتُف وقعوا في رجل له عشر.. وقعوا في رجل قال رسول الله ﷺ:

١ ـ لأبعثن رجلاً يحب الله ورسوله.. لا يخزيه الله أبداً...

٢ ـ وبعث أبا بكر بسورة التوبة.. وبعث علياً خلفه، فأخذها منه.. فقال: لا يذهب بها إلا رجل مني وأنا منه..

٣ ـ وقال لبني عمه: أيكم يواليني في الدنيا والآخرة؟

فقال علي: أنا أواليك في الدنيا والآخرة..

٤ ـ وكان أول مَنْ أسلم من الناس بعد خديجة..

٥ ـ وأخذ رسول الله ﷺ ثوبه فوضعه على: علي، وفاطمة، وحسن،

وحسين، فقال: ﴿إِنَّمَا يُرِيدُ ٱللَّهُ لِيُذْهِبَ عَنكُمُ ٱلرِّجْسَ أَهْلَ ٱلْبَيْتِ وَيُطَهِّرَكُمْ تَطْهِيرًا﴾ [سورة الأحزاب، الآية: ٣٣].

٦ ـ وشرى عليٌ نفسه: لبس ثوب النبي، ثم نام مكانه..

٧ ـ وقال له رسول الله ﷺ:

«أما ترضى أن تكون مني بمنزلة هارون من موسى إلا إنك لست بنبي»

و **«إنه لا ينبغي أن أذهب إلا وأنت خليفتي»**.

٨ ـ أنت وليي في كل مؤمن بعدي..

٩ ـ وسد أبواب المسجد غير باب علي..

١٠ ـ وقال ﷺ: **«مَنْ كنت مولاه فإن مولاه علي..»**.

... هذا الحديث أخرجه الإمام أحمد بن حنبل(١).. والبزار.. والطبراني في الكبير.. والحاكم.. والدارقطني.. ويعقوب بن سفيان في المعرفة والتاريخ.. والنسائي في خصائصه.. والطبري في الرياض النضرة(٢)... وأبو نعيم في حلية الأولياء(٣).. وكنز العمال(٤) والهيثمي في مجمع الزوائد(٥).. وفي ميزان الاعتدال للذهبي(٦).

وعوداً إلى حبر الأمة.. عبد الله بن العباس (رض).. يقول عن الإمام علي: مرة أخرى من مرات عدة.. قال عنه فصدق.. ووصفه فأجاد.. وقد سُئل عن الإمام علي، فأجاب مَنْ سأل.. وكلهم يتسألون عن شخصية ذلك الرجل العظيم الغير مألوفة بعد أستاذه العظيم رسول الإنسانية ﷺ.. قال ابن عباس (رض):

---

(١) المسند ج١ ص٣٣٠.

(٢) ج٢ ص ٢٠٣.

(٣) ج٤ ص١٥٣.

(٤) ج٣ ص١٥٥.

(٥) ج٩ ص١١٥.

(٦) ج٢ ص١٩٤.

(رحمة الله على أبي الحسن..

كان والله علم الهدى.. وكهف التقى.. وطود النهى.. ومحل الحجى.. وغيث الندى.. ومنتهى العلم للورى... ونوراً أسفر في الدجى.. وداعياً إلى المحجة العظمى.. مستمسكاً بالعروة الوثقى.. أتقى من تقمص وارتدى.. وأكرم مَنْ شهد النجوى، بعد محمد المصطفى ﷺ وصاحب القبلتين.. وأبا السبطين.. وزوجته خير النساء.. فما يفوقه أحد.. لم تر عيناني مثله.. ولم أسمع بمثله.. فعلى مَنْ بغضه لعنة الله.. ولعنةَ العباد إلى يوم التناد)[1]..

كان ذلك واقع الإمام وحقيقته..

(وإن في هذا الواقع ما يُبرز لنا قيمة ابن أبي طالب بمقياس العظمة الحقيقية.. عظمة الإنسان الذي يفكر عميقاً، ويعملُ صادقاً ويحيا خيراً، ويموت شهيداً.. ويترك في كل حالاته آثاراً إن أجريتها على محك العقل شمخت وتعالتْ.. وإن أجريت عليها مقاييس الحنان الإنساني، انتفضت وعاشت)[2].

... وقال الكاتب البريطاني (توماس كارليل) عن الإمام علي:

(... فقد كان الإمام علي ألمع أئمة المسلمين وأعظمهم.. فقد عُرِفَ في شبابه وكهولته بالكثير من المآثر وأعمال البطولة التي تخلد شجاعته الفائقة في التاريخ..

كما عُرفَ عنه من إخلاص تام وتفان متناه لمعلمه وسيده النبي محمد كما عُرف في شيخوخته بورعه وزهده ودماثة خلقه.. ولا يسع المرء غير المتعصب إلا أن يُعجب بشخصيته الملهمة المحبوبة للغاية..).

ثم يقول:

(فلا يسعنا إلا أن نحبه ونعشقه.. فإنه فتى كبير النفس، جليل القدر.. يفيض وجدانه رحمة وبراً.. ويتلظى فؤاده نجدة وحماسة.. وكان أشجع من الليث.. لكنها شجاعة ممزوجة برقة ولطف ورأفه وحنان..).

---

(١) (ذخائر العقبى) ص٧٨.. وأخرجه أبو الفتح القواس.

(٢) (بين علي والثورة الفرنسية) جورج جرداق ص٣٠٣.

وقال الخليل بن أحمد، عن الإمام:

(احتياج الكل إليه، واستغناؤه عن الكل.. دليل على أنه إمام الكل).

أما الإمام الشافعي، فقد قال عنه:

(ما أقول في رجل أخفت أعداؤه فضائله حسداً.. وأخفت أولياؤه فضائله خوفاً..).

ويقول الدكتور طه حسين في وصفه لبعض جوانب شخصية الإمام علي (ع):

(... وجد علي نفسه كأحسن ما يجد الرجل نفسه:

صِدْقَ إيمان بالله ونصحاً للدين وقياماً بالحق واستقامة على الطريق المستقيمة. لا ينحرف ولا يميل ولا يُدهِن من أمر الإسلام في قليل ولا كثير، وإنما يرى الحق فيمضي إليه لا يلوى على شيء، ولا يحفل بالعاقبة ولا يُعنيه أن يجد في آخر طريقه نجاحاً أو إخفاقاً، ولا أن يجد في آخر طريقه حياة أو موتاً.

وإنما يعنيه كل العناية أن يجد أثناء طريقه وفي آخرها رضى ضميره ورضى الله..)[1].

.. وإليك ما كتبه الكاتب الأزهري خالد محمد خالد عنه زمن خلافته:

(... والخليفة المتقشف الذي تُجْبَى إليه الأموال حلالاً طيبة من أقطار الأرض، ثم هو يلبس قميصاً بثلاثة دراهم!!

الخطيب الذي تهتز الدنيا لكلماته، وهو تخرج من وراء شفتيه ناضرة قاهرة!! الفقيه العالم الذي تفجر الحكمة من نفسه، وعقله.. ويجري الحق على لسانه وقلبه.!! العابد.. الورع... التقي... الذي تفوّق على إغراء الدنيا، وأطماع البشر!! تلميذ «الرسول» الأول، والأمثل!!

ربيب الوحي، وسابق المسلمين!!)[2].

---

(١) (الفتنة الكبرى) ج٢ ص١٦.

(٢) (خلفاء الرسول) ص٤٤٧.

كما يقول في موضع آخر عن شخصيته الفذه:

(ومن المفارقات العجيبة لشخصيته، إن «براعة المقاتل» فيه، كانت تزلزل خصومه خوفاً وهلعاً..

في حين «شرف المقاتل» فيه، كان يملأ نفوسهم طمأنينة وأمناً..!!

أجل، لطالما تحولت نقمته على أعدائه إلى رحمة بهم بسبب إيمانه الحق بأن القتال الشريف، النبيل، العادل، هو وحده سبيل الرجال، إذا اضطروا لقتال)[١].

... والكاتب الكبير جورج جرداق في كتابه (علي وحقوق الإنسان) يقول في معرض وصفه لعلاقة الإمام بأستاذه الذي رباه:

(... لقد فتح علي بن أبي طالب عينيه على الطريق التي رسمها ابن عمه. وعرف العبادة أول ما عرفها من صلاته، ونعم بعطفه وحنانه وإخائه.

فإذا هو من محمد ما كان محمد من أبي طالب!

وخفق قلب علي أول ما خفق بحب ابن عمه.

ونطق لسانه أول ما نطق بما لقنه إياه من رائع القول..

واكتملت رجولته أول ما اكتملت لمؤازرة النبي المضطهد!

وإذا كان النبي ﷺ يحب أنصاره، ويحترمه أعداؤه.. فهل يكون ربيبه وتلميذه وأخوه علي إلا شيئاً من كيانه! شيئاً عظيماً من كيان عظيم!)[٢].

ثم يذكر هذا الكاتب بعضاً عن مفهوم الحرية التي آمن بها الإمام (ع)، فيقول:

(... ويهزك في ابن أبي طالب من اعترافه للناس، بحريتهم أكثر من هذا. يهزك فيه هذا الانسجام بين سيرته في الناس... وبين إيمانه بأن الحرية أصل إنساني لا يجوز فيه التأويل ولا يصح عنه الانحراف.. فهو معترفٌ بهذا الحق في الحرية لإصحابه حتى في أخطر المواقف عليه..)[٣].

---

(١) المصدر السابق ص٣٧٨.

(٢) (علي وحقوق الإنسان) جورج جرداق المجلد الأول ص٦٠.

(٣) المصدر السابق ص١٧٣.

وعن أراء الإمام (ع) في حرية الإنسان وحقوقه، يقول د. عبد الحسين شعبان (رئيس المنظمة العربية لحقوق الإنسان في بريطانيا):

. . . للإمام علي (ع) فلسفة خاصة وعميقة بخصوص الحرية وحقوق الإنسان إذا ما حاولنا الاقتراب من مصطلحات الفكر المعاصر، تلك التي أوثقها على نحو شديد بفلسفته للحكم وبمنهجه في التعامل مع الولاة وشؤون الرعية.

وتستند فلسفته تلك بمفاهيمها المتقدمة والمبكرة إلى مبادىء العدل والإنصاف ومعايير الأخلاق ولا يخضع العديد من أحكامها إلى المكان والزمان بما يمنحها الصفة الشمولية التي تستمد قوتها من المُثل الإنسانية العليا والقيم البشرية الخالدة. .

ويكاد الإمام علي (ع)، يقترب رغم المسافة الزمنية الفاصلة بين حاضرنا والزمن الذي عاش فيه، من رؤية القرن العشرين (بفارق ١٤ قرناً) للمفاهيم العصرية التي جرى تدوينها في الإعلان العالمي لحقوق الإنسان الصادر عام١٩٤٨ والعهدين الدولين لعام ١٩٦٦، الصادرين عن الجمعية العامة للإمم المتحدة بخصوص الحقوق المدنية والسياسية، والحقوق الاقتصادية والاجتماعية والثقافية، حيث تكاد تجد صدى بعضها في فلسفته. . فكما هو مدون في الإعلان العالمي لحقوق الإنسان:

(يولد جميع الناس أحراراً متساوين في الكرامة والحقوق. وقد وهبوا عقلاً وضميراً. وعليهم أن يعامل بضعهم بعضاً بروح الأخاء) المادة الأولى.

يقول الإمام علي (ع):

«لا تكن عبد غيرك وقد جعلك الله حراً». . وفي ذلك ليس تأكيداً على أن الإنسان كائن حر، بل فيه تحريض على رفض العبودية. .

ثم يقول:

والإمام علي (ع) وإن كان ابن عصره إلا أنه سبقه بمراحل طويلة من خلال نظرته الإنسانية الثاقبة وأحكامه المتقدمة ومُثله الأصيلة، وهو ما أعطاه هذا الدور الريادي، والموقع الفكري المتميز، وهي المكانة التي يحتلها المفكرون على مدى

التاريخ البشري الذي هو صراع بين الحرية والاستبداد.. بين العدالة والظلم.. بين المساواة والاستغلال.. بين الخير والشر.

إن حياة الإمام علي (ع) ومدرسته الفكرية والسياسية معنى إنساني كبير. يمكن للمرء أن ينهل منه الكثير بما يساعد في معالجة أوضاع الحاضر، بل والمستقبل أيضاً وفقاً لنزعته الإنسانية المتأصلة..

وذلك دون استقدام للماضي أو استحضاره على نحو يثير الخلاف والصراع غير المبدئي[١]..

وقال الشاعر (السريجي) المتوفي ٧٥٠هـ من قصيدة له سرد فيها خصائص وفضائل الإمام علي(ع):

مَنْ غيره بطن العلم الخفي ومَنْ ... سواه قال اسألوني قبل فقداني
ومَنْ وقت نفسه نفس الرسول وقد ... واقى الفراش ذوو كفر وطغيانِ
ومَنْ تصدق في حال الركوع ولم ... يسجد كما سجدت قوم لاوثانِ
مَنْ كان في حرم الرحمان مولده ... وحاطه الله من بأس وعدوانِ
مَنْ غيره خاطب الرحمان واعتضدت ... به النبوة في سر وإعلانِ
مَنْ أعطي الراية الغراء إذ ربدت ... نار الوغى فتحاماها الخميسانِ
مَنْ ردت الكف إذ بانت بدعوته ... والعين بعد ذهاب المنظر الفاني
مَنْ أنزل الوحي في أن لا يسد له ... باب وقد سد أبواب لإخوانِ
ومَنْ به تظلم طفلاً وارتقى كتف ... المختار خير ذوي شيب وشبانِ
ومن يقول خذي يا نار ذا وذري ... هذا وبالكأس يسقى كل ظمآنِ
من غسّل المصطفى من سال في ... يده أجلُّ نفس نأت عن خير جثمانِ

(١) د. عبد الحسين شعبان. (مجلة النور) العدد ٥٧ شباط ١٩٩٦ في باب رأي بموضوع (حقوق الإنسان بين التراث والحداثة).

٢

وصية الإمام لابنه الحسن. وللأجيال من بعده

.. في ختام هذا الختام من بحثنا هذا. أرى من المفيد جداً أن نختم الجزء الأول من سيرة ذلك الرجل العظيم والفذ الحكيم، بذكر وصيته لابنه الحسن..

تلك الوصية التي فيها من روائع الحكم، ودرر المآثر.. وسعة الإيمان.. وتفقه في الدين.. وتشخيص للحياة الدنيا بما فيها من حلاوة ومرارة.. وفيها ذلك الوصف البليغ المتناهي في الدقة والبيان، لما بعد هذه الحياة وما يجب أن يؤدي الإنسان فيها لما بعدها..

وفيها من الوصايا ما تغني المؤمن وغيره عن غيرها من الوصايا.. لأنها جامعة شاملة.. دقيقة ومفصله..

رائعة كروعة فهم الإمام علي لله ولنبيه.. ولدينه ودنياه.. ولآخرته..

وأرى أن القراء من الشباب خاصة، يجنون منها.. من هذه الوصية وصايا ثمينة فيها فوائد جمة يحتاج إليها كل من يريد أن يقبل على هذه الحياة وهو يفهمها فهم الحكماء، ويدرك مكنونها إدراك العلماء..

في هذه الوصية نفحات عبقة من شذرات ما جاء بكتاب الله سبحانه وتعالى تفسيراً، وتبسيطاً، وغوراً في عمق معانيها العميقة.. فيها قبس من نور الأحاديث الشريفة.. والسنة النبوية الكريمة..

وصفوة القول.. يحق لي القول أن أذكر وأؤكد على أن تلك الوصية هي سِفر واسع من الحكمة والمعرفة.. من الإيمان والفقه.. من عصارة وصايا الحكماء.. بل في مقدمتها وعلى أعلى قممها..

ومن هذا المنطلق.. وجدت نفسي ملزماً بنقلها من موقعها في نهج البلاغة.. إلى صفحات خاتمة هذا الكتاب..

ليرتشف من منهلها.. ولدي (خلدون).. وأقرانه من أولاد القراء..

يقول أبو الحسن في وصيته لابنه الحسن.. تلك الوصية الرائعة التي كتبها إليه في بلدة (حاضرين) الواقعة في نواحي صفين، منصرفاً من معركة صفين..

«... وَوَجَدْتُكَ بَعْضِي بَلْ وَجَدْتُكَ كُلِّي، حتى كأَنَّ شيئاً لو أصابَكَ أَصابني وكأَنَّ الموتَ لو أتاكَ أتاني، فعناني مِنْ أمرِكَ ما يَعْنِيني مِنْ أَمْرِ نَفسي فَكَتَبْتُ إليكَ مُسْتَظهِراً[1] به إِنْ أنا بَقيتُ لكَ أو فَنِيتُ.

فَإنّي أُوصِيكَ بِتَقْوى الله أَيْ بُنَيَّ وَلُزُومِ أَمْرِه، وَعِمارَةِ قَلْبِكَ بِذِكْرِهِ، والاعتِصامِ بِحَبْلِه. وَأَيُّ سَبَبٍ أَوْثَقُ مِنْ سَبَبٍ بَيْنَكَ وَبَيْنَ الله إِنْ أَنتَ أَخَذْتَ بِهِ؟ أَحْيِ قَلْبَكَ بِالموعِظَةِ، وَأَمِتْهُ بالزَّهادَةِ، وَقَوِّهِ بِاليَقِينِ، وَنَوِّرْهُ بالحِكْمَةِ. وَذَلِّلْهُ بِذِكْرِ المَوْتِ، وَقَرِّره بالفَنَاءِ[2]، وبَصِّرْهُ[3] فَجَائِعَ الدُّنيا، وَحَذِّرْهُ صَوْلَةَ الدَّهْرِ وَفُحشَ تَقَلُّبِ اللَّيالي والأَيَّامِ.

واعرِضْ عَلَيْهِ أَخْبَارَ الماضِينَ، وَذَكِّرهُ بِما أَصَابَ مَنْ كَانَ قَبْلَكَ مِنَ الأَولينَ.. وَسِرْ في دِيَارِهِمْ وآثارِهِمْ فَانظُرْ فِيما فَعَلُوا وَعَمَّا انتَقَلُوا وأَينَ حَلُّوا وَنَزَلُوا. فَإِنَّكَ تَجِدُهُمْ قَدِ انتَقَلُوا عَنه الأَحِبَّةِ، وَحَلُّوا دِيَارَ الغُرْبَةِ، وكأَنَّكَ عَنْ قليلٍ قَدْ صِرْتَ كأَحَدِهِمْ.

فَاصلِحْ مَثْواكَ، ولا تَبِعْ آخِرَتَكَ بِدُنْيَاكَ..

وَدَعِ القَولَ فيما لا تَعْرِفُ والخِطابَ فيما لَمْ تُكَلَّفْ.

وَأَمسِكْ عَنْ طَرِيقٍ إذا خِفتَ ضَلالَتَهُ فَإِنَّ الكَفَّ عِنْدَ حَيْرَةِ الضَّلالِ خَيرٌ مِنْ رُكُوبِ الأَهوَالِ..

---

(١) مستظهراً: أي مستعيناً بما أكتب إليك على ميل قلبك وهوى نفسك.

(٢) اطلب منه الإقرار بالفناء.

(٣) وبصره، أي اجعله بصيراً بالفجائع أي المصاب.

وامُر بِالمَعْرُوفِ تَكُنْ مِنْ أَهلِهِ وأَنْكِرِ المُنْكَرَ بِيَدِكَ وَلِسَانِكَ وَبَايِنِ[1] مَنْ فَعَلَهُ بِجُهْدِكَ.

وَجَاهِدْ في الله حَقَّ جِهادِهِ ولا تَأْخُذْكَ في الله لَوْمَةُ لائم.. وَخُضِ الغَمَرَاتِ[2] للحَقِّ حيثُ كانَ. وَتَفَقَّهْ في الدِّينِ. وَعَوِّدْ نَفْسَكَ التَّصَبُّرَ على المَكْرُوهِ وَنِعْمَ الخلُقُ التَّصَبُّرُ.. وَأَلْجِئ نَفْسَكَ في الأُمورِ كُلِّها إلى إِلٰهِكَ، فإِنَّكَ تُلْجِئُها إلى كَهْفٍ حَرِيزٍ[3]، وَمَانِعٍ عَزِيزٍ.

وأَخْلِصْ في المَسْأَلَةِ لِرَبِّكَ فإِنَّ بِيَدِهِ العَطاءَ والحِرمَانَ.. وأَكْثِر الاستِخارَةَ[4]. وَتَفَهَّمْ وصَيَّتي ولا تَذْهَبَنَّ عَنها صَفْحاً فإِنَّ خَيْرَ القَولِ ما نَفَعَ[5].

واعلمْ أَنَّهُ لا خَيْرَ في عِلْمٍ لا يَنْفَعُ ولا يُنْتَفَعُ بِعِلمٍ لا يَحِقُّ تَعَلُّمُهُ[6].

.. ثم يقول:

أَيْ بُنَيَّ إِنِّي وإِنْ لم أَكُنْ عُمِّرْتُ عُمر مَنْ كانَ قَبْلي فَقَدْ نَظَرتُ في أَعمالِهِمْ، وَفَكرتُ في أَخبارِهِمْ وَسِرتُ في آثارِهِمْ حتى عُدْتُ كأَحِدِهِمْ..

بَلْ كأَنِّي بِما انتهى إِلَيَّ مِنْ أُمورِهِمْ قَدْ عُمِّرْتُ مَعَ أَوَّلِهِمْ إلى آخِرِهِمْ.. فَعَرفْتُ صَفْوَ ذٰلِكَ مِنْ كَدَرِهِ، وَنَفْعَهُ مِنْ ضَرَرِهِ، فاستَخْلَصْتُ لَكَ مِنْ كُلِّ أَمْرٍ نَخِيلَهُ[7]، وتَوَخَّيتُ[8] لَكَ جَميلَهُ، وَصَرَفْتُ عَنكَ مَجْهُولَهُ..

---

(١) باين: باعد، وجانب الذي يفعل المنكر.

(٢) الغمرات: الشدائد.

(٣) الكهف: الملجأ. والحريز: الحافظ.

(٤) الاستخارة: إجالة الرأي في الأمر قبل فعله لاختيار أفضل وجوهه.

(٥) صفحاً: جانباً أي لا تعرض عنها.

(٦) أي لا يكون من الحق، كالسحر ونحوه.

(٧) النخيل: المختار المصفى.

(٨) توخيت: تحريت.

وَرَأَيتُ حَيثُ عَنَاني مِنْ أَمْرِكَ ما يَعْنى الولِدَ الشَّفِيقَ وَأَجمَعتُ[1] عَلَيهِ مِنْ أَدَبِكَ أَنْ يَكُونَ ذلِكَ وأَنْتَ مُقبِلُ العُمُرِ وَمُقْتَبِلُ الدَّهْرِ، ذُو نِيَّةٍ سَلِيمَةٍ، وَنَفْسٍ صَافِيَةٍ..

وأَنْ أَبْتَدِئَكَ بِتَعْلِيمِ كِتابِ الله وَتَأْوِيلِهِ. وشَرَائِعِ الإِسْلاَمِ وَأَحْكامِهِ. وَحَلالِهِ وَحَرَامِهِ، لا أُجَاوِزُ ذلِكَ بِكَ إلى غَيرِهِ[2].

ثُمَّ أَشْفَقْتُ[3] أَنْ يَلْتَبِسَ عَلَيْكَ ما اخْتَلَفَ النَّاسُ فِيهِ مِنْ أَهْوَائِهِمْ وآرائِهِمْ مِثْلَ الذي التَبَسَ عَلَيهِمْ.

فَكانَ إِحكَامُ ذلكَ على ما كَرِهْتَ مِنْ تَنْبِيهِكَ لَهُ أَحَبَّ إِليَّ مِنْ إِسْلامِكَ إلى أَمْرٍ لا آمَنُ عَلَيْكَ بِهِ الهَلَكَةَ[4]، وَرَجَوْتُ أَنْ يُوَفِّقَكَ الله فِيهِ لِرُشْدِكَ، وأَنْ يَهْدِيكَ لِقَصْدِكَ، فَعَهِدْتُ إِلَيكَ وَصيَّتِي هذِهِ.

.. ثم يقول:

فَتَفَهَّمْ يا بُنَيَّ وصَيَّتِي، واعْلَمْ أَنَّ مالِكَ المَوْتِ هُوَ مَالِكُ الحَياةِ، وَأَنَّ الخالِقَ هُوَ المُمِيتُ، وأَنَّ المُفْنِي هُوَ المُعِيدُ، وأَنَّ المُبْتَلِيَ هُوَ المُعَافي.. وأَنَّ الدُّنيا لَمْ تَكُنْ لِتَسْتَقِرَّ إلا على ما جَعَلَها الله عَلَيْهِ مِنَ النَّعْماءِ[5]، والابتلاءِ، والجَزاءِ في المَعَادِ أَو ما شاءَ مِمَّا لا نَعْلَمُ.

فإِنْ أَشْكَلَ عَلَيكَ شَيءٌ مِنْ ذلكَ فاحمِلْهُ على جَهَالَتِكَ بِهِ فإِنَّكَ أَوَّلُ ما خُلِقْتَ خُلِقْتَ جَاهِلاً ثُمَّ عَلِمتَ.

---

(١) أجمعت: عزمت، عطف على يعني الولد.

(٢) لا أتعدى بك كتاب الله إلى غيره، بل أقف بك عنده.

(٣) أشفقت: خشيت وخفت.

(٤) أي إنك وإن كنت تكره أن ينبهك أحد لما ذكرت لك فإني أعد اتقان التنبيه على كراهتك له أحب إلي من إسلامك أي إلقائك إلى أمر تخشى عليك به الهلكة.

(٥) لا تثبت الدنيا إلا على ما أودع الله في طبيعتها من التلون بالنعماء تارة، وبالاختيار بالبلاء تارة وأعقابها للجزاء في المعاد يوم القيامة على الخير خيراً وعلى الشر شراً.

وما أكثَرَ ما تَجْهَلُ مِنَ الأَمْرِ وَيَتَحيرُ فيهِ رَأيُكَ وَيَضِلّ فيهِ بَصَرُكَ، ثُمّ تُبْصِرُهُ بَعْدَ ذلِك.

فاعْتِصمْ بالذي خَلَقَكَ ورزَقَكَ وَسوّاك. وَلْيَكنْ لَهُ تَعَبُّدكَ وإِليهِ رَغْبَتُكَ، وَمِنْهُ شَفَقَتُكَ[1].

واعلمْ يا بُنَيّ أنّ أحداً لَمْ يُنْبِىءْ عَنِ الله كَمَا أنبأَ عَنْهُ الرّسُولُ ﷺ فَارْضَ بِهِ رَائِداً[2]، وإلى النّجَاةِ قَائِداً.

فإنّي لَمْ آلُكَ نَصِيحَةً[3]. وَإِنّكَ لَنْ تَبْلُغَ في النّظَرِ لِنَفسِكَ (وإنِ اجْتَهَدتْ) مَبْلَغَ نَظَري لَكَ.

واعلمْ يا بُنَيّ أنّهُ لَوْ كَانَ لِرَبّكَ شَرِيكٌ لأَتَتْكَ رُسُلُهُ، وَلَرَأَيْتَ آثَارَ مُلكِهِ وَسُلْطَانِهِ، وَلَعَرَفْتَ أفْعَالَهُ وَصِفَاتِهِ.

ولكنّهُ إِلهٌ وَاحِدٌ كَما وَصَفَ نَفْسَهُ. لا يُضَادُّهُ في مُلكِهِ أَحَدٌ، ولا يَزُولُ أَبَداً. وَلَمْ يَزَلْ أوّلَ قَبْلَ الأشْيَاءِ بلا أَوّلِيّةٍ[4]، وَآخِرَ بَعْدَ الأشْيَاءِ بِلا نِهايَةٍ. عَظُمَ عَنْ أنْ تَثْبُتَ رُبُوبِيّتُهُ بإِحَاطَةِ قَلْبٍ أوْ بَصَرٍ.

فإذا عَرَفْتَ ذلِكَ فَافْعَلْ كما يَنْبغي لِمِثْلِكَ أَنْ يَفْعَلَهُ في صِغَرِ خَطَرِهِ[5]، وَقِلّةِ مَقْدِرَتِهِ وَكَثْرَةِ عَجْزِهِ، وَعَظِيم حَاجَتِهِ إلى رَبّهِ في طَلَبِ طَاعَتِهِ، والرّهبَةِ مِنْ عُقُوبَتِهِ، والشّفَقَةِ مِنْ سُخْطِهِ. فإنّهُ لَمْ يَأْمُرْكَ إلاّ بِحَسَنٍ، وَلَمْ يَنْهَكَ إلاّ عَنْ قَبِيحٍ.

---

(١) شفقتك: خوفك.

(٢) الرائد: مَنْ ترسله في طلب الكلأ ليتعرف موقعه. وإن الرسول قد عرف عن الله وأخبرنا فهو رائد سعادة.

(٣) لم أقصر في نصحيتك.

(٤) فهو أول بالنسبة إلى الأشياء لكونه قبلها إلا أنه لا أولية أي لا ابتداء له.

(٥) خطره: قدره.

ثم يقول:

يا بُنَيّ اجْعَلْ نَفْسَكَ مِيزاناً فِيما بَيْنَكَ وَبَيْنَ غَيْرِكَ.. فَأَحْبِبْ لِغَيْرِكَ ما تُحِبُّ لِنَفْسِكَ.. واكرهْ لَهُ ما تَكْرَهُ لَها.

وَلاَ تَظْلِمْ كَمَا لا تُحِبُّ أَنْ تُظْلَمَ.. وَأَحْسِنْ كَمَا تُحِبُّ أَنْ يُحْسَنَ إِلَيْكَ.

واسْتَقْبِحْ مِنْ نَفْسِك ما تَسْتَقْبِحُ مِنْ غَيْرِكَ.. وَأَرْضَ مِنَ النَّاسِ بما تَرْضَاهُ لَهُمْ مِنْ نَفْسِكَ[1].

ولا تَقُلْ ما لا تَعْلَمُ وإِنْ قَلَّ ما تَعْلَمُ... ولا تَقُلْ ما لا تُحِبُّ أَنْ يُقَالَ لَكَ..

واعْلَمْ أَنَّ الإِعْجَابَ[2] ضِدُّ الصَّوَابِ وآفَةُ الأَلْبَابِ..

فاسْعَ في كدْحِكَ[3] ولا تَكُنْ خَازِناً لِغَيْرِكَ[4]..

وإِذا أَنتَ هُدِيتَ لِقَصْدِكَ، فَكُنْ أَخْشَعَ ما تَكُونُ لِرَبِّكَ.

ثم يقول (ع):

واعلم أَنَّ الذي بيدِهِ خَزَائِنُ السَّموَاتِ والأَرْضِ قَدْ أَذِنَ لَكَ في الدُّعَاءِ وَتَكَفَّلَ لَكَ بَالإِجَابَةِ.. وَأَمَرَكَ أَنْ تَسْأَلَهُ لِيُعطِيكَ، وَتَسْتَرْحِمهُ لِيَرْحَمَكَ، وَلَمْ يَجْعَلْ بَيْنَكَ وَبَيْنَهُ مَنْ يَحْجُبُهُ عَنْكَ، وَلَمْ يُلْجِئْكَ إِلى مَنْ يَشْفَعُ لَكَ إِليهِ.. وَلَمْ يَمْنَعْكَ إِنْ أَسأْتَ مِنَ التَّوبَةِ، وَلَمْ يُعَاجِلْكَ بِالنِّقْمَةِ، وَلَمْ يُعَيِّرْكَ بِالإِنَابَةِ[5]، وَلَمْ يَفْضَحْكَ حَيْثُ الفَضِيحَةُ بِكَ

---

(١) إذا عاملوك بمثل ما تعاملهم فارض بذلك ولا تطلب منهم أزيد مما تقدم لهم.

(٢) استحسان ما يصدر عن النفس مطلقاً، وهو خلقٌ من أعظم الأخلاق مصيبة على صاحبه.

(٣) أشد السعي.

(٤) لا تحرص على جمع المال ليأخذه الوارثون من بعدك، بل أنفق فيما يجلب رضاء الله عنك.

(٥) الإنابة: الوجوع إلى الله، والله لا يعير الراجع إليه برجوعه.

أولى. . وَلَمْ يُشَدِّدْ عَلَيكَ في قَبُولِ الإنَابَةِ، وَلَمْ يُناقِشْكَ بِالجرِيمَةِ، وَلَمْ يُؤْيِسْكَ مِنَ الرَّحْمَةِ. .

بَلْ جَعَلَ نُزُوعَكَ[1] عَنِ الذَّنبِ حَسَنَةً، وَحَسَبَ سَيِّئَتَكَ واحِدَةً، وَحَسَبَ حَسَنَتَكَ عَشْراً، وَفَتَحَ لَكَ بَابَ المَتَابِ.

فَإذا نَادَيْتَهُ سَمِعَ نِدَاءَكَ. . وَإِذا نَاجَيْتَهُ عَلِم نَجْواكَ[2] فَأَفْضَيتَ[3] إليهِ بِحاجَتِكَ، وَابْثَثْتَهُ[4] ذَاتَ نَفْسِكَ[5]، وَشَكَوْتَ إليهِ هُمُومَكَ، واسْتَكْشَفْتَهُ كُرُوبَكَ[6]، وَاسْتَعَنْتَهُ على أُمُورِكَ، وَسَأَلْتَهُ مِنْ خَزَائِنِ رَحْمَتِهِ ما لا يَقْدِرُ على إعْطَائِهِ غَيْرُهُ مِنْ زِيادَةِ الأَعْمارِ وَصِحَّةِ الأَبْدانِ وَسَعَةِ الأَرزَاقِ. .

ثُمَّ جَعَلَ في يَدَيْكَ مَفَاتِيحَ خَزَائِنِهِ بِما أَذِنَ لَكَ مِنْ مَسْأَلَتِهِ.

فَمَتى شِئْتَ اسْتَفْتَحْتَ بِالدُّعاءِ أَبْوابَ نِعْمتِهِ، وَاسْتَمطَرْتَ شَآبِيبَ[7] رَحْمَتِهِ. . فَلاَ يُقَنِّطَنَّكَ[8] إِبطاءُ إجَابَتِهِ. . فَإِنَّ العَطِيَّةَ على قَدْرِ النِّيَّةِ.

وَرُبَّما أُخِّرَتْ عَنْكَ الإجَابَةُ لِيكُونَ ذلِكَ أَعْظَمَ لأَجْرِ السَّائِلِ وَأَجْزَلَ لِعَطاءِ الآمِلِ. وَرُبَّما سَأَلْتَ الشَّيءَ فَلا تُؤْتَاهُ وَأُوتِيتَ خَيراً مِنْهُ عاجِلاً أَو آجِلاً. . أَوْ صُرِفَ عَنْكَ لِما هُوَ خَيْرٌ لَكَ. . فَلَرُبَّ أَمْرٍ قَدْ طَلَبْتَهُ فِيهِ هَلاَكُ دِينِكَ لو أُوتيتَهُ. .

---

(١) رجوعك.
(٢) المناجاة: المكالمة سراً، والله يعلم السر كما يعلم العلن.
(٣) ألقيت.
(٤) كاشفته.
(٥) حالة نفسك.
(٦) طلبت كشفها.
(٧) الشؤبوب (بالضم): الدفعة من المطر، وما أشبه رحمة الله بالمطر ينزل على الأرض الموات فيحييها، وما أشبه نوباتها بدفعات المطر.
(٨) القنوط: اليأس.

فلتكنْ مَسْأَلَتُكَ فِيما يَبْقى لَكَ جَمَالُهُ وَيُنْفِي عَنكَ وَبالُهُ.

فَالمَالُ لا يَبْقَى لَكَ. ولا تَبْقَى لَهُ..

واعلَمْ أنّكَ إنّما خُلِقْتَ للآخِرَةِ لا لِلدُّنيا.. وَلِلْفَنَاءِ لا لِلْبَقَاءِ.. وَلِلموتِ لا لِلحياة...

وأنكَ في مَنْزِلِ قُلْعَةٍ[1]، وَدَارِ بُلْغَةٍ، وَطَرِيقٍ إلى الآخِرَةِ..

وأنّكَ طَرِيدُ المَوْتِ الّذي لا يَنجُو مِنْهُ هَارِبُهُ، وَلا بُدَّ أنّهُ مُدرِكُهُ.

فَكُنْ مِنْهُ على حَذَرٍ أنْ يُدْرِكَكَ وأنْتَ على حَالٍ سَيِّئَةٍ قَدْ كُنْتَ تُحَدِّثُ نَفْسَكَ مِنها بِالتَّوبَةِ فَيَحولَ بَيْنَكَ وبَيْنَ ذلِكَ، فإذا أنْتَ قَدْ أَهْلَكتَ نَفْسَكَ..

يا بُنَيَّ أَكْثِرْ مِنْ ذِكْرِ المَوْتِ وَذِكْرِ ما تَهْجُمُ عَلَيْهِ وَتُفْضي بَعْدَ المَوْتِ إليهِ حَتّى يَأْتِيكَ وَقَدْ أَخَذْتَ مِنْهُ حِذْرَكَ... وَشَدَدْتَ لَهُ أَزْرَكَ[2]، ولا يَأْتِيكَ بَغْتَةً فَيَبْهَرَكَ[3].

وإيّاكَ أنْ تَغْتَرَّ بِما تَرَى مِنْ أَخْلادِ أَهْلِ الدُّنيا إليها[4]، وتَكالُبِهِمْ عَليها. فَقَدْ نَبَّأَكَ الله عَنْها، وَنَعَتْ لَكَ نَفْسَها[5]، وَتَكَشَّفَتْ لَكَ عَن مَسَاوِيها. فإنما أَهْلُها كِلابٌ عاوِيَةٌ.. وَسِباعٌ ضارِيَةٌ[6]، يَهِرُّ[7] بَعْضُها بَعْضاً، ويَأكُلُ عَزِيزُها ذَليلَهَا، وَيَقْهَرُ كَبيرُها صَغيرَهَا.

---

(١) يقال منزل قُلعة: أي لا يُملك لنازله، أو لا يدري متى ينتقل عنه. و البُلغة: الكفاية، أي دار تؤخذ منها الكفاية للآخرة.

(٢) قوتك.

(٣) أي يغلبك على أمرك.

(٤) أخلاد أهل الدنيا: سكونهم إليها.

(٥) نعاه: أخبره بموته، والدنيا تخبر بحالها عن فنائها.

(٦) مولعة بالافتراس.

(٧) يهر: أي يمقت ويكره بعضها بعضاً.

نَعَمٌ[1] مُعَقَّلَةٌ[2]، وأُخرى مِهمَلَةٌ قَد أَضَلَّتْ عُقُولَهَا[3]، وَرَكِبَتْ مَجهولَها سُرُوحُ عاهةٍ[4] بوادٍ وَعْثٍ.

لَيسَ لها راعٍ يُقِيمُها، ولا مُقيمٌ يُسِيمُها[5]..

سَلَكَتْ بِهِمْ الدُّنيا طَرِيقَ العمى.. وَأَخَذَتْ بِأَبصارِهِمْ عَنْ مَنارِ الهُدىٰ..

فَتَاهُوا في حَيرتِها، وَغَرِقُوا في نِعَمتِها.. واتَّخَذُوها رَبّاً فَلَعِبَتْ بِهِمْ، وَلَعِبُوا بِها، وَنَسُوا ما وَرَاءَهَا..

إلى أن يقول:

واعلمْ يَقِيناً أَنَّكَ لَنْ تَبلُغَ أَمَلَكَ وَلَنْ تَعْدُو أَجَلَكَ، وأَنَّكَ في سَبِيلِ مَنْ كانَ قَبْلَكَ.

فَخَفِّضْ في الطَّلَبِ[6]، وأَجْمِلْ في المُكْتَسَبِ، فَإِنَّهُ رُبَّ طَلَبٍ قد جرَّ إلى حربٍ[7].

فَلَيسَ كُلُّ طالِبٍ بِمَرزُوقٍ، ولا كُلُّ مُجْمِلٍ بِمَحْرُومٍ..

وأَكْرِمْ نَفْسَكَ عَنْ كلِّ دَنِيَّةٍ وإِنْ ساقَتْكَ إِلى الرَّغَائِبِ.. فإِنَّكَ لَنْ تَعْتَاضَ بِما تَبْذُلُ مِنْ نَفْسِكَ عَوَضاً[8]..

(١) النعم: الإبل.

(٢) عقل البعير: شدّ وظيفه إلى ذراعه، أي إبل منعها عن الشر عقالها وهم الضعفاء. وأخرى مهملة تأتي من السوء ما تشاء وهم الأقوياء.

(٣) أضاعت عقولها وركبت طريقها المجهول لها.

(٤) المال السائم من إبل ونحوها، والعاهة: الآفة.

(٥) أسام الدابة: سرحها إلى المرعى.

(٦) أي أجمل في كسبه، أي سعى سعياً جميلاً لا يحرص فيمنع الحق ولا يطمع فيتناول ما ليس بحق.

(٧) الحرب: سلب المال.

(٨) إن رغائب المال إنما تطلب لصون النفس عن الابتذال، فلو بذل باذل نفسه لتحصيل المال فقد ضيع ما هو المقصود من المال، فكان جمع المال عبثاً ولا عوض لما ضيع.

وَلا تَكُنْ عَبْدَ غَيْرِكَ وَقَدْ جَعَلَكَ اللهُ حُرّاً.

وما خَيْرُ خَيْرٍ لا يُنالُ إِلا بِشَرٍ[١]، وَيُسرٍ لا يُنالُ إِلا بِعُسْرٍ[٢].

وَإِيَّاكَ أَنْ تُوجِفَ[٣] بِكَ مَطَايا الطَّمَعِ فَتُورِدَكَ مَنَاهِلَ[٤] الهَلَكَةِ.

وإِن اسْتَطَعْتَ أَنْ لا يَكُونَ بَيْنَك وبَيْنَ اللهِ ذُو نِعمَةٍ فَافْعَل..

فَإِنَّكَ مُدرِكٌ قِسْمِكَ وَآخِذٌ سَهْمَكَ.. وَإِنَّ اليَسِيرَ مِنَ اللهِ سُبحانَهُ أَعظَمُ وَأَكْرَمُ مِنَ الكَثِيرِ مِنْ خَلْقِهِ وَإِنْ كانَ كُلٌّ مِنْهُ.

وَتَلافِيكَ ما فَرَطَ مِنْ صَمْتِكَ أَيْسَرُ مِنْ أَدراكِكَ ما فَاتَ مِنْ مَنْطِقِكَ[٥].

وَحِفْظُ ما في الوِعاءِ بِشَدِّ الوِكاءِ.. وَحِفظُ ما في يَدَيكَ[٦] أَحَبُّ إِلَيَّ مِنْ طَلَبِ ما في يَدِ غَيْرِكَ..

وَمرَارَةُ اليَأْسِ خَيْرٌ مِنَ الطَّلَبِ إِلى النَّاسِ..

والحِرْفَةُ مَعَ العِفَّةِ خَيْرٌ مِنَ الغِنَىٰ مَعَ الفُجُورِ.

وَالمَرْءُ أَحفظُ لِسِرِّهِ.

---

(١) يريد أي خير في شيء سماه الناس خيراً وهو مما لا يناله الإنسان إلا بالشر، فإن كان طريقه شراً فكيف يكون هو خيراً.

(٢) إن العسر الذي يخشاه الإنسان هو ما يضطره لرذيل الأفعال فهو يسعى كل جهده ليتحامى الوقوع فيه فإن جعل الرذائل وسيلة لكسب اليسر فقد وقع أول الأمر فيما يهرب منه، فما الفائدة في يسره وهولا يحميه من النقيصة.

(٣) تسرع.

(٤) المناهل: ما ترده الإبل ونحوها للشر.

(٥) التلافي: التدارك لإصلاح ما فسد أو كاد. ما فرط: أي قصر عن إفادة الغرض أو إنالة الوطر. وإدراك ما فات: هو اللحاق به لأجل استرجاعه، وفات أي: سبق إلى غير صواب وسابق الكلام لا يدرك فيسترجع بخلاف مقصر السكوت فسهل تداركه. وإنما يحفظ الماء في القربة مثلاً بشد وكائها أي رباطها، وإن لم يشد الوكاء صُبّ ما في الوعاء ولم يمكن إرجاعه، فكذلك اللسان.

(٦) إرشاد للاقتصاد في المال.

وَرُبَّ سَاعٍ فِيما يَضُرُّهُ[1]..

مَنْ أَكْثَرَ أَهْجَرَ[2]، وَمَنْ تَفَكَّرَ أَبْصَرَ..

قَارِنْ أَهْلَ الخَيْرِ تَكُنْ مِنْهُمْ، وَبَايِنْ أَهْلَ الشَّرِّ تَبِنْ عَنْهُم..

بِئْسَ الطَّعَامُ الحَرامُ.. وظُلْمُ الضَّعيفِ أفْحَشُ الظُّلْمِ.

إذا كان الرِّفْقُ خُرْقاً كانَ الخُرْقُ رِفْقاً..[3]

رُبَّما كانَ الدَّوَاءُ دَاءً، والدَّاءُ دَوَاءً..

وَرُبَّما نَصَحَ غَيْرُ النَّاصِحِ وَغَشَّ المُسْتَنْصَحُ[4]..

وَإِيَّاكَ واتِّكَالَكَ على المُنى فإنها بَضائِعُ المَوتَى[5]..

والعَقْلُ حِفْظُ التَّجَارِبِ.. وَخَيْرُ ما جَرَّبْتَ ما وَعَظَكَ[6]..

بَادِرِ الفُرْصَةَ قَبْلَ أَنْ تكُونَ غُصَّةً..

لَيسَ كُلُّ طالِبٍ يُصِيبُ، ولا كُلّ غَائِبٍ يؤُوبُ..

وَمِنَ الفَسَادِ إِضَاعَةُ الزَّادِ[7] ومَفْسَدَةُ المَعَادِ.

---

(١) قد يسعى الإنسان بقصد فائدته فينقلب سعيه بالضرر عليه لجهله أو سوء قصده.

(٢) هذى في كلامه. وكثير الكلام لا يخلو من الأهجار.

(٣) إذا كان المقام يلزمه العنف فيكون إبداله بالرفق عنفاً، ويكون العنف من الرفق، وذلك كمقام التأديب والخرق(بالضم) العنف.

(٤) المستنصح: المطلوب منه النصح فيلزم التفكر والتروي في جميع الأحوال لئلا يروج غشى أو تنبذ نصحية.

(٥) المنى (جمع مُنْية): ما يتمناها الشخص لنفسه ويعلل نفسه باحتمال الوصول إليه، وهي بضائع الموتى لأن المتجر بها يموت ولا يصل إلى شيء، فإن تمنيت فاعمل لأمنيتك.

(٦) أفضل التجربة ما زجرت عن سيئة وحملت على حسنة وذلك الموعظة.

(٧) زاد الصالحات والتقوى، أو المراد، إضاعة المال مع مفسدة المعاد بالإسراف في الشهوات وهو أظهر.

وَلِكُلِّ أَمْرٍ عاقِبَةٌ . .

سَوْفَ يَأْتِيكَ ما قُدِّرَ لَكَ . .

التَّاجِرُ مُخَاطِرٌ . . وَرُبَّ يَسِيرٍ أَنمى مِنْ كثيرٍ . .

لاَ خَيْرَ في مُعينٍ مَهينٍ[١]، ولا في صَدِيقٍ ظَنِينٍ[٢] . .

ساهِلِ الدَّهْرَ ما ذَلَّ لَكَ قَعُودُهُ[٣]، وَلا تُخَاطِرْ بِشيءٍ رَجَاءَ أَكْثَرَ مِنْهُ . .

وإِيَّاكَ أَنْ تَجْمَحَ بِكَ مَطيَّةُ اللَّجَاجِ[٤] . .

أحملْ نَفْسَكَ مِنْ أَخِيكَ عِنْدَ صَرْمِهِ على الصِّلَةِ[٥]، وَعِنْدَ صُدُودِهِ على اللطْفِ والمُقارَبَةِ، وَعندَ جُمُودِهِ[٦] على البَذْلِ، وَعِنْدَ تَبَاعُدِهِ على الدُّنوِّ، وَعندَ شِدَّتِهِ على اللين، وَعِنْدَ جُرْمِهِ على العُذْرِ حَتى كأَنَّكَ لَهُ عَبْدٌ وكأَنَّهُ ذُو نِعْمةٍ عَلَيْكَ . .

وإِيَّاكَ أَنْ تَضَعَ ذلِكَ في غَيْرِ مَوْضِعِهِ أو أَنْ تَفْعَلَهُ بِغَيْرِ أَهْلِه . .

لا تَتَّخِذَنَّ عَدُوَّ صَدِيقكَ صَدِيقاً فَتُعادِيَ صَدِيقَكَ . .

وامْحَضْ أَخَاكَ النَّصِيحَةَ حَسَنَةً كانتْ أو قَبِيحَةً . .

وَتَجَرَّعِ الغَيْظَ فإني لَمْ أَرَ جُرْعَةً أَحلى منها عاقِبَةً، ولا أَلَذَّ مَغَبَّةً[٧] . .

---

(١) مهين (أما بفتح الميم) بمعنى حقير، فإن الحقير لا يصلح لأن يكون معيناً. (أو بضمها) بمعنى فاعل الإهانة فيعينك ويهينك فيفسد ما يصلح.

(٢) الظنين (بالظاء): المتهم. و(بالضاد) البخيل.

(٣) القعود (بالفتح) من الإبل ما يقتعده الراعي، في كل حاجته، ويقال للبكر إلى أن يثنى وللفصيل. أي ساهل الدهر ما دام منقاداً وخذ حظك من قياده.

(٤) اللجاج (بالفتح): الخصومة أي أحذرك من أن تغلبك الخصومات فلا تملك نفسك من الوقوع في مضارها.

(٥) صرمه: قطيعته، أي الزم نفسك بصلة صديقك إذا قطعك.

(٦) بخله.

(٧) المغبة: العاقبة، وكظم الغيظ وإن صعب على النفس في وقته، إلا أنها تجد لذته عند الإفاقة من الغيظ، فللعفو لذة إن كان في محله، وللخلاص من الضرر المعقب لفعل الغضب لذة أخرى.

وَلِنْ لِمَنْ غالَظَكَ فإِنَّهُ يُوشِكُ أَنْ يَلِينَ لَكَ. .

وَخُذْ على عَدُوِّكَ بالفَضْلِ فإِنَّهُ أَحْلَى الظَّفَرَيْن(١). .

وإِنْ أَرَدْتَ قطيعَةَ أَخِيكَ فَاسْتَبْقِ لَهُ مِنْ نَفْسِكَ بَقِيةً تَرْجِعُ إِليها إِنْ بَدَا لَهُ ذلِكَ يَوْماً مَّا(٢). .

ومَنْ ظنَّ بِكَ خيراً فَصَدِّقْ ظَنَّهُ(٣). .

ولا تُضيعنَّ حَقَّ أَخِيكَ اتِّكالاً على ما بَيْنَكَ وبَيْنَهُ فإِنَّهُ لَيسَ لَكَ بِأَخٍ مَنْ أَضَعْتَ حَقَّهُ.

ولا يَكُنْ أَهْلُكَ أَشْقَى الخَلْقِ بِكَ. . ولا تَرْغَبَنَّ فِيمَنْ زَهِدَ فِيكَ.

ولا يَكُونَنَّ أَخُوكَ أَقوى على قَطِيعَتِكَ مِنْكَ على صِلَتِهِ(٤). .

ولا تكُونَنَّ على الإِساءَةِ أَقوى مِنْكَ على الإِحْسَانِ. .

ولا يَكْبُرنَّ عَلَيكَ ظُلْمُ مَنْ ظَلَمَكَ فإِنَّهُ يسعى في مَضَرَّتِه وَنَفْعِكَ. .

وليسَ جَزَاءُ مَنْ سَرَّكَ أَنْ تَسُوءَهُ.

واعلمْ يا بُنَيَّ أَنَّ الرِّزْقَ رِزْقَانِ:

رِزْقٌ تَطْلُبُهُ. . وَرِزْقٌ يَطْلُبُكَ. . . فَإِنْ أَنْتَ لم تَأْتِهِ أَتاكَ.

ما أَقْبَحَ الخُضوعَ عِندَ الحاجَةِ، والجَفَاءَ عِنْدَ الغِنى!

إِنَّ لَكَ مِنْ دُنْيَاكَ ما أَصْلَحْتَ بِهِ مثواك(٥).

---

(١) ظفر الانتقام، وظفر التملك بالإحسان. والثاني أحلى وأربح فائدة.

(٢) بقية من الصلة يسهل لك معها الرجوع إليه إذا ظهر له حسن العودة.

(٣) صدقه بلزوم ما ظن بك من الخير.

(٤) مراده إذا أتى أخوك بأسباب القطيعة فقابلها بموجبات الصلة حتى تغلبه ولا يصح أن يكون أقدر على ما يوجب القطيعة منك على ما يوجب الصلة. وهذا أبلغ قول في لزم حفظ الصداقة.

(٥) منزلتك من الكرامة في الدنيا والآخرة.

وإنْ جَزِعْتَ على ما تَفَلَّتَ مِنْ يَدَيْكَ(١)، فاجْزَعْ على كُلِّ ما لَمْ يَصِلْ إليكَ.

اسْتَدِلَّ على ما لَمْ يَكُنْ بِما قد كانَ، فإنَّ الأُمورَ أَشْبَاهٌ. ولا تَكُونَنَّ مِمَّنْ لا تَنْفَعُهُ العِظَةُ إلاَّ إذا بالَغْتَ في إيلامِهِ، فإنَّ العاقِلَ يَتَعِظُ بالآدابِ، والبَهَائِمُ لا تَتعظُ إلاَّ بِالضَّرْبِ..

اطْرحْ عَنْكَ وارِدَاتِ الهُمُومِ بِعَزَائِمِ الصَّبْرِ وَحُسْنِ اليَقِينِ..

مَنْ تَرَكَ القَصْدَ جارَ(٢)..

والصَّاحِبُ مُنَاسِبٌ، والصَّديقُ من صَدَقَ غَيْبُهُ(٣)، والهَوَى شريكُ العَنَاءِ(٤).

رُبَّ قَرِيبٍ أَبعَدُ مِنْ بَعِيدٍ، وَرُبَّ بَعِيدٍ أَقْرَبُ مِنْ قَرِيبٍ، والغَرِيبُ مَنْ لَمْ يَكُنْ لَهُ حَبِيبٌ..

مَنْ تَعَدَّى الحَقَّ ضَاقَ مَذْهبُهُ.. وَمَن اقْتَصَر على قَدْرِهِ كانَ أَبقىٰ لَهُ. وأَوثَقُ سَبَبٍ أَخَذْتَ بِهِ سَبَبٌ بَيْنَكَ وَبَيْنَ الله..

وَمَنْ لم يُبَالِك(٥) فَهُوَ عَدُوُّكَ..

قَدْ يكُونُ اليَأْسُ إدراكاً إذا كانَ الطَّمَعُ هَلاكاً.

لَيسَ كُلُّ عَوْرَةٍ تَظْهَرُ ولا كُلُّ فُرصةٍ تُصَابُ.. وَرُبَّما أَخطأَ البصِيرُ قَصْدَهُ، وأَصَابَ الأعمى رُشْدَهُ..

---

(١) تفلّت: تملص من اليد فلم تحفظه، فالذي يجزع على ما فاته كالذي يجزع على ما لم يصله، والثاني لا يحصر فينال فالجزع عليه غير لائق فكذا الأول.

(٢) القصد: الاعتدال. وجار: مال عن الصواب.

(٣) الغيب: ضد الحضور أي من حفظ لك حقك وهو غائب عنك.

(٤) الهوى: شهوة غير منضبطة ولا مملوكة بسلطان الشرع والأدب. والعناء: الشقاء.

(٥) لم يبالك: أي لم يهتم بأمرك. باليته وباليت به: أي راعيت واعتنيت به.

أَخْرِ الشَّرَّ فإنَّك إذا شِئْتَ تَعَجلْتَهُ[1].

وقَطِيعَةُ الجاهِلِ تَعْدِلُ صِلَةَ العاقِلِ.

مَنْ أَمِنَ الزَّمَانَ خَانَهُ، وَمَنْ أعظَمَهُ أَهانَهُ[2]..

ليسَ كُلُّ مَنْ رَمى أَصَابَ.

إذا تَغَيَّرَ السُّلطَانُ تَغَيَّرَ الزَّمَانُ.

سَلْ عن الرَّفيقِ قَبْلَ الطَّريقِ، وعَنِ الجارِ قَبْلَ الدَّارِ.

إياكَ أَنْ تَذْكُرَ في الكلامِ ما يكُونُ مُضحِكاً وإِنْ حَكَيتَ ذلِكَ عَنْ غَيْرِكَ..

وأَياكَ وَمُشاوَرَةَ النِّساءِ، فإِنَّ رايَهُنَّ إلى أَفَنٍ وعَزْمَهُنَّ إلى وَهَنٍ[3]. واكفُفْ عَليهِنَّ مِنْ أبصارِهِنَّ بِحِجَابِكَ إِيَّاهُنَّ فإِنَّ شِدَّةَ الحِجَابِ أَبقى عليهِنَّ.

وَلَيسَ خُرُوجُهُنَّ بأَشَدَّ مِنْ إِدْخَالِكَ مَنْ لا يُوثَقُ بِهِ عَلَيهِنَّ[4]، وإِن إستطعتَ أَنْ لا يَعْرِفْنَ غَيركَ فافْعَلْ.

ولا تُمَلِّكِ المرأَةَ مِنْ أَمْرِهَا ما جَاوَزَ نَفْسَها فإِنَّ المرأَةَ رَيحانَةٌ وَلَيسَتْ بِقَهْرَمَانَةٍ[5]. ولا تَعْدُ[6] بِكرامَتِها نَفْسَها، ولا تُطمِعْها في أَنْ تَشْفَعَ بِغَيْرِهَا.

---

(١) لأن فرص الشر لا تنقضي لكثرة طرقه، وطريق الخير واحد وهو الحق.

(٢) مَنْ هاب شيئاً سلطه على نفسه.

(٣) الأفن: ضعف الرأي. والوهن: الضعف.

(٤) أي إذا أدخلت على النساء من لا يوثق بأمانته فكأن أخرجتهن إلى مختلط العامة.

(٥) القهرمان: الذي يحكم في الأمور ويتصرف فيها بأمره.

(٦) ولا تعد: لا تجاوز بإكرامها نفسها فتكرم غيرها بشفاعتها.

وإيّاكَ والتّغَايُرَ في غَيرِ مَوْضِعِ غَيرَةٍ[1]، فإنّ ذلِكَ يَدْعُو الصَّحِيحَةَ إلى السُّقْمِ والبرَيئَةِ إلى الرِّيَبِ.

واجعلْ لكُلِّ إنسانٍ مِنْ خدَمِكَ عَملاً تأْخُذُهُ بِهِ فَإنّهُ أَحرَى أنْ لا يَتواكَلُوا[2] في خِدْمَتِك..

وأكْرِمْ عَشِيرَتَكَ فَإنَّهُمْ جَناحُكَ الّذي بِهِ تَطِيرُ.. وَأَصْلُكَ الّذي إليهِ تَصِيرُ، وَيَدُكَ التي بِها تَصُولُ..

أَستَودِعُ الله دِينَكَ وَدُنْيَاكَ..

وَأَسْأَلُهُ خَيرَ القَضَاءِ لَكَ في العَاجِلَةِ والآجِلَةِ والدُّنْيَا والآخِرَةِ.. والسلامُ»[3].

والحق، الحق أقول:

كان عليّ عليه السلام مع الحق دائماً، حتى صار الحق معه أبداً..

«اللهم أدر الحق معه حيث دار..»[4].

... وتلك سمات ربيب.. ربيب الوحي وسابق المسلمين الذي بدأ حياته مع بدء الرسالة، حتى عاش لها ونذر حياته لنشرها، وقدم نفسه قرباناً لبقائها..

ذلك الهاشمي الذي انفرد دون غيره بالانتساب إلى أبوين هاشميين.. وإلى أب روحي انتسب إلى السماء بِخُلُقِه.. وإلى خالقه بأدبه.

.. ذلك الربيب الذي قدّر له ربه أن يولد دون غيره في بيته الحرام.. فكما قدّر سبحانه وتعالى لمحمد ﷺ أن يبدأ إسراءه من تلك البقعة الطاهرة قدّر لعلي أن يبدأ حياته فيها..

---

(١) التغاير إظهار الغيرة على المرأة بسوء الظن في حالها من غير موجب.

(٢) يتواكلوا: يتكل بعضهم على بعض.

(٣) (نهج البلاغة) شرح الشيخ محمد عبده ج٣ ص٣٨ (مؤسسة الأعلمي للمطبوعات بيروت).

(٤) (الإمامة والسياسة) لابن قتيبة ج١ ص٩٨.

ليرى النور في ذلك البيت العتيد. . . فكان أول، وآخر مَنْ ولد فيه. . كما كُتب عليه أن يواجه قدره، ويستشهد في بيت آخر من بيوت الله الجليلة!!

ذلك المجاهد الذي جاهد في الله حق جهاده للحفاظ على دين محمد بعد محمد. . ولم يجاهد غيره أبداً كجهاده للحفاظ على هذا الدين، بعد رحيل سيد المرسلين. .

ذلك الزاهد العظيم الذي لم يسبقه الأولون. . ولن يدركه الآخرون!!. .

وخير ختام نختتم به (الجزء الأول) من كتابنا هذا بقوله عز من قال:

﴿إِنَّمَا وَلِيُّكُمُ ٱللَّهُ وَرَسُولُهُۥ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱلَّذِينَ يُقِيمُونَ ٱلصَّلَوٰةَ وَيُؤْتُونَ ٱلزَّكَوٰةَ وَهُمْ رَٰكِعُونَ وَمَن يَتَوَلَّ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ فَإِنَّ حِزْبَ ٱللَّهِ هُمُ ٱلْغَٰلِبُونَ﴾ [سورة المائدة، الآيتان: ٥٥ و٥٦].

ثم إلى لقاء آخر إن شاء الله مع الجزء الثاني من هذا السِفر الرائع من حياة علي إمام المتقين. . . (**جدل الحقيقة والمسلمين. . . .**)

محمود العلي

المصادر والمراجع[1]

١ ـ القرآن الكريم وتفاسيره.

٢ ـ الأحاديث النبوية الشريفة.

٣ ـ نهج البلاغة: الشيخ محمد عبده ـ ابن أبي الحديد.

٤ ـ خلفاء الرسول: خالد محمد خالد.

٥ ـ حياة الإمام علي: محمود شلبي.

٦ ـ الإمامة والسياسة (تاريخ الخلفاء): ابن قتيبة الدينوري.

٧ ـ المستدرك، الحاكم.

٨ ـ الإمام علي رسالة وعدالة: الشيخ خليل ياسين.

٩ ـ عبقرية الإمام علي: عباس محمود العقاد.

١٠ ـ الفتنة الكبرى: د. طه حسين.

١١ ـ حجج النهج: د. سعيد السامرائي.

١٢ ـ علي ومناوئوه: د. نوري جعفر.

١٣ ـ الإمام علي بن أبي طالب رابع الخلفاء: محمد رضا.

١٤ ـ خصائص أمير المؤمنين علي بن أبي طالب: الحافظ أبي عبد الرحمن أحمد بن شعيب النسائي.

١٥ ـ حياة الصحابة: محمد يوسف الكاندهلوي.

١٦ ـ الإمام علي المختار من حياته وسيرته: د. أياد الحسني.

---

(١) أوردنا مصادر هذا الكتاب حسب تسلسلها الوارد فيه، والتي نقلنا عن بعضها بصورة مباشرة وعن البعض الآخر بصورة غير مباشرة.

١٧ ـ تاريخ الخلفاء: الإمام الحافظ جلال الدين عبد الرحمن بن أبي بكر السيوطي.
١٨ ـ ملامح من عبقرية الإمام علي: د. مهدي محبوبة.
١٩ ـ علي وحقوق الإنسان: جورج جرداق.
٢٠ ـ بين علي والثورة الفرنسية: جورج جرداق.
٢١ ـ علي وسقراط: جورج جرداق.
٢٢ ـ علي وعصره: جورج جرداق.
٢٣ ـ علي والقومية العربية: جورج جرداق.
٢٤ ـ محمد رسول الحرية: عبد ا رحمن الشرقاوي.
٢٥ ـ علي إمام المتقين: عبد الرحمن الشرقاوي.
٢٦ ـ فاطمة الزهراء المرأة النموذجية في الإسلام: الشيخ إبراهيم الأميني.
٢٧ ـ السيرة النبوية (سيرة النبي محمد): ابن هشام.
٢٨ ـ الاحتجاج: العلامة الطبرسي.
٢٩ ـ ذخائر العقبى في مناقب ذوي القربى: العلامة محب الدين الطبري.
٣٠ ـ حياة محمد: د. محمد حسين هيكل.
٣١ ـ نظرة جديدة في سيرة رسول الله: كونستانس جيورجيو.
٣٢ ـ رياض الصالحين من كلام سيد المرسلين: محي الدين الشافعي.
٣٣ ـ الصواعق المحرقة: ابن حجر العسقلاني.
٣٤ ـ الرياض النضرة: العلامة محب الدين الطبري.
٣٥ ـ البداية والنهاية: العلامة ابن كثير.
٣٦ ـ الحاوي للفتاوي: الإمام الحافظ جلال الدين السيوطي.
٣٧ ـ الدر المنثور: الإمام الحافظ جلال الدين السيوطي.
٣٨ ـ الرسالة العثمانية: الجاحظ.
٣٩ ـ أسباب النزول: علي بن أحمد الواحدي النيسابوري.
٤٠ ـ من وحي القرآن: د. إبراهيم السامرائي.
٤١ ـ محمد الحقيقة العظمى: عزيز السيد جاسم.
٤٢ ـ مع الصادقين: د. محمد التيجاني السماوي.

٤٣ ـ فاسألوا أهل الذكر: د. محمد التيجاني السماوي.
٤٤ ـ ثم اهتديت: د. محمد التيجاني السماوي.
٤٥ ـ الفصول المهمة: العلامة ابن صباغ المالكي.
٤٦ ـ الملل والنحل: الشهرستاني.
٤٧ ـ جمع الجوامع: الإمام الحافظ جلال الدين السيوطي.
٤٨ ـ مناقب علي ابن أبي طالب: العلامة ابن المغازلي الشافعي.
٤٩ ـ شواهد التنزيل: الحسكاني الحنفي.
٥٠ ـ أضواء على ألسنة المحمدية أو دفاع عن الحديث: محمود أبو رية.
٥١ ـ فجر الإسلام: أحمد أمين.
٥٢ ـ الإمام علي بن أبي طالب: عبد الفتاح عبد المقصود.
٥٣ ـ فضائل الخمسة من الصحاح الستة: مرتضى الحسيني.
٥٤ ـ الصديق أول الخلفاء: عبد الرحمن الشرقاوي.
٥٥ ـ علي بن أبي طالب نظرة عصرية جديدة: مجموعة من الكتاب منهم الشيخ د. أحمد الوائلي.
٥٦ ـ أساس التأويل: أبو حنيفة النعمان بن محمد المغربي.
٥٧ ـ ملامح من شخصية الإمام علي: عبد الرسول عبد الغفار.
٥٨ ـ زوائد الفضائل: عبد الله بن أحمد بن حنبل.
٥٩ ـ المراجعات: العلامة عبد الحسين شرف الدين الموسوي.
٦٠ ـ نشأة الشيعة الإمامية: د. نبيلة عبد المنعم داود.
٦١ ـ علي في القرآن: علي محمد دخيل.
٦٢ ـ إحياء العلوم: العلامة أبو حامد محمد الغزالي.
٦٣ ـ ينابيع المودة: القندوزي الحنفي.
٦٤ ـ الكشاف: العلامة الزمخشري.
٦٥ ـ جواهر العقدين في فضائل الشرفين: علي بن عبد الله السمهوري.
٦٦ ـ السُنة: ابن أبي عاصم.
٦٧ ـ المعرفة والتاريخ: يعقوب بن سفيان.

٦٨ ـ دعائم الإسلام: أبو حنيفة النعمان المغربي.
٦٩ ـ حقائق التأويل في متشابه التنزيل: الشريف الرضي.
٧٠ ـ الإرشاد: العلامة الشيخ المفيد.
٧١ ـ المسترشد في الإمامة: ابن رستم الطبري.
٧٢ ـ السقيفة: سليم بن قيس.
٧٣ ـ تذكرة الخواص: العلامة سبط بن الجوزي.
٧٤ ـ نزهة المتقين: الإمام الحافظ أبي زكريا محي الدين يحيى النووي.
٧٥ ـ الإمام علي أسد الإسلام وقديسه: روكسي العزيزي.
٧٦ ـ الإمام علي والفلسفة الزمنية: فرح موسى.
٧٧ ـ كيف تصبح سعيداً: محمد الكاتب.
٧٨ ـ نشأة الشيعة والتشيع: العلامة محمد باقر الصدر.
٧٩ ـ الفاروق عمر: د. محمد حسين هيكل.
٨٠ ـ الاستيعاب في معرفة الأصحاب: ابن عبد البر.
٨١ ـ الجرح والتعديل: الدارقطني.
٨٢ ـ تهذيب التهذيب: ابن حجر العسقلاني.
٨٣ ـ الجامع لأحكام القرآن: القرطبي.
٨٤ ـ كنز العمال: علي المتقي الحنفي.
٨٥ ـ الإصابة في تميز الصحابة: ابن حجر العسقلاني.
٨٦ ـ البيان: ألكنجي الشافعي.
٨٧ ـ كفاية الطالب: الكنجي الشافعي.
٨٨ ـ دلائل النبوة: أبي نعيم.
٨٩ ـ الطبقات: ابن سعد.
٩٠ ـ كنوز الحقائق: عبد الروؤف المناوي الشافعي.
٩١ ـ المناقب، الإمام أحمد بن حنبل.
٩٢ ـ المسند: الإمام أحمد بن حنبل.
٩٣ ـ المناقب: الموفق بن أحمد الخوارزمي الحنفي.

٩٤ ـ المعجم الكبير: الطبراني.

٩٥ ـ المحاسن والمساوىء: البيهقي.

٩٦ ـ مصابيح السنة: البغوي.

٩٧ ـ نور الأبصار: الشبلنجي الشافعي.

٩٨ ـ فرائد السمطين: إبراهيم بن محمد الحمويني.

٩٩ ـ الصحاح: صحيح مسلم، صحيح البخاري، صحيح أبي داود السجستاني، صحيح الترمذي

١٠٠ ـ سنن المصطفى: ابن ماجة.

١٠١ ـ الشرف المؤبد لآل محمد: النبهاني.

١٠٢ ـ التفاسير: ابن كثير، الطبري، الثعلبي.

١٠٣ ـ ميزان الاعتدال: العلامة الحافظ الذهبي.

١٠٤ ـ أنساب الأشراف: البلاذري.

١٠٥ ـ فتوح البلدان: البلاذري.

١٠٦ ـ مروج الذهب ومعادن الجوهر: المسعودي.

١٠٧ ـ علي والوصية: الشيخ نجم الدين العسكري.

١٠٨ ـ تلخيص البيان في مجازات القرآن: الشريف الرضي.

١٠٩ ـ مقدمة ابن خلدون: عبد الرحمن بن خلدون الحضرمي.

١١٠ ـ دراسات في نهج البلاغة: محمد مهدي شمس الدين.

١١١ ـ مباحث في علوم القرآن: د. صبحي الصالح.

١١٢ ـ الدولة الأموي والمعارضة: د. إبراهيم بيضون.

١١٣ ـ الإمام علي: مرتضى المطهري.

١١٤ ـ كتاب علي: مصطفى قصير العاملي.

١١٥ ـ عجائب أحكام أمير المؤمنين: السيد محسن الأمين.

١١٦ ـ السقيفة: محمد رضا المظفر.

١١٧ ـ علم الأمام: محمد حسين المظفر.

١١٨ ـ علي ونظام الحكم في الإسلام: محمد باقر الناصري.

١١٩ ـ الاتقان: الإمام الحافظ جلال الدين السيوطي.
١٢٠ ـ الجامع الصغير: الإمام الحافظ جلال الدين السيوطي.
١٢١ ـ تاريخ دمشق: ابن عساكر.
١٢٢ ـ من فيض الرحمن في معجزة القرآن: الشيخ محمد متولي الشعراوي.

فهرس الموضوعات